مجلة المختار للعلوم الإنسانية

Al-Mukhtar Journal of Social Sciences

Vol. 44 Issue 1 April 2026

eISSN: 2791-1608 Published by OMU

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 01-21, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/pw3tvk11

Research Article

Open Access

الآخر عند المسعودي في ضوء كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" من بداية الدّعوة الإسلامية حتى نهاية العهد الراشدي (دراسة تحليلية)

مرام محمد لطفي أبو مخ [1]*، مُحمَّد عثمان الخطيب[2]*

الباحث الاول[1]*
قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

الباحث الثاني[2]*
قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

المستخلص: تتناول الدراسة موقف المؤرخ علي بن الحسين المسعودي من "الآخر" في كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر"، منذ بزوغ الدعوة الإسلامية وحتى نهاية العصر الراشدي، بالتحليل النقدي، استنادًا إلى أهمية المسعودي كمؤرخ مسلم، جمع بين السماع والمشاهدة في تدوين الأخبار وسرد الأحداث، مستندًا إلى منهج الرواية التاريخية في النقد والتسلسل الزمني، جامعًا بين التاريخ والجغرافيا وفلسفة التاريخ، وسعت الدراسة للكشف عن موقف المسعودي من الآخر، مثل: الشخصيات السياسية، أو الأحداث والوقائع التاريخيّة، وبيان مدى تأثر ذلك بمذهبه المنسوب تارةً للتشيع وآخر للاعتزال، ما انعكاس على تصويره للأحداث وتفسيره لها. تظهر الدراسة أن المسعودي، رغم سعيه لإبراز الحياد المنهجي، أنَّه أبدى تعاطفًا ملحوظًا مع آل البيت، خاصة في تناوله فترة خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مقابل طرح نقدي لسائر الخلفاء والأمراء وولاتهم في الحقبة الراشدة، مع تبني روايات شيعية في بعض المواضع، كما ربط الأحداث السياسية بمفهوم "الصراع على السّلطة" واعتبرها محورًا لفهم التاريخ الإسلامي المبكر، مع إبراز الاختلاف حول الإمامة باعتبارها قضية مركزية بين الفرق الإسلامية.

الكلمات المفتاحيّة: مروج الذهب، المسعودي، صراع السلطة، الآخر، الإمامة، فلسفة التاريخ.

[1]***Corresponding author:** Maram M. Abu Mokh, History Department, An-Najah National University, Palestine.

[2]***Second author**: Mohammad O. AL KHateeb History Department, An-Najah National University, Palestine.

Received: 19/01/2026

Accepted: 29/02/2026

Publish online: 30/04/2026

The Other in Al-Mas'udi's Book (Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar) From the Beginning of the Call to Islam Until the End The Rashidun era (An Analytical Study)

Abstract: This study examines the historian Ali ibn al-Husayn al-Mas'udi and his stance on the “other” in Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar, covering the period from the dawn of Islam to the end of the Rashidun Caliphate. It highlights his significance in Islamic historiography through his combination of hearsay and observation, and his use of narrative, criticism, and chronology, integrating history, geography, and the philosophy of history. The study explores his position toward political figures and events, and the extent to which beliefs attributed to Shiʿism or Muʿtazilite thought shaped his interpretations. It finds that, despite claims of methodological neutrality, al-Masʿudi shows notable sympathy for the Prophet’s family—especially in his treatment of ʿAli ibn Abi Talib and his battles—while presenting a more critical view of other caliphs and governors. He also adopts Shiʿi narratives at times and frames early Islamic history through the concept of the power struggle, emphasizing the dispute over the imamate as a central issue among Islamic sects.

Keywords: Muruj al-Dhahab, Al-Mas'udi, power struggle, the other, the imamate, philosophy of history.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة

هناك دوافع متعددة وأهداف مختلفة لكتابة التاريخ وعلى رأسها دراسة السيرة النبوية وتتبع الاحداث التاريخية، وإبراز مظاهر الحضارة الإسلامية بمختلف جوانبها، ومراحل تطورها، ولا يخفى أن الأحداث التي مرّت بها الدعوة الإسلامية مذ بزوغ فجرها مروراً بالغزوات والفتوحات الإسلامية حتى استقرار نظام الحكم الإسلامي، من خلال نظام الخلافة وما رافقها من إنشاء المؤسسات، وغيرها من مكونات الدولة الإسلامية، تستوجب من المؤرخ والكاتب في فلسفة التاريخ الوقوف عند هذه الأحداث وتطوراتها، وهذا ما تضمنه كتاب المؤرخ علي بن الحسين المسعودي(346 هـ 957م) الموسوم بـ"مروج الذهب ومعادن الجوهر".

عرض المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" تلك الحِقبة التّاريخية، مُتبعا منهج الرواية التاريخية ونقدها وفق التّسلسل الزمني ، المتمثّل بنظام الحوليات، كما توسع في نقلها من مصادر معرفية مختلفة ومتنوعة جمع فيها المسعودي بين السماع والمشاهدة الشخصية، معتمداً في منهجه في رواية الأحداث على موقفه ونظرته أن التاريخ الإسلامي هو صراع سياسي على الحكم، جاعلاً من الاختلاف مبدأ رئيسياً في تحليل الأحداث.

ومن خصائص التاريخ الإسلامي والثّقافة العربيّة عامة –كما هو معلوم– أنها تعتمد في ذكر الأحداث على توثيق الراوي أو المؤرخ وتوثيق الرواية المسندة، وصحَّة الأخبار التي يبني عليه المؤرخ نتائجه، والمسعودي في مروجه بيّن مصادر معلوماته، التي أثبتها في مقدمة كتابه، فارتفع بذلك عن النهج القصصي متحولاً الى أسلوب الرواية والحديث، ونقده في بعض الأحيان لأسانيد الرواية ، وترك ذلك في أحيان أخرى وأحال القارئ لها في مؤلفاته الأخرى ، ويقول المسعودي في ذلك:" ولم نتعرض لكثير من أسانيد هذه الأخبار وطرقها؛ لأننا قد أتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها إليه فيما سلف من كتبنا خوف الإكثار والتطويل في هذا الكتاب"[1].

أورد المسعودي في مواضع عدة في كتابه "مروج الذهب" معلومات حول بداية الدعوة والعصر الراشدي– محل الدراسة– متبعًا الأسلوب التحليلي للروايات، وتفسير الأحداث كما فعل في حديثه عن أخبار الفتنة، أو كما سماها الثورة على عثمان، مستخدماً في تأليفه النظرية الكلية التي تهدف الى فهم الأحداث التاريخية بشكل شامل ومتكامل، عن طريق النظر في تأثير مجموعة متنوعة من العوامل والسياقات التي تشكل التاريخ لهذه الحقبة من الزمان، وهذا ما سعى إليه في الربط بين الأحداث في كل عصر من عصور الخلافة الإسلامية، وما ترتب عليه من نتائج أثّرت فيما بعد على نظام الحكم صعوداً وهبوطاً كما هو حال كل دولة وحضارة.

ومن هنا اعتنت الدّراسة في إظهار أبرز الأخبار وأهمها التي أوردها المسعودي في كتابه "مروج الذهب" وموقفه من الآخر، سواء كان هذا الآخر شخصيات وخلفاء وأمراء وأحداث، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه ولم يأت على جميع الأحداث والوقائع من بداية الدعوة الاسلاميّة حتى أواخر الحقبة الراشدة.

مشكلة الدّراسة:

إشكالية الدّراسة تقوم على السؤال المركزي التالي:

– ما موقف المسعودي من الآخر من بداية الدّعوة الى العصر الراشدي في ضوء كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"؟

وقد انبثق عنه أسئلة ثانوية أخرى تسعى الدراسة للإجابة عنها:

– هل لعقيدة المسعودي دور في بناء مواقفه من الآخر منذ بداية الدعوة الى نهاية العصر الراشدي؟

– ما المصادر والمنهجية التي اعتمدها في سرد الأحداث التاريخية وتوثيق الروايات والأخبار؟

أسباب اختيار الموضوع:

نظراً لأهمية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي والذي يعتبر من أمهات الكتب التاريخية، والذي تمت العناية به دراسة وتحقيقاً وتنقيحاً عرضاً ونقداً من قبل كثير من المؤرخين والنقاد، إضافة للاختلاف في عقيدة المسعودي والجدل الحاصل في نسبته للتشيع تارة ونسبته للاعتزال تارة أخرى، وبالتالي نسبته الى المدرسة العقلية، واثر ذلك في رأيه وموقفه من الأحداث والشخصيات، والخلافة والامامة في من بداية الدعوة الإسلامية الى نهاية العصر الراشدي، جاء هذا البحث ليجلي الصورة ويحرر موقف المسعودي منها، وبيان مدى تعاطفه مع آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متأثراً بالروايات الشيعية تارة، والمؤرخين الشيعة تارة أخرى.

وكون هذا الموضوع أحدث جدلاً في الأوساط العلمية جاء هذا البحث ليسلط الضوء على نظرة المسعودي لحركة المجتمع الإسلامي والصراعات السياسية والخصومات التي يعتبرها من أبرز العوامل التي أضعفت نظام الحكم بعد النبوة ابتداءً من سقيفة بني ساعدة وانتهاءً بولاية علي بن أبي طالب، وتحليله للأحداث ونظرته التاريخية والفلسفية التي بنى عليها مواقفه من كل مرحلة من هذه المراحل.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من قيمة المؤلِّف الذي تناولته الدراسة، وذلك لمركزيَّته بين المؤرخين، وأهمية كتابه الذي جاء بمنهج جديد في عرض المعلومات، إضافة إلى توضيح موقفه من الآخر المتمثل في الخلفاء والامراء، وحركة المجتمع من بداية الدعوة إلى نهاية العصر الراشدي، وطرق المؤرخين في اسناد الروايات سنداً ومتناً، وذلك من خلال التحقق العلمي من اسناد الرواية والراوي أو المؤرخ الذي ساق هذه المعلومات.

أهداف الدراسة:

سعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

– بيان موقف المسعودي من الآخر من بداية الدعوة الإسلامية الى نهاية العصر الراشدي.

- التعرُّف إلى منهجية المسعودي في التأليف وسرد الأحداث التاريخية.
- الكشف عن الفلسفة التاريخية عند المسعودي التي اتبعها في تأليف كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر".
- التعرف إلى نظرة المسعودي للمجتمع الاسلاميّ في بنائه وتطوره والتغيرات التي مرّ بها عبر الزمان.
- تقديم صورة واضحة تتعلق بمذهب المسعودي ومدى تأثيرها على سرد الأحداث التاريخية.

منهجية الدّراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التّاريخي الوصفي التّحليلي، القائم على جمع النصوص التاريخية التي تميط اللثام عن موقف المؤرخ علي بن الحسين المسعودي من الآخر من بداية الدعوة النبوية الى نهاية الفترة الراشدة في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" واستقراؤها وتحليلها ، كما اهتمت الدراسة بوصف موقفه وصفاً دقيقاً بقراءة نقدية إضافة الى الاتكاء على مؤلفاته الأخرى التي توضح موقفه وتفصّله كون مروج الذهب يتميز بالاختصار والايجاز كما أشار المؤلف إلى ذلك في مطلع كتابه.

المبحث الأول: نشأة المسعودي علمه مؤلفاته ومنهجه في الكتابة

أولاً: اسمه ونسبه:

هو علي بن الحسين بن علي، أبو الحسين بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، قال عنه صاحب الوافي بالوفيات" هو علي بن الحسين، أبو الحسين المؤرخ من ذرية عبد الله بن مسعود"[2]، و ينتمي الى قبيلة هذيل الحجازية[3].

وذكرته بعض التراجم دون ان تنسبه الى ذرية ابن مسعود[4]، معنى ذلك ان المصادر اتفقت في اسمه واختلفت في نسبته الى الصحابي عبد الله بن مسعود، وأوردت ترجمته بصيغة التضعيف، وذلك بتكرار عبارة " يقال انه من ذرية عبد الله بن مسعود، والمتأمل في كتابه "مروج الذهب" لا يجد أي إشارة توحي بأن المسعودي ينحدر من نسل ابن مسعود، رغم أن المسعودي ذكر كل ماّ عن غيره من المؤرخين في كتابه هذا، ومن ضمن ما امتدح به نفسه وما يميزه عن الأخرين قوله: "وقد ألف الناس كتباً في التاريخ والأخبار ممن سلف وخلف، فأصاب البعض، وأخطأ البعض، وكل قد اجتهد بغاية إمكاناته... وقد وسَمْتُ كتابي هذا بكتاب" مروج الذهب ومعادن الجوهر" لنفاسة ما حواه، وعظم خطر ما استولى عليه، ولم يترك نوعاً من العلوم، ولا فناً من الأخبار، ولا طريقة من الآثار إلا أوردناه في هذا الكتاب"، وبهذا النص يظهر افتخار المسعودي بكتابه وما تميز به عن غيره من المؤرخين، ومع ذلك لم يشر ولو من بعيد لنفسه أنه ينتسب إلى عبد الله بن مسعود، وهذا مصدر فخر لا يُغفل مثله، بينما ذكرت روايات ضعيفة لا سند لها أن نسبة المسعودي الى مَحلَّة أو حي من أحياء بغداد يقال لها المسعودة[5]، أو نسبة الى موضع آخر في عقار المدرسة النظامية[6].

ولد المسعودي في بغداد أواخر القرن (الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)[7]، وذكر هو ذلك في "مروج الذهب" واصفا الإقليم الذي ولد فيه، كما ذكرت كل المصادر والمراجع التي ترجمت له أنه بغدادي الأصل والمولد، بينما ينسبه صاحب الفهرست الى أهل المغرب[8]، ولعله تصوّره هذا بناه على رحيل المسعودي الى مصر وإقامته فيها.

يُعد المسعودي من كبار المؤرخين المسلمين بإجماع المصادر التي ترجمت سيرته، تلقى تعليمه في بغداد مركز العلم والحضارة والتي ازدهرت بمكتباتها وعلمائها، لهذا السبب وغيره نرى المسعودي مؤرخاً من نموذج آخر يحاول كتابة التاريخ بطريقة جديدة تحمّل في سبيل ذلك العناء من أسفار ورحلات ومشاهدات ومقابلات التي تتوزع بين التاريخ والجغرافيا، ووصف الحضارات والأمم اعتمدت التحقق المباشر[9]. توفي المسعودي سنة (345هـ/956م)، في الفسطاط في مصر ودفن فيها[10].

عصر المسعودي:

أثرت العوامل السياسية في كتاباته، إذ عاش في العصر العباسي الثاني الذي تميز بدخول أمم غير عربية إليه، فسطت نفوذها واستبدت بالسلطة دون الخلفاء العباسيين، وأشار المسعودي في "مروج الذهب" الى ذلك مبينًا استعانة الخلفاء العباسيين بالعنصر التركي في الشؤون السياسية والحربية، فاجتمع للمعتصم منهم أربعة الاف، وجعل سامراء مقراً لهم[11]، كما اختلط في المغاربة ومن خرسان وغيرهم من الأشروسية، فكان هذا الاقحام للأتراك سبباً في بسط نفوذهم وضعف الخلافة العباسية والهيمنة على العملة وغيرها، فكانوا يكرهون العرب والفرس ويكيدون لهم الدسائس والمكائد، ومن هنا عاش المسعودي جوا سياسياً مشحونا متنافراً، وما زاد الأمر سوءا استخلاف البويهيين الذي ساد فيهم التشييع ما يعني زيادة حقدهم على الخلفاء العباسيين لاعتقادهم انهم غصبوا الخلافة واخذوها من مستحقيها[12]، وبذا ساد تغلب الامراء والولاة على أقاليم العالم الإسلامي.

وللجانب الثقافي دور في كتابة المسعودي للتاريخ، حيث ترسخت في القرن (الثالث والرابع الهجري\ التاسع والعاشر الميلادي)، الحركة العلمية والفكرية، إضافة الى الموسوعية التي اتصف بها العلماء في تلك الفترة وعدم اقتصارهم على علم دون اخر؛ كالتفسير والفقه والتاريخ والجغرافية واللغة وعلوم الفلك وغيرها من العلوم، ما يعني شمولية العلوم والربط بينها، واتساع النظرة العلمية بروح الأمة الواحدة، والذي ساهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية الانفتاح على علوم الحضارات الأخرى كالهند والصين، إضافة الى الفلسفة اليونانية التي حظيت باهتمام المسلمين وكان لها صداها في كتب المسعودي[13]، كما ظهر علم الجدل والمناظرة وعلم الكلام والتأليف وقد برز في ذلك السُنّة والمتكلمين–اتباع الاشعري– وكذا الشيعة والمعتزلة، إضافة الى علم الجرح والتعديل ومنهج النقد الحديثي، كما نشطت حركة الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية لمختلف العلوم خاصة في مجالات الطب والفلسفة والرياضيات وعلوم الطبيعة، وقد عكف العلماء المسلمون على دراستها ثم

قاموا بشرحها وتحليلها ثم الرد والزيادة عليها[14]، " وقد لاقت تلك الزيادات التي أصبحت من صلب المادة ترحيباً عظيماً"[15]

والسؤال المهم هل تأثر المسعودي في كتاباته ومؤلفاته التاريخية من خلال إطلاق أحكامه على الفرق العقدية والأمم والملل والنحل بمذهب معين، وهل ساق الاحداث انطلاقا من رؤية عقدية معينة؟

هذا ما يمكن معرفته بالتحليل والدراسة في هذا البحث من خلال منهج المسعودي في السرد التاريخي الموضوعي المتجرد المحايد أو ربما المنحاز في مواضع أخرى من كتاباته واستقصائه المعلومات، إلا انه خلال السرد التاريخي يظهر تعاطفه مع الشيعة من خلال رواياته عنهم، بيد أن هذا التعاطف لم يسحبه الى دائرة التحيز لهم، بل ما يفتأ يذكر هذه الفرقة إلّا وذكر الاتجاه المعاكس لهم من الفرق الأخرى، وهذا ميزه عن اليعقوبي الذي كان يحشد اقوال الشيعة ويُظهر تشيعه الواضح لهذه الفرقة، فيما لا يبدو ذلك في منهج المسعودي وطرحه[16]، لكن المتتبع لتوثيق الأحداث في كتاب "مروج الذهب"، وخلال حديث المسعودي عن الأديان وتاريخ الأمم والشعوب غير المسلمة يلاحظ منهج الحياد والموضوعية، في المقابل لا نجده يلتزم منهج الحياد في بحث التاريخ الإسلامي.

نسبة المسعودي للتشيع:

اختلفت كلمة المؤرخين في نسبة المسعودي إلى التشيع، وذلك نظراً للنقولات في مؤلفاته التي توحي بذلك، كما نسبه البعض إلى الاعتزال، قال الذهبي(ت748هـ\1348م) عنه" كان إخبارياً، صاحب مِلَح وغرائب، وعجائب وفنون، وكان معتزليّاً"[17]، وجزم بذلك في السير، لكن السُّبكي(ت756هـ\1355م) لم يجزم بعقيدته، انما قال فيه:" قيل إنه معتزلي العقيدة"[18]، وقال ابن حجر العسقلاني(ت852هـ\1449م) في لسان الميزان: "وكتبه طافحة بأنه كان شيعيّاً معتزلياً"[19]، بيد أنه يستُنتج من تصانيف العسقلاني ومؤلفاته بأن المسعودي كان شيعيّاً.

وبتتبع كتب الشيعة نجد كثيراً من أصحاب المؤلفات المعتبرة في مذهبهم نسبة المسعودي الى الشيعة، جاءت ترجمته في كتاب رجال النجاشي (ت450هـ\1058م) [20] على سبيل المثال لا الحصر "المسعودي أبو الحسن الهذلي، له كتاب المقالات في أصول الديانات كتاب الزلف، كتاب الاستبصار، وهذا رجل زعم أبو الفضل الشيباني –رحمه الله– أنه لقيه واستجازه وقال: لقيته، وبقي هذا الرجل الى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة"[21].

بل ذهبت بعض المصادر أكثر من ذلك وصنَّفت المسعودي من الإمامية الاثني عشرية ونسبت له كتاب "الوصية" تأكيداً لتشيعه، وجاء فيها أن" لعلي بن الحسين المسعودي صاحب تاريخ مروج الذهب كتاباً بعنوان "اثبات الوصية"، وقد ذكره النجاشي في الرجال والعلامة الحلي في الرجال (ت1111هـ\1699م)، واغا بزرك الطهراني(ت1389هـ\1969م) في الذريعة، ويسمى "إثبات الإمامة لعلي"، وقد عدّ هؤلاء المسعودي من الشيعة

الاثني عشـرية، "ويلاحظ ان المسـعودي في كتابيه "مروج الذهب" و"التنبيه والاشـراف" لم يذكر اسـم الكتاب ولم يشر إليه كعادته عندما يتكلم عن الإمامة والشيعة، فيبدأ كلامه ولا يتمه لأنه استوفاه في أحد كتبه"[22].

وقد يعود سـبب الاختلاف في نسـبته الى التشـيع أو الاعتزال إلى طريقته في الكتابة والبحث والتفكير، ولا يلزم من منهجه ان يكون منتسـباً الى إحدى هذه الفرق فضـلاً عن عدم الدليل عند كل من نسـبه الى التشـيع او الاعتزال، بيد أن بعض كتاباته في مروج الذهب وغيره من مؤلفاته تُظهر تعاطفه مع علي بن ابي طالب وال بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي مواطن كثيرة من المروج ظهر انحياز المسعودي جلياً متأثراً بالروايات والأخبار الشيعية.

ثانياً: كتاب المسعودي "مروج الذهب ومعادن الجوهر"

ألف المسعودي "مروج الذهب" سنة(332هـ/ 943م)، وانتهى من تأليفه سنة (336هـ/ 947م) ، وأطلق عليه هذا الاسـم لما يرى ما فيه من نفاسـة مضـمونه والمعلومات التي احتواها حتى بلغ فيه الأمر التحذير من التصـرف في كتابه والتخويف من ذلك، إضـافة الى خروجه عن النمط المألوف في الكتابة وتوثيق الأحداث التاريخية، ويسوق الحوادث باعتبار الأمم والدول ضمن فصول مخصصة، وقد ذكر ذلك في مطلع كتابه:" وقد وسـمت كتابي هذا بكتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لنفاسـة ما حواه، وعظم خطر ما اسـتولى عليه طوالع بوارع ما تضـمنته كتبنا السـالفة في معناه، وغرر مؤلفاتنا في مغزاه، وجعلته تحفة للأشـراف من الملوك وأهل الدّرايات، لما تضمنه من حمل ما تدعو الحاجة اليه."[23]

ويُعد كتاب "مروج الذهب" من أهم مؤلفات المسعودي وخلاصة اختياراته وتجاربه في الأسفار والرحلات، إضافة الى أهميته ومركزتيه بين الكتب التّاريخية والذي أصـبح وجهة المؤرخين والمحققين فيما بعد، حتى لقي كتابه هذا رواجاً واسـعاً وقبولاً أذهل المسـعودي نفسـه، مما دفعه لمزيد من العناية به بين زيادة وتنقيح، ابتدأ فيه السـردية التاريخية من بداية الخليقة وينتهي بالخلافة العباسـية وخاتمة ولاية العهد الخليفة العباسـي المطيع لله (363هـ /974م).

حظي كتاب "مروج الذهب" بالعناية والاهتمام من الطبعات والتحقيقات المتعددة، فقد طبع منه عدة طبعات، ومن أهمها: طبعة باريس 1787م، وطبعة بولاق في مصر 1283هـ في جزئين، وطبعة دار الاندلس بيروت 1385هـ[24]، هذا بالإضـافة الى ترجمته الى عدة لغات، من أهمها: الى الفارسـية في طهران، وترجمة الى الانجليزية[25].

نال كتاب "مروج الذهب" إعجاب وتقدير العلماء والمستشرقين، يقول فيه كراتشكوفسكي أنه: "أفضل تصوير للحياة الاجتماعية والثقافية في عصـر الخلافة"[26]، ويرى روزنثال أن "مروج الذهب" هو أحد الكتب الثلاثة

العظيمة التي ألفت في موضوع التأريخ العباسي"[27]، والخلاصة فإن "مروج الذهب" صورة حيَّة لعقلية العرب والمسلمين في القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، وآفقها الواسعة المتفتحة على الثقافات الأخرى، ولحضارتهم عموماً، بما فيها من اقبال على العلم وتمسك ببعض الخرافات والمبالغات...، وفي سياق اخر يصف الكتاب انه كثير الفوائد التي قد لا توجد في سواه[28]، مقابل ذلك وجّه عدد من المؤرخين والنقاد انتقادهم لكتاب المسعودي "مروج الذهب"، من أبرزها ما أورد ابن خلدون (ت808هـ\ 1406م) عن المسعودي الذي يدعو الى التحقق في كتابه – مروج الذهب–، وعدم الاعتماد على النقل الموقع في الخطأ الذي لم يسلم منه المسعودي في بعض جوانب كتابه "وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من الطعن والغمز ما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة والثقات[29].

وعدّ ابن العربي(ت543هـ\1148م) أن ما جاء في كتاب المسعودي من أخبار ومرويات مُحدث ومخترع، وصف مؤلفه بالبدعة والاحتيال وفي هذا السياق يقول: "وأما المبتدع المحتال المسعودي، فإنه يأتي منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه"[30]، ومن المؤرخين المُحدثين من رأى أن تأثر المسعودي وميوله الشيعية وتعاطفه العلوي كان عاملاً مركزياً مؤثراً في تأليفه واصدار أحكامه في ثنايا تحليله للأحداث التاريخية "على الرغم من محاولته الظهور بالمؤرخ الحيادي المصنف، وأنه خدم التشيع جيداً وبطريقة تخفى على كثير من الناس"[31].

المبحث الثاني: الآخر كما يصوره المسعودي في "مروج الذهب"

المحور الأوّل: من بداية دعوته صلى الله عليه وسلم الى وفاته:

في سرد المسعودي للأحداث التّاريخية ابتداءً من الدعوة النبوية وما وقع في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من احداث، لم يستند في مروياته الى الاسانيد الا قليلا ، وهذا يؤكد ما ذكره في مطلع كتابه اعتماده على الأخبار والسماع والمشاهدة، دون الاعتماد على نصوص الاخرين، متَّبعاً طريقة الحوليات، او ما يعرف بالمنهج الكرنولوجي حيث التسلسل الزمني للأحداث، وذلك بإيراد الوقائع مرتبة حسب السنين[32]، وما يهمنا هنا الاحداث التي أوردها بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وموقف المسعودي من الاخر في تلك الفترة وما بعدها.

ما جاء به المسعودي وهو يستعرض الفرق والمذاهب في "مروج الذهب" كان مُجملا غير مفصَّل، وكأنه اكتفى بإحالة القارئ إلى كتبه التي استعرض فيها الحديث عن الاخر من فِرق، ومذاهب، وبلدان، وغيرها التي خصصها لذلك وفصل فيها رأيه عن الآخر، خلافاً لـ "مروج الذهب" الذي اتسم بالإجمال وعدم التفصيل.

انطلق المسعودي في ذكر الأحداث التاريخية ابتداءً بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه مروج الذهب، وما وقع فيها من أحداث سردًا عاماً وفق تسلسل الأحداث والسنوات والتي اطلق على كل سنة منها اسم كما في

كتابه "التنبيه والاشراف"[33]، وموقفه من الاخر ابتداءً من خلافة أبي بكر وحديث السقيفة لتعيين الامام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد استطرد في عرض آراء الفرق الإسلامية في الخلافة والامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، راسماً صورة واضحة المعالم لآراء هذه الفرق والاختلافات بينها، عارضاً ما يدعم كل فريق منهم بآيات من الكتاب والسنة[34]، إضافة الى المسائل العقلية والمنطقية.

المحور الثاني: ما أورده المسعودي عن الآخر في العصر الرّاشدي

تناول المسعودي فترة خلافة ابي بكر الصديق بإيجاز، فلم يشمل كل الأحداث التي حدثت في عصره، بل اقتصر على بعضها، ذاكراً شمائله وشيمه وأخلاقه واعماله، كالأجناد ،وانفاذ الامراء إلى الامصار، وكتابة الدواوين والتاريخ وغيرها، مثنّياً بالحديث عن فتوحاته في العراق وفارس، معرضاً عن ذكر أحداث أخرى لم يذكرها كفتوحات الشام ومصر وغيرها من الامصار، إضافة الى عدم ذكر أخبار المتنبئين كمسيلمة وسُجاح، والعنسي وفيروز وغيرهم..، طلباً للإيجاز كما أشار الى ذلك: "ولقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار في هذا الكتاب طلباً للاختصار والايجاز"[35]، ولعل سبب ذلك كما تقدم معنا اسهابه التفصيل في مؤلفات أخرى له تطرق فيها الى التفصيل والاستطراد، ومثل ذلك فعل في سرد الأحداث عن عمر بن الخطاب الا انه لم يفصّل فيها رغم كثرة الأحداث التاريخية والوقائع التي حدثت في عصره "كأسفاره في الجاهلية الى الشام والعراق ومحادثاته مع بعض ملوك العرب والعجم، وغير ذلك من أخباره وسياساته، وما كان في أيامه من الكوائن والأحداث"[36]، إلّا أنه بسط في الكلام عن عصر عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وأطنب في سرد الأحداث في عهد علي فاق كل من تقدم ذكرهم من الخلفاء رضي الله عنهم[37]، وهنا نقف عند أبرز الأحداث التي وقف عندها المسعودي في في العصر الراشدي وكيف عالجها، وموقفه منها:

أولاً: موقف المسعودي من خلافة أبي بكر (13هـ 634م) وسقيفة بني ساعدة:

أورد المسعودي بيعة سقيفة بني ساعدة ومبايعة الناس لأبي بكر مصوراً الحدث في إطار صراع سياسي لمكاسب دنيوية، والذي بسببه اختلفت الأمة الى شِيَع وجماعات، ورغم إيجازه في رواية خلافة أبي بكر إلّا انه سرد أخباراً تدور في معظمها على "التشكيك في أحقيته في الخلافة، فيصفه بالمتردد النادم على قبول الخلافة، وأنه لم يقبلها إلا خشية الفتنة، مشيراً الى المعارضة التي وقفت ضده من الأنصار وبني هاشم، ويبدو ان هدفه من ذلك الإيحاء بأفضلية علي في تولي الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وما يؤكد ذلك مناقشته إمامة المفضول مع وجود الفاضل في هذا المقام، وسياق اعتراف ابي بكر بأحقية علي في الخلافة وانه لم يتولها الا خوفاً من وقوع الفتنة"[38].

وفي هذا السياق ذكر المسعودي أنه "ولما بويع أبو بكر في يوم السقيفة وجددت له البيعة على العامة، خرج علي فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً، فقال أبو بكر: بلى، ولكنني خشيت الفتنة، وكان

للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طوال، ومجاذبة في الامامة، وخرج سعد بن عبادة (ت15هـ\ 636م) ولم يبايع– فصار الى الشام فقتل هناك سنة خمس عشرة، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها"[39]، لم يحدد المسعودي من الذي جدد لأبي بكر البيعة والذي يفهم من كلامه [نَّ من جدَّد له البيعة هم أصحاب السقيفة فقط، علماً ان الأخبار الصحيحة تواردت أن عامة الناس بايعوه ممن لم يبايعه في السقيفة، معنى ذلك أن من حضر السقيفة عدد قليل ولم يستغرق اجتماعها وقتا طويلاً، ولم تجر فيها نقاشات طويلة على تولي الخلافة، ولا صراعات بين الحضور كما أشار المسعودي في المروج "ومجاذبة في الامامة" التي يعتبرها أصل في الدين، والتي لم تكن همّ الصحابة، إنما كان همهم عدم ترك المسلمين ولو للحظة دون خليفة يسيّر أمورهم ويرجعون إليه في اختلافاتهم، فما كان ممن حضر السقيفة من المهاجرين والانصار إلا بيعة أبا بكر[40]، وما كان من قول عمر" قتل الله سعداً فإنه صاحب فتنة وشرّ" إنما يوضح المقصود منه ابن حجر العسقلاني(ت852هـ\1449م) في شرح البخاري أن دعاء عمر على سعد بن عبادة قاله في غضبة من أمر سعد وتقدمه على أبي بكر، وهو أفضل وأجل منه، وخوفه من وقوع الفتنة والفرقة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله "قتله الله" إنما هو دعاء عليه وهو كناية عن الإعراض والخذلان، وليس القتل حقيقة[41]، وفي الدّلالة على هذا المعنى قال ابن الاثير(ت630هـ/ 1232م): "ذلك انه وجد ميتًا في الشام على مغتسله وقد اخضّر جسده، ولم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قائلا يقول من بئر، ولا يرون أحداً، قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة رميناه بسهم فلم نخط فؤاده، فلما سمع الغلمان ذلك ذعروا فحفظ ذلك اليوم، فوجوده اليوم الذي مات فيه سعد بالشام"[42].

ولم يختلفوا أنه وجد بأن ينصب أكثر من خليفة فتكون بيعة أخرى تشق عصا المسلمين وتفرق صفهم، وليست غايتها منافسة ومكاسب سياسية وولاية كما صورها المسعودي –اعتمادا على رواية أبي مخنف التي استشهد بها عدد من المؤرخين– [43]، وبين عمر الغاية من مقالته: " وإنا والله ما رأينا فيما حضر من أمرنا أمر أقوى من بيعة أبي بكر، فخشينا ان فارقنا القوم قبل أن تكون بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فسادًا"[44]، وهذا المعنى او قريب منه أورده الطبري في تاريخه:" فقال أبو بكر مهلاً يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ" [45].

وقيل إن دعاء عمر على سعد بن عبادة قاله في غضبه من أمر سعد وتقدمه على أبي بكر، وهو أفضل وأجل منه، وخوفه من وقوع الفتنة والفرقة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ذلك أن سعدًا أراد الولاية وما كان يصلح ان يتقدم أبا بكر، وقال الخطابي(ت388هـ\998م) "معنى قوله قتل الله سعدًا: أي احسبوه في عداد من مات أي لا تعتدوا بحضوره، لأنه أراد أن يكون أميراً فخالف"[46].

وأما ما ورد من عتب ولوم علي (ت40هـ\661م) كما ورد في "مروج" المسعودي:" أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً" لم يكن عتاب اعتراض إنما عتب عليهم أنه لم يستشر في الامر، وما يؤكد هذا المعنى ما أورده الذهبي(ت748هـ\1348م) في بيعة علي لأبي بكر إذ يقول: "أيها الناس ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الامارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر"[47]، يتضح من ذلك موقف علي مثبتاً عدم وجود وصية من الرسول لصحابي بعينه، وقد تواردت الأخبار بلا خلاف أنه بايع أبا بكر، انما اختلفوا في مكان بيعته والرّواية انها كانت في المسجد في البيعة العامة.[48]

ومن الأخبار التي أوردها المسعودي للطعن في خلافة أبي بكر وأنها انتزعت انتزاعاً، عدم مبايعة سعد بن معاذ لأبي بكر إذ قال:" أن سعد بن عبادة خرج ولم يبايع فصار إلى الشّام، فقتل هناك سنة خمس عشر"[49]، وبتتبع الأخبار نجد روايات تثبت بيعته قبل خروجه إلى الشام[50]، وسبب تخلف سعد عن بيعة أبي بكر لأنه يبقى فيه ما في نفوس البشر من حب الإمارة، قال ابن تيمية(728هـ\1328م): " وأما أبو بكر فتخلف عن بيعته سعد– لأنهم قد عينوه للإمارة فبقي في نفسه ما يبقى في نفوس البشر، ولكن هو مع هذا لم يعارض، ولم يدفع حقاً، ولا أعان على باطل"، وقال أيضاً: " كان المستحق للإمامة– يعني أبا بكر– وقد أصبح بمبايعته جمهور الصحابة الذين هم اهل القدرة والشوكة، وقد بايعه المهاجرون والانصار الذين هم بطانة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[51]، إلا أن المسعودي وبسبب منهجيته في عدم الإسناد والتفصيل في مروج الذهب –ربما لأنه اكتفى بالتفصيل في مؤلفاته الأخرى "كالتنبيه"– كما تقدم معنا، قال:" وليس كتابنا هذا موضع لخبر مقتله"[52]، بل وجزم أنه لم يبايعه أحد من بني هاشم علماً ان الروايات تواردت عن بيعة المهاجرين والانصار وجميع الناس في البيعة الكبرى كما تقدم في هذه الدراسة.

ثانياً: موقفه من خلافة عمر بن الخطاب(23هـ\644م):

رغم أن عصر عمر بن الخطاب كان زاخرًا بالأحداث والإنجازات والأعمال إلا أنه لم يأخذ كذلك حيزاً كبيراً في "مروج الذهب"، اختصره المسعودي ببضع صفحات مع أن عمر حَكَمَ عشر سنين، ووقعت في عهده أحداث كثيرة أشار إليها بإيجاز كما تقدم، مشيراً إلى أن أبا بكر عهد إلى عمر بالخلافة وأوصى بها له من بعده لعهد بينهما، وهذا ما فعله في كتابه "التنبيه والاشراف" ايضاً.

سرد المسعودي بعض الأحداث التي وقعت في عهد الخليفة عمر، ومن أبرزها العهد له بالخلافة من ابي بكر ، رغم أنه لم يشر إلى كيفية تولي عمر الخلافة، فكل ما قاله" بويع عمر بن الخطاب"[53]، وغاية ما أبرزه والذي استمر فيه على نفس المنهج الذي انتهجه في "مروج الذهب" هو موضوع الإمامة، حيث ذكر في كتابه "إثبات الوصية" أن أبا بكر أوصى بها إلى عمر تأكيدًا على موقفه من تصويره للأحداث بأنها مجاذبات وخصومات ونزاع على السلطة والإمامة، فقال: "مات وأوصى بالأمر بعده إلى عمر بن الخطاب لعهد بينهما...، الى أن

قال: وقتله أبو لؤلؤة"[54]. علماً أن المصادر ذكرت أن عمر قد تولى هذا الأمر بناء على مشورة مستفيضة من أبي بكر لعدد من الصحابة[55].

ومن الروايات التي أوردها المسعودي ما كان بين عمر وخالد بن الوليد(ت21هـ\642م) وصرفه إلى العراق لشيء في نفس عمر من خالد بن الوليد في قصة قتل مالك بن نويرة، واشارته لأبي بكر ان يعزله[56]، بينما يذكر الطبري أن سبب إشارة عمر إلى أبي بكر، حيث ألحّ عليه عمر أن يعزله، وقال: "إن في سيفه رهقاً- عجلة-؛ فقال لا يعمر لم أكن لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين"[57].

ومثل هذه الرواية وغيرها مما انتشر بين طائفة من رواة الأحاديث النبوية والأخبار التّاريخية، انتشارا كبيراً خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى بسبب الخلافات السياسية والمذهبية التي عصفت بالمسلمين، ثم خفّت حدَّتها بعد تدوين العلوم الشرعية، دون أن تتوقف، واستمرت بعد ذلك قروناً أخرى، على أيدي كذابين محترفين ورثوا أسلافهم في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[58]، والافتراء على الصحابة.

مجاذبات حول الامامة:

اخذ موضوع الامامة حيزاً كبيرا عند المسعودي وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية عند الفرق المختلفة، فمنهم من يعتبره من الأصول في مذهبه كالمعتزلة[59] والشيعة ومنهم من يعتبره من الأمور الاجتهادية، وهذا ما حذا بالمسعودي ليذكر الخلافة في كل عصر ويقف عندها جنباً الى جانب في سرد المعلومات عن كل حقبة، وكل خليفة وحاكم من اسم ونسب واعمال وحكم وقضاء وسياسيات وغيرها...، عارضا ما يدعم كل فريق من هذه الفرق والمذاهب.

ثالثاً: موقفه من خلافة عثمان بن عفان(35هـ\656م)

سرد المسعودي الأحداث في عهد عثمان في إشارات كثيرة وتنبيهات يمكن ملاحظتها بتتبع ما كتبه في "مروجه" ما عدّه ظلما وإجحافا بحق أهل البيت، وذلك بسبب صرف الخلافة عنهم إلى غيرهم، ولعل من أبرز ما أظهر ميول المسعودي لعلي بن ابي طالب أنه وصف موت عمر وعثمان رضي الله عنهما بالقتل فيما وصف قتل علي بالاستشهاد[60]، علما أن ثلاثتهم قتلوا -رضوان الله عليهم – ظلماً وعدواناً، " وهذا التفريق لا مبرر له ولا حجة تدعمه"[61]، ومما يوضح موقف المسعودي وميوله لعلي رضي الله عنه وانحيازه لآل البيت " وصف المسعودي جماعة من كبار الصحابة بالعثمانية- أي موالاة عثمان ومناصبة علي- وهم الذين توقفوا عن الدخول في الصراع الدامي الذي جرى على المسلمين في معركتي الجمل وصفين، ومن هؤلاء سعد بن ابي وقاص، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما – وغيرهما من كبار الصحابة"[62]على ما سيأتي من تفصيل ذلك في موقف المسعودي من خلافة علي رضي الله عنه.

إضافة الى ما سبق ساق المسعودي أحداثًا حول عُمّال عثمان بن عفان واصفاً إياهم بأوصاف تصورهم بصورة بشعة وكأن المجتمع في غاية الانحلال والفسق والمجون، وفي ذات السياق يقول المسعودي: "وقدم على عثمان عمه الحكم بن ابي العاص وابنه مروان وغيرهما ممن بني أمية –والحكم هو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غرّبه عن المدينة، ونفاه عن جواره– وكان عُمَّاله جماعة منهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط على الكوفة، وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار، وعبد الله بن ابي سرح على مصر، ومعاوية بن ابي سفيان على الشام، وعبد الله بن عامر على البصرة ، وصرف عن الكوفة الوليد بن عقبة وولاها سعيد بن العاص"[63]، ووقوع المعصية من أفراد لا يسوّغ للمؤرخ ان يجعل صفة ملازمة لذلك العصر والجيل الذي يعيش فيه، كما ان الصحابة والعلماء غير معصومين، فوقوع الذنب لا يعني الخروج من الملة[64]، فضلاً عن عدم صحة الروايات وعدم إسنادها والتحقق من نسبتها الى أصحابها، والمسعودي انما نقل من روايات الرافضة وكتبهم، اذ انه أورد بعض هذه الاخبار من اليعقوبي في تاريخه، اذ يقول:" ونفي أبا ذر صاحب رسول الله، وعبد الرحمن بن حنبل، وآوى الحكم بن العاص وعبد الله بن ابي السرح طريدي رسول الله صلى الله عليه وسلم[65].

وفي معرض حديث المسعودي عن فتنة عثمان بن عفان تطرق الى استشهاده معنوناً لذلك بقوله " الثورة على عثمان" بدلا من لفظ الفتنة، والذي له دلالات كثيرة في سياق الحديث عن الأحداث التي وقعت في عهد عثمان وموقف المسعودي منها، وذلك بحشده الروايات والأدلة التي تدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتظهره بمظهر الخليفة الضعيف العاجز عن تصريف وتسيير أمور الأمة، فضلا عن وصف مروان بن الحكم أنه محور هذه الفتنة، وأن تسليمه كان سينهي الاشكال ويرضي الأخرين[66]، كما ان المسعودي لم يولي قضية الفتنة اعتبار، بل طفق يجمع الأدلة التي فيها تبرير لما عمله الخارجون على عثمان رضي الله عنه، والمشاركة في ذلك، وقد جعل المسعودي عدم تسليم مروان بن الحكم سبباً في مقتل عثمان بدلا من حشد الأدلة التي تحرم الخروج علة ولي الأمر، وما يترتب عليها من اقتتال وفتنة، وعصمة الدم المسلم، ويذكر ذلك في المروج ان طلحة بن عبيد الله يقول لعلي بن أبي طالب بعد استشهاد عثمان بن عفان: "لو دفع إليهم مروان ما قتل"[67].

رابعاً: موقفه من خلافة علي بن ابي طالب

يظهر موقف المسعودي في سرده ووصفه لخلافة علي بن ابي طالب جليّاً من غير إشارة او تعريض، وقد أطال النفس واستطر في تفصيل الاحداث والوقائع، فيه اظهر ميوله واتجاهاته بوضوح، وذلك لمن يتتبع سرده للأحداث التي يُظهر فيها الصحابة أنهم أصحاب أطماع دنيوية سلطوية يتنافسون سدة الحكم– كما تقدم في الحديث عن خلافة ابي بكر في هذا البحث–، مصوراً إياهم أنهم لا يبالون في سبيل تحقيقها بدين ولا مبدأ، فبحسب المسعودي ان طلحة والزبير وهما من السابقين الاولين في الإسلام، وقد مات رسول الله صلى الله عليه

وسـلم وهو عنهما راض مبشـرًا إياهم بالجنة لم يتورعا ان يخدعا علياً حين اسـتأذناه في العمرة، كما أورد انهما شـهدا شـهادة زور حينما اقسـما لعائشـة حين نبحتها كلاب الحوأب[68] أن هذا المكان لا يعرف بهذا الاسـم، وان هذه أول شـهادة زور في الاسلام، كما أظهر المسعودي وصف علي بن ابي طالب لمعاوية وبعض أتباعه أنهم" ليسوا أهل دين ولا قران، صحبتهم أطفالا ورجالا فهم شر أطفال ورجال"[69].

وفي وصـف معركة صـفين تناول المسـعودي الأحداث بتفصـيل على خلاف ما كان منه في وصـف خلفاء العصـر الراشـدي من إيجاز واختصـار، أظهر مدى تفاعله واسـتجابته لذكر التفصـيلات والأحداث المتعلقة بالمعركة وخاصـة ما هو في صـالح علي وجماعته وهذا من غير شـك يضـيف دلالة على اتجاهات المسـعودي نحو علي وانحرافه عن معاوية ومن سار في فلكه[70].

ذكر السويكت موقف المسعودي في معالجة الأحداث في العصر الراشدي وما تناوله من حياة الخلفاء الراشدين وحرصـه على تسـجيل الاحصـائيات ومقدار الفترات الزمنية التي تفصـل بين الاحداث الهامة، وتحقيقها وإيراد الأقوال والآراء المختلفة حولها ولا سيما ما يمس جانب اهتمامه الشـخصـي، مقارنة بالعصـر الأموي، وأشـار في كتابه الى مقارنة أجراها الخالدي بين معالجة المسـعودي لتاريخ الخلفاء الراشـدين وبين معالجة كل من المؤرخين أبي حنيفة الدينوري واليعقوبي لهذه الفترة نفسـها، ذاكرا النتائج التي توصـل اليها الباحث بعد المقارنة، فهو يقول: أن المسعودي اختلف عن هذين المؤرخين المناصرين للعلويين في نقاط أساسية منها:

طبيعة الجو الذي يحيط به المسعودي شخصية علي، النص الواضح من النبي صلى الله عليه وسلم بشأن تولي على الخلافة، الرأي القوي بعصمة علي، إرجاع فشل علي الى تمرد اتباعه وتكالب أعدائه، وكل هذا يبرهن على ان المسعودي كان يحاول تقديم رأي شيعي في التاريخ الإسلامي المبكر[71].

وفي بيعة علي بن أبي طالب ذكر المسـعودي انه بويع في اليوم الذي قتل في عثمان، قال: "بويع علي بن ابي طالب في اليوم الذي قتل فيه عثمان "[72]، وفي ذلك أراد أن يؤكد وجود الصراع على السّلطة وسدة الحكم.

وبالرجوع إلى المصـادر التاريخية نجد أن هناك إجماع على أن بيعة علي رضـي الله عنه تمت بعد اسـتشـهاد عثمان رضـي الله عنه، ولم تذكر هذه المصـادر ان البيعة تمت في نفس اليوم الذي اسـتشـهد فيه عثمان رضـي الله عنه، بل ذكرت المصـادر أن الخارجين كانوا مختلفين وعرضـوا الخلافة على عدد من الصـحابة من بينهم علي وطلحة والزبير وعبد الله بن عمر حتى اجمع الصـحابة على علي بن ابي طالب خليفة للمسـلمين، ولكن مبادرة الناقمين كانت لعبد الله بن عمر الذي رفض تولي الخلافة، ولم يرض بذلك– وكان موقف علي واضـح وحازم حينما عرض عليه الأمر فقد أظهر رغبته البعد عن الخلافة في تلك الظروف"[73].

صور المسعودي موقف الصحابة من خلافة علي صورة الكاره لخلافته المنازع له الكاره لحكمه المثبط للناس عن بيعته، وذلك فيما أورده من خبر عزل علي لأبي موسى الاشعري، قال المسعودي" وكتب إلى أبي موسى اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحوراً، فما هذا أول يومنا منك، وإن لك فينا لهنات وهنيات"، علمًا أن عزل أبي موسى لم يكن الأول، فقد عزله عثمان قبل ذلك ثم أعاد ولايته، كما ان المسعودي ناقض نفسه حين ذكر بعد ذلك ان أبا موسى الاشعري تولىّ لمهمة التحكيم بترشيح من علي بن أبي طالب[74].

كما اعتبر المسعودي أن أحداث معركة الجمل وخروج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، هو خروج عن طاعة الإمام علي بن ابي طالب الذي بايعه الصحابة ، وأورد قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال: "اللهم ان هؤلاء قد خلعوا طاعتي، وبغوا عليّ ونكثوا بيعتي"[75]، وتصوير المسعودي امتناع طلحة والزبير وعائشة رض الله عنه البيعة لعلي غير صحيح، فالروايات التاريخية أظهرت أنهما بايعا علياً، واستأذنا للخروج للعمرة، واما السيدة عائشة رضي الله عنها، فكانت تؤدي مناسك الحج في مكة، وكانت أخطر قضية تواجه الخليفة هي مقاضاة قتلة عثمان، وانفاذ القصاص فيهم، أما خروج طلحة والزبير وعائشة الى العراق فكان للإصلاح[76].

ويظهر موقف المسعودي جلياً من معاوية بن أبي سفيان حين أدانه بعدم تقديم البيعة لعلي، لذلك يكن من الغريب أن يذكر آل البيت بـ "عليهم السلام" وأن يتم لعن معاوية ويزيد لما ارتكبوه من فظائع[77]، قال المسعودي: "فقدم جرير على علي فأخبره خبرهم، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: ان علياً قتله، وآوى قتلته ومنع منهم، وانهم لا بد لهم من قتاله حتى يفنوه أو يفنيهم"[78].

كما عزز موقفه من إدانة معاوية، أن ذكر معسكر علي بن أبي طالب في صفين وفيه سبعون بدرياً وباقيهم من الصحابة، وهذا يكسب علي شرعية في وجه معاوية بن أبي سفيان، وأبدى المسعودي موقفه من إدانة معاوية ما هو أبعد من ذلك عند نزوله صفين" لا والله، او يموتوا عطشاً كما مات عثمان"[79]، في المقابل أظهر المسعودي سماحة علي ورأفته لسماحه لجيش معاوية أن يصل إلى الماء بعد السيطرة عليه" فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعته واستقاء الناس من طريقه ودخول رسله وعسكره، فأباحه علي كل ما سأل وطلب منه"[80].

أثنى المسعودي على موقف عمار الداعم لعلي بن أبي طالب، وأيده حذيفة بن اليمان في موازرة على ونصرته، كما حمّل المسعودي معاوية خدعة رفع المصاحف، وحمّل اهل العراق الاستجابة الى النداء" فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نجيب إلى كتاب الله وننيب اليه"[81].

كثيرة هي المواقف التي اظهر فيها المسـعودي موقفه من خلافة علي بن أبي طالب مقابل ما ذكره من ادانة كل من خالفه، مختتماً هذه الحقبة بحديثه عن نص الخلافة المتوارث في ال البيت قال به على لابنه الحسـن ثم الحسين، والحسين بن علي بن الحسين، وذلك بحشده روايات تفيد الوصية بالإمامة كحديث غدير خم وغيره[82].

وختم المسـعودي موقفه من الحقبة الراشـدة بتبني رواية أن الإمام علي رضـي الله عنه عهد إلى ابنه الحسـن بالبيعة، وصـور تنازل الحسـن بن علي لمعاوية شـكلاً من أشـكال الإكراه، وسـرور معاوية بموت الحسـن، وأن مبايعة معاوية بن ابي سـفيان حوّل طريقة الاختيار والشـورى نحو الوراثة فاسـتحدث بيعة ولاية العهد، وهذا في نظر المسعودي يزيد في مجد بني أمية وملكهم[83].

النتائج:

من واقع دراستنا هذه لموقف المسعودي من الآخر في كتابه الموسوم بـ "مروج الذهب ومعادن الجوهر" من فجر الدعوة النبوية الى نهاية العصر الأموي، نجمل أبزر وأهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة في النقاط التالية:

– اتباع المسـعودي النظريات الفلسـفية في كتابه "مروج الذهب" وتجلى ذلك باتباعه المنهج الاسـتقرائي التحليلي النقدي الذي بنى عليه مواقفه وآرائه من الآخرين.

–اختصـار المسعودي في كتابة السيرة النبوية وذلك لأنه يعتبرها النموذج الأمثل العادل في نظام الحكم وسياسة الدنيا والدين.

–ظهرت ميول المسعودي وتأثره بالتشيع الذي اثّر في كتاباته وحكمه على الاخرين وبناء مواقفه منهم في العصر الراشـدي، غير متجرد من العاطفة والهوى وخاصـة الخلفاء الذين كانت لهم احتكاكات ببعض العلويين معتمداً على مصادر شيعية على رأسها روايات لوط بن يحيى "ابي مخنف"، والواقدي ونصر بن مزاحم وغيرها من كتب الشيعة.

– لم يكن هناك اتزان في بناء المسـعودي مواقفه من الاخرين في العصـر الراشـدي، وظهر ذلك في عباراته والمفردات التي كان يطلقها في التشنيع على من يعتبرهم خصوم ال البيت، وكذلك من خلال عدم التوازن الكمي من الكتابة والسرد التي منح لكل عصـر من عصـور الخلفاء الراشـدين في تقصـير مخل في مواضـع تسـتوجب التفصيل والاستطراد.

– صوَّر خلافة ابي بكر انها انتزاع للخلافة وأنها حصلت بعد خصومات ونزاعات على السلطة في السقيفة، كما وصفه بالخليفة النادم على تولي الخلافة اذ لم يسع اليها إلا لإغلاق باب فتنة.

– كان موقف المسعودي من العصر الراشدي يغلب عليه الانتقاص والتشنيع، وذلك بوصف المجتمع المسلم في هذه الحقبة من الحكم انه يغلب عليه الضعف والفحش والسب والشتائم، وانه مجتمع ضيع الاحكام الشرعية والحدود، كل ذلك تأثرا بالروايات الشيعية التي كان يسند اليها اخباره.

– وصف ما حدث في معركتي صفين والجمل بأنها مؤامرة، كما اتهم ام المؤمنين عائشة والزبير انهما نزعا البيعة من يد علي بسفرهما الى الحجة هروبا من البيعة، مصورا إياها انها تسعى لإمارة المؤمنين.

– صور خلافة علي بالنموذجية واصفاً علي بن ابي طالب العالم بالغيب وقوة أنصاره ومنزلتهم وانهم من سدة القوم وعليته.

---

(1) المسعودي، **مروج الذهب**، ج1، ص28.

(2) الصفدي، **صلاح**، **الوافي بالوفيات**، ج 12، ص43.

(3) الطيب، عبد الجواد، **هذيل في جاهليتها واسلامها**، ص14.

(4) كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، ج2، ص333.

(5) السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص41.

(6) الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، ج 5، ص126.

(7) لم تصف المصادر تاريخ مولده، الا ان أحد الباحثين المعاصرين ذكر أنه ولد (287هـ/900م)، ويبدو أنه ولد قبل هذا التاريخ بدليل رحلته الأولى خارج العراق كانت حدود 303هـ/915م)، ومن غير الممكن أن يجنح إلى الرحلة وركوب البحر وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة، بل وبدون دقة وملاحظته كل مشاهداته. ينظر: أبو شبيكة، إبراهيم، **المسعودي المؤرخ والجغرافي ومنهجه في دراسة التاريخ**، ص436.

(8) ينظر: ابن النديم، **الفهرست**، ص219.

(9) المسعودي، **مروج الذهب**، مقدمة الكتاب، ص د- هـ

(10) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 1، ص569.

(11) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 4، ص62؛ السويكت، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص34..

(12) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج6، ص315.

(13) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص317، **والتنبيه والاشراف**، ص 118، الخربوطلي، علي، **المسعودي سلسلة نوابغ الفكر العربي**، ص17.

(14) حمود، هادي، **منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية**، ص23.

(15) دي لاس اوليري، **الفكر العربي ومركزه في التاريخ**، ص96.

(16) حمود، هادي، **منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية**، ص273؛ السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص401-404

(17) الذهبي، محمد بن أحمد، **سير اعلام النبلاء**، ج 15، ص569

(18) السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 3، ص456.

(19) العسقلاني، ابن حجر، **لسان الميزان**، ج4، ص 258.

(20) النجاشي (450هـ\1058م): أبي العباس احمد بن علي النجاشي، صاحب كتاب "فهرست أسماء مصنفي الشيعة وما أدركناه من كتبهم" المعروف اختصاراً بـ "رجال النجاشي"، وهو اهم الأصول الرجالية للشيعة الامامية، وفيه مما جمعه النجاشي من تراجم الرجال الشيعة، ينظر، **رجال النجاشي**، مقدمة الكتاب.

(21) النجاشي، أحمد بن علي، **رجال النجاشي**، ص254، ترجمة رقم (665).

(22) داود، نبيلة عبد المنعم، **نشأة الشيعة الإمامية**، ص38.

(23) المسعودي، **مروج الذهب**، ج 1، ص12.

(24) السويكت، عبد الله، **منهج المسعودي في التأليف**، ص97

(25) بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ج3، ص59.

(26) كرانشكوفسكي، اغناطيوس، **تاريخ الادب الجغرافي العربي**، ص177-178.

[27] حمود، هادي، **منهج المسعودي في بحث العقائد**، ص91

[28] زيادة، نيقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، ص47 وص156.

[29] ابن خلدون، **المقدمة**، ص4.

[30] ابن العربي، **العواصم من القواصم**، ص249.

[31] السويكت، عبد الله، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص398

[32] ينظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص288 وما بعدها في ذكر مولد الرسول ونسبه الى وفاته.

[33] المسعودي، **التنبيه والاشراف**، ص204.

[34] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص325.

[35] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص331

[36] السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص356

[37] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص325-394

[38] السويكت، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص356.

[39] المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ج1، ص247؛ و**مروج الذهب**، ج2، ص359.

[40] أورد البخاري في صحيحه: "واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول:" والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلامًا قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر"، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حُباب بن المنذر: والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا =وأعربهم أحساباً؛ فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله". ينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، باب فضائل أصحاب النبي حديث 3667، ج7، ص28.

[41] العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج7، ص30.

[42] ابن الاثير، **اسد الغابة**، ج2، ص441؛ و**تاريخ دمشق**، ج20، ص268.

[43] ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج2، ص220-225.

[44] البخاري، **صحيح البخاري**، باب فضائل أصحاب النبي حديث 3667، ج7، ص28.

[45] الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، ج3، ص222.

[46] ابن الجوزي، **كشف المشكل**، ج1، ص71.

[47] الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج1، ص843.

[48] الطبري، **تاريخ الملوك والرسل**، ج3، ص207.

[49] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص329.

[50] روى الإمام أحمد أنه "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة؛ قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فدى لك أبي وأمي، ما أطيبك حيا وميتا، مات محمد ورب الكعبة، ... فذكر الحديث؛ وقال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان، حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر ولم يترك شيئا أُنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول الله قال: "لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار واديا، لسلكت وادي الأنصار". ولقد علمت يا سعد، أن رسول الله قال: وأنت قاعد: "قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». قال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء". أحمد بن حنبل، **المسند**، ج1، ص198، درجة الحديث، صحيح لغيره ورجاله ثقات، رجال الشيخين، وهو مرسل، وله شاهد من حديث البخاري في مناقب سعد من حديث ابي هريرة (3495).

[51] ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ج1، ص536.

[52] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص329.

[53] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص.333؛ **والتنبيه والاشراف**، ج1، ص252.

[54] المسعودي، **إثبات الوصية لعلي بن ابي طالب**، ص155؛ و**التنبيه والاشراف**، ج1، ص251-252

[55] ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ج، ص126.

[56] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص344.

[57] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج3، ص279.

[58] خالد كبير علال، **مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي**، ص6.

[59] المسعودي، **مروج الذهب**، ج3، ص270.

[60] ينظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص 33، وص366، وص385.

[61] السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص359

[62] المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص394 وص415

[63] ينظر: ابن العربي، **العواصم من القواصم**، ص140-141؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص369.

[64] الرشيدي، عبد الله، **أثر تشيع المسعودي فيما أورده عن العصرين الراشدي والأموي في كتابه مروج الذهب**، ص 151

[65] اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، ج2، ص172؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص375- 376.

(66) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص 380-381؛ الرشيدي، عبد الله، **أثر تشيع المسعودي فيما أورده عن العصرين الراشدي**، ص199.
(67) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص381.
(68) **الحوأب**: من مياه العرب على طريق البصرة. قاله أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري فيما نقله عنه ياقوت في معجم البلدان، وقال أبو عبد البكري في معجم ما استعجم: ماء قريب من البصرة، على طريق مكة إليها، سمي بالحوأب بنت كلب بن وبرة القضاعية. الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص314.
(69) ينظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج3، ص102- 103 و ج3، ص،139، الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري**، ج4، ص560-563
(70) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**، ج4، ص427-430؛ السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص361.
(71) السويكت، سليمان، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، ص 361.
(72) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص385؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج7، ص253.
(73) الرشيدي، عبد الله، **أثر تشيع المسعودي فيما أورده عن العصرين الراشدي والأموي في كتابه مروج الذهب**، ص220؛ الطبري، **تاريخ الملوك والأمم**، ج4، ص427.
(74) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص96؛ وج2، ص388؛ ابن العربي، **القواصم من العواصم**، ص175-176؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج7، ص306.
(75) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص400-410.
(76) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **المعارف**، ص 120-133
(77) الخالدي، طريف، **تاريخ المعتزلة**، ص 10-11.
(78) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص412
(79) ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج10، ص 497؛ المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص216.
(80) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص418؛ **والتنبيه والاشراف**، ج1، ص256.
(81) ينظر: المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص422 -432.
(82) المسعودي، **مروج الذهب**، ج2، ص459.
(83) أبو شبيكة، أحمد، **خلافة بني أمية عند علي بن حسن المسعودي، دراسة تاريخية منهجية**، ص62.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر:

- ابن الاثير، **الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي**، بيروت، ط2، 1967م.

_____، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي معوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)

- احمد بن حنبل، **المسند المعروف بـــ "مسند الإمام أحمد"**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه المعروف بـــ "صحيح البخاري**، تقديم: أحمد شاكر، مكتبة بيت السلام، الرياض، ط1، 2008م.
- ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1986م.
- ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن، **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1997م.

_____، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1991م.

- الحموي، **ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان**، دار صادر بيروت، ط3، 2007م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والادب، المغرب، (د.ط)
- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت.

_____، محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

- السبكي، عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود الطناجي، وعبد الفتاح حلو، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط– وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، 1999م.
- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك، المعروف ب"تاريخ الطبري"**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1970م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، (د.ط)
- العسقلاني، احمد بن علي ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار مصر للطباعة، ط1، 2001م.

_____، **لسان الميزان**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط1، 1423هـ.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف مصر، 1969م.
- ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
- المسعودي، **اثبات الوصية لعلي بن ابي طالب**، دار الأضواء، بيروت– لبنان، ط3، 1989م.

_____، **التنبيه والإشراف**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1.

_____، **مروج الذهب وجوهر المعادن**، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1.

- النجاشي، أبي العباس احمد بن علي النجاشي، **رجال النجاشي**، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم، إيران، 1986م، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب، **الفهرست**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1977م.
- اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، تعليق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف، 1964م.

ثانياً: المراجع:

- حمود، هادي حسين، **منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية**، دار القادسية للطباعة، بغداد، ط1، 1984م.
- خالد كبير علال، **مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي**، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2003م.
- الخربوطلي، علي، **المسعودي (سلسلة نوابغ الفكر العربي)**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968م.
- داود، نبيلة عبد المنعم، **نشأة الشيعة الإمامية**، مطبعة الرشاد، بغداد، 1968م.
- الرشيدي، عبد الله سكات، **أثر تشيع المسعودي فيما أورده عن العصرين الراشدي والأموي في كتابه مروج الذهب**، كلية أصول الدين قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، اشراف عبد العزيز نور ولي، السعودية،2011م.
- زيادة، نيقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان،1987م.
- السويكت، سليمان بن عبد الله، **منهج المسعودي في كتابة التاريخ**، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض، ط1، 1984م.
- أبو شبيكة، أحمد حسن، **خلافة بني أمية عند علي بن حسن المسعودي**، دراسة تاريخية منهجية، اشراف، رياض مصطفى شاهين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007م.

- الطيب، عبد الجواد، **هذيل في جاهليتها واسلامها**، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1982م.
- كحال عمر رضا، **معجم المؤلفين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1414هـ.

ثالثًا: المصادر الأجنبية والمعربة:

- بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف، مصر– القاهرة، 1969م.
- Khalidi, Tarif. "**Mu'tazilite Historiography, Maqdisī's Kitāb al-bad'**
- دي لاس اوليري، **الفكر العربي ومركزه في التاريخ**، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني الجديد، بيروت، ط1، 1973م،
- كرانشكوفسكي، اغناطيوس، **تاريخ الادب الجغرافي العربي**، ترجمة: صلاح هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، مصر، 1957م.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 22-44, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/g9r16s30

Research Article

Open Access

ما يُراعى من التغيرات في بنية الكلمة في الميزان الصرفي وما لا يُراعى

عمر عثمان علي عوض[1]*

الباحث الاول[1]*
قسم اللغة العربية، جامعة بنغازي، ليبيا.

المستخلص: اعتمد علماء العربية الميزان الصرفي أداة لتمثيل بنية الكلمة التي تخضع لقواعد علم الصرف في العربية، واختاروا له الفاء والعين واللام حروفًا للتعبير عن أول أصول الكلمة وثانيها وثالثها، ووضعوا كذلك قواعد لتمثيل ما زاد على ثلاثة أحرف من أصول الكلمة، كما وضعوا قواعد متبعة للتعبير عن الزيادة والحذف اللتين تعتريان بنية الكلمة الأصلية، إلا أنهم عند وضع هذه القواعد ذكروا أن بعض التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة يجب مراعاتها في الميزان، وأن بعض هذه التغيرات لا تراعى. الهدف من هذا البحث بيان التغيرات التي تراعى في الميزان والتغيرات التي لا تراعى، وبيان أقوال العلماء فيها مع ضرب أمثلة مناسبة لها، والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الكفيل بتحقيق أهداف هذا البحث بوصف هذه التغيرات وضرب الأمثلة عليها وتحليلها.

الكلمات المفتاحية: التغيرات، الإبدال، الإعلال، التضعيف، الحذف.

[1]***Corresponding author:**
Omar Othman Ali Awad.
omar.awad@uob.edu.ly
Department of Arabic Language, University of Benghazi, Libya.

Received:
12/01/2026

Accepted:
22/02/2026

Publish online:
30/04/2026

What changes in word structure are taken into account and what is not in morphological equivalence.

Abstract: Arab scholars adopted the morphological scale as a tool to represent the structure of words subject to the rules of Arabic morphology. They chose the letters fa, ain, and lam as letters to represent the first, second, and third roots of words They also established rules for representing more than three letters in the root word, and they also established rules for expressing additions and deletions that affect the structure of the original word. However, when establishing these rules, they stated that some changes that occur in the structure of the word must be taken into account in the scale, and that some of these changes are not taken into account. The aim of this research is to explain the changes that are taken into account in the balance and the changes that are not taken into account, and to explain the scholars' statements on them while giving appropriate examples of them. The method followed in this research is the descriptive analytical method that is capable of achieving the objectives of this research by describing these changes, giving examples of them, and analyzing them.

Keywords: changes, substitution, vowelization, doubling, deletion.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

اعتمد علماء العربية الميزان الصرفي أداةً لتمثيل بنية الكلمة التي تخضع لقواعد علم الصرف في العربية، واختاروا له الفاء والعين واللام حروفًا للتعبير عن أول أصول الكلمة وثانيها وثالثها، ووضعوا كذلك قواعد لتمثيل ما زاد على ثلاثة أحرف من أصول الكلمة، كما وضعوا قواعد متبعة للتعبير عن الزيادة والحذف اللتين تعتريان بنية الكلمة الأصلية، إلا أنهم عند وضع هذه القواعد ذكروا أن بعض التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة يجب مراعاتها في الميزان، وأن بعض هذه التغيرات لا تراعى، من هنا جاءت فكرة البحث بتسليط الضوء على هذه التغيرات؛ لما لها من أهمية في ضبط آلية استعمال الميزان الصرفي في علم العربية في تمثيل بنية الكلمة التي تخضع للميزان الصرفي والتي حددها العلماء بالأسماء المعربة والأفعال المتصرفة، والتعرف على بنيتها وما طرأ عليها من تغيرات.

مشكلة البحث:

ويمكن صياغة مشكلة البحث في السؤالين الآتيين:

السؤال الأول– ما التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ويجب أن تراعى عند إخضاعها للميزان الصرفي؟

السؤال الثاني– ما التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ويجب ألا تراعى عند إخضاعها للميزان الصرفي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1– التعريف الموجز بالميزان الصرفي، وبيان الغرض من وجوده، وأهميته، ومادة الميزان الصرفي وأسباب اختارها.

2– وصف التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ويجب أن تراعى عند إخضاعها للميزان الصرفي.

3– وصف التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ويجب ألا تراعى عند إخضاعها للميزان الصرفي

منهج البحث:

اعتمد الباحث لتحقيق أهداف البحث المنهج الوصفي التحليليّ؛ نظرًا لملائمته لمجال البحث وطبيعته، ويمكن تعريفه بأنه: "الطريق لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجيةٍ علميةٍ صحيحةٍ، وتطوير النتائج التي يتم التوصل إليها إلى أشكال معبرة يمكن تفسيرها" (المحمودي، 2019: 46).

على الرغم من أن هدف الوصف هو أبسط أهداف العلم فإنه أساسه، فمن دونه يعجز العلم عن التقدم إلى أهدافه العليا، وتكمن المهمة الجوهرية للوصف في أنه يحقق للباحث فهما أفضل للظاهرة موضوع البحث، حيث إن المنهج الوصفي يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد (أبو حطب، 1991: 102).

الدراسات السابقة:

يشكل موضوع الميزان الصرفي أحد الموضوعات الرئيسة في كتب النحو قديمها وحديثها، وقلما يخلو كتاب جامع لدروس الصرف من التطرق إليه بوصفه الأداة التي يستخدمها الصرفيون في دراسة بنية الكلمات ومعرفة التغيرات التي تطرأ عليها؛ ولذلك تعد المادة العلمية الواردة في أمهات كتب الصرف مثل كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السرّاج، والتصريف للمازني، وشرحه المنصف لابن جني، والتكملة لأبي علي الفارسي، والمفصل للزمخشري وشرحه لابن يعيش، والشافية لابن الحاجب وشروحها وخاصة شرح الرضي الأستربآذي، والألفية لابن مالك وشروحها وحواشيها، والممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، وكتب أبي حيان الأندلسي، ودقائق التصريف للمؤدب، وهمع الهوامع للسيوطي، وغيرها من الدراسات القديمة التي تناولت تفاصيل هذا الموضوع.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع الميزان الصرفي وركّزت على كيفية التعامل مع الزيادات التي تطرأ على بنية الكلمة في الميزان الصرفي:

1- العارض في العربية من حيث الاعتداد به وعدمه. عبد الفتاح أحمد الحموز، بحث منشور بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة مؤتة، 1989، الأردن.
2- الميزان الصرفي العربي: أصوله وتطبيقاته- الأفعال، دراسة أنموذجية في ديوان زهير بن أبي سلمى. بعداش علي، دراسة منشورة بجامعة فرحات عباس بالجزائر، 2009.
3- الحذف في البنية وأثره في الوزن الصرفي. خديجة زبار الحمداني، ومحمد ضياء الدين خليل، بحث منشور بمجلة العلوم الحديثة التراثية، 2013، العراق.
4- الميزان الصرفي وأثره في تطور اللغة العربية ونموها: دراسة استقرائية تحليلية. نادية زريق، دراسة منشورة بجامعة الوادي، 2017، الجزائر.
5- التعليل الصرفي عند القدماء في ميزان نقد المحدثين. حسين إبراهيم مبارك، بحث منشور بمجلة ديالى للبحوث، 2018، الجزائر.
6- قراءة في القواعد الإعلالية وأثرها في بنية الكلمة. خديجة زبار الحمداني، بحث منشور بمجلة التراث العلمي العربي، العدد 36، 2018، العراق.
7- بنية المشتقات المعتلة بين الميزان الصرفي والميزان المقطعي. نسيمة بومحديو، بحث منشور بمجلة أبوليوس، العدد1، المجلد 7، 2020، الجزائر.
8- الصيغة والوزن في الدرس الصرفي بين القديم والحديث. تته الحاج، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة الوادي، العدد 4، 2021. الجزائر.
9- فلسفة الميزان الصرفي بين تقدير الأصل وتمثيل النطق. عمر رشيد شاكر، بحث منشور بمجلة آداب البصرة، 2024، المجلد 108، العدد 1، العراق.

10-اقتصاد الصياغة في الميزان الصرفي: دراسة إبستمولوجية. إبراهيم سليمان اللاحم، بحث منشور بمجلة أنساق في الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب جامعة قطر، العدد 2، المجلد 8، 2024، قطر.

ولا شك أن هناك دراسات أخرى كثيرة تناولت موضوع الميزان الصرفي من مختلف جوانبه، ولم يقع بين يدي الباحث دراسة خصصت لبيان موضوع هذا البحث تحت عنوان: ما يراعى من التغيرات في بنية الكلمة في الميزان الصرفي وما لا يراعى.

التمهيد:

يتضمن تعريفًا موجزًا بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث وهي: مفهوم الصرف، والميزان الصرفي وما يتعلق بهما، ومفهوم التغيرات الصرفية، وبيان المقصود بمراعاتها وعدم مراعاتها.

أولًا: التعريف الموجز بالميزان الصرفي، وبيان الغرض من وجوده، وأهميته، ومادة الميزان الصرفي وأسباب اختيار مادتها وعددها:

قبل الخوض في تعريف الميزان الصرفي يسوقنا البحث لضرورة التعريف بعلم الصرف أو التصريف، وموضوعه، وبيان أهميته وفائدته، وصلته بعلم الأصوات، وعلم النحو، وعلم الدلالة.

الصرف، أو التصريف لغةً: الصرف مصدر للفعل الثلاثي صَرَفَ، أما التصريف فمصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه صَرَّفَ، وكلاهما يعود للجذر ص ر ف، وقد تناولت المعاجم اللغوية هذا الجذر وبينت أن معانيه تدور على معني التحويل والتغيير والانتقال. "فالصَّرْفُ ردُّ الشيءِ عن وَجْهِه صَرَفه يَصْرِفه صَرْفاً فانْصرفَ". (ابن منظور، 2006، مادة ص ر ف)

أمّا اصطلاحًا فقد عُرِّفَ بتعريفات عدة لعل أشهرها ما عرَّفه به ابن الحاجب وشاع بين المتأخرين بأنه: "علمٌ بأصولٍ تُعْرَفُ بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعرابٍ". (ابن الحاجب، 2010، 59).

فالصرف وفق هذا المنظور يشمل كل الأحكام التي لا تتصل بالعوامل، ولا بتعلق الكلم بعضها ببعض تعلقًا معنويًّا، فيدخل فيه أحكام المفردات اللفظية والمعنوية وأحكام التركيب اللفظية.

فالأحكام اللفظية: كالإعلال، والإبدال، والحذف، والإدغام من كلمة، وتخفيف الهمز من كلمة، والتقاء الساكنين من كلمة، والإمالة، والمقصور والممدود، والوقف والابتداء، والمقصور والممدود.

والأحكام المعنوية: أبنية الماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، والمصدر، واسم الزمان والمكان، والآلة، والمصغر، والمنسوب، والجمع.

وأحكام التركيب اللفظية: الإدغام من كلمتين، والتقاء الساكنين من كلمتين، ونقل حركة الهمز، والتقاء الهمزتين من كلمتين. (الزروق، 1999، 108-109)

وإجمالًا فإنَّ الأقسام الرئيسة التي تنظم المسائل الصرفية تندرج ضمن ثلاثة أنواع:

الأولى – تصرف الكلمة لغاية معنوية, وفيه: الاشتقاق وأنواعه, والنسب والتصغير, والزيادة ومعانيها, ومسائل التعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والتثنية والجمع.

الثانية – وحدات التغيير التي تعتري الكلمات لغير غاية معنوية، وفيه: الإعلال، والإبدال، والقلب، والنقل، والإدغام، ومسائل أخرى: كالوقف، والإمالة، والتقاء الساكنين.

الثالثة – مسائل التمرين: وهي تطبيقات على قواعد الصرف جيء بها لتدريب الطلاب على إتقان التصريف.

وبيّن ابن الحاجب الغاية من تغير أحوال أبنية الكلمة التي يعنى علم التصريف بها بقوله: "وأحوال الأبنية قد تكون للحاجة، كالماضي والمضارع والأمر، واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل والمصدر، وأسمى الزمان والمكان واسم الآلة، والمصغر والمنسوب، والجمع والتقاء الساكنين، والابتداء والوقف، وقد تكون للتوسع كالمقصور والممدود وذي الزيادة، وقد تكون للمجانسة كالإمالة، وقد تكون للاستثقال كتخفيف الهمزة، والإعلال والإبدال والإدغام والحذف". (ابن الحاجب،61،2010)

أما موضوع علم الصرف فهو الكلمات العربية من حيث البحث عن أحوالها التي سلفت، ومتعلق علم الصرف – كما هو شائع عند أهل الاختصاص– هو الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة. (ينظر: ابن مالك، 1967، 290. والسيوطي، 1980، 228/6)، فتصريف الأفعال يكون باشتقاق بعضها من بعض، وتصريف الأسماء يكون بتثنيتها وجمعها وتصغيرها والنسب إليها إلى غير ذلك، أما الحرف وما أشبهه من الأفعال الجامدة: كعسى، ونعم، وبئس، والأسماء المبنية مثل: مَنْ، وأينَ، فلا يبحث عنها في هذا العلم. (المراغي، 1951، 7)

فالحروف لا يصح فيها التصريف أو الاشتقاق ولا يصح تمثيلها بالميزان الصرفي؛ لأنها مجهولة الأصول، وإنما هي كالأصوات، نحو: صه، ومه ونحوها، فلا تمثَّلُ بالفعل؛ لأنها لا يعرف لها اشتقاق، فلو قال قائل: ما مثال (هل) أو (قد) أو حتى) أو هلّا) ونحو ذلك من الفعل، لكانت مسألته محالًا، وكنت تقول له: إنَّ هذا ونحوه لا يمثَّل؛ لأنه ليس بمشتقٍّ، إلّا أن تنقلها إلى التسمية بها، فحينئذٍ يجوز وزنها بالفعل، فأمّا وهي ما هي عليه من الحرفية فلا تتصرَّف. (ابن جني، 1999، 36)

وكذلك الأسماء المبنية الموغلة في شبه الحروف، لا تتصرف ولا تمثَّل بالميزان الصرفي؛ لأنها في حكم الحروف، ألا ترى أن (كَمْ، ومَنْ، وإذْ) سواكن الأواخر كـ (هلْ، وبلْ، وقدْ) وإنما كان ذلك فيها لمضارعتها الحروف، فهذه الأسماء التي في حكم الحروف لا تشتق، ولا تمثَّل كما أن الحروف كذلك. (ابن جني، 1999، 37)

والأفعال الجامدة كـ (عسى) لا تتصرَّف، ولا تمثَّل في الميزان الصرفي أيضًا؛ لأن الفعل الجامد هو ما أشبه الحرف من في أدائه معنىً مجردًا عن الزمان والحدث المعتبرين في الأفعال، فلزم مثله طريقةً واحدةً في التعبير، فهو لا يقبل التحوّل من صورةٍ إلى صورةٍ، بل يلزم صورةً واحدةً لا يزايلها، وذلك مثل: ليس، وعسى، ونعم، وبئس. (الغلاييني، 1980، 53/1–54)

والأسماء الأعجمية كـ (إسماعيل، وإبراهيم) ونحوهما، لا تمثَّل بالميزان الصرفي؛ لأنها نُقِلَتْ من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة؛ لذلك لا يدخلها التصريف. (ابن عصفور، 1983، 35)

والأصوات كذلك لا يدخلها التصريف كـ (غاق) ونحوه؛ لأنها حكاية يصوَّت بها، وليس لها أصلٌ معلومٌ. (ابن عصفور، 1983، 35)

ثم إن قولهم: إنَّ متعلق علم الصرف هو الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة، إنما يعنون به الأحكام التي تكون في أنفس الكلم، فلا يدخل في ذلك إلا ما كان له ميزان وبنية، بالمعنى الاصطلاحي، فتقابل أصوله بالفاء والعين واللام، أما الحروف، والأسماء المبنية كالضمائر والموصولات، والأفعال الجامدة كـ "عسى" و"ليس" فلا يدخلها التصريف بذلك المعنى، وإنما يدخلها بمعناه العام عند ابن الحاجب؛ إذ تجري عليها أحكام الوقف، والتقاء الساكنين، والإدغام، وغير ذلك. (الزروق، 1999، 112)، ولهذا اعترض الشيخ يس على القول بأن الأسماء الأعجمية – كإبراهيم، وإسماعيل_ لا يدخلها التصريف أيضا مطلقا، ورد على ذلك بأنها ينالها بعض أحكامه عند التثنية والجمع. (العليمي، دت، 354/2)

وتظهر فائدة علم الصرف في أنه العلم الذي "عليه المعوَّل في ضبط الصيغ، وبه يدفع اللحن في نطق الكلمات، وبمراعاة قواعده تخلو مفردات الكلم من مخالفة القياس التي تخل ببلاغة الكلام." (عضيمة، 1962، 31)، ولهذا عني أهل هذا العلم الجليل بضبط قواعده وقوانينه، " وعده العلماء في المنزلة الأولى من العلوم التي يجب تعُّلمها وتعليمها، فبرئوا من الأخطاء التي تقع في الكلام، وعدوا ذلك عيبًا يخلُّ بالفصاحة." (هلال، 1974، 16)

ويُعدّ علم الصرف أحد الركائز الأساسية في علوم اللغة العربية، وهو العلم الذي يختص بدراسة بنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغييرات لغرض دلالي أو نحوي. ويرتبط علم الصرف ارتباطًا وثيقًا بعدد من العلوم اللغوية الأخرى، أبرزها علم الأصوات، وعلم النحو، وعلم الدلالة.

فعلاقته بعلم الأصوات تتمثل في أن التغييرات الصرفية كثيرًا ما تعتمد على الظواهر الصوتية، كالإدغام والإعلال والإبدال، مما يجعل من الضروري فهم الخصائص الصوتية للحروف لتفسير هذه الظواهر تفسيرًا علميًّا دقيقًا. أما علاقته بعلم النحو فتكمن في أن البنية الصرفية للكلمة تُؤثر مباشرة في وظيفتها النحوية داخل الجملة؛ فتمييز الاسم من الفعل، أو المبني من المعرب، لا يتحقق إلا بمعرفة القواعد الصرفية التي تضبط شكل الكلمة. وأما علاقته بعلم الدلالة فتظهر في أن التغييرات الصرفية تؤدي إلى تغييرات في المعنى، كما في دلالة الصيغ المختلفة (مثل: فعّال للدلالة على الكثرة، أو مفعول للدلالة على المفعولية)، مما يجعل الصرف أداةً فعالة لفهم المعاني الدقيقة للكلمات.

وتأتي دراسة الصرف ضمن تسلسل دراسة العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات الحديثة والذي يبدأ من الأصوات، إلى البنية، فالتركيب النحوي، ثم الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها.

ومع أن هذا التسلسل في الدرس درس محدث، فإن معظم اللغات المعروفة الحديثة والقديمة عرفت الدراسة الصرفية، وعبرت عنها بمعرفة كثير من مسائلها وأحكامها: كالصيغ والمقولات الصرفية، كما حفلت كتب الأوائل بالجداول التصريفية التي حددت أزمنة الأفعال، وغيرها.

وهذا الدرس التقليدي للصرف في بداية الأمر لم يكن مستقلًا بذاته؛ لأنه كان يُتناول ضمن القواعد النحوية، ومعروف أن هذا الدرس غلب عليه المنهج المعياري الذي زادته الطرق التعليمية حدة باحتكامها إلى قواعد الخطأ والصواب وحدها. والصرف – كما بينا سابقا– كان يعد قسيمًا للإعراب؛ إذ عد معظم الدارسين القدامى النحو علمًا شاملًا للصرف والإعراب، وإن جرى بينهم خلاف في استقلال المسائل ووضوح الحدود الفاصلة بين هذا وذاك.

ولأن الإعراب لا يقوم إلا على معطيات الصرف فإن النحاة القدامى مهدوا لأبواب الدراسة النحوية بالحديث عن اللفظ وأقسامه، وعن الشروط الصرفية التي لا يصح بها هذا الإعراب أو ذاك، وقد تنبه علماؤنا القدامى إلى الصلة الوثيقة بين الأصوات والتغييرات الصرفية حين قدموا لأبواب الإدغام والبدل ونحوهما بعرض الأصوات العربية ومخارجها وصفاتها وما يأتلف منها في التركيب وما يختلف، وقد ذكر ابن جني أن المنطق يفرض أن يكون الأولى تقديم درس الصرف على درس الإعراب، لتوقف كثير من فهم قواعد النحو على الصرف إلا أنه أخر عنه لصعوبته، فقال: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلًا لمعرفة حاله المتنقلة، إلَّا أن هذا الضرب من العلم لمّا كان عويصًا صعبًا بُدِئَ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به؛ ليكون الارتياض في النحو موطئًا للدخول فيه، ومعينًا على معرفة أغراضه ومعانيه". (ابن جني، 1999، 34)

وبعد هذا التعريف بعلم الصرف، نصل إلى تعريف الميزان الصرفي، حيث شبه علماء العربية صناعة التصريف بصنعة الصياغة في حاجة كلٍّ منهما إلى ميزان توزن به المادة التي يشتغلون بها ويعملون على تحويلها إلى أشكال مختلفة لضبط مقاديرها وأحوالها وما طرأ عليها من تغيير، "فالصائغ يصوغ من الأصل الواحد أشياء مختلفة والصرفيُّ يحوِّل المادة الواحدة إلى صورٍ مختلفة؛ لهذا احتاج الصرفيُّ في صناعته إلى ميزان يعرف به عدد حروف المادة وترتيبها وما فيها من أصولٍ وزوائد وحركاتٍ وسكناتٍ، وما طرأ عليها من تغييرٍ كما احتاج الصائغ إلى ميزانٍ يعرف به مقدار ما يصوغه من أصله". (عضيمة، 1962، 32)

وعرَّف بعضهم هذا الميزان إجمالًا فقال: "هو مقياسٌ وضعه المتقدمون؛ لتعرف به أحوال أبنية الكلمة". (علي،249،2003)، كما عرَّفه بعضهم موضحًا فقال: "هو اللفظ المصوغ من الفاء والعين واللام؛ ليكون معيارًا وموضعًا يُقابَلُ عليه صيغة الموزون بما هي عليه من عدد الحروف وترتيبها وحركاتها وسكونها، وما يحدث فيها من تغيير". (هلال،1974، 17)

والميزان الصرفي "من أحسن ما عُرِفَ من المقاييس في ضبط اللغات، ويسمى (الوزنُ) في الكتب القديمة أحيانًا (مثالًا)، فالمُثُلُ هي الأوزان". (الراجحي، 1984، 10)

وذكر الأزهري الغاية من استعماله فقال: "لمماثلة حروف الميزان لحروف الموزون في تعداد الحروف، وهيآتها، وفائدة الوزن بيان أحوال أبنية الكلم في ثمانية أمورٍ: الحركات، والسكنات، والأصول، والزوائد، والتقديم، والتأخير، والحذف، وعدمه". (الأزهري، دت، 529/4)

أما مادة الميزان الصرفي فهي مأخوذة من أحرف (ف، ع، ل) التي اتخذت مقابلا لحروف الكلمة الأصلية، وجعلوا عدتها ثلاثة أحرفٍ مراعاة لأن أكثر أصول الكلمات العربية ثلاثيةً، فجعلوا الفاء مقابلًا للأصل الأول، والعين مقابلًا للأصل الثاني، واللام مقابلًا للأصل الثالث، وإذا زادت أصول الكلمة أصلًا رابعًا زيد مقابل الأصل الرابع لامًا ثانية، وإذا زادت أصولها أصلًا خامسًا زِيدَ مقابلَه لامٌ أخرى، واختير (اللام) للتكرار في الميزان مقابل الأصل الرابع والخامس دون (الفاء، والعين)؛ لأنه أقرب إلى محل الزيادة، على أن يكون شكل الوزن على شكل الكلمة الموزونة.

ويرجع اختيار هذه الأحرف الثلاثة (ف، ع، ل) دون غيرها من الأحرف لسبب صوتي، وآخر معنوي: أما السبب الصوتي فلأن مخارج الحروف ثلاثة: الحلق، واللسان، والشفتان، فأخذوا من كل مخرجٍ حرفًا، فالفاء من الشفتين، والعين من الحلق، واللام من اللسان، وأما السبب المعنوي فهو أن مادة (فعل) تعمُّ جميع الأفعال، وتطلق على الأحداث، فكل حدثٍ يسمى فعلًا، ولمّا كان التصريف بمعنى التغيير يكثر في الفعل والأسماء المشتقة منه كاسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة كان معنى مادة الميزان (فعل)مناسبا لها ومعبرا عن معنى الحدث فيها، ثم حُمِلَ غير المشتقات عليها من الأسماء الخالية من معنى الفعل مثل: رجل، وجعفر؛ طردًا لاستعمال الميزان الصرفي في جميع المفردات العربية التي يدخلها فن التصريف.

وأما ما ورد من الكلمات التي يطالها علم التصريف من الأسماء والأفعال على أقل من ثلاثة أحرفٍ، فذلك في الاستعمال لا في أصل الوضع، لأن أقل أصول الكلمة في العربية هو ثلاثة أحرف، وما جاء منها على حرفين أو حرفٍ واحد فقد حذف منه أصل أو اثنان لسبب التخفيف كما في: يد، ودم، أو لعلة صرفية أخرى مثل: قمْ، وعِدْ، وقِ. (ينظر: الأسترآباذي، 1975، 1 / 13، وهلال، 1974، 18–19، الراجحي، 1984، 10)

وتجدر الإشارة هنا إلى أنما ذكر من طريق الوزن السابقة هي رأي البصريين وما جرى عليه العمل بعدهم، أما الكوفيون فذكر السيوطي أن أنهم يرون أن نهاية أصل الكلمة ثلاثة وما زاد على الثلاثة حكموا بزيادته، فيزنون ما كان ثلاثيا بلفظ الفعل، وأما ما زاد نحو: (جعفر وسفرجل) فاختلفوا فيه، فمنهم من قال: لا نزن شيئا من ذلك، وإذا سئل عن وزنه قال: لا أدري. ومنهم من يزن. واختلف هؤلاء: فمنهم من ينطق بلفظ ما زاد عن الثالث فيقول وزن (جعفر) (فَعْلَر) ووزن (سَفَرْجَل) (فَعَلْجَل)، ومنهم من يزن ذلك كوزننا فيقول (فَعْلَل، وفَعَلَّل) مع اعتقاد زيادة ما زاد على الثلاثة. (السيوطي، 1980، 233/6)

ثانيًا: التعريف بمصطلح بناء الكلمة، والتغيرات الصرفية

البناء مفرد الأبنية، وهو وزن الكلمة وهيئتها التي تكون عليها من جهة عدد حروفها المرتبة، وحركاتها المعينة وسكونها، مع مراعاة الحروف الزائدة والأصلية منها، كلٌّ في موضعه، مثل: بناء الماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والمصغَّر، والمنسوب، وأبنية الأسماء المجردة والمزيدة، إلى غير ذلك من أبنية الكلمات وهيآتها.

أما التغيرات الصرفية التي تطرأ على بنية الكلمة فتعرف أيضًا بالأحوال، ويمكن تعريفها بأنها ما يعتري اللفظ من تغيير خاصٍ أو عامٍ شريطة ألا يكون إعراباً ولا بناءً. فالتغيير الخاص بالأفعال كصياغة الماضي والمضارع والأمر وأخذ بعضها من بعضٍ، والتغيير الخاص بالأسماء كالإفراد والتثنية والجمع والتصغير والنسب، أما التغيير العام فما يعتري الكلمة مطلقًا سواءً أكانت اسمًا أو فعلًا من قلبٍ وإعلالٍ وإمالةٍ وإدغامٍ إلى آخر هذه الأحوال. وقيِّدت هذه التغيرات بقيد كونها ليست بإعرابٍ ولا بناءٍ لتمييز علم الصرف عن علم النحو، فالتغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة بسبب الإعراب أو البناء موضعها علم النحو وليس علم التصريف. (ينظر: هلال، 1974، 12- 13)

تتعرض الكلمات التي تخضع للميزان الصرفي- وهي الأسماء المعربة، والأفعال المتصرفة- لحدوث بعض التغيرات التي تؤثر على بنيتها الأصلية، ويمكن أن نجملها فيما يعتريها من زيادةٍ، أو حذفٍ، أو قلبٍ، أو إعلالٍ، أو نقلٍ، أو إدغامٍ، أو تسكينٍ، وغير ذلك من التغيرات المختلفة. (هلال، 1974،25)

المبحث الأول: ما يراعى من التغيرات في بنية الكلمة في الميزان الصرفي

عند إنعام النظر في المنهج الذي اتبعه علماء العربية عند إخضاع الكلمة المراد وزنها صرفيًّا لعملية الميزان الصرفي نجد أنهم يقررون أن بعض هذه التغيرات على الوازن أن يراعيها في الميزان، بمعنى أن يحدث في الميزان ما يماثل هذه التغيرات، ومن هنا يمكن أن يحدد مفهوم ما يراعى من التغيرات في بنية الكلمة عند الميزان الصرفي بأنها تلك التغيرات التي يجب على الوازن أن يعبر عنها بلفظها في الميزان بحيث يكون الوزن مطابقًا تمامًا للصورة المنطوقة من الكلمة الموزونة.

وإجمالًا، يمكن حصر التغيرات التي ينبغي أن تراعى في الميزان الصرفي في خمسة مواضع، هي: الإعلال بالحذف، والقلب المكاني، والقلب الإعلالي في الحرف الزائد، وتغيير الحركة بسكون أو بحركة أخرى في بعض اللهجات، وإدغام حرف أصلي في زائد للتضعيف أو زائد في مثله.

وفيما يأتي تفصيل القول في هذه المواضع وبيان آراء العلماء فيها، مع ضرب أمثلة تطبيقية عليها.

المطلب الأول: الإعلال بالحذف.

الإعلال لغةً: مصدر رباعي من الفعل (أعلَّ)، يقال أعلَّه: جعله ذا علةٍ، والعلَّةُ: المرض، وحدثٌ يشغلُ صاحبَه عن وجهه، كأنَّ تلك العلَّةُ صارتْ شغلًا ثانيًا منعه عن شغله الأول. واعتلَّ: أيْ مرض، فهو عليلٌ. ولا أعلَّكَ اللهُ: أي لا أصابكَ بعلَّةٍ. (ينظر: الرازي، دت، مادة علل 451، الفيومي: دت، مادة علل 583)

والعلَّةُ: "عبارة عن معنًى يحلُّ بالمحلِّ، فيتغير به حال المحلِّ بلا اختيارٍ، ومنه سمي المرضُ علَّةً؛ لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف." (الجرجاني، 1966، 199)

أمّا اصطلاحًا فجاء في كتاب التعريفات أن "الإعلال في العربية تغير حرف العلة للتخفيف." (الجرجاني، 1966، 199) وعرَّفه الكفوي بقوله: "الإعلال هو تخفيف حرف العلة بالإسكان والقلب والحذف. " (الكفوي، 1998، 216)

وعرَّفه ابن الحاجب بقوله: " الإعلال تغيير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه القلب والحذف والإسكان، وحروفه الألف والواو والياء، ولا يكون الألف أصلا في متمكن ولا في فعل ولكن عن واو أو ياء" (ابن الحاجب، 1995، 94)

ومن تعريف ابن الحاجب السابق يتبين أن للإعلال ثلاثة أنواعٍ هي: الإعلال بالقلب، والإعلال بالحذف، والإعلال بالإسكان. فالإعلال بالحذفُ كيَرِثُ (والأصلُ. يَوْرِثُ)، والإعلال بالقلبُ كقالَ (والأصلُ. قَوَلَ)، والإعلال بالإسكانُ كيَمْشِي (والأصل. يَمْشِيُ). (الغلاييني، 2،1980/ 106)

وما يراعى عند الميزان الصرفي هو ما يطرأ على بنية الكلمة من تغيير نتيجة وجود الإعلال بالحذف في أحد حروف العلة في بنيتها، فيُحذَفُ حرفُ العلّةِ ويراعى حذف مقابله في الميزان سواءً أكان المحذوفُ أصليًّا أم زائدًا، وذلك في ثلاثة مواضعَ، هي:

الأوَّلُ أن يكون حرفَ مد مُلتقياً بساكنٍ بعدَهُ كـ قُمْ، وخَفْ، وبِع، وقُمْتُ، وخِفْتُ، وبِعْتُ، ويَقُمْنَ، ويَخفْنَ، ويَبِعْنَ، ورَمَتْ، وترمُونَ، وترمِينَ يا فاطمةٌ، وقاضٍ، وفتًى.

فوزنها: فُلْ، وفَلْ، وفِلْ، وفُلْتُ، وفِلْتُ، فِلْتُ، ويَفُلْنَ، ويَفِلْنَ، ويَفَلْنَ، وتَفْعُونَ، وتَفْعِينَ يا فاطمةُ، وفَعًى

والأصلُ "قُوْمْ وخَافْ وبِيعْ، وقَوَمْتُ وخِيَفْتُ وبِيعْتُ، ويخافْنَ ويَبِيعْنَ، ورَماتْ وتَرْمِيونَ وتَرْمِيينَ، وقاضِينْ وفَتانْ" فحذف حرف العلة دفعاً لالتقاء الساكنين.

إلا إن كان الساكن بعد حرف العِلّةِ مُدَغماً فيما بعدهُ، فلا حَذف؛ لأنَّ الإدغام قد جعل الحرفين كحرفٍ واحدٍ متحرك، وذلك كـ: شادَّ، ويُشادُّ، وشُودَّ.

فإن عَرض تحريكُ الساكن كـ: خَفِ اللهَ، وقُلِ الحقَّ، فلا يُعْتَدُّ بحركته؛ لأنها مَعْرِضِ الزوال، فلا يُرَدُّ المحذوفُ كما رأيت.

الثاني أن يكون الفعلُ معلوماً مثالا واويًّا على وزن "يفْعِلُ"، المسكورِ العين في المضارع، فتُحذفُ فاؤهُ من المضارع والأمر، ومن المصدر أيضاً، إذا عُوِّض عنها بالتاء كيَعِدُ وعدْ وعِدَةٍ.

فإن لم يعوض عنها بالتاء فلا تحذف، فلا يقال "وَعَدَ وَعْداً" لعدم التعويض. ولا يجوز الجمع بينهما، فلا يقال "وَعْدَة"، إلا أن تكون التاء مراداً بها المرة، أو النوع، لا التعويض كوَعَدْتُه عِدَةَ واحدةً، أو عَدَةً حسنةً.

وإن كان الفعل مجهولا لم تحذف كيُوعَدُ. وكذلك إن كان مثالا يائياً كيَسَرَ يَيْسَرُ، أو كان مثالا واوياً على وزن "يَفْعَلُ" المفتوح العين. كيَوْجَل ويُوْجَل. وشذ قولهم "يَدَعُ ويَذَرُ ويَهَبُ ويَسَعُ ويَضَعُ ويَطَأُ ويَقَعُ" بحذف الواو مع انها مفتوحة العين.

الثالث أن يكون الفعلُ مُعتَلَّ الآخر، فيُحذَفُ آخرُهُ في أمر المفرد المذكرِ كاخْشَ وادْعُ وارْمِ، في المضارع المجزوم، الذي لم يتصل بآخره شيءٌ كلم يَخْشَ، ولم يَدْعُ، ولم يَرْمِ. غيرَ أن الحذف فيهما لا للإعلالِ، بل للنيابة عن سُكونِ البناءِ في الأمرِ، وعن سكون الإعراب في المضارع. (ينظر: الغلاييني، 1980، 2/106-108).

المطلب الثاني: القلب المكاني

وما يراعى عند الميزان الصرفي هو ما يطرأ على بنية الكلمة من تغيير نتيجة وجود تغير في بنية الكلمة وجود ما يعرف بالقلب المكاني،

الْقَلْبُ لغةً: مصدرٌ من مادة (ق ل ب)، يقول ابن فارس: القاف واللام والباء أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلّ على خالِص شَيءٍ وشَرِيفِه، والآخَرُ على رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة. (ابن فارس، 2002، 13/5)

وواضح أن القلب بمعناه الاصطلاحي مأخوذ من المعنى الثاني الذي ذكره ابن فارس لمادة (ق ل ب)

تقول: قَلَبْتُهُ (قَلْباً) من باب ضرب: حولتُه عن وجهه، و كلام (مَقْلُوبٌ) مصروف عن وجهه و(قَلَبْتُ) الرداء: حولته و جعلت أعلاه أسفله، و قلبتُ الشيءَ للابتياع (قَلبَا) أيضا: تصفحته فرأيتُ داخلَه وباطنَه و(قَلَبتُ) الأمر ظهرا لبطن: اختبرتُه، و(قَلَبْتُ) الأرضَ للزراعة و(قَلّبْتُ) بالتشديد في الكل مبالغة وتكثير وفي التنزيل: (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ). (الفيومي، دت، مادة (ق ل ب) ص 703)

أما اصطلاحًا فعُرِّف بتعريفات متشابهة، قال الرضي: "يعني بالقلب تقديم بعض حروف الكلمة على بعضٍ، وأكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز، وقد جاء في غيرهما قليلًا" (الأسترآباذي، 1975، 21/1)، وقال أبو حيان: " القلب تصيير حرفٍ مكان حرفٍ بالتقديم والتأخير". (السيوطي، 1980، / 276)، وقال ابن جماعة: "القلب عبارة عن جعل حرفٍ في الكلمة مكان غيره منها، وجعل ذلك الغير مكان ذلك الحرف، وهو واقع في كلام العرب كثيرًا في المعتل والمهموز، وقليلًا في غيرهما". (ابن جماعة، 1310هـ، 21/1)

ومن مجيئه في غير المهموز والمعتل قولهم: امْضَحَلَّ واكْرَهَفَّ في اضْمَحَلَّ واكْفَهَرَّ. (الأسترآباذي، 1975، 21/1)

ويبين الجاربردي علة مراعاة القلب المكاني في الميزان بقوله: "لمّا كان الغرضُ من وضع الزنة التنبيهَ على الفاء والعين واللام على ترتيبها وعلى الزوائد، فلو اتفق قلبٌ في الموزون بجعل حرفٍ موضع حرفٍ وجب القلبُ في الزنة أيضًا". (الجاربردي، 1310هـ، 21/1)

أما الغاية من وجود القلب في لغة العرب فأورد لها العلماء أكثر من تفسير، قال ابن جني: "الغرض في هذا القلب إنما هو طلب للخفَّة؛ فمتى وجدوا طريقا أو شبهة في الإقامة عليها والتعلّل بخفتّها سلكوها واهتبلوها". (ابن جني، دت، 3 / 160)

ونقل السيوطي عن أبي حيان قوله: "فإن قلت ما فائدة القلب وهلا جاءت التصاريف على نظر واحد؟ قلت: الفائدة في ذلك الاتساع في الكلام، والاضطرار إليه في بعض المواضع". (السيوطي، 1980 ، 6 / 279)

فالأمر يدور هنا – عند ابن جني – بين طلب الخفة بما يحصل من تجانس بين أصول الكلمة نتيجة قلب أماكن بعض أصولها تقديما وتأخيرا، وبين الاتساع في في الكلام أو الاضطرار إليه في بعض المواضع كما هو واضح من تعليل أبي حيان.

أما مواضع وقوع القلب في الكلمة فلها أماكن متنوعة من أصول الكلمة، فقد يأتي في صورة تقديم آخر حرف في الكلمة على ما قبله وأخذ ما قبله موضعه، وقد يكون بتقديم ما قبل آخر الكلمة على عين الكلمة، وقد يأتي بتقديم عين الكلمة على فائها، وقد تؤخر فاء الكلمة عن لامها، وقد بين الأسترآباذي ذلك مفصلًا مع الأمثلة بقوله: " وأكثرُ ما يكونُ بتقديم الآخر على متلُوِهِ كـ (ناءَ يَناءُ) في (نَأَى يَنْأَى)، و(راءَ) في (رأَى)، و(لاعَ، وهاعَ، وشَواعٍ) في (لائِعٍ، وهائِعٍ، وشَوائِع) ...، وقد يقدَّمُ متلوُّ الآخر على العين نحو (طَأْمَنَ) وأصله (طَمْأَنَ)؛ لأنه من الطمأنينة، ومنه اطْمَأَنَّ اطْمِئْنانًا، وقد تُقَدَّمُ العينُ على الفاء كم في (أَيِسَ، وجاهٍ، وأَيْنُق، والآراء، والآبار، والآدار)، وتُقَدَّمُ اللامُ على الفاء كما في (أَشْياء) على الأصح، وقد تُؤَخرُ الفاءُ عن اللام كما في (الحادي) وأصله (الواحد). (الأسترآباذي،1،1971، 1 / 21، 22)

ونظرًا لأهمية معرفة ترتيب أصول الكلمة الموزونة عند إجراء عملية الميزان، وخفاء ذلك في بعض الكلمات حدد علماء الصرف ما يعرف به القلب في الكلمة، فجعلوا لذلك أوجه:

الوجه الأول_ الأصل: وهو المصدر، فلمّا قيل في المصدر (النَّأْي) عُلِمَ أنَّ (ناءَ يَناءُ) فرعُ (نَأَى يَنْأَى) بجعل اللام موضع العين، فوزنه: (فَلَعَ يَفْلَعُ).

الوجه الثاني– أمثلة اشتقاق المقلوب: وهي الكلمات التي علم أن الجميع راجعٌ إلى أصل واحدٍ، كـ (الجاه) فإنَّ (التَّوَجُّه، والمواجهة، والتوجيه) يدل على أنَّ أصله (وَجَه) نُقِلَتِ الفاء إلى موضع العين، فوزن (جاه) (عَفَلٌ).

الوجه الثالث– صحة المقلوب: كـ (أَيِسَ) فإنه لمّا لم ينقلب الياء ألفًا مع تحركها وانفتاح ما قبلها عُلِمَ أنَّ أصله (يَئِسَ) حيث نُقِلَ الفاءُ إلى موضع العين، فوزنه (عَفِلَ).

الوجه الرابع– قلة استعمال المقلوب: فإنَّ (أَرْءام) لمّا كان أكثر استعمالًا من (آرام)عُلِمَ أنَّه الأصل؛ لأنَّ حمل الأكثر على الأصل أولى.

الوجه الخامس– أداء ترك القلب إلى اجتماع الهمزتين، وهذا الوجه من التعريف يقول به الخليل، نحو (جاءٍ) وأصله (جايِء) بالاتفاق؛ لأنه اسم فاعل من الأجوف المهموز اللام، فقال الخليل: قلبت اللام إلى موضع

العين، فصار (جائِي) على وزن (فالِع)، فأُعِلَّ إعلال (قاضٍ)، فصار (جاءٍ)؛ إذ لو لم تُقْلَبْ لانقلبتْ الياءُ همزةً، وصار (جاءِ) بهمزتين، وهو مستكرهٌ. (الجاربردي، 1310هـ، 1 / 25 – 27)

وذكر الرضي أن معرفة الأصل تغني في معرفة المقلوبات، فقال: "ويصحُّ أنْ يُقال: إنَّ ما ذكِرَ من المقلوبات يُعْرَفُ بأصله؛ فـ(الجاه، والحادي، والقسيّ) عُرِفَ قلبُها بأصولها وهي (الوجه، والوحدة، والقوس)، وكذا (أَيِسَ يَأْيَسُ باليَأس، وآرام وآدار بَرِئْمٍ وَدَارٍ) فإنْ ثبتَ لغتان بمعنىً يُتَوَهَّمُ فيهما القلب، ولكل واحدة منهما أصلٌ كـ (جَذَبَ جَذْبًا، وجَبَذَ جَبْذًا) لم يُحْكَمْ بكون إحداهما مقلوبةً من الأخرى، ولا يلزم كون المقلوب قليل الاستعمال، بل قد يكون كثيرًا كـ(الحادِي، والجاه)، وقد يكون مرفوض الأصل كـ(القِسِيّ) أعني (القُوُوس) غير مستعمل". (الأسترآباذي، 1975، 1 / 24)

ومجيء القلب في الكلمة من الأمور السماعية، إلا ما نسب إلى الخليل من القول بوقوعه مقيسا فيما أدى ترك القلب فيه إلى اجتماع الهمزتين، قال الرضي: "وليس شيءٌ من القلب قياسيًّا إلّا ما ادعى الخليل فيما أدَّى ترك القلب فيه إلى اجتماع الهمزتين كـ(جاءٍ، وسَواءٍ) فإنَّه عنده قياسيٌ". (الأسترآباذي، 1980، 1 / 24)

ونسب السيوطي إلى أبي حيان القول بعدم القياس فيه مطلقًا، فقال: " وقد جاء منه شيءٌ كثيرٌ حتى أنَّ ابن السكِّيت ألف فيه كتابًا، ومع ذلك فلا يطَّردُ شيءٌ منه، إنَّما يُحفظ حفظًا؛ لأنه لم يجئْ منه ما يصلح أنْ يُقاسَ عليه". (السيوطي، 1980، 6 / 27). وجمع السيوطي كما كبيرا مما جاء في كتب السابقين وقيل إنه من القلب في كلام العرب. (ينظر: السيوطي، دت، 1 / 476 – 481)

المطلب الثالث: القلب الإعلالي في الحرف الزائد

ومما يراعى عند الميزان الصرفي ما يطرأ على بنية الكلمة من تغيير نتيجة وجود تغير في بنية الكلمة بسبب ما يعتري بنيتها من وجود ما يعرف بالقلب الإعلالي، وهو إبدال حرف العلة بعد ألف ما يجمع على (فعائل) همزةً، مثل: (صحيفة وصحائف، ورسالة ورسائل، وكتيبة وكتائب) وأصل الجمع فيها (صحايف، ورسايل، وكتايب) على وزن (فعايل)، ولكن لمّا وقعت الياء بعد ألف شبه (مفاعل) وكانت مدةً زائدة في المفرد قلبت همزة، فصارت (صحائف، ورسائل، وكتائب) على وزن (فعائل)، فما حدث فيها من إعلال بقلب الياء همزةً روعي في الميزان الصرفي فيقال في وزنها (فعائل) وليس (فعايل). (هلال، 1974، 30)

قال ابن مالك في بيان علة هذا القلب الإعلالي: "تبدل الهمزة أيضا ممّا يلي ألفَ جمعٍ يشاكلُ (مفاعِل) من مدَّةٍ زيدت في الواحد، نحو: (رسالة ورسائل، وصحيفة وصحائف، وركوبة وركائب)، أمّا إبدال الألف فلأنها التقت مع ألف التكسير، وهي مثلها في الزيادة والإتيان لمجرد المدِّ، فلم يكن بدٌّ من حذف إحداهما أو تحريكها، امتنع الحذف لإيجابه اللبس بالمفرد، فتعين تحريك أقربهما إلى الطرف، فانقلبت همزةً، وحُمِلت الياءُ والواوُ على الألف لتساويهنَّ في الزيادة لمجرد المدِّ". (ابن مالك، 2004، 71 – 72)

المطلب الرابع: تغيير الحركة بسكون أو بحركة أخرى في بعض اللهجات.

من سنن العرب في كلامها أنها تكره الثقل وتفر منه إلى الخفة، لذلك تلجأ إلى تخفيف الكلمة في بعض اللهجات، وذلك بتغيير الحركة الثقيلة في الكلمة إلى سكونٍ أو إلى حركة أخف منها، وإذا ما حدث ذلك روعي ذلك التغيير الذي طرأ على أصول الكلمة الموزونة في الميزان أيضًا.

ومن ذلك أن لغة بني تميم وبكر بن وائل تخفيف الماضي الثلاثي بتسكين وسطه مثل: (شَهِدَ) بكسر الهاء على وزن (فَعِلَ) فيجوز تخفيفها بتسكين الهاء، فتصير (شَهْدَ) على وزن (فَعْلَ)، ومثلها (كَتِفٌ) على وزن (فَعِل) ثم تُسَكَّنُ التاء، فتصير على (كَتْف) على وزن (فَعْل).

قال سيبويه: " باب ما أسكن من هذا الباب الذي ذكرنا وترك أول الحرف على أصله لو حرك؛ لأن الأصل عندهم أن يكون الثاني متحركا، وغير الثاني أول الحرف. وذلك قولك: شِهْدَ ولِعْبَ، تسكن العين كما أسكنتها في عَلْمَ، وتدع الأول مكسوراً؛ لأنه عندهم بمنزلة ما حركوا، فصار كأول إبِل.

سمعناهم ينشدون هذا البيت للأخطل هكذا:

إذا غاب عَنَّا غابَ عَنَّا فُراتُنا ... وإنْ شِهْدَ أَجْدَى فَضْلُهُ وجَدَاوِلُه

ومثل ذلك: نِعْمَ وبِئْسَ، إنما هما فَعِلَ وهو أصلهما.

ومثل ذلك: "فَبِها ونِعْمَتْ"، إنما أصلها: فبِها ونَعِمَتْ.

وبلغنا أن بعض العرب يقول: نَعْمَ الرجلُ.

ومثل ذلك غُزْيَ الرجلُ، لا تحول الياء واواً؛ لأنها إنما خففت والأصل عندهم التحرك، وأن تجرى ياءً، كما أن الذي خفَّف الأصلُ عنده التحركُ، وأن يجري الأولُ في خلافه مكسوراً". (سيبويه، 1975، 4 / 116)

وقد يكون التغيير باتباع حركة الفاء للعين مثل (شَعِير، ورَغِيف) على وزن (فَعِيل) فتتبع الفاء العين فتصير (شِعِير، ورِغِيف) على وزن (فِعِيل). قال ابن جني مبينا علة اتباع حركة فاء الكلمة عينها فيما كانت عينه حرفا من حروف الحلق طلبًا للتخفيف: " وأمّا قولهم: "رجلٌ جِئِزٌ، ومشحِكٌ، ونِغِرٌ"، فإنما أصل بنائه على (فِعِل) كـ (حَذِر)، ولكنهم كسروا فاء الفعل إتباعًا من أجل حرف الحلق، كما قالوا: (شِعِير، وبِعِير)، فكسروا فاء الفعل لكسرة عينه، وعلى هذا تقول في (رَغِيف): (رِغِيف)بكسر الراء. وحكى أبو زيد عن العرب: "الجنةُ لِمَنْ خاف وِعِيد اللهِ"، ولا تقول في (جَرِيب، وقَفِيز): (جِرِيب، ولا قِفِيز)؛ لأنه ليس ثاني حروفهما حرفًا من حروف الحلق" (ابن جني، 1999، 47)

وقد يكون التغيير بنقل حركة عين الكلمة إلى فائها كما في (فَعُلَ) الذي فيه معنى التعجب، وهي لغة بعض بني قيس مثل: (حَسُنَ) على وزن (فَعُلَ) فبعد نقل حركة عينها إلى فائها تصير (حُسْنَ) على وزن (فُعْلَ)، وبها قرئ قوله تعالى: "فَطُوبَى لَهُمْ وَحُسْنَ مَآبٌ" الرعد 29، وهي قراءة ابن أبي عبلة وعيسى الكوفي (العكبري، 2009، 188)، قال أبو حيان: "بضم الحاء وسكون السين وفتح النون، فعلٌ ماضٍ نقلت ضمة سينه إلى الحاء، وهذا جائزٌ في (فَعُلَ) إذا كان للمدح أو للذم، كما قالوا: حُسْنَ ذا أدبًا". (أبو حيان، 1990، 3 / 289)

فـ (حُسْنَ) على وزن (فُعْلَ) بعد نقل ضمة السين إلى الحاء على هذه اللغة، فتنقل ضمة العين إلى الفاء في الميزان تبعًا لما حدث في الموزون. (هلال، 1974، 31).

المطلب الخامس: إدغام حرف أصلي في زائد للتضعيف أو زائد في مثله.

من التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ويجب مراعاتها في الميزان أن يدغم حرفٌ من أصول الكلمة في حرفٍ زائد بتضعيف هذا الأصل، أو تضعيف حرفٍ زائد على أصولها في حرف زائد مثله أيضًا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحالة الأولى – وهي إدغام حرفٍ أصليٍّ في حرفٍ زائدٍ بتضعيف هذا الأصل – تتحقق في غير الثلاثي، أما إدغام الثلاثي فهو إدغام حرف أصليٍّ في حرفٍ أصليٍّ مثله، وليس ذلك مرادٌ هنا في نحو: (مَدَّ، ورَنَّ، وشَدَّ) على وزن (فَعَلَ) فهذا النوع من الإدغام لا يراعى في الميزان، فالحرف المدغم في الثلاثي الأول هو عين الكلمة والثاني هو لام الكلمة.

ومثال إدغام حرفٍ أصليٍّ في حرفٍ زائدٍ يأتي بتضعيف عين الكلمة في نحو (شَدَّدَ)، فقد أُدْغِمَت الدال الأولى وهي عين الكلمة في مثلها وهي حرفٌ زائدٌ، أمّا الدال الثالثة فهي لام الكلمة، فوزن (شَدَّدَ) هو (فَعَّلَ).

ويأتي أيضًا بتضعيف لام الكلمة في نحو (اسْوَدَّ) على وزن (افْعَلَّ) وأصلها (اسْوَدَدَ) أُدْغِمَت الدال الأولى وهي لام الكلمة في مثلها وهي الحرف الزائد، فصارت (اسْوَدَّ) على وزن (افْعَلَّ).

أما الحالة الثانية – وهي تضعيف حرفٍ زائد على أصولها في حرف زائد مثله أيضًا– فيقع في نحو (مُكْرِمِيَّ، ومُسْلِمِيَّ) على وزن (مُفْعِلِيِّ) فالياء المضعفة في آخر الكلمة الموزونة تم مراعاتها في الميزان أيضًا، وأصل (مُكْرِمِيَّ، ومُسْلِمِيَّ) (مسلمون لَي، ومُكْرِمون لِي) حيث حذفت اللام تخفيفًا، ثم حذفت النون للإضافة فصارتا (مُكْرِمُوي، ومسْلِمُوي) بواو جمع المذكر السالم وياء المتكلم، فقُلِبَت الضمة كسرةً والواو ياءً، ثم أُدْغِمَت الياء التي قُلِبَت في ياء المتكلم، وهما حرفان زائدان على أصول الكلمة، فصارتا (مُكْرِمِيَّ، ومُسْلِمِيَّ) على وزن (مُفْعِلِيَّ) بحدوث الإدغام في الميزان كما حدث في الكلمة الموزونة. (هلال، 1974، 31 – 32)

المبحث الثاني: ما لا يراعى من التغيرات في بنية الكلمة في الميزان الصرفي

من قواعد الميزان الصرفي أن بعض التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ينبغي ألا تراعى في الميزان، بمعنى ألا يلتفت لها ويتعامل مع الكلمة على الصورة التي كانت عليها قبل حدوث هذه التغيرات، ليأتي الوزن معبرًا عن صورة الكلمة الموزونة كما كانت عليه قبل حدوث هذه التغيرات، ومن هنا يمكن أن نحدد مفهوم التغيرات التي لا تراعى في بنية الكلمة عند الميزان الصرفي بأنها تلك التغيرات التي على الوازن ألا يلتفت إليها، ولا يعبر عنها بلفظها في الوزن؛ ليكون الوزن معها معبرًا عن بنية الكلمة قبل حدوث هذه التغيرات.

وإجمالًا، يمكن حصر التغيرات التي ينبغي ألا تراعى في الميزان الصرفي في خمسة مواضع، هي: الإعلال بالقلب، وهو الإبدال في حرف أصلي معتل، والإعلال بالنقل، ويسمى الإعلال بالتسكين، والإعلال بالنقل

والقلب معًا، والإبدال من تاء الافتعال وشبهه، والتغيير الذي يحدث لإدغام حرفٍ أصليٍّ في أصليٍّ مثله، أو إدغام حرفٍ زائدٍ في أصليٍّ مثله.

وفي المطالب الآتية بيان هذه المواضع الخمسة، مع ضرب أمثلة تطبيقية عليها.

المطلب الأول: الإعلال بالقلب، وهو الإبدال في حرفٍ أصليٍّ معتلٍ

إذا وقعت الواو والياء عينًا أو لامًا للكلمة، وتحرك كلٌّ منهما بحركةٍ أصليةٍ وانفتح ما قبله، انقلب ألفًا نحو: (قالَ وباعَ، ودَعَا ورَمَى)، فالأصل فيهما: (قَوَلَ وبَيَعَ، ودَعَوَ ورَمَيَ)، فوزن (قالَ، وباعَ) هو (فَعَلَ) بفتح العين لا بسكونها وذلك بالنظر إلى حركة عين الكلمة في الأصل وهي الفتحة في (قَوَلَ، وبَيَعَ) وليس بالنظر إلى ما حدث في الكلمة من تغيير لأن حركة الحرف الذي نتج عن التغيير وهو الألف هي السكون؛ لذلك لم توزن على (فَعْلَ)، أما وزن نحو (هابَ، وخافَ) فهو (فَعِلَ) وليس (فَعْلَ)، لأن أصلهما (هَيِبَ، وخَوِفَ) لذلك كسرت عين الفعل في الميزان، ولم توزن على (فَعْلَ) مراعاة لحركة الألف وهي السكون؛ لأن مثل هذا التغيير لا يراعى في الميزان. (هلال، 1974، 32)

ومما يذكر هنا أن العلماء اشترطوا لصحة هذا الإعلال بالقلب من الياء والواو إلى الألف عدة شروط هي:

1 – أن يتحرك ما بعدهما إن كانتا في موضع عين الكلمة، فلا تُعضلَّان في نحو: (بَيان، وطَوِيل، وغَيُور، وخَوَرْنَق) لسكون ما بعدهما.

2 – أن لا تليهما ألفٌ ولا ياءٌ مشدَّدةٌ، إن كانتا في موضع اللام، فلا تُعَلَّان في مثل: (رَمَيَا، وغَزَوَا، وفَتَيانِ، وعَصَوانِ؛ لأن الألف وليتهما، ولا في مثل: (عَلَوِيّ، وفَتَوِيّ) للحاق الياء المشدَّدة إياهما.

3 – أن لا تكون عينَ فعلٍ على وزن (فَعِلَ) المكسور العين المعتل اللام، مثل: (هَوِيَ، وجَوِيَ، وقَوِيَ، وعَيِيَ، وحَيِيَ).

4 – أن لا يجتمع إعلالان، كـ (هَوَى، وطَوَى، والقُوَى، والحَيَا، والحَيَاة) وأصلها: (هَوَيَ، وطَوَيَ، والقُوَوُ، والهَوَيُ، والحَيَيُ، والحَيَيَة)، فأُعِلْتِ اللام بقلبها ألفًا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، وسلمت العين لإعلال اللام؛ كي لا يجتمع إعلالان في كلمةٍ واحدةٍ.

5 – أن لا تكونا عينَ اسمٍ على وزن (فَعْلانٍ) بفتح العين، فلا تُعَلَّان في مثل: (حَيَوانٍ، ومَوَتانٍ، وجَوَلانٍ، وهَيَمانٍ).

6 – أن لا تكونا عين فعلٍ تجيءُ الصفة المشبهة منه على وزن (أَفْعَلَ)، فإنَّ عينه تصحُّ فيه وفي مصدره والصفة منه: كـ (عَوِرَ يَعْوَرُ عَوَرًا فهو أَعْوَرُ، وحَوِلَ يَحْوَلُ حَوَلًا فهو أَحْوَلُ، هَيِفَ يَهْيَفُ هَيَفًا فهو أَهْيَفُ، وغَيِدَ يَغْيَدُ غَيَدًا فهو أَغْيَدُ).

7 – أن لا تكون الواو عينًا في صيغة (اِفْتَعَلَ) الدال على المشاركة، فلا تُعَلُّ الواو في مثل: (اِجْتَوَرَ القومُ يَجْتَوِرُونَ، واِزْدَوَجُوا يَزْدَوِجُونَ). (الغلاييني، 1980، 2 / 108–110)

المطلب الثاني: الإعلال بالنقل، ويسمى الإعلال بالتسكين.

من التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ولا تراعى في الميزان ما يعرف بالإعلال بالنقل، أو بالتسكين، والإعلال "هو تغيير حرف العلة فحسب؛ للتخفيف بالقلب، التسكين، أو الحذف." (المراغي، 1951، 163)

فالإعلال بالنقل أو بالتسكين أحد أنواع الإعلال التي تلحق بنية الكلمة، " ومعناه نقل الحركة من حرف علةٍ متحركٍ إلى حرفٍ صحيحٍ ساكنٍ قبله، وهو لا يحدثُ إلَا في الواو والياء، أي لا يحدث في الألف؛ لأنها لا تتحرك مطلقًا." (الراجحي، 1984، 181)

قال ابن مالك: "من الإعلال الواجب تحريك الفاء الساكنة بحركة العين التي هي ياءٌ أو واوٌ، نحو: يَبِيعُ، ويَقُولُ، وأصلهما: يَبْيِعُ، ويَقْوُلُ)، فإن جانست الحركةُ العينَ–كما اتفق في يَبِيعُ ويَقُولُ– فلا يُزادُ على ما فُعِلَ بهما من تحريك ما كان ساكنًا، وإسكانِ ما كان متحركًا، وهو المسمَّى نقلًا." (ابن مالك، 2004، 154)

وجاء في الألفية: (لساكنٍ صَحَّ انْقُلِ التحريكَ مِنْ ... ذِي لِينٍ آتٍ عَيْنَ فِعْلٍ كَأَبِنْ)

قال ابن عقيل: إذا كانت عينُ الفعلِ ياءً أو واوًا متحركةً وكان ما قبلها ساكنًا صحيحًا وجب نقلُ حركةِ العينِ إلى الساكنِ قبلها نحو: (يَبِينُ، ويَقُومُ)، والأصل: (يَبْيِنُ، ويَقْوُمُ) بكسر الياء وضم الواو، فنقلت حركتهما إلى الساكن قبلهما وهو الباء والقاف وكذلك في (أَبِنْ). (ابن عقيل، 1995، 525)

ويوضح (هلال، 33،32،1974) أن هذا التغيير مما لا يراعى عند الوزن وعلة حدوثه في بنية الكلمة فيقول: "يَقُولُ، ويَصُونُ) وزنهما (يَفْعُلُ) على حسب أصلهما، وهو (يَقْوُلُ، ويَصْوُنُ) بضم الواو وسكون ما قبلها. ولمّا كانت الواو حرف علةٍ فهو حرفٌ ضعيفٌ لا يقوى على تحمل الحركة، بل يناسبه السكون لخفته، وما قبله الواو حرفٌ صحيحٌ والحرفُ الصحيحُ جَلْدٌ قويٌ يتحمل الحركة فتناسبه، وهنا يحدث إعلالٌ بالنقل، أي نقل حركة حرف العلة إلى الساكن الصحيح قبله، فصارتا: (يَقُولُ، ويَصُونُ) على وزن (يَفْعُلُ) دون أن ننقل ضمة العين إلى الفاء في الميزان، بل يبقى الوزن على حسب أصل الموزون قبل التغيير، فلا يُراعَى الإعلال بالنقل في الميزان".

المطلب الثالث: الإعلال بالنقل والقلب معًا

ومن التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة ولا تراعى في الميزان ما يعرف بالإعلال النقل والقلب معًا، وهو نوع من الإعلال الذي هو تغير يصيب أحرف العلة من بنية الكلمة، وهو في هذا النوع يجمع بين نوعين من التغيير؛ إذ يتم فيه أولًا نقل حركة عين الكلمة وهو حرف العلة إلى فاء الكلمة وهو الحرف الصحيح، ثم يتم قلب حرف العلة بعد أن صار ساكنًا إلى الألف ليتناسب مع حركة فاء الكلمة، مثل:"(يَخافُ، ويَهابُ) من كل مضارعٍ أجوفٍ مفتوح العين، فوزنهما (يَفْعَلُ)، وأصلهما: (يَخْوَفُ، ويَهْيَبُ) بتحرُّك الواو والياء فيهما، فنقلت حركة الواو والياء إلى الساكن الصحيح قبلهما، ثم قلبت الواو والياء ألفًا؛ لتحركهما بحسب الأصل وانفتاح ما

قبلهما الآن، فصارتا: (يَخافُ، ويَهابُ) على وزن: (يَفْعَلُ) بحسب الأصل فيهما دون أن يراعى هذا التغيير في الميزان." (هلال، 1974، 33)

المطلب الرابع: الإبدال من تاء الافتعال وشبهه.

الإبدال لغة: من البَدَل، والبِدْل بالكسر، والبَدِيل كلها بمعنى، والجمع أبْدال، وأبدلتُه بكذا إبدالًا: نحيتُ الأولَ وجعلتُ الثانيَ مكانه". (الفيومي، دت، مادة ب د ل 1 / 54)

واصطلاحًا: هو جعل حرفٍ مكان آخر، والإعلال نوعٌ منه؛ إذ هو خاصٌ بحروف العلة والهمزة، أمّا الإبدال فعامٌ، فكل إعلال إبدالٌ دون عكسٍ، فيجتمعان في (قال، ورَمَى)، وينفرد الإبدال في نحو: (ادَّكَرَ)، وأصلها: (اذْدَكَرَ) ...، وبقولنا: (مكان آخر) خرج العِوَضُ؛ لأنه يكون في غير مكان المُعَوَّضِ كتاء (عِدَة) وهمزة (ابْن) وأصلهما: (وَعَد، وبَنُو)". (المراغي، 1951، 156)

فحقيقية الإبدال أن يحل حرفٌ محل حرفٍ، ونظرًا لأن الميزان الصرفي يعكس صورة الكلمة الموزونة فكان ينبغي أن يعبر عن الحرف الذي يحل محل الحرف المبدّل بلفظه، ولكن العلماء نصوا على أن مما لا يراعى في الميزان الصرفي هذه الصورة من الإبدال التي نحن بصدد بيانها، وهي أن تبدل تاء الافتعال وهو حرف الزيادة في صيغة (افْتَعَلَ) إحدى صيغ الزيادة في الفعل الثلاثي المزيد بحرفين، أو ما يشبهها من الصيغ، فتقلب: طاءً، أو ظاءً، أو صادًا، أو دالًا، أو زايًا، أو ثاءً.

فمن أمثلة وقوعها في صيغة (افْتَعَلَ) قولهم: (اصْطَبَرَ، واظَّلَمَ، وادَّكَرَ) فوزن هذه الأفعال الثلاثة: (اِفْتَعَلَ)، وأصلها: (اصْتَبَرَ، واظْتَلَمَ، واذْتَكَرَ)، فوقعت تاء الافتعال بعد الصاد، والظاء، والذال فقلبت في الأول طاءً وأدغمت الطاء في الطاء، وفي الثاني ظاء وأدغمت في الظاء، وفي الثالث دالًا ثم قلبت الذال دالًا وأدغمت في الدال، فتوزن على الأصل قبل التغيير، ولا يراعى هذا الإبدال، فوزنها (افْتَعَلَ). (هلال، 1974، 33)

ومن ذلك قوله تعالى:"مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" سورة يس:49

فوزن (يَخِصِّمُونَ) (يِفْتَعِلُونَ)، والأصل: (يَخْتَصِمُونَ) قبلت التاء صادًا لمجاورتها حرفَ الإطباق الصاد، وأدغمت الصاد في الصاد.

قال السمين الحلبي: "قوله: {يَخِصِّمُونَ}: قرأ حمزةُ بسكون الخاء وتخفيف الصادِ مِنْ خَصِم يَخْصَمُ. والمعنى: يَخْصَمُ بعضُهم بعضاً، فالمفعولُ محذوفٌ، وأبو عمرٍو وقالون بإخفاءِ فتحةِ الخاء وتشديدِ الصاد. ونافعٌ وابن كثير وهشام كذلك، إلاَّ أنَّهم بإخلاصِ فتحةِ الخاءِ، والباقون بكسرِ الخاء وتشديدِ الصادِ، والأصلُ في القراءاتِ الثلاثِ: يَخْتَصِمون فأُدْغِمت التاءُ في الصاد، فنافعٌ وابن كثير وهشام نَقَلوا فتحَها إلى الساكنِ قبلَها نَقْلاً كاملاً، وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتَها تنبيهًا على أنَّ الخاءَ أصلُها السكونُ، والباقون حَذَفُوا حركتَها، فالتقى ساكنان لذلك، فكسروا أوَّلَهما، فهذه أربعُ قراءاتٍ، قُرِئ بها في المشهور.

ورُوِي عن أبي عمرٍو وقالون سكونُ الخاءِ وتشديدُ الصادِ، والنحاةُ يَسْتَشْكِلونها للجمعِ بَيْن ساكنين على غير حَدَّيْهما، وقرأ جماعةٌ «بِيخِصِّمُون» بكسرِ الياءِ والخاءِ وتشديد الصاد وكسروا الياءَ إتباعا، وقرأ أُبَيٌّ «يَخْتَصِمُون» على الأصل." (الحلبي، دت، 5 / 487)

ومن ذلك قوله تعالى: " يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ" سورة البقرة:20، قال ابن جني: "ومن ذلك ما حكاه الفرّاء عن بعض القراء...(يَخَطَّفُ) بنصب الياء والخاء والتشديد ... وأصله يَخْتَطِفُ، فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرجٍ واحدٍ، ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى من المهموس، ومتى كان الإدغام يُقَوِّي الحرف المدغم حسن ذلك، وعلته أنَّ الحرف إذا أُدْغِمَ خفيَ فضعفَ، فإذا أُدْغِمَ في حرفٍ أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه ففوي لقوته، فكان في ذلك تداركٌ وتلافٍ لما جُنِيَ على الحرف المدغم، فأسكن التاء لإدغامها والخاء قبلها ساكنةٌ، فنقلت الحركة إليها، وقلبت التاء طاءً وأُدْغِمَت في الطاء، فصارت (يَخَطَّفُ)". (ابن جني، 1994، 1 / 59)

وكما لا يراعى إبدال تاء الافتعال فيما جاء على صيغة (افْتَعَلَ) لا يراعى أيضًا فيما جاء على الصيغ التي تشبهها في الدلالة على المطاوعة نحو: (تَفَعَّلَ، وتَفاعَلَ) فتثبت تاء الافتعال في الميزان، ولا يلتفت لما حصل فيها من إبدال بحرفٍ آخر في هذه الصيغ أيضًا، فتقول: (ازَّيَّنَ، واطَّيَّرَ) فوزنهما: (تَفَعَّلَ)، والأصل فيهما: (تَزَيَّنَ، وتَطَيَّرَ)، فقلبت التاء زايًا في الأول، وطاءً في الثاني، ثم أدغم المثلان وأُتِيَ بهمزة الوصل توصلًا إلى النطق بالساكن، فصارتا: (ازَّيَّنَ، واطَّيَّرَ).

ووزن: (ادَّارَكَ، واثَّاقَلَ) هو (تَفاعَلَ)، وأصل (ادَّرَكَ) (تَدَارَكَ) قلبت التاء دالًا، وأدغمت في الدال ثم زيدت همزة الوصل للنطق بالساكن.

وأصل (اثَّاقَلَ) هو (تَثاقَلَ) قلبت التاء ثاءً، وأدغمت في الثاء وأتي بهمزة الوصل للنطق بالساكن.

وكما يقع ذلك في الأفعال يقع أيضًا فيما اشتق منها من الأسماء في نحو:(مُدَّكِر) على وزن: (مُفْتَعِل)؛ لأن أصلها: (مُذْتَكِر)، وكذلك: (مُضْطَر) فأصلها: (مُضْتَر) على وزن: (مُفْتَعِل). (هلال، 1974، 33–35)

ويوزن المبدل من تاء الافتعال بالتاء لا بالحرف المبدل، فيقال في وزن (اصْطَفَى) (افْتَعَلَ)، لا (افْطَعَلَ) (السيوطي، 1980، 6 / 234) هذا هو رأي الجمهور، وهو المشهور بين الصرفيين في وزن ما وقع فيه إبدال من تاء الافتعال وشبهه، غير أن هناك من العلماء من يرى أن الوزن يكون على ظاهر اللفظ، فيراعي التغيير الذي يحدث في تاء الافتعال، ويعبر عن الحرف المبدل بلفظه في الميزان، فيقول في وزن: (اصْطَبَرَ) (افْطَعَلَ). (هلال، 1974، 35)

واحتج من ذهب إلى عدم التعبير عن الحرف المبدل من التاء بلفظه في الميزان بأن موجب إبدال الحرف في الميزان زال لأن فاء الكلمة عبِّر عنها بالفاء عوضًا عن الحرف الذي اقتضى إبدال تاء الافتعال، فلم يعد لذكره في الميزان داعٍ، كما رفضوا التعبير عنه بلفظه بدلًا من تاء الافتعال بحجة أن ذلك يؤدي إلى تكثير الأوزان. (ينظر: الصبّان، دت، 4/ 355–356)؛ لذلك رُجِّح رأي الجمهور؛ لأن هذا الرأي لا تسانده الأدلة المطَّردة،

فضلًا عما فيه من الثقل وعدم ما يدل على الأصل، فالراجح هو رأي الجمهور، وهو عدم مراعاة التغيير؛ دفعًا للثقل عند النطق، وإشارةً إلى الأصل الذي كانت عليه الكلمة قبل التغيير. (هلال، 1974، 35)

المطلب الخامس: التغيير الذي يحدث لادغام حرفٍ أصليٍّ في أصليٍّ مثله، أو إدغام حرفٍ زائدٍ في أصليٍّ مثله. وله صورتان

الصورة الأولى: أن يقع الإدغام بين حرفٍ أصليٍّ وحرفٍ أصليٍّ مثله

إذا وقع الإدغام بين حرفين من أصول الكلمة بأن كان عين الكلمة ولامها من جنس واحدٍ، لم يراع ذلك الإدغام في الميزان، فلا يكرر أحد أصولها، بل توزن على صورتها التي كانت عليها في الأصل قبل حدوث الإدغام، ومثال ذلك: (شَدَّ، ومَدَّ) فوزنهما (فَعَلَ) بفتح العين، وأصلهما: (مَدَدّ، وشَدَدَ)، أدغِمَ المثلان بعد تسكين أولهما، وهما أصلان. والفعل (وَدَّ) وزنه: (فَعِلَ) وأصله: (وَدِدَ) بكسر العين، أدغِمَ المثلان كذلك بعد تسكين أولهما.

ووزن (اشْتَدَّ) (افْتَعَلَ)؛ لأنَّ أصلها (اشْتَدَدَ)، أدغمت الدال في الدال بعد تسكين أولهما.

ووزن (مَرَدَّ) (مَفْعَل) وأصلها (مَرْدَد) أدغِمت الدال في الدال وهما أصلان بعد تسكين الأولى.

ويقع ذلك أيضًا عند صياغة فعل الأمر مما كان عينه ولامه من جنس واحد وحدث فيه إدغام، فيقال في وزن: (مُسَّ) (اِفْعَلْ)؛ لأن أصلها: (امْسُسْ) أدغِم المثلان بعد تسكين أولهما، وحركت فاء الفعل لالتقائها بالحرف الأول الساكن المدغم، ثم حذفت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها. ومثله(فِرَّ) وزنها (اِفْعَلْ) والأصل (افْرِرْ) أدغِمَ المثلان بعد تسكين الأول وحرك فاء الفعل وحذفت همزة الوصل.

وفي الأمثلة السابقة كلها يُلْحَظُ أن إدغام المثلين وهما أصلان لا يُراعَى ما حدث فيه من تغيير، وإنما يوزن على حسب أصله قبل الإدغام، فيراعى الأصل ولا يراعى التغيير.

الصورة الثانية: أن يقع الإدغام بين حرفٍ زائدٍ وحرفٍ أصليٍّ مثله

وفيها يكون الإدغام بين حرفين متماثلين، الأول زائد على أصول الكلمة، والثاني من أصولها، فعند الميزان لا يراعى هذا الإدغام وتوزن الكلمة على صورتها قبل حدوث الإدغام.

ومن أمثلة ذلك أن وزن (مَرْمِيّ) هو (مَفْعُول) وأصلها (مَرْمُوي) اجتمعت الواو الزائدة والياء الأصلية وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء في الياء، وقلبت الضمة كسرةً، فصارت (مَرْمِيّ) على وزن (مَفْعُول)، فلم يراع ما حدث فيها من الإدغام، ونُظِرَ عند وزنها إلى الأصل.

ومن ذلك –أيضًا– أن (سَيِّد) توزن على (فَيْعِل) وأصلها (سَيْوِد)، اجتمعت الياء وهي حرف زائد والواو الأصلية وسبق أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، فصارت (سَيِّد) على وزن (فَيْعِل) مراعاة للأصل ولم ينظر إلى ما حدث فيها من إدغام.

ومن ذلك أن (عِصِي) على وزن (فُعُول) وأصلها (عُصُويٌ) اجتمعت الواو الزائدة مع الياء الأصلية وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء فصارت (عُصُيّ)، ثم أبدلت ضمة الصاد كسرةً لتناسب الياء، وكذلك ضمة العين كسرةً لتناسب كسرة الصاد بعد إبدالها دفعًا للثقل فصارت (عِصِي) على وزن (فُعُول). (ينظر: عضيمة، 1988، 36، وهلال، 1974، 35–37)

الخاتمة:

يمكن أن نوجز ما خلص إليه البحث من النتائج، والتوصيات في النقاط الآتية:

أولاً: نتائج البحث

1. الميزان الصرفي أداة دقيقة ابتكرها الصرفيون لضبط بنية الكلمة العربية، وتمثيل أصولها وزوائدها والتغيرات التي تلحقها، وقد اختيرت حروف (ف – ع – ل) لسهولة دورانها على اللسان، ولبعدها عن حروف العلة التي يكثر فيها التغيير.
2. التغيرات التي تراعى في الميزان الصرفي هي تلك التي تؤثر في بنية الكلمة بحيث يزول معها جزء من أصلها أو يتغير ترتيبه، وهي:
   - الإعلال بالحذف.
   - القلب المكاني.
   - القلب الإعلالي في الحرف الزائد.
   - تغيير الحركة بسكون أو بحركة أخرى في بعض اللهجات.
   - إدغام حرف أصلي في زائد للتضعيف أو زائد في مثله.
3. التغيرات التي لا تراعى في الميزان الصرفي هي ما كان في جوهره صوتياً أو فرعياً لا يمس أصول الكلمة، وهي:

ويضم خمسة مطالب:

   - الإعلال بالقلب، وهو الإبدال في حرف أصلي معتل.
   - الإعلال بالنقل، ويسمى الإعلال بالتسكين.
   - الإعلال بالنقل والقلب معًا.
   - الإبدال من تاء الافتعال وشبهه.
   - التغيير الذي يحدث لإدغام حرفٍ أصليٍّ في أصليٍّ مثله، أو إدغام حرفٍ زائدٍ في أصليٍّ مثله.
4. المنهج الوصفي التحليلي مكَّن من حصر هذه الظواهر وبيان عللها كما وردت عند القدماء، مع إبراز انسجامها مع الأسس الصوتية والصرفية.

5. تبيَّن أن التفريق بين ما يُراعى وما لا يُراعى في الميزان الصرفي هو مفتاح لفهم كثير من الإشكالات التي يقع فيها المتعلمون والباحثون؛ إذ يساعد على ضبط الوزن الصحيح، وتجنّب الخلط بين التغييرات الجوهرية والتغييرات الفرعية.

ثانياً: التوصيات

1. إعادة صياغة القواعد التعليمية للميزان الصرفي في مناهج المدارس والجامعات؛ بما يُظهر بوضوح التغيرات التي تراعى في الوزن والتغيرات التي لا تراعى.
2. الاستفادة من الدراسات الصوتية الحديثة في تفسير ظواهر الإعلال والإبدال والإدغام؛ لربط الدرس الصرفي العربي بالتحليلات اللسانية المعاصرة.
3. إعداد معاجم أو جداول تطبيقية توضح نماذج الأوزان المختلفة للكلمات المعتلة والمضعفة والمهموزة، مع بيان ما يراعى وما لا يراعى فيها.
4. التركيز في تدريب الطلاب على التمثيل الوزني العملي للكلمات، وعدم الاكتفاء بالجانب النظري؛ ليتضح لهم أثر التغيرات الصرفية في الوزن.
5. تشجيع البحوث المقارنة بين معالجة القدماء للتغيرات الصرفية في الميزان وبين مقاربات المحدثين في علم الأصوات وعلم الصرف الحديث.
6. الاستفادة من التقنية في بناء برامج إلكترونية تعليمية للميزان الصرفي تتيح للمتعلم إدخال الكلمة فيعطيه البرنامج وزنها الصحيح مع شرح موجز للتغيرات التي تراعى، والتغيرات التي لا تراعى عند وزنها.

قائمة المصادر والمراجع:

– الأزهري، الشيخ خالد (دت). شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: أحمد السيد سيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

– الأسترآباذي، رضي الدين (135هـ). شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة.

– الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد (1996). التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، عالم الكتب، بيروت.

– ابن جماعة، بدر الدين (1310هـ). حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي على الشافية، ضمن مجموعة شروح الشافية، دار الفكر، بيروت.

– ابن جني، أبو الفتح عثمان (1999). المنصف شرح تصريف المازني، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

– ابن جني، أبو الفتح عثمان (1994). المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

– ابن الحاجب، جمال الدين عثمان الأسنوي المالكي،(2010). الشافية في علمي التصريف والخط مطبوع بذيل: الكافية في علم النحو، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، ط1، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة.

– أبو حطب، فؤاد، صادق، أمال (1991). مناهج وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والإجتماعية، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
– الحلبي، السمين (دت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: محمد علي معوض وآخرين، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت.
– الراجحي، عبده (1984). التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت.
– الرازي، محمد بن أبي بكر (دت). مختار الصحاح، ترتيب: السيد محمود خاطر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة.
– الزروق، محمد خليل (1999). الوقف الصرفي: ما يوقف عليه، وما لا يوقف، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
– السيوطي، جلال الدين (1980). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.
– السيوطي، جلال الدين (د ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أجمد جاد المولى وزميليه، دار الجيل، بيروت.
– الصَّبَّان، محمد علي (دت). حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
– عبد التواب، رمضان (1997). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة.
– عضيمة، محمد عبد الخالق (1962). المغني في تصريف الأفعال، ط2، دار الحديث، القاهرة.
– ابن عقيل، بهاء الدين (1995). شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت.
– العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (2009). إعراب القراءات الشاذة، تحقيق: جمال الدين محمد شرفو وعبد الغفور خليل، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا.
– علي، محمد يونس علي (1993). وصف اللغة العربية دلاليًّا، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس.
– العليمي، الشيخ يس، (دت). حاشية يس بن زين الدين العليمي على التصريح بمضمون التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
– الغلاييني، مصطفى (1980). جامع الدروس العربية، ط14، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت.
– ابن فارس، أبو الحسين أحمد (2002). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
– ابن مالك، جمال الدين (1967). تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة.
– ابن مالك، جمال الدين (2004). إيجاز التعريف بضروري التصريف، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مؤسسة الريَّان، مكة المكرمة.
– المحمودي، محمد (2019). مناهج البحث العلميّ، دار الكتب، صنعاء.
– المراغي، أحمد مصطفى (1951). هداية الطالب (قسم الصرف)، ط8، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا.
– ابن منظور، محمد بن مكرم (2006). لسان العرب، دار الحديث، القاهرة.
– الفيومي، أحمد بن محمد (دت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار القلم، بيروت.
– الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (1998). كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م.
– هلال، محمد محمود (1974). الوافي الحديث في فن التصريف، ط1، منشورات جامعة بنغازي.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 45-59, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/mgwntw19

Research Article

Open Access

القيادة الأخلاقية وأثرها في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل (دراسة ميدانية على موظفي بعض الكليات في جامعة درنة)

خيرالله ابركات[1]*

الباحث الأول[1]*:
قسم إدارة الاعمال، جامعة درنة، ليبيا

المستخلص: هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر القيادة الأخلاقية في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل، من خلال تحليل العلاقة بين أبعاد القيادة الأخلاقية ومستوى الثقة من وجهة نظر الموظفين بالجامعة. ولتحقيق أهداف الدراسة، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم توزيع استبيان مُعدّ وفق مقياس ليكرت الخماسي على عينة عشوائية من الموظفين بلغت (50) موظفًا من بعض الكليات الأكاديمية في جامعة درنة. وأظهرت النتائج أن مستوى ممارسة القيادة الأخلاقية مرتفع نسبيًّا، حيث تراوحت المتوسطات بين (3.32) و(3.64)، كما سجّل مستوى الثقة في بيئة العمل متوسطًا مرتفعًا (3.82). وبيّن تحليل الانحدار وجود علاقة تنبؤية دالة إحصائيًّا بين جميع أبعاد القيادة الأخلاقية والثقة، وكان بعد "الاهتمام بالآخرين" الأقوى تأثيرًا. وعليه، الدراسة تؤكد أن القيادة الأخلاقية تُعدّ عاملاً محوريًّا في بناء الثقة التنظيمية، وتدعم فرضيتي البحث حول وجود علاقة إيجابية وذات دلالة بين القيادة الأخلاقية والثقة في بيئة العمل. وتوصي الدراسة بتبني القيادة الأخلاقية كنهج مؤسسي مستدام، وتعزيزها عبر برامج تدريبية وسياسات إدارية قائمة على القيم والشفافية.

الكلمات المفتاحية: القيادة الأخلاقية، الثقة التنظيمية، بيئة العمل، تحليل الانحدار

***[1]Corresponding author:**
Khairalla Abrakat
Khairalla_abrakat@ctsd.edu.ly
Department of Business Administration, Derna University, Libya

Received:
07/02/2026

Accepted:
02/03/2026

Publish online:
30/04/2026

Ethical leadership and its impact on enhancing trust in the workplace (A field study of employees at some colleges at the University of Derna)

Abstract: This study investigates the impact of ethical leadership on enhancing trust within the workplace at University of Derna, focusing on the dimensions of justice, integrity, ethical role modeling, and concern for others. A descriptive-analytical approach was employed using a five-point Likert-scale questionnaire distributed to a random sample of 50 administrative and academic staff. Findings indicate a relatively high level of ethical leadership (means: 3.32–3.64) and a high level of workplace trust (Mean = 3.82). Regression analysis shows a statistically significant positive relationship between all dimensions of ethical leadership and workplace trust ($p < 0.001$), with “concern for others” having the strongest effect. The study confirms that ethical leadership is a key driver of organizational trust and supports both research hypotheses. It recommends institutionalizing ethical leadership through training programs and transparent, value-based policies.

Keywords: Ethical leadership, organizational Trust, work Environment, regression Analysis

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

1-المقدمة:

في يومنا هذا تعتبر القيادة الأخلاقية أكثر من ضرورة في ظل التأكيد الدائم لفكرة أن العنصر البشري يبقى المحرك الأساس لأداء جميع الوظائف بحيث تتوقف كفاءة وفعالية المؤسسة على فعالية هذا العنصر الأمر الذي يتطلب تنميته والحفاظ عليه وتحقيق التكامل والتوازن بينه وبين المؤسسة التي يعمل بها، بحيث يتحقق الرضا والالتزام والراحة النفسية وغيرها من المظاهر النفسية الإيجابية، إن مثل هذا الرضا والالتزام والطمأنينة وغيرها قد لا يتحقق للعاملين في المؤسسة مصادفة، إنما تحققها مرتبط بعدة عوامل لعل أبرزها طريقة التعامل معهم من طرف القيادة أي بمدى الاحترام والتقدير الذي يعامل به المسؤول فريق عمله، صحيح أن هذا المسؤول من حقه رقابة العاملين ومساءلتهم ومعاقبتهم إن اقتضى الأمر لكن ذلك لن يتم بفاعلية دونا احترام العاملين ودون الاهتمام بالتعامل الأخلاقي معهم .

أن القائد لكي يحقق بعد العدالة في فريق العاملين وبذلهم لأقصى ما في استطاعتهم من جهد وتفاني العمل، عليه معاملتهم بنزاهة واستحقاق وهو ما ينعكس إيجاباً على أداء أعمالهم وفي قيامهم بوظائفهم وهو ما يؤثر بالدرجة الأولى على تنمية مهاراتهم لتحسين جودة الحياة الوظيفية حيث تتصدر المحافظة على جودة الحياة الوظيفية للعاملين قائمة اهتمامات وأولويات المسؤولين في شتى المنظمات فهم يسعون باستمرار وبشني الوسائل الممكنة إلى تحسين مستوى جودة الوظيفية لدى الأفراد العاملين بها لكونها أداة أساسية لزيادة دافعية العاملين للإنجاز والارتقاء بمستوى المنظمة ككل، وتحقيق أعلى مستويات الأداء والجودة.

1-1 مشكلة الدراسة:

تشهد بيئات العمل الحديثة تغيرات متسارعة تتطلب وجود أنماط قيادية قادرة على ترسيخ مناخ تنظيمي إيجابي؛ يقوم على الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة بين الأفراد وفي ظل هذه المتغيرات، برزت القيادة الأخلاقية كأحد الاتجاهات الإدارية المعاصرة التي تؤكّد على أهمية القيم والسلوكيات الأخلاقية في التعامل مع الأفراد واتخاذ القرارات، ويُنظر إلى القائد الأخلاقي بوصفه عاملاً أساسياً في بناء علاقات مهنية قائمة على الصدق والعدل والشفافية.

ورغم الاهتمام المتزايد بمفاهيم القيادة الأخلاقية في أدبيات الإدارة، إلا أن الواقع العملي في بعض المؤسسات يشير إلى وجود فجوة بين النظرية والتطبيق، حيث لا تزال الثقة بين العاملين تتأثر بسلوكيات القادة ونمط إدارتهم وقد يؤدي غياب الممارسات الأخلاقية إلى تراجع مستويات الثقة، وظهور مظاهر من الانعزال الوظيفي وضعف الانتماء؛ ومن هنا تنطلق أهمية البحث في فهم الكيفية التي تساهم بها القيادة الأخلاقية في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل، باعتبارها حجر الأساس لبناء فرق عمل فعّالة ومتماسكة. ومن هنا، تتبع إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيسي الآتي:

- **ما أثر القيادة الأخلاقية بأبعادها المختلفة في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل؟**

وللإجابة عن هذا السؤال الرئيسي تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما مستوى ممارسة القيادة الأخلاقية من وجهة نظر العاملين في المؤسسة؟
- ما مستوى الثقة السائدة في بيئة العمل بالمؤسسة المدروسة؟
- ما العلاقة بين أبعاد القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل؟

1-2 أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذا البحث من أهمية الموضوعين الذين يتناولهما، وهما القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل، حيث يُعد كل منهما من العوامل الجوهرية التي تؤثر في نجاح المؤسسات واستقرارها التنظيمي والإداري، ويمكن تلخيص أهمية البحث في النقاط الآتية:

1. تسليط الضوء على مفهوم القيادة الأخلاقية كاتجاه حديث في الإدارة يسهم في بناء ثقافة تنظيمية قائمة على القيم والعدالة والاحترام.
2. بيان دور القادة الأخلاقيين في تعزيز مستويات الثقة بين العاملين وهو ما ينعكس إيجابا على الولاء الوظيفي والرضا، والتعاون داخل بيئة العمل.
3. سد فجوة معرفية في البيئة العربية أو المحلية، من خلال دراسة العلاقة بين القيادة الأخلاقية والثقة من وجهة نظر العاملين داخل المؤسسات.
4. تقديم توصيات عملية للإدارات والمؤسسات حول كيفية تبني القيادة الأخلاقية كوسيلة لتحسين بيئة العمل وتعزيز الثقة التنظيمية.
5. خدمة متخذي القرار داخل المؤسسات من خلال تزويدهم بنتائج علمية موثوقة يمكن أن تساعدهم في تطوير السياسات القيادية.
6. دعم الجهود البحثية المستقبلية، من خلال توفير أداة قابلة للاستخدام في دراسات أخرى مشابهة.

1-3 أهداف الدراسة:

لكل بحث علمي اهداف يسعي الباحث إلى تحقيقها، وبناء على ما سبق فإن أهداف هذا البحث تتمثل في الآتي:

1. التعرف على مستوى ممارسة القيادة الأخلاقية بأبعادها المختلفة في المؤسسة محل الدراسة.
2. قياس مستوى الثقة السائدة داخل بيئة العمل من وجهة نظر العاملين.
3. تحليل العلاقة بين أبعاد القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل، وتحديد مدى تأثيرها في تعزيز هذه الثقة.

1-4 فرضيات الدراسة:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل.
2. تؤثر أبعاد القيادة الأخلاقية (كالنزاهة والعدالة والقدوة والاهتمام بالآخرين) تأثيرًا إيجابيًا في مستوى الثقة داخل بيئة العمل.

1-5 حدود الدراسة:

. **الحدود الموضوعية:** يركز البحث على دراسة العلاقة بين القيادة الأخلاقية بأبعادها المختلفة والثقة داخل بيئة العمل.

. **الحدود المكانية:** تم إجراء الدراسة في جامعة درنة.

. **الحدود الزمانية:** تم جمع البيانات خلال شهر 5 عام 2025م.

. **الحدود البشرية:** تتمثل في العاملين في جامعة درنة في بعض الكليات.

1-6 الدراسات السابقة:

1-6-1 **دراسة Elwale وآخرين (2022)** : هدفت هذه الدراسة إلى تحليل تأثير القيادة الأخلاقية على سلوك التعبير عن الرأي لدى الموظفين، مع اختبار الدورين الوسيطين لكل من الفاعلية الأخلاقية (moral efficacy) والسلامة النفسية (psychological safety)، اعتمدت الدراسة على المنهج الكمي، حيث جمعت البيانات من عينة مكونة من (412) موظفا في قطاع الضيافة بنيجيريا، باستخدام استبيان مقنن، وأظهرت النتائج أن القيادة الأخلاقية ترتبط إيجابيًا بسلوك التعبير عن الرأي، كما أثبتت أن الفاعلية الأخلاقية والسلامة النفسية تلعبان دورًا وسيطا مهما في هذه العلاقة، وتُعد هذه الدراسة ذات أهمية خاصة بالنسبة للدراسة الحالية، حيث تبرز كيف يمكن للقائد الأخلاقي تمكين الموظفين وتشجيعهم على المشاركة الفاعلة من خلال تعزيز بيئة آمنة نفسيا، مما يدعم دور القيادة الأخلاقية في تحسين التفاعل داخل المنظمات.

2-6-1 **دراسة Junaidi وأخرين (2023)** : هدفت هذه الدراسة إلى تحليل تأثير القيادة الأخلاقية على التزام الموظفين بالعمل من خلال دراسة دور الثقة تبادل المعرفة والرضا الوظيفي كعوامل وسيطة، اعتمد الباحث على المنهج الكمي، حيث جمع البيانات من عينة مكونة من (610) موظفين في بنك إسلامي بإندونيسيا، باستخدام استبيان إلكتروني، وتم تحليل البيانات باستخدام نمذجة المعادلات الهيكلية (SEM)؛ حيث أظهرت النتائج أن القيادة الأخلاقية تسهم بشكل إيجابي في تعزيز ثقة الموظفين تبادل المعرفة، والرضا الوظيفي مما يؤدي إلى زيادة التزامهم بالعمل، وتُبرز هذه الدراسة أهمية القيادة الأخلاقية في تعزيز بيئة عمل إيجابية ومشاركة فعالة بين الموظفين.

3-6-1 **دراســـة Nurulhasanah وآخـــرين (2024)** :هدفت هذه الدراسة إلى تحليل تأثير القيادة الأخلاقية على ولاء الموظفين ودافعيتهم في القطاع العام، مع التركيز على الدور الوسيط للثقة في القادة، واعتمدت الدراسة على نظرية التعلم الاجتماعي، واستخدمت المنهج الكمي من خلال استبيان إلكتروني شمل (279) موظفا في الحكومة الفيدرالية في مقديشو، الصومال، وتم تحليل البيانات باستخدام نمذجة المعادلات الهيكلية (SEM-PLS) عبر برنامج (4.1.0.0 Smart)، حيث أظهرت النتائج أن القيادة الأخلاقية تؤثر بشكل إيجابي ومباشر على ثقة الموظفين في القادة، والتي بدورها تعزز من ولاء الموظفين ودافعيتهم، كما بينت النتائج أن الثقة في القادة تلعب دورًا وسيطا جزئيًا في العلاقة بين القيادة الأخلاقية وكل من ولاء الموظفين ودافعيتهم، وتُعد هذه الدراسة ذات صلة مباشرة بالدراسة الحالية، حيث تؤكد أهمية القيم الأخلاقية في القيادة كعامل حاسم في تعزيز الثقة والالتزام داخل بيئة العمل في القطاع العام.

4-6-1 **دراسة Yuanhang وآخـــرين (2025)** : هدفت إلى تحليل تأثير القيادة الأخلاقية على أداء الشركات في مجالات البيئة والمجتمع والحوكمة (ESG) في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الصين. اعتمد الباحثون على نظريتي التعلم الاجتماعي وأصحاب المصلحة، وجمعوا البيانات من خلال استبيانات شملت 205 قادة في هذه المؤسسات أظهرت النتائج أن القيادة الأخلاقية تؤثر إيجابيا على أداء ESG، مع وجود دور وسيط جزئي للتعلم التنظيمي. كما تبين أن رأس المال الاجتماعي الداخلي يعزّز هذه العلاقة من خلال تأثيره على الرابط المباشر بين القيادة الأخلاقية والتعلم التنظيمي، وكذلك على التأثير غير المباشر على أداء ESG، حيث تُبرز هذه الدراسة أهمية القيادة الأخلاقية والعوامل التنظيمية في تعزيز ممارسات ESG، مما يوفر رؤى قيمة لقادة الشركات وصناع السياسات الساعين إلى تعزيز التنمية المستدامة.

1-7 مقارنه الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية:

يتّضح من مراجعة الدراسات السابقة وجود توافق كبير في الأهداف والمنهجية مع الدراسة الحالية، حيث اتفقت معظم هذه الدراسات في سعيها إلى استكشاف العلاقة بين القيادة الأخلاقية والثقة التنظيمية، كما اعتمدت على أبعاد متقاربة للقيادة الأخلاقية مثل النزاهة العدالة، القدوة والاهتمام بالآخرين، وهي ذات الأبعاد المعتمدة في هذه الدراسة.

كما تتفق الدراسة الحالية مع كثير من الدراسات السابقة في استخدام المنهج الكمي وأداة الاستبيان كوسيلة رئيسية لجمع البيانات، فضلا عن اعتماد مقاييس قياس موثوقة ومجربة مثل مقياس القيادة الأخلاقية لـ Brown وآخرين (2005)، وتشير نتائج الدراسات السابقة إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين القيادة الأخلاقية ومستوى الثقة داخل بيئة العمل، وهو ما تتوقع هذه الدراسة تأكيده من خلال تطبيقها الميداني.

في المقابل تختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في عدة جوانب، أبرزها البيئة التطبيقية، حيث تركز على مؤسسة محلية ضمن السياق الليبي، بخلاف الدراسات الأخرى التي تناولت قطاعات متنوعة وفي بيئات ثقافية مختلفة مثل نيجيريا وتركيا والسعودية، كما أن بعض الدراسات السابقة تناولت متغيرات وسيطة أو معدلة مثل الثقة في القائد، أو تبادل المعرفة أو العدالة التنظيمية، في حين تسعى هذه الدراسة إلى دراسة العلاقة المباشرة بين أبعاد القيادة الأخلاقية والثقة في بيئة العمل كذلك.

2 الإطار النظري للدراسة:

2-1 مفهوم القيادة الأخلاقية:

تعرف القيادة الأخلاقية بأنها "العملية التي يؤثر فيها القائد على أنشطة المجموعة لتحقيق الأهداف التنظيمية بطريقة مسؤولة اجتماعيًا، وتعرف كذلك بأنها "أسلوب قيادة يسلط الضوء على البعد الأخلاقي للقيادة في الإدارة، ويشير إلى قيم القائد، والسمات الأخلاقية والسلوك الأخلاقي في البيئات التنظيمية، والطريقة التي يرتبط بها بالموظفين والمنظمات والمجتمع"،

كما يفهم السلوك الأخلاقي على أنه سلوك يمكن الحكم عليه وفقا لمعايير السلوك الأخلاقية المقبولة عموما، وهناك ما يعرفها بأنها "إظهار السلوك المناسب المعياري من خلال الإجراءات الشخصية والعلاقات بين الأشخاص وتعزيز هذا السلوك لدى مرؤوسيه من خلال الاتصال ثنائي الاتجاه والتعزيز واتخاذ القرار، أي أن القيادة الأخلاقية تمثل عملية تأثير من القادة المرؤوسين على تحقيق الأهداف، من خلال الالتزام بسلوكيات أخلاقية مثل المصداقية والأمانة والعدالة والإيثار والرحمة، وتشجيع هذه السلوكيات لدى المرؤوسين ودعمها (الريس، 2018).

تعرف أيضًا القيادة الأخلاقية بأنها "سلوك القائد الذي يعتمد على القيم الأخلاقية مثل النزاهة الصدق، العدالة، والاهتمام برفاهية الآخرين"، ويظهر من خلال أفعاله وقدرته على التأثير الإيجابي في سلوك الموظفين وتحفيزهم للالتزام بالقيم الأخلاقية داخل المنظمة، فالقيادة الأخلاقية تتمثل في إظهار القائد للسلوك المعياري من خلال الأفعال الشخصية، وتقديم التوجيه الأخلاقي للأتباع، وتشمل القيادة الاخلاقية مثل اتخاذ القرارات بناء على مجموعة من المبادئ الاخلاقية، ومرعاه العدالة واحترام في التعامل مع اصحاب المصلحة، والالتزام العميق بمبادئ تعزيز من مناخ وبيئة العمل الإيجابية وتساهم في الاستدامة والنمو على المدى الطويل (الحسين، 2020).

القيادة الأخلاقية تعد حجر الأساس في بناء منظمات قوية وفعالة، حيث تلعب دورًا محوريًّا في ترسيخ ثقافة الالتزام بالقيم والمبادئ داخل بيئة العمل، فهي لا تقتصر على الأفعال الفردية للقائد فقط بل تشمل أيضًا مسؤولية جماعية بتحملها جميع العاملين لضمان توافق السلوكيات مع القواعد المهنية والقيم الأخلاقية المعتمدة في المؤسسة من خلال القيادة الأخلاقية، ويصبح القائد مصدر إلهام وتحفيز للموظفين للارتقاء بسلوكهم المهني

والالتزام بمعايير النزاهة والعدالة، الأمر الذي يسهم في تعزيز بيئة عمل قائمة على الاحترام المتبادل الشفافية، وتحقيق الأهداف بطرق تتماشى مع المسؤولية الاجتماعية والإنسانية (الحسيني، 2018).

2-2 أهمية القيادة الأخلاقية:

في عالم يتسم بالتغيرات السريعة والتحديات المتزايدة، أصبحت الحاجة إلى القيادة الأخلاقية أكثر إلحاحا من أي وقت مضى. فالمؤسسات لم تعد تقاس فقط بمستوى أرباحها أو قدرتها التنافسية، بل أيضا بمدى التزامها بالقيم والمبادئ الأخلاقية في عملياتها الداخلية والخارجية؛ هنا تبرز القيادة الأخلاقية كعنصر حيوي يحدد ليس فقط نوعية الأداء المؤسسي، بل أيضًا جودة العلاقات الإنسانية والمهنية داخل بيئة العمل. القيادة الأخلاقية تعد من أهم عناصر النجاح والاستدامة في المؤسسات، سواء كانت ربحية أو غير ربحية، فهي لا تقتصر فقط على تحقيق الأهداف والكفاءة في الأداء، بل تتجاوز ذلك إلى التأثير الإيجابي في السلوك التنظيمي وثقافة العمل (الشريف، 2020).

القيادة الأخلاقية تساهم في بناء بيئة عمل إيجابية ومترابطة، فعندما يتصرف القائد بنزاهة واحترام، ينتقل هذا السلوك إلى أعضاء الفريق. ويتعلمون من القائد كيفية التعامل بأخلاقية مع بعضهم البعض ومع العملاء والشركاء وهذا يؤدي إلى تحسين العلاقات الشخصية والمهنية، وبالتالي تعزيز الروح الجماعية والانتماء للفريق القيادة الأخلاقية هي جانب حاسم في أي منظمة، ويمكن أن يكون لها تأثير كبير على نجاح الشركة والطريقة التي يتصرف بها الموظفون ويتفاعلون مع بعضهم البعض القادة الأخلاقيون هم أولئك الذين يقودون بالقدوة ويلهمون أتباعهم للتصرف بطريقة تتوافق مع قيم المؤسسة وقواعد الأخلاق يمكن أن توفر القيادة الأخلاقية العديد من الفوائد للمؤسسات والمتمثلة في تعزز القيادة الأخلاقية الابتكار والإبداع في بيئة العمل. وعندما يشعر الأعضاء بالثقة والاحترام من قبل القائد، يكونون أكثر استعدادًا لتقديم أفكار جديدة وتجربة أشياء جديدة ويشجع القائد الأعضاء على التفكير خارج الصندوق وتحقيق التغيير الإيجابي في المنظمة، ومما سبق يمكن القول أن القيادة الأخلاقية هي أساس قوي لنجاح أي منظمة أو فريق عمل، إضافة إلى ذلك تلعب القيادة الأخلاقية دورا محوريا في رفع مستوى رضا الموظفين وتحفيزهم، حيث يشعر الأفراد بالأمان والثقة عندما يرون قادتهم يتصرفون بعدالة وشفافية، هذا الشعور يعزز من مستوى الالتزام الوظيفي ويقلل من معدلات دوران الموظفين، مما ينعكس إيجابا على أداء المؤسسة وفعاليتها (السلمي، 2020).

2-3 أبعاد القيادة الأخلاقية:

2-3-1النزاهة: تعد النزاهة من أهم الأبعاد التي تقوم عليها القيادة الأخلاقية، إذ تمثل الأساس الذي تبنى عليه الثقة بين القائد وأفراد الفريق. ويقصد بالنزاهة التزام القائد بالصدق والشفافية، وتطابق أفعاله مع أقواله، وابتعاده عن التناقض أو الخداع، فالقائد الذي يتحلى بالنزاهة لا يستخدم سلطته لتحقيق مصالح شخصية، بل يتصرف دائمًا وفقا للقيم والمبادئ الأخلاقية التي يؤمن بها، كما إن النزاهة تساعد على خلق بيئة عمل قائمة

على الاحترام والثقة المتبادلة، وتعزز من مصداقية القائد لدى مرؤوسيه، مما يزيد من استعدادهم للتعاون والانخراط في العمل بروح إيجابية (السعدي، 2022).

2-3-2العدالة: العدالة هي بعد جوهري في القيادة الأخلاقية، وتعني معاملة جميع الموظفين بشكل متساوي دون تحيز أو تمييز، سواء في توزيع المهام، أو فرص التدريب، أو المكافآت أو التقييم القائد العادل يضع معايير واضحة ويطبقها على الجميع دون تفضيل، مما يشعر الموظفين بالأمان والثقة في البيئة التنظيمية غياب العدالة يسبب الشعور بالإحباط ويؤدي إلى تدهور العلاقات داخل فريق العمل، بينما وجودها يعزز الرضا الوظيفي والانتماء، وإن العدالة في القيادة لا تتعلق فقط بالقرارات الكبرى، بل تنعكس حتى في التفاصيل اليومية التي تشعر الأفراد بقيمتهم واحترامهم داخل المؤسسة (السيد، 2021).

2-3-3القدوة الأخلاقية: يعتبر القائد الأخلاقي قدوة حقيقية لموظفيه من خلال ما يظهره من سلوكيات يومية تعكس القيم التي يسعى لنشرها، فالقيادة الفعالة لا تقتصر على التوجيه اللفظي، بل تتمثل في أن يكون القائد نموذجًا يُحتذى به في الانضباط والاحترام وتحمل المسؤولية، والتعامل العادل مع الآخرين، فالقادة الذين يمارسون القيم الأخلاقية بأنفسهم يلهمون موظفيهم لتبني نفس السلوكيات؛ ما يسهم في بناء ثقافة تنظيمية إيجابية قائمة على الممارسة الفعلية للأخلاق القدوة الأخلاقية لا تفرض بالقوة، بل تكتسب من خلال المواقف والمبادئ التي يلتزم بها القائد أمام الجميع (الحسين، 2020).

2-3-4اتخاذ القـــرار الأخلاقـــي: يتجلّى هذا البعد في قدرة القائد على اتخاذ قراراته بناء على قيم ومعايير أخلاقية، حتى وإن تعارضت هذه القرارات مع المكاسب المادية أو الشعبية قصيرة المدى القائد الأخلاقي يراعي في قراراته العدالة الشفافية، والنتائج المترتبة على الموظفين والمجتمع، ولا يقدم المصلحة الشخصية أو المؤسسية على المبادئ الأخلاقية، هذا النوع من القيادة يعزز ثقة العاملين ويشجعهم على التصرف بشفافية ونزاهة، كما أن القرارات الأخلاقية تضمن استدامة المؤسسة على المدى البعيد وتجنبها الوقوع في أزمات ناتجة عن الفساد أو التجاوزات السلوكية (الحسيني، 2020).

2-3-5الاهتمام بالآخرين: الاهتمام بالآخرين يعكس البعد الإنساني في القيادة الأخلاقية، حيث يظهر القائد تعاطفا واهتماما حقيقيا بمشاعر واحتياجات موظفيه، ولا يقتصر هذا البعد على الجوانب العملية فقط، بل يمتد إلى مراعاة الظروف الاجتماعية والنفسية للعاملين، وتقديم الدعم المناسب لهم القائد الأخلاقي يسعى إلى خلق بيئة عمل صحية يشعر فيها الجميع بالتقدير والاحترام، مما يرفع من مستوى الولاء والالتزام لدى الموظفين، وهذا النوع من القيادة يسهم في تعزيز العلاقات الإنسانية داخل بيئة العمل ويقلل من معدلات التوتر والاحتراق الوظيفي (النجفي، 2020).

2-3-6 تعزيز السلوك الأخلاقي: من المهم ألّا يكتفي القائد بممارسة السلوك الأخلاقي بنفسه، بل يجب أن يعمل على ترسيخ هذا السلوك في ثقافة المؤسسة من خلال التوجيه المستمر، ووضع السياسات الواضحة، وتشجيع الموظفين على الالتزام بالقيم الأخلاقية القائد الذي يعزز السلوك الأخلاقي يضع إطارًا مرجعيًّا يوجه

سلوكيات العاملين، ويكافئ التصرفات الإيجابية، ويتّخذ الإجراءات اللازمة تجاه المخالفات هذا النوع من التوجيه يسهم في نشر ثقافة تنظيمية قائمة على المبادئ ويمنع الانحرافات الأخلاقية التي قد تضر بسمعة المؤسسة أو تؤثر على أدائها العام (الزهيري، 2020).

2-4 مفهوم الثقة داخل بينه العمل:

عرفها الحسيني (2018) بأنها: "مجموعة من التوقعات الإيجابية التي تحدث عند تفاعل الأفراد مع مضهم، أو مع المؤسسة وتسعى لتحقيق الشعور بالاطمئنان الشامل في بيئة العمل من خلال ذلك تعد الثقة التنظيمية بمثابة اعتزاز الشخص بأهداف المؤسسة التي ينتمي اليها، مما يعمل على تعزيز وزيادة الولاء والانتماء لدى العاملين في تلك المؤسسة".

ويرى (الحويطي، 2018) أن الثقة هي احتمالية أن يعطى نظام اتخاذ القرار نتائج مرغوبة للفرد أو الجماعة حتى لو لم تتم ممارسة أي تأثير على هذا النظام، وهذا يدل على أن الوعد والاتفاق ليس بالضروري جزءًا من هذا التعريف إذا كان الأمر يتعلق بالثقة في المنظمة؛ إذ يمكن الحصول على نتائج مرغوبة دون دارسة أي تأثير على نظام اتخاذ القرارات، كما عرفها، (الحردان، 2017) بأنها: "المشاعر التي يحملها الافراد تجاه المنظمات التي يعملون بها".

وبناء على ما سبق يرى الباحثون أن الثقة التنظيمية هي توقعات ومشاعر إيجابية من قبل العاملين في الجامعة والمرتبطة بالسلوكيات والممارسات الإدارية المطبقة بالجامعة والتي روعي فيها الالتزام بالقيم والمبادئ والضوابط للأخلاق السليمة؛ مما ينتج عنه إيمان العاملين بأهدافها وسياستها وقراراتها ورغبة في الاستجابة للتعليمات والقرارات ومدى قناعته بسلامتها ومنتقيتها، وأن إدارة الجامعة قادرة على أداء المهام الموكلة إليهم بشكل فعال.

2-5 نتائج غياب الثقة داخل بيئة العمل:

2-5-1 انخفـــاض الإنتاجيـــة: عندما تغيب الثقة في بيئة العمل، يتأثر مستوى الإنتاجية بشكل واضح، فالموظفون يصبحون أكثر تحفظاً في مشاركة المعلومات أو التعاون مع زملائهم، خشية من سوء الفهم أو الاستغلال هذا يؤدي إلى تأخير في إنجاز المهام، تكرار الجهود، وزيادة نسبة الأخطاء نتيجة لضعف التواصل وضعف التنسيق بين أعضاء الفريق (عبد العزيز، 2017).

2-5-2 ضعف الروح المعنوية: غياب الثقة يولد شعورا بالقلق وعدم الأمان الوظيفي لدى الموظفين يشعر الأفراد أنهم مراقبون أو غير محل تقدير، مما يقلل من حماسهم ويضعف التزامهم بأداء أعمالهم بإخلاص هذا المناخ السلبي يؤثر على المزاج العام للموظفين ويؤدي إلى حالة من الإحباط الجماعي داخل المؤسسة (حسن، 2019).

2-5-3 ارتفاع معدل دوران المـــوظفين: في المؤسسات التي تفتقد إلى الثقة، تكون نسبة مغادرة الموظفين مرتفعة الموظفون يسعون للحصول على بيئة عمل أكثر أمانا وتقديرا لمجهوداتهم، مما يدفعهم للاستقالة عند أول

فرصة، هذا الوضع يكلف المؤسسة مبالغ طائلة في البحث عن بدائل وتدريبهم، ويؤدي إلى فقدان الخبرات والتجارب المتراكمة (حسن، 2017).

2-5-4 ضعف الإبداع والمبادرة: الثقة تعتبر محفزاً رئيسيا للإبداع. في بيئة يغيب عنها هذا العنصر، يصبح الموظفون مترددين في تقديم أفكار جديدة أو اقتراح حلول مبتكرة خوفاً من السخرية أو الانتقاد. ومع مرور الوقت تتراجع روح الابتكار داخل الفريق، ما يفقد المؤسسة ميزتها التنافسية وقدرتها على التطور (السيد، 2019).

2-5-5 زيادة النزاعات والتوترات: انعدام الثقة يولد أجواء من الشك والريبة بين الزملاء، ويؤدي إلى تفسير النوايا والسلوكيات بشكل سلبي هذا التوتر المتزايد يسهم في انشاء النزاعات، وتضخم المشاكل البسيطة، ويخلق بيئة عمل مليئة بالصراعات الشخصية، مما يؤثر بشكل مباشر على الأداء الجماعي (الرفاعي، 2019).

2-5-6 تدهور سمعة المؤسسة: بيئة العمل التي يسودها انعدام الثقة تترك أثرًا سلبيًّا على سمعة المؤسسة خارجيا، فالموظفون ينقلون تجربتهم السيئة إلى الخارج، سواء في محيطهم الشخصي أو عبر وسائل التواصل، مما يجعل المؤسسة أقل جاذبية للمواهب الجديدة، ويؤثر حتى على علاقتها بالعملاء والشركاء (الهاشمي، 2018).

3-الطريقة والإجراءات:

3-1 منهج الدراسة: نظرًا لطبيعة موضوع الدراسة وأهدافها المتمثلة في الكشف عن أثر القيادة الأخلاقية في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل، فقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، لكونه الأنسب لدراسة الظواهر الاجتماعية والإدارية كما هي في الواقع، وتحليل العلاقات بين متغيراتها.

3-2 مجتمع وعينة الدراسة: مجتمع الدراسة يتكون من جميع العاملين في المؤسسة محل الدراسة، ممن تتوافر فيهم الخصائص الملائمة لموضوع البحث، ويشمل ذلك الموظفين الإداريين والفنيين، وأي فئة وظيفية يمكن أن تتفاعل مع القيادة الإدارية وتُكوِّن تصورًا حول ممارساتها الأخلاقية، مما ينعكس على مستوى الثقة داخل بيئة العمل.

من هذا المجتمع تم اختيار عينة الدراسة البالغ عددها (50) فردًا، التابعين لكليات معينة بالجامعة وهي (كلية الاقتصاد- كلية القانون- كلية التربية- كلية الصيدلة).

3-3 أدوات جمع البيانات:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على نوعين من أدوات جمع البيانات، وهما:

- **الأدوات الأولية:** اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على أداة الاستبيان باعتبارها الوسيلة المباشرة والأكثر فاعلية للحصول على بيانات أولية من أفراد العينة، حول آرائهم ومواقفهم تجاه موضوع القيادة الأخلاقية وأثره على تعزيز الثقة داخل بيئة العمل.

وقد تم تصميم الاستبيان وفق مقياس ليكرت الخماسي، لما يتميز به هذا المقياس من مرونة في التعبير عن درجة الاتفاق أو الاختلاف مع العبارات الواردة في الأداة؛ ويتكوّن الاستبيان من مجموعة من المحاور تغطي الجوانب التالية:

- البيانات الديموغرافية والمتمثلة في (الجنس – العمر – عدد سنوات الخبرة).
- محور القيادة الأخلاقية والذي يحتوي على 10 عبارات موزعة على 4 أبعاد كالتالي:
  . بعد العدالة (عبارتان).
  . بعد الاهتمام بالأخرين (عبارة واحدة).
  . بعد النزاهة والشفافية (أربع عبارات).
  . بعد القدوة الأخلاقية (ثلاث عبارات)
- محور الثقة داخل بيئة العمل والذي يحتوي على 10 عبارات.

4- تحليل نتائج الاستبيان:

4- 1 صدق وثبات العينة:

جدول (1): صدق وثبات العينة

المحور	عدد العبارات	ألفا كرونباخ
القيادة الاخلاقية	10	.934
الثقة داخل بيئة العمل	10	.934

نلاحظ من الجدول رقم (1) الخاص بعبارات القيادة الأخلاقية و الثقة داخل بيئة العمل من حيث صدق وثبات العينة، بأن الصدق والثبات مرتفعين للأداة المستخدمة (الاستبيان)، حيث كانت القيمة باستخدام ألفا كرونباخ (934) وهذا يدل على أن العبارات في كل محور في الأداة مترابطة بشكل جيد، وتقيس المفهوم نفسه بثبات.

4-2عرض التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الشخصية:

جدول (2): يبين التكرارات و النسب المئوية للمتغيرات الشخصية

المتغير	مستوي المتغير	العدد	النسبة المئوية
النوع	ذكر	38	%76.0
	انثي	12	%24.0
	المجموع	50	%100
العمر	اقل من 30 سنة	5	%10.0
	من 30الي 40 سنة	19	%38.0
	من 41 فما فوق	26	%52.0

	المجموع	50	%100
سنوات الخبرة	اقل من 5 سنوات	6	%12.0
	من 5 الي 10 سنوات	16	%32.0
	اكثر من 10 سنوات	28	%56.0
	المجموع	50	%100

الجدول السابق رقم (2) يوضح خصائص افراد عينة الدراسة المشاركون في الدراسة ، حيث اشارت النتائج الي ان النسبة الأكبر من المشاركون كان من فئة الذكور بواقع (38) موظف ، بنسبة 76%، و ما نسبته 24.0% من فئة الاناث، بعدد (12) موظفة، من جانب اخر يشير الجدول الي ان الفئة العمرية الأكثر تواجداً في عينة الدراسة هي من تفوق أعمارهم (41 سنة)، بعدد (26)، و ما نسبته (52%)، ومن ناحية اخري فاننا نلاحظ ان اغلب المشاركين لديهم خبرة في مجال عملهم تفوق 10 سنوات، حيث كانت نسبتهم (56%)، بعدد 28 موظف ، و هذا يعتبر شيء إيجابي للجامعة و هو امتلاكها كوادر ذات خبرة، ثم يأتي بعد ذلك من (5 سنوات الي 10) بعدد 16، و ما نسبته 32%، و أخيرا فئة الأقل من 5 سنوات بنسبة 12% و عدد 6 موظفين.

4-3عرض التكرارات والنسب المئوية لمحوري القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل:

جدول (3): التكرارات والنسب المئوية لمحوري الدراسة

البعد/ المتغير	عدد العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العدالة	2	3.34	0.84
الاهتمام بالاخرين	1	3.38	0.81
النزاهة والشفافية	4	3.64	0.80
القدوة الاخلاقية	3	3.32	0.83
الثقة داخل بيئة العمل	10	3.82	0.89

الجدول رقم (3) يعرض التكرارات والنسب المئوية لأبعاد القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل حيث تبين لنا ان هناك إدراك من جانب الموظفين بالمؤسسة محل الدراسة للمستوي المرتفع نسبياً للقيادة الأخلاقية عبر ابعادها، حيث كان بعد النزاهة والشفافية هو الاعلي بمتوسط حسابي (3.64)، ثم يأتي الاهتمام بالاخرين بمتوسط (3.38)، يليه العدالة (3.34)، واخيراً القدوة الأخلاقية (3.32). في حين جاء بعد الثقة في بيئة العمل بمتوسط (3.82) وهو اعلي من متوسطات جميع ابعاد القيادة، وهذا يدل على وجود مناخ تنظيمي يسوده الثقة بين الموظفين وادارتهم.

من خلال ما سبق تم تحقيق اهداف الدراسة المتمثلة في التعرف على مستوي ممارسة القيادة بأبعادها، وقياس مستوي الثقة داخل بيئة العمل.

4-4 تحليل الانحدار البسيط بين ابعاد القيادة الأخلاقية و الثقة في بيئة العمل :

جدول (4) يوضح نتائج تحليل الانحدار البسيط للتنبؤ بالثقة في بيئة العمل من خلال ابعاد القيادة الاخلاقية

البعد المستقل	R^2	F	B	P-VALUE
العدالة	0.271	17.852	0.52	0.000
الاهتمام بالاخرين	0.527	53.564	0.73	0.000
النزاهة والشفافية	0.298	20.412	0.55	0.000
القدوة الاخلاقية	0.348	25.654	0.59	0.000

اشارت نتائج تحليل الانحدار البسيط في الجدول رقم (4) الي ان النسبة الأعلى من التباين في الثقة كانت لبعد الاهتمام بالأخرين، حيث كانت (R^2= 0.527)، في حين جاءت بعدها القدوة الأخلاقية (R^2= 0.348)، ثم النزاهة و الشفافية (R^2= 0.298)، و اخيراً العدالة (R^2= 0.271)، كما نلاحظ ايضاً ان قيم (F) مرتفعة حيث تتراوح بين (17.852 و 53.564)، و هذا يشير الي ان جميع نماذج الانحدار كانت دالة علي مستوي عالي جداً، و هذا بدوره يؤكد علي ان ممارسات القيادة الأخلاقية لا ترتبط فقط بالثقة، بل لها مساهمة فعالة في تعزيزها، و هذا ما يحقق هدف الدراسة ، حيث ان الموظفين يربطون شعورهم بالثقة في بيئة العمل بمدي اهتمام قاداتهم لهم كافراد، و قدرتهم علي ان يكونوا قدوة أخلاقية، و تمسكهم بالشفافية و العدالة في التعامل معهم.

مما سبق نلاحظ ان تحليل الانحدار البسيط اظهر وجود علاقة دالة احصائياً بين جميع ابعاد القيادة الأخلاقية و الثقة داخل بيئة العمل ($P<0.001$) و هذا ما يدعم فرضيتي الدراسة.

5-الاستنتاجات و التوصيات:

5-1 الاستنتاجات:

- اظهرت الدراسة أن القيادة الأخلاقية تمارس بمستوى مرتفع داخل المؤسسة، وهو ما يعكس التزامًا إداريًا واضحًا بالقيم والسلوكيات الأخلاقية مثل العدالة، النزاهة، والقدوة.
- سجّل مستوى الثقة داخل بيئة العمل معدلات إيجابية، مما يدل على وجود مناخ تنظيمي سليم يشجّع على الانفتاح، التعاون، والاحترام المتبادل بين العاملين والإدارة.
- كشفت النتائج عن وجود علاقة ارتباط إيجابية قوية ذات دلالة إحصائية بين القيادة الأخلاقية والثقة داخل بيئة العمل، مما يؤكد أن السلوكيات القيادية القائمة على القيم تساهم بشكل مباشر في بناء الثقة المؤسسية.
- تبين أن بعدي "العدالة" و"النزاهة" هما الأكثر تأثيرًا في تعزيز الثقة داخل بيئة العمل، متجاوزَين الأبعاد الأخرى مثل القدوة والاهتمام بالآخرين، مما يشير إلى أن الموظفين يُقدّرون بشدة المعاملة العادلة والشفافية في القرارات.

– أظهرت نتائج تحليل الانحدار أن القيادة الأخلاقية تمثل متغيرًا تنبؤيًا فعالًا بمستوى الثقة، حيث أوضحت المعادلة الإحصائية أن ارتفاع مستوى القيادة الأخلاقية يؤدي إلى زيادة معنوية في درجة الثقة لدى العاملين.

– تعكس النتائج وعيًا متزايدًا لدى العاملين بأهمية السلوك القيادي الأخلاقي، مما يفتح المجال أمام المؤسسات لتبني استراتيجيات إدارية أكثر إنسانية ومبنية على القيم.

– ساهمت القيادة الأخلاقية في تقليل المشاعر السلبية داخل بيئة العمل، مثل الشك، والتردد، والانعزال، وأسهمت في رفع الروح المعنوية والانتماء التنظيمي.

5-2 التوصيات:

– ضرورة اعتماد القيادة الأخلاقية كمنهج مؤسسي ثابت وليس مجرد اجتهادات فردية، من خلال دمج مبادئ العدالة، النزاهة، والاحترام في السياسات الإدارية واللوائح الداخلية.

– تصميم برامج تدريبية منتظمة وموجهة للقادة الإداريين، تُركز على تنمية المهارات الأخلاقية والقيَمية في العمل، مثل: الشفافية، القدوة، وحل النزاعات بعدالة.

– إنشاء وحدات داخل المؤسسة تُعنى بتعزيز الثقة التنظيمية، وذلك من خلال مراقبة جودة العلاقة بين القيادة والعاملين، وتقديم تقارير دورية للإدارة العليا.

– تعزيز مبدأ "القيادة بالقدوة" في المؤسسة، من خلال تكريم النماذج القيادية التي تتميز بالسلوك الأخلاقي، ونشر قصص نجاحها بين الموظفين، لتحفيز ثقافة الالتزام المهني.

– مراجعة آليات اتخاذ القرار داخل المؤسسة لضمان العدالة والشفافية، وتوفير مسارات واضحة للتظلم تضمن المساواة والموضوعية في التعامل مع جميع الموظفين.

– تمكين الموظفين من التعبير عن آرائهم وملاحظاتهم بحرية وأمان نفسي، عبر تفعيل أدوات التغذية الراجعة (الاستبيانات الداخلية، الصناديق المفتوحة، اللقاءات الحوارية).

– الاهتمام ببناء الثقة الأفقية بين الموظفين بعضهم ببعض، من خلال تشجيع العمل الجماعي، وتقدير المساهمات الفردية، وتعزيز ثقافة التعاون بدلاً من التنافس السلبي.

– إجراء دراسات دورية لقياس مناخ الثقة والقيادة في المؤسسة، بهدف متابعة التقدم ومعالجة أي فجوات تنظيمية قد تضعف العلاقة بين القادة والعاملين.

قائمة المراجع

- **الكتب:**

1. السيد، مصطفى محمد (2019): **إدارة الموارد البشرية والسلوك التنظيمي**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر.
2. الريس، سامي (2018): **القيادة الأخلاقية**، جامعه الحاج لخضر.
3. الرفاعي، عادل (2019): **السلوك التنظيمي: مدخل لبناء منظمات فعالة**، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

4. حسن، محمد (2017): **إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
5. حسن، عادل (2019): **إدارة الفرق والعمل الجماعي**، دار الفكر العربي.

- **المجلات والدوريات:**

1. الشريف، ناصر (2020): دور القيادة الأخلاقية في تعزيز فعالية المنظمات، مجلة العلوم الإدارية والاقتصادية، جامعة الملك سعود.
2. السيد، ناصر (2021): تطبيق العدالة في القيادة، مجلة دراسات العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية.
3. السلمي، فهد (2020): أثر القيادة الأخلاقية في تعزيز بيئة العمل الإيجابية، المجلة العربية للعلوم الإدارية، جامعة الكويت.
4. السعدي، محمد (2022): دور النزاهة في تعزيز القيادة الأخلاقية، المجلة العربية للإدارة والتنمية المستدامة، جامعة الملك عبد العزيز.
5. الزهيري، فاطمة (2020): تعزيز السلوك الأخلاقي المؤسسي، مجلة دراسات العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية.
6. الحسيني، محمد (2020): القيادة الأخلاقية واتخاذ القرارات، مجلة دراسات العلوم الإدارية، الجامعة الأردنية.
7. الحسيني، محمد (2018): العوامل المؤثرة في بناء الثقة التنظيمية داخل المنظمات العربية، مجلة الإدارة والتنمية، جامعة القاهرة.
8. الحسين، عبد الرحمن أحمد (2020): دور القيادة الأخلاقية في تعزيز سلوك المواطنة التنظيمية: دراسة تطبيقية على منظمات الأعمال، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية.
9. الحسين، عبد الرحمن أحمد (2020): دور القيادة الأخلاقية في تعزيز سلوك المواطنة التنظيمية: دراسة تطبيقية على منظمات الأعمال، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية.
10. النجفي، يونس (2020): البعد الإنساني في القيادة، المجلة العربية للعلوم الإدارية، جامعة بغداد.
11. الحويطي، محمد (2018): الثقة التنظيمية وأثرها في نظام اتخاذ القرار داخل المنظمات، مجلة البحوث الإدارية، جامعة الملك سعود، السعودية.
12. الحردان، ناصر (2017): الثقة التنظيمية وعلاقتها بالسلوك التنظيمي: دراسة على العاملين في الجامعات العربية، مجلة العلوم الإدارية والتنمية، جامعة الملك سعود، السعودية.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 60-80, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/946jy816

Research Article

Open Access

إدارة النبي ﷺ للأزمات الإقتصادية والسياسية في المدينة المنورة

عبدالعزيز صالح محمد ابريكاو[1]*، عادل محمد عبدالعزيز الغرياني[2]*

الباحث الاول[1]*:
إدارة الأعمال، جامعة فزان، ليبيا.

الباحث الثاني[2]*:
دراسات إسلامية، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا.

الملخص: تناول هذه الدراسة إدارة النبي ﷺ للأزمات الاقتصادية والسياسية التي واجهته بعد الهجرة إلى المدينة وبداية تأسيس الدولة الإسلامية في ظروف صعبة. وتتمثل مشكلة البحث في كيفية إدارته ﷺ لهذه الأزمات منذ وصول الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة حتى وفاته. اعتمدت الدراسة على المناهج التاريخي التحليلي، والوصفي، والاستقرائي الجزئي. وأظهرت النتائج أن النبي ﷺ اهتم بالتنمية الاقتصادية في مجالاتها المختلفة ووضع لها قوانين وسياسات عادلة، وأقام علاقات اقتصادية مع دول الجوار وفق مبادئ الإسلام. كما أسهم في بناء مجتمع المدينة بالقضاء على الطائفية وتقاليد الجاهلية ونفوذ المنافقين، من خلال تنظيم العلاقات بين طوائفها. وتوصي الدراسة بضرورة الاستفادة من السيرة النبوية في إدارة الأزمات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الإدارة، إدارة الأزمة، الأزمة الإقتصادية، الأزمة السياسية، الأزمة، المدينة المنورة، النبي ﷺ.

***[1]Corresponding author:**
Abdulaziz S. Brekhaw,
azizsaleh1978@gmail.com
Department of Business Administration, Fezzan University, Libya.

***[2] Second author:**
Adel M. Al-Gharyani
adelmaziz@unisza.edu.my
Islamic Studies, Sultan Zainal Abidin University, Malaysia.

Received:
17/01/2026

Accepted:
28/02/2026

Publish online:
30/04/2026

The Prophet's (ﷺ) Management of Economic and Political Crises in Medina

Abstract: This study examines the Prophet Muhammad's (PBUH) management of economic and political crises following the migration to Medina and the establishment of the Islamic state under difficult conditions. It addresses how he managed these crises from the arrival of his companions to his settlement in Medina until his death. The study employs historical-analytical, descriptive, and partial inductive approaches. Findings show that the Prophet (PBUH) promoted comprehensive economic development, established laws and fair distribution policies, and built economic relations with neighboring states guided by Islam. As a political leader, he also reformed Medinan society by eliminating sectarianism, pre-Islamic traditions, and internal discord through agreements among its groups. The study recommends further analysis of the Prophet's biography to inform contemporary crisis management.

Keywords: Management, Crisis management, Economic crisis, Political crisis, Crisis, Medina, Prophet Muhammad (Peace be upon him)

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله هادياً ورحمةً للعالمين، أما بعد: لقد أنزل الله لنا كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومعجزة خالدة إلى يوم الدين، ومنهج قويم لمن أراد أن يستقيم؛ وقد حوى هذا الكتاب علوم الدنيا والدين وخبر الآخرة اليقين، وتاريخ البشرية من السابقين إلى اللاحقين؛ وقص علينا القرآن الكريم أحسن القصص للعبرة والتعلم والتعليم، وفيها أشار الله سبحانه وتعالى إلى عدة أزمات وقعت للأنبياء والرسل والصالحين، وكان آخر الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ، والذي حوت سيرته ﷺ أزمات عديدة مر بها منذ ولادته حتى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ذكر بعضها القرآن الكريم في آيات متعددة، وجاء قسم آخر منها في كتب الحديث النبوي؛ وقد تحدثت كتب السير والتاريخ عن تلك الأزمات، وبينت بشكل مختصر كيف عالجها النبي ﷺ سواء عن طريق الوحي، أو بالإجتهاد الشخصي، أو بمشاورة أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وجاءت تلك المرويات التاريخية في بعض المصادر دون سند، الأمر الذي سيدفعنا لدراستها سنداً ومتناً، وحتى الدراسات المعاصرة التي تحدثت عن إدارة الأزمات في الإسلام إكتفت بما ورد في تلك المصادر ولم تتناولها بالبحث والتدقيق؛ وإن المتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد أنه تعرض لعدة أزمات في مكة والمدينة، واستطاع ﷺ أن يديرها بحكمة، وتلك الأزمات تختلف في درجة حدتها وشدة وطأتها على المسلمين، حسب المكان والزمان والظروف، ولعل أشدها ما كان بعد هجرته ﷺ وأصحابه إلى المدينة إلى بلد لا يملكون فيه شيء، تاركين أموالهم وأهلهم، في ظروف اقتصادية وسياسية صعبة؛ ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع الذي يدور حول هذه الإشكالية المعقدة.

مشكلة البحث.

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة إنتقل إلى مجتمع اشتهر أهله بالزراعة وبعبادة الأوثان، والسيطرة الإقتصادية والسياسية لفئة معينة دون بقية السكان؛ كذلك وجد النبي ﷺ في المدينة مجتمعاً متنافراً تسوده الحروب ويسير وفق قوانين وأعراف تتعارض مع القوانين والأعراف الإسلامية. ومن هنا بدأت معالم الأزمات الإقتصادية والسياسية تتضح للنبي ﷺ في المدينة، فبدأ بالتخطيط لبناء مجتمع مدني جديد وتأسيس دولة قوية، ومواجهة التحديات، وإدارة ما سيظهر من أزمات؛ لذلك فإن مشكلة الدراسة تكمن في السؤال الرئيس التالي: كيف استطاع النبي ﷺ وأصحابه إدارة الأزمات الإقتصادية والسياسية في ظل الظروف الصعبة التي واجهته في المدينة؟.

أسئلة البحث.

1- ما مفهوم الأزمة وإدارتها؟

2- إلى أي مدى نجح النبي ﷺ في إدارة الأزمات الإقتصادية في المدينة المنورة؟

3- كيف كانت إدارة النبي ﷺ السياسية في المدينة المنورة؟

أهداف البحث.

1- توضيح مفهوم الأزمة لغةً واصطلاحاً ومفهومها في القرآن والسنة ومفهوم إدارتها.

2- التعرف على مدى نجاح النبي ﷺ في كيفية إدارته للأزمات الإقتصادية في المدينة المنورة.

3- تبيان كيف كانت إدارة النبي ﷺ للأزمات السياسية في المدينة المنورة.

حدود البحث.

- الحدود الزمانية: من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة حتى وفاته عليه الصلاة والسلام.
- الحدود المكانية: المدينة المنورة.

منهجية البحث.

المنهج التاريخي التحليلي: لسرد الوقائع التاريخية المتعلقة بالأزمة وتحليلها، ببيان أسبابها والظروف المحيطة بها؛ والمنهج الوصفي: لوصف الأزمة وبيان طبيعتها، ووصف وتحليل الحلول التي إستخدمها النبي ﷺ لها؛ والمنهج الإستقرائي الجزئي: لاستقراء الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الدراسة في مضانها الأصلية، وهو منهج لا يستغني عنه باحث في مثل هذه الدراسات التي تقوم على الأحاديث النبوية الشريفة.

الدراسات السابقة.

1- دراسة بعنوان: المنهج النبوي في إدارة الأزمات، صحيفة قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبدالمطلب نموذجاً: دراسة موضوعية (حياتي ودفع الله. 2015)؛ مشكلة الدراسة: تحليل أزمة صحيفة قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبدالمطلب في إطار أدبيات الأمن الغذائي من ناحية إنتاج الغذاء وإمكانية الحصول عليه، والقدرة على شراء الغذاء، وما دور الرسول ﷺ القيادي في إدارة هذه الأزمة؛ وأهم ما هدفت إليه الدراسة هو إلقاء الضوء على المنهج النبوي في إدارة وقيادة أزمة المقاطعة؛ وأهم النتائج التي توصلت لها الدراسة أعلاه: هو إن الرسول ﷺ في هذه الأزمة كان مدركاً لنوايا قريش، وواجه هذه الأزمة بمنهج قائم على إدراك حقيقة الرسالة والصبر وبذل المال وتأمين الشعب، كذلك اقر ﷺ بقبول المساعدات الغذائية.

2- دراسة بعنوان: إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم: دراسة موضوعية (اليازجي. 2011)، مشكلة الدراسة: تكمن في أهمية إدارة الأزمات ومواجهتها؛ وهدفت الدراسة إلى بيان بعض من النماذج التي وضع القرآن الكريم حلاً لها، حسب نوعيتها في حياة المسلمين، وأخذ العبر من إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم؛ وأهم ما توصلت إليه الدراسة أعلاه أن الأزمات حالة إنسانية طبيعية تتعرض لها الجمعات والأفراد وتتفاوت فيها ردت الأفعال، وإن الجماعة المؤمنة تتميز في قراءتها للأزمات والإبتلاءات وكيفية مواجهتها، وإن القرآن الكريم هو من وصف الإبتلاءات والأزمات وبين أسبابها، وطرق تلافيها، وسبل علاجها.

3- دراسة بعنوان: دور التربية الإسلامية في مواجهة الأزمات من خلال السيرة النبوية: بحث مكمل للحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة(الشلوى. 2008)، تكمن مشكلة الدراسة في ما هو المنهج النبوي التربوي الذي سار عليه النبي ﷺ، وواجه به جميع الأزمات؛ وهدفت الدراسة إلى توضيح علاقة الأزمات بالسيرة النبوية، وتوضيح الموقف التربوي لإعداد المجتمع لمواجهة الأزمات، وتوضيح المنهج النبوي في التفاعل وقت الأزمات مع الأفراد، وإعداد القادة لمواجهتها؛ وأهم ما توصلت إليه الدراسة أعلاه أن دراسة السيرة النبوية وتطبيقها له أهمية، ووجود القائد المربي مهم في توجيه المربين لمواجهة الأزمات، كما إن التربية الصحيحة للمسلمين ودور المسجد له أهمية في حفظ المجتمع وقت الأزمات..

4- دراسة بعنوان: الهدى النبوي في إدارة الأزمات الإجتماعية العامة: الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الحديث الشريف(الجمل. 2008)، فمشكلة الدراسة: تكمن في بيان كيف عالج النبي ﷺ الأزمة الإجتماعية العامة، وكيف وضع الحلول المناسبة لها؛ وأهم ما هدفت إليه الدراسة هو إبراز موضوع الأزمات الإجتماعية العامة من خلال السنة النبوية، وبيان تميز إدارة النبي ﷺ للأزمات الإجتماعية العامة من خلال المنهج الإسلامي، كذلك جمع الأحاديث المتصلة في إدارة الأزمات الإجتماعية من كتب الحديث وتصنيفها في مجالات متعددة؛ وأهم ما توصلت الدراسة أعلاه هو شمولية الإسلام لإصلاح الحياة البشرية، وكان للنبي ﷺ السبق في إتباع الأسلوب العلمي الصحيح المبني على مراحل مدروسة في معالجة الأزمات، كذلك إن علاجات النبي ﷺ تمثل قواعد ثابتة ويجب الاقتداء به في حل الأزمات المعاصرة.

الإضافة العلمية لهذه الدراسة.

هذه الدراسة سوف تدرس الأحاديث النبوية الصحيحة ثم تحليلها، من حيث إدارة النبي ﷺ لنماذج الأزمات الاقتصادية والسياسية بعد الهجرة وحياته في المدينة؛ كما ستستنبط مدى تأثير هذه الأزمات على عامة الناس في مجال حياتهم؛ كذلك ستبين هذه الدراسة المنهج النبوي في علاج وإعداد الناس لمواجهة هذه الأزمات سواء على المستوى الفردي أو الجماعي؛ وستوضح كيف كان للنبي ﷺ السبق في نهج الطريق والأسلوب الصحيح في إدارة الأزمات.

2: مفهوم الأزمة.

2.1: مفهوم الأزمة لغةً:

"[الأزمة] الشِدَّة والقَحْطُ و[أَزِمَ] عن الشيء أمسك عنه وبابه ضرَب، والمأزم المضيق وكل طريق ضيق بين جبلين مَأْزِمٌ، وموضع الحرب أيضاً مأزم، ومنه سمى الموضع الذي بين المشعر الحرام وبين عرفة مَأزمين" (الرازي. 1986)؛ وفي الحديث: إشتدي أزمةُ تنفرجي، قال: الأزمة السنة المجدبة. ويقال إن الشِدة إذا تتابعت إنفرجت وإذا توالت تولّت، وفي حديث مجاهد: إن قريش أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبوطالب ذا عيال(ابن

منظور. 1994)؛ و"[الأزمة] الشِدَّةُ والقَحْطُ، يقال أصابتهم سنة أَزِمَتْهُم أَزماً، أي إستأصلتهم. وأَزِمَ علينا الدهر يَأْزِمُ أَزماً، أي إشتد وقل خيره"(الجوهري. 2009).

2.2: مفهوم الأزمة إصطلاحاً:

عرّف الكتاب والباحثون مصطلح الأزمة عدة تعريفات منها: هي "فترة حرجة أو حالة غير مستقرة يترتب عليها حدوث نتيجة مؤثرة، وتنطوي في الأغلب على أحداث سريعة، تهدد القيم أو الأهداف التي يؤمن بها من يتأثر بها"(جاد الله. 2010)؛ كما عُرفت الأزمة بأنها: "الوضع الذي تواجهه المنظمة والذي لا تستطيع التعامل معه، بإعتماد الطرق الطبيعية الروتينية والذي يتأتى عند ضغط ناتج عن التغيير المفاجئ"(الصيرفي. 2008)؛ وقد عرّف الباحث الأزمة بأنها: حدث ما في بيئة نظام طبيعي أو بيئة نظام مؤسسي، يؤدي إلى التوتر إذا استمر، ويغير من هدف وعمل طبيعة النظام، وتحَدد مدة استمرار الحدث بحسب البيئة التي وقعت فيها الأزمة.

2.3: مفهوم إدارة الأزمات.

لقد تعددت تعريفات الكتّاب والباحثين لمفهوم إدارة الأزمات، منها إن إدارة الأزمات هي: "كيفية التغلب على الأزمات بالأدوات العلمية الإدارية المختلفة، وتجنب سلبياتها والإستفادة من إيجابياتها"(جاد الله. 2010)، كما عُرفت إدارة الأزمة بأنها: "منهجية التعامل مع الأزمات في ضوء الإستعدادات والمعرفة والوعي والإدراك والإمكانيات المتوافرة والمهارات وأنماط الإدارة السائدة"(الصيرفي. 2008)؛ وباحث آخر يرى أن إدارة الأزمة هى: "عملية إدارية متميزة لأنها تتعرض لحدث مفاجئ، ولأنها تحتاج لتصرفات حاسمة سريعة تتفق مع تطورات الأزمة، وبالتالي يكون لإدارة الأزمة زمام المبادأة في قيادة الأحداث والتأثير عليها وتوجيهها وفقاً لمقتضيات الأمور"(اليازجي. 2011. بتصرف)؛ وأما الباحث يعرف مفهوم إدارة الأزمات بأنه: القدرة على سرعة التصرف واتخاذ القرار المناسب، المبني على التخطيط والتنظيم الجيد والتوجيه السليم والرقابة الفعالة في الوقت المناسب، وذلك أثناء حدوث الأزمة أو توقع حدوثها، لتلافي النتائج السلبية والإستفادة من النتائج الإيجابية.

3: إدارة النبي ﷺ للأزمات الإقتصادية في المدينة المنورة.

3.1: مفهوم الأزمة الإقتصادية.

للأزمة الإقتصادية تعريفات عدة نذكر منها، إن الأزمة الإقتصادية هي: "الحدث الذي يؤثر بشدة على قدرة المؤسسة المالية ومواصلة نشاطها، مما يؤثر على علاقتها بالجمهور والعملاء، وكذلك مستوى التأثير على العاملين والنواحي المادية المتعلقة بهم"(محمد. 2006. بتصرف)، وأيضاً عُرفت الأزمة الإقتصادية بأنها: "إضطراب مفاجئ يطرأ على التوازن في أحد الأنشطة الإقتصادية أو في مجال النشاط الإقتصادي في بلد ما أو عدة بلدان، وتطلق بصورة عامة على الخلل الناشئ من إختلال التوازن بين العرض والطلب"(عبابنة. 2011. بتصرف)؛ ويعرف الباحث الأزمة الإقتصادية بأنها: إضطراب أو خلل في مكونات النشاط الإقتصادي أو فيما

بينها، ويكون هذا الحدث بسبب الإنسان أو من إرادة الله عز وجل، وله تأثير مباشر على الإنسان وحاجاته الضرورية للحياة.

3.2: إدارة النبي ﷺ للأزمة الزراعية.

عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وجد بعض أهلها يشتغلون بالزراعة، فمن العرب من كانوا يعملون بالزراعة بأنفسهم كالأوس والخزرج كما كانوا يستعينون بغيرهم(الكرمي. 2007)، وكان هناك منافسة وصراع بين الأوس والخزرج بسبب أن ديار الأوس أخصب من ديار الخزرج (العمري. 1994)؛ كما إن اليهود من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع كان لديهم خبرة في الزراعة، فكانوا أصحاب نخيل ومزارع مما جعلهم يتفوقون على غيرهم، لذلك ترك النبي ﷺ وادي القرى وفدك وخيبر في أيديهم يزرعونها على الشطر فيما يخرج منها(الكرمي. 2007)، فقد ورد في صحيح البخاري أنه "حدثنا موسى، بن إسماعيل جويرية بن أسماء، عن نافع، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى رسول الله ﷺ خيبر لليهود، أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها"(البخاري. 1998)؛ أما المهاجرين فقد تركوا معظم ثرواتهم وأهاليهم في مكة، وكانت قريش قد تمرست مهارتها في التجارة فقط، وإن التجارة تحتاج لرأس مال كبير؛ إذاً العاملين الأساسيين في اقتصاديات المدينة كانت الزراعة والصناعة، لهذا المهاجرين إلى المدينة لم يتمكنوا من شق طريقهم في المجتمع الجديد بسهولة(العمري. 1994)؛ وكان هذا سبب الأزمة الزراعية.

ولإدارة الأزمة الزراعية ومواجهتها، فإن النبي ﷺ بعد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حث المسلمين على الزراعة والغرس وبيَّن أن لصاحبها صدقة وبيَّن فضلها للإنسان والحيوان، فقد روى البخاري في الصحيح أنه، "حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا أبو عوانه، وحدثني عبدالرحمن بن المبارك: حدثنا أبو عوانه عن قتادة، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فياكل منه طيراً، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة]"(البخاري. 1998)؛ كذلك نهى ﷺ عن أخذ الأجر على الأرض الزراعية وأن يمنحها المسلم لأخيه المسلم تشجيعاً للمسلمين على الزراعة، وهذا في صحيح مسلم "حدثني عبد ابن حميد ومحمد ابن رافع – قال عبد: أخبرنا، وقال ابن رافع: حدثنا عبدالرزاق – أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن ابيه، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: [لأن يمنح أحدكم أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها كذا وكذا]، [لشيء معلوم]، قال: وقال ابن عباس: هو الحقل، وهو بلسان الأنصار المحاقلة"(مسلم. 1998)؛ فأجر الأرض الذي نهى عن أخذه رسول الله ﷺ هو ما ينبت في أطراف السواقي ورؤوس الأنهار الصغيرة وأشياء من الزرع نفسه، أما كراء الأرض بالذهب والورق لا بأس فيه فقد "حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي، نا عيسى، نا الأوزاعي، ح، وحدثنا قتيبة بن سعيد، نا ليث، كلاهما عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن – واللفظ للأوزاعي– قال: حدثني حنظلة بن قيس الأنصاري قال: سألت رافع بن خديج عن كراء الأرض بالذهب والورق، فقال: لا بأس بها، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد النبي ﷺ بما على الماذيانات – أي ما يَنْبُتُ حَوْلَ

السَّواقِي–، وأقبال الجداول – وهي رُؤوسُ الأَنهارِ الصَّغيرةِ –، وأشياء من الزرع – أي أنَّ المالِكَ يُحدِّدُ لنَفسهِ الأماكِنَ الَّذي سيَخرُجُ فيها أفضلُ الثِّمارِ، أو أجودُ الزُّروعِ، والباقي يَكونُ للمُستأْجِرِ–، فيهلك هذا ويسلم هذا، ويسلم هذا ويهلكك هذا، ولم يكن للناس كراء إلا هذا، فلذلك زجر عنه، فأما شيء مضمون معلوم فلا بأس به"(أبو داوود. 2004)؛ كذلك "حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن، عن حنظلة بن قيس، أنه سأل رافع بن خديج عن كراء الأرض، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض، فقلت: أبالذهب والورق؟ فقال: أما بالذهب والورق، فلا بأس به"(أبو داوود. 2004)؛ وللترغيب في الزراعة أمر ﷺ المسلمين بإستغلال الأراضي الزراعية ونهى أن يمسك أحد أرض دون إستغلالها، ففي صحيح البخاري ورد أنه "قال الربيع بن نافع أبو توبة: حدثنا معاوية، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [من كان له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه]"(البخاري. 1998).

ولمواجهة الأزمة الزراعية كذلك فقد تم العمل في عهد الرسول ﷺ على تنظيم الزراعة تنظيماً كبيراً، حيث زُرع النخيل في بساتين سميت بالحوائط، وأُطلق عليها هذا الاسم لأن هذه البساتين كانت محاطة بأسوار تمنع دخول الناس أو البهائم إليها، وكانت هذه الحوائط تحوي نظاماً دقيقاً للري، فقام الأنصار بإدارة هذه البساتين بالتعاون مع بعض الأجزاء والأجراء والأرقاء، فكانوا يقومون باستغلالها وزراعتها وحرثها، أما البعض الآخر ولعدم قدرتهم على زراعتها يؤجر هذه البساتين بجزء من ثمارها أو بالذهب والفضة(الكرمي. 2007)، فقد ورد في صحيح البخاري أنه "حدثنا عمر بن خالد: حدثنا الليث، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن، عن حنظلة بن قيس، عن رافع بن خديج قال: حدثني عمَّاي: أنهم كانوا يكرون الأرض على عهد النبي ﷺ بما ينبت على الأربعاء، أو شيء يستثنيه صاحب الأرض، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، فقلت لرافع: فكيف هى بالدينار والدرهم؟ فقال رافع: ليس بها بأس بالدينار والدرهم؛ وقال الليث: وكان الذي نهى من ذلك، ما لو نظر فيه ذووا الفهم بالحلال والحرام لم يجيزوه، لما فيه من المخاطرة"(البخاري. 1998).

وكذلك لإدارة الأزمة الزراعية عمل النبي ﷺ بالمزارعة مع اليهود، لأنهم كانوا أصحاب نخيل ومزارع ولهم خبرة في الزراعة، فقد روى البخاري أنه "حدثنا محمد بن مقاتل: أخبرنا عبدالله: أخبرنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود، على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها"(البخاري. 1998)؛ ولمواجهة الأزمة الزراعية كرَّه النبي ﷺ الشروط في المزارعة، ففي صحيح البخاري "حدثنا صدقة بن الفضل: أخبرنا ابن عيينه، عن يحي: سمع حنظلة الزرقي، عن رافع رضي الله عنه قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلاً، وكان أحدنا يكري أرضه، فيقول: هذه القطعة لي وهذه لك، فربما أخرجت ذه ولم تخرج ذه، فنهاهم النبي ﷺ"(البخاري. 1998)؛ كذلك لإدارة الأزمة الزراعية نهى النبي ﷺ عن زرع الأرض بغير إذن صاحبها، فقد روى أبو داوود أنه "حدثنا قتيبة بن سعيد، نا شريك، عن أبي إسحاق، عن عطاء، عن رافع بن خديج قال: قال رسول ﷺ: [من زرع في أرض قومٍ بغير إذنهم، فليس له من الزرع شيء وله نفقته]"(أبو داوود. 2004).

ومما تقدم نلاحظ عند هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وجدوا أن الزراعة كانت أحد العناصر الأساسية في اقتصاد المدينة، إلا أن هناك بعض الصراعات بين أهلها أدت لظهور الأزمة الزراعية، مثل المنافسة غير الشريفة بين قبيلتي الأوس والخزرج بسبب خصوبة ديار الخزرج، كذلك سيطرة اليهود على غيرهم لأنهم كانوا أصحاب نخيل ولخبرتهم في الزراعة، والسبب الآخر هو قلة الخبرة والمال بالنسبة للمهاجرين؛ ولإدارة هذه الأزمة عمل النبي ﷺ بالترغيب في الزراعة، فبيَّن فضل الزراعة والعمل بالحرث وماله من أجر وثواب، ورغب ﷺ في التعاون بين المسلمين بمنح المسلم أرضه لأخيه المسلم، ولكي لا يستغل الناس بعضهم، نهى ﷺ عن أخذ الأجر على الأرض الزراعية إلا بشروط محددة وواضحة ومعلومة بين الأطراف، كذلك ليُعلّم ﷺ الناس الإستئذان وعدم التعدي على حقوق الغير، نهى ﷺ عن زرع الأرض بغير إذن صاحبها، ومما يجب الإشارة إليه هو أن النبي ﷺ عمل بالمزارعة مع اليهود في أرض خيبر، بسبب خبرتهم، فطلب منهم أن يعملوا في الأرض ويأخذوا نصف ما يخرج منها؛ وبهذا كان النبي ﷺ قدوة في العمل مع أصحاب الأديان السماوية بشروط واضحة مبنية على المبادئ الإسلامية؛ ؛ إذاً يمكن أن نستنتج بأن النبي ﷺ قام بهذا كله وغيره لجعل العلاقات قائمة على مبدأ التعاون والمحبة، والبعد عن النزاع والظلم والخداع، وتشجيعاً للمسلمين على الزراعة وفق أسس ومبادئ إسلامية يسودها الإحترام لكل الناس، دون النظر إلى الدين أو الجنس أو اللغة لمواجهة الأزمة الزراعية في المدينة.

3.3: إدارة النبي ﷺ للأزمة التجارية.

زادت الأعباء على المسلمين عندما تركوا أموالهم وثرواتهم في مكة وهاجروا إلى المدينة، إلا أن المهاجرون حملوا معهم نزعتهم وحبهم للتجارة، فقد ذكر البخاري في صحيحه أنه "قال عبدالرحمن بن عوف لما قدمنا المدينة قلت هل من سوق فيه تجارة، قال سوق قينقاع، وقال أنس قال عبدالرحمن دلوني على السوق، وقال عمر: ألهاني الصفق بالأسواق"(البخاري. 1998)؛ فكان اليهود في المدينة يملكون السوق التجارية وأموالها، ويستغلون حاجات الناس بالتحكم في السلع والأسعار واحتكارها، لذلك رأى النبي ﷺ أن القوة الإقتصادية بيد اليهود(الصلابي. 2006)، وكان لهم سيطرة وجشع على الإقتصاد المدني، ومن هنا استشعر النبي ﷺ الأزمة الإقتصادية وخاصة التجارية، ولإدارة هذه الأزمة ولمنافسة اليهود على مصادر الثروة الإقتصادية، فقد عمل النبي ﷺ على بناء سوق للمسلمين في المدينة، فحدد مكاناً لهذا السوق وخطه برجليه غرب المسجد النبوي تظهر فيه أداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة(الصلابي. 2006)، وكان وفق إطار وإجراءات شرعية تنظيمية واجب على التجار الإلتزام بها، وهذا السوق كان مكشوف وتباع فيه منتوجات المدينة وما جاورها من البوادي وكل ما يأتي إليها من الخارج(الكرمي. 2007)، وبعد ذلك فقد حث ﷺ المسلمين على الكسب وبهذا "أخبرنا عبيد الله بن سعيد أبو قدامة السرخسي قال: حدثنا يحي بن سعيد عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عمارة بن عمير عن عمته، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: [إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه]"(النسائي. 2016).

بعد ذلك سنَّ النبي ﷺ تشريعات وقوانين وقواعد تنظيمية إسلامية لهذا السوق، تُخالف ما كان عليه سوق اليهود من عادات وقوانين الجاهلية، ومن هذه التشريعات والقوانين النبوية وعلى سبيل المثال لا الحصر: أبطل النبي ﷺ على الباعة في السوق بيع الملامسة والمنابذة بين البائع والمشتري، حيث ورد في صحيح سنن النسائي أنه "أخبرنا محمد بن المصفى بن بهلول عن محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري، قال سمعت سعيداً يقول: سمعت أبا هريرة يقول: نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة، والملامسة أن يتبايع الرجلان بالثوبين تحت الليل يلمس كل رجل منهما ثوب صاحبه بيده، والمنابذة أن ينبذ الرجل الثوب وينبذ الآخر إليه الثوب فيتبايعا على ذلك"(النسائي. 2016)؛ كذلك حرم النبي ﷺ في السوق أن يبيع الرجل على بيع أخيه أو أن يساوم الثمن على مساومة أخيه، وحرم ﷺ النجش وهو: أن يزيد الشخص في ثمن السلعة وهو لا يرغب في شرائها، إنما يخدع غيره ليغريه ليشتريها، وحرم ﷺ التصرية وهى: جمع للَّبن في ضرع الإبل أو الغنم عندما يراد بيعها حتى يضن المشتري أن لها عادة مستمرة في كثرة اللَّبن، كما حرم النبي ﷺ بيع الحاضر للباد وهى: السمسرة، وهذا ورد في صحيح مسلم فقد "حدثنا يحيى ابن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: [لا يلتقي الركبان لبيع، ولا يبيع بعض على بعض، ولا تناجشوا، ولا يبيع حاضر لباد، ولا تصر الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين، بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكاها، وإن سخطها ردها وصاعاً من ثمر]"(مسلم. 1998).

كذلك لمواجهة وإدارة الأزمة التجارية، نهى النبي ﷺ التجار أو الباعة عن بيع ما لا يملكون، فقد روى النسائي في صحيحه أنه "حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال حدثنا أبو بشر عن يوسف بن ماهك، عن حكيم بن حزام قال سألت النبي ﷺ، فقلت يا رسول الله: يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي أبيعه منه ثم أبتاعه له من السوق قال: [لاتبع ما ليس عندك]"(النسائي. 2016)؛ أيضاً حث النبي ﷺ التجار على تقوى الله والصدق والبر، ففي سنن الدارمي روى أنه "أخبرنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن عبدالله – هو: ابن عثمان بن خُثيم – عن إسماعيل بن رفاعة، عن أبية، عن جده، قال: [يا معشر التجار] حتى إذا شرأبوا قال: [التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله، وبر، وصدق]"[الدارمي. 2000)؛ كذلك لمواجهة الأزمة التجارية كان النبي ﷺ يتابع السوق، فَطلَبَ منه الناس أن يسعر السلع المعروضة فيه، فنهى ﷺ عن ذلك، فقد روى الدارمي في صحيحه أنه "أخبرنا عمرو بن عون، أنبأنا حماد بن سلمة، عن حميد، وثابت، وقتادة، عن أنس قال: غلا السعر على عهد النبي ﷺ فقال الناس: يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا، فقال رسول الله ﷺ: [إن الله هو الخالق القابض الباسط الرزاق، المسعر، وإني أرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة ظلمتها إياه بدمٍ ولا مال]"(الدارمي. 2000).

كما كان من توجيهات النبي ﷺ للدفع بالأزمة التجارية، بأن حث التجار على التسامح عند البيع والشراء والتسامح عند القضاء بين البائعين، فقد روى الترمذي في صحيح سننه أنه "حدثنا عباس الدوري، قال: حدثنا عبدالوهاب بن عطاء، قال: أخبرنا إسرائيل، عن زيد بن عطاء بن السائب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر،

قال: قال رسول الله ﷺ [غفر الله لرجل كان قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا اقتضى]"(الترمذي. 1997)؛ كذلك حث ﷺ التجار على الصدق والبيان في البيع وبهذا "حدثنا محمد ابن المثنى، حدثنا يحي ابن سعيد، عن شعبه، وحدثنا عمرو ابن علي، حدثنا يحي ابن سعيد وعبدالرحمن ابن مهدي، قالا: حدثنا شعبه، عن قتادة، عن ابن الخليل، عن عبدالله بن الحارث، عن حكيم ابن حزام، عن النبي ﷺ قال: [البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحق بركة بيعهما]"(مسلم. 1998).

ومن توجيه النبي ﷺ للتجار للحد من فاقة الأزمة التجارية نهاهم عن الخديعة في البيع، ففي صحيح النسائي "أخبرنا قتيبة بن سعيد عن مالك عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر أن رجلاً ذكر لرسول الله ﷺ أنه يُخدَعُ في البيع، فقال له رسول الله ﷺ: [إذا بعت فقل لا خِلابة]، فكان الرجل إذا باع يقول لا خِلابة"(النسائي. 2016)؛ كذلك مما نهى عنه ﷺ هو أن يبيع التاجر السلعة بالحلف الكاذب، وبهذا "أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب]"(النسائي. 2016)؛ كما نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار قبل نضجها، ففي صحيح مسلم "حدثنا يحي ابن يحي، قال: قرأت على مالك، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع"(مسلم. 2016).

وهنا نلاحظ أن المسلمين كانوا مُحبين للتجارة عندما هاجروا إلى المدينة، ولكن السبب الرئيس للأزمة التجارية في المدينة هو اليهود، لأنهم كانوا يملكون السوق وأموالها ويستغلون الناس، والسبب الآخر هو قلة أموال المسلمين لتركهم ثرواتهم في مكة؛ ولإدارة هذه الأزمة الإقتصادية، فأول ما قام به النبي ﷺ الإستقلال والتفرد ببناء سوق خاص للمسلمين في المدينة، ثم نظم أمور التعامل في البيع والشراء بين الناس في هذا السوق، وأوضح أموراً لابد منها، حتى لا يتنازع الناس فيما بينهم، وتكون الصفقات بينهم خالية من الجهالة أو الخداع أو الحرمة؛ فمن هذه التشريعات والآداب الإسلامية أن حث ﷺ المسلمين على الكسب الحلال، ونهى عن أن يبيع البائع شيئاً إلى المشتري بمجرد لمس المشتري هذا الشيئ، أو أن يبيع البائع بإلزام المشتري بالشراء بمجرد إلقاء السلعة عليه، أو أن يزيد المشتري في ثمن السلعة وهو لايرغب في شراءها بل ليخدع ويغر غيره، كذلك نهى البائع عن جمع لبن الإبل أو الغنم في ضرعها ليخدع المشتري بأن لها عادة في كثرة اللبن، ومما حرمه النبي ﷺ أن يبيع الرجل على بيع أخيه، أو أن يساوم الثمن على مساومة أخيه، كما نهى التجار عن بيع ما لا يملكون، ونهاهم عن الخديعة في البيع أو يبيع التاجر السلعة بالحلف الكاذب، وأن لا يبيع الثمار قبل نضجها، كذلك رفض النبي ﷺ أن يسعر للناس السلع المعروضة في السوق، وحث التجار على تقوى الله سبحانه وتعالى، والبر والصدق والبيان والتسامح في البيع والشراء، والتسامح عند القضاء بين البائعين؛ ونستنتج مما شرَّع النبي ﷺ في التجارة من وقوانين وتعاملات وآداب وتشريعات اسلامية، أنها كانت تخالف ما كان عليه سوق اليهود من عادات وقوانين الجاهلية، فمنها إنطلقت التجارة للعالم بالرسالة المحمدية وبالمبادئ الإسلامية العادلة.

3.4: إدارة النبي ﷺ للأزمة الصناعية.

اشتهرت المدينة المنورة – يثرب – قبل الإسلام بالصناعة، واتسع نطاقها وإزدات الحاجة للبناء بعد هجرة النبي ﷺ والمسلمين إليها، لأن المهاجرون احتاجوا لمساكن يسكنونها(الكرمي. 2007)، ومن هنا برزت للنبي ﷺ الأزمة الصناعية، ومما واجه به النبي ﷺ تلك الأزمة: إستخدم ﷺ صناعة البناء بالطين وجريد وخشب النخيل، والتي كانت مواد بناء المسجد النبوي، حيث روى البخاري أنه "حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال حدثنا نافع أن عبدالله أخبره: أن المسجد كان في عهد النبي ﷺ مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل؛ فلم يزد فيه أبوبكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعماد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه من الساج"(البخاري. 1980)؛ ولمواجهة الأزمة الصناعية عند البناء قدم ﷺ من يجيد صناعة الطين على من لا يجيد صناعته، وهذا في صحيح ابن حبان حيث "أخبرنا الفضل بن الحباب، قال: حدثنا مسدد بن مسرهد، قال: حدثنا ملازم بن عمرو، قال: حدثنا جدي عبدالله بن بدر، عن قيس بن طلق، عن أبيه قال: بنيت مع رسول الله ﷺ مسجد المدينة فكان يقول: [قدموا اليمامي من الطين، فإنه من أحسنكم له مسّاً]"(ابن حبان. 1993).

ومن إدارة النبي ﷺ للأزمة الصناعية وجه المسلمين إلى استخدام صناعة المعادن في بعض مجالات الحياة، فمثلاً في الجانب الطبي، روى النسائي في سننه أنه "أخبرنا قتيبة، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن أبي الأشهب، قال: حدثني عبدالرحمن ابن طرفة، عن عرفجة بن أسعد بن كريب – وكان جده – قال: حدثني أنه رأى جده أصيب أنفه يوم الكُلاب في الجاهلية، قال: فاتخذ أنفاً من فضة، فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذه من ذهب"(النسائي. 2016)؛ وكذلك للدفع بالأزمة الصناعية إستخدم ﷺ صناعة المعادن في تزين وتحلية سيفه، حيث ورد في سنن النسائي أنه "أخبرنا أبو داود، قال: قال حدثنا عمرو بن عاصم، قال حدثنا همام وجرير، قالا: حدثنا قتادة عن أنس، قال: كان نعل سيف رسول الله ﷺ من فضة، وقبيعة سيفه فضة، وما بين ذلك حلق فضة"(النسائي. 2016).

ولإدارة ومواجهة الأزمة الصناعية بدأ النبي ﷺ باستخدام النجارة، حيث طلب ﷺ من النجار صناعة منبر ليخطب عليه في المسجد، فروى البخاري في صحيحه أنه "حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبدالعزيز عن أبي حازم قال: أتى رجال إلى سهل بن سعيد، يسألونه عن المنبر، فقال: بعث رسول الله ﷺ إلى فلانة إمرأة قد سماها سهل: [أن مري غلامك النجار، يعمل لي أعواداً، أجلس عليهن إذا كلمتُ الناس]، فأمرته أن يعمل في طرفاء الغابة، ثم جاء بها، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ بها، فأمر بها فوضعت فجلس عليها"(البخاري. 1998)؛ كذلك لإدارة الأزمة الصناعية فقد فأولى النبي ﷺ الإهتمام بصناعة الخياطة، وخصوصاً بعد أن اتجه المجتمع الإسلامي إلى الإستقرار الحضري ومنها ازدهرت مهنة الخياطة بشكل كبير(الكرمي. 2007)، ونظراً لأهمية هذه المهنة وتحفيزاً لصاحبها فقد استجاب ﷺ لطعام دعاه إليه خياط، حيث روى البخاري في صحيحه أنه "حدثنا

عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله ﷺ خبزاً ومرقاً، فيه دباء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتتبع الدباء من حوالي القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ"(البخاري. 1998).

كذلك لمواجهة الأزمة الصناعية حث النبي ﷺ على استخدام الصناعة في الجانب العسكري، فمثلاً بشَّر ﷺ لثلاثةٍ من المسلمين بالجنة من الله، منهم صانع السهم، ففي سنن الدارمي" أخبرنا وهب بن جرير، حدثنا هشام، عن يحيى، عن أبي سلام، عن عبدالله بن زيد الأزرق، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله عز وجل يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والممد به، والرامي به]"(الدارمي. 2000)؛ ولإدارة الأزمة الصناعية كذلك وجه النبي ﷺ المسلمين إلى استغلال الجلود، بدباغتها والإستفادة منها، فقد روى ذلك الترمذي في السنن أنه "حدثنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت ابن عباس يقول: ماتت شاة، فقال رسول الله ﷺ لأهلها: [ألا نزعتم جلدها ثم دبغتموه فاستمتعتم به]"(الترمذي. 1997).

ومما سبق نستنتج أن هذه الأزمة كانت بسبب الإهتمام بالصناعة والحاجة للبناء، والذي جاء لتلبية حاجات المجتمع، وخصوصاً بعد هجرة المسلمين للمدينة؛ ولإدارة هذه الأزمة فقد دعا النبي ﷺ المسلمين إلى تسخير واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية في المدينة، وترشيد استخدامها لصَّالح العام، حيث استخدم ﷺ صناعة البناء بالطين وجريد وخشب النخيل في بناء المسجد وبيته ﷺ ، كذلك للتأكيد على العمل الجيد واتقانه قدم ﷺ من يجيد صناعة الطين على من لا يجيدها، كذلك وسع النبي ﷺ مدارك المسلمين لزيادة استغلال الموارد الطبيعية، فاستخدم ﷺ الصناعة في بعض المجالات الطبية والعسكرية، واستخدم النجارة في المسجد وأعار الإهتمام لممتهن الخياطة، ولغرس مفهوم الإنتاجية والإعتماد على النفس بتطوير الذات، من خلال ممارسة مختلف المهن والصناعات، وجه ﷺ المسلمين لصناعة دباغة الجلود والإستفادة منها؛ وهذا دليل واضح على حكمة النبي ﷺ وفعالية أسلوبه في القضاء على البطالة والفقر، ولمواجهة الأزمة الصناعية وإرساء القواعد القوية لإقتصاد الدولة الإسلامية.

4: إدارة النبي ﷺ للأزمة السياسية في المدينة المنورة.

4.1: مفهوم الأزمة السياسية.

عرف العلماء الأزمة السياسية بأنها: "موقف يستدعي إتخاذ القرار لمواجهة التحدي، والإستجابة الروتينية تكون غير كافية، الأمر الذي يتطلب تجديدات حكومية إذا كانت النتيجة لا تريد التضحية بمركزها"(عبابنة. 2011. بتصرف)؛ وتعريف آخر للأزمة السياسية: "هى التي تربط بما يحدث بين الدول وأجهزة صنع القرار القومي، كما تتعلق بمظاهر الصراع الدولي، والنزاع بين الحكومات والدول، وترتبط أيضاً بعنصر التهديد للمصالح الدولية

والأمن القومي للدول"(محمد. 2006. بتصرف)؛ وتعرف الباحث للأزمة السياسية هي: حدث مفاجئ يؤثر على تطبيق نظام مخطط له من قبل شخص ما أو دولة أو قطاع معين، ويستوجب هذا ضرورة إتخاذ قرار مناسب لطبيعة وشدة الحدث لموائمة البيئة المحيطة.

4.2: إدارة النبي ﷺ لأزمة الصراع السياسي على الحكم بين سكان المدينة.

بعد هجرة النبي ﷺ للمدينة ظهرت أزمة الصراع السياسي، فقد وجد أن أكبر زعماء المدينة وهو عبدالله بن أبي سلول قد نظموا له قومه الخرز ليتوجه ملكاً عليهم، إلا أنه لم يتم له ذلك لأن الرسول ﷺ أصبح زعيماً بتاج النبوة(أحمد. 1992)، ومما زاد من أزمة الصراع السياسي هو دخول سكان المدينة للإسلام حيث أفقد ابن سلول إمكانية الزعامة، فعمل على تشكيل مجموعة من المعارضة الداخلية مكونة من المنافقين وكان هو على رأسهم فكانوا في مجتمع المدينة الجديد نقطة ضعف(عرموش. 1991)؛ ففي هذا الموقف واجه النبي ﷺ هذه الأزمة بالصفح والعفو، فقد "حدثنا إسحاق ابن ابراهيم الحنظلي ومحمد ابن رافع وعبد ابن حُميد – واللفظ لإبن رافع – قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخران: أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، أن أسامة ابن زيد أخبره، أن النبي ﷺ ركب حماراً، عليه إكافٌ، تحته قطيفةٌ فَدَكيةٌ، وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد ابن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبدالله ابن أُبي، وفي المجلس عبدالله ابن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمّر عبدالله ابن أُبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله ابن أبي: أيها المرء! لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبدالله ابن رواحة: اغشَنَا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، قال: فاستب المسلمون والمشركون اليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد ابن عبادة، فقال: [أي سعد! ألم تسمع إلى ما قال أبو حبابة؟ – يريد عبدالله ابن أُبي – قال كذا وكذا]، قال: اعفُ عنه، يا رسول الله! واصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه، فيُعصِبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ"(مسلم. 1998).

كذلك كان من أسباب أزمة الصراع السياسي على الحكم في المدينة، هم اليهود!! لأنهم كانوا أصحاب نفوذ ومال وهم العدو الأول للإسلام، ولإدارة هذه الأزمة عمل ﷺ على إصدار ما يسمى في المصادر والكتب بالصحيفة أو الكتاب، وأطلق عليها البحاث حديثاً لفظ الوثيقة أو الدستور أو المعاهدة، فحوت هذه المعاهدة على خمسة بنود رئيسية باعترافهم وتوقيعهم عليها: يعتبر اليهود في الدولة الإسلامية مواطنون، تحميهم الدولة وتدافع عنهم ولهم حريتهم الدينية، كذلك تكفل الدولة لهم التمتع بما يتمتع به المسلمين من حقوق وفتح الطريق على الراغبين للدخول في الإسلام؛ على اليهود رد العدوان عن المدينة وأن يساندوا الدولة الإسلامية؛ على اليهود أن

لا يخفون نبأ من يعلمون منه الكيد للدولة الإسلامية، وأن لا يتأمرون عليها، وأن يقدموا النصح لها؛ تفرض على اليهود الإقامة الجبرية، وأن لا يغادروا أماكنهم إلا بإذن من الدولة الإسلامية؛ للدولة الإسلامية السيادة، ويرجع إليها اليهود في فصل الخصومات التي تنشب بينهم وبين المسلمين؛ وبهذه الوثيقة أوضح النبي ﷺ الإلتزمات على جميع السكان داخل المدينة؛ فكان أول التزامات الوثيقة هي: تنظيم العلاقات بين سكان المدينة(العيدروس. 2001)، وثاني التزامات الوثيقة تعتبر حل لأزمة الصراع السياسي على الحكم، وهي بأن يتولى الرسول ﷺ لمهام القيادة في المدينة، حيث ورد فيها أنه: مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ، وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد ﷺ(ابن هشام. 2011)، وثالث التزامات الوثيقة لحل أزمة الصراع السياسي على الحكم وهي: أنه وحد ﷺ بين سكان المدينة فكان من حق الجماعة معاقبة المفسد، لأنه بسبب الوثيقة أصبح سكان المدينة بعد الهجرة والمؤاخاة يمثلون ثلاثة أنواع: المسلمون، واليهود من بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع، والعرب الذين لم يعتنقوا الإسلام(هاشم. 1994).

ومن أهم ما قدمه النبي ﷺ لحل أزمة الصراع السياسي على الحكم في المدينة، هو أن يكون للسكان أمير يقودهم لمصلحة البلاد والعباد؛ وقد بيَّن ﷺ أن هذه الأمارة لها حقوق وعليها واجبات ومنها محاذير ومناهي نذكر منها: نهى النبي ﷺ عن طلب الأمارة والحرص عليها، بهذا "حدثنا محمد بن الصبَّاح البزاز، نا هُشيم، أنا يونس ومنصور، عن الحسن، عن عبدالرحمن ابن سَمُرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: [يا عبدالرحمن بن سَمُرة: لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألةٍ وُكِلتَ فيها إلى نفسك، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أُعِنتَ عليها]"(أبو داوود. 2004)؛ كذلك حث ﷺ الأمير على أن يتخذ وزيراً صادق له، حيث "حدثنا موسى بن عامر المُزّي، نا الوليد، نا زهير بن محمد، عن عبدالرحمن ابن القاسم، عن ابيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: [إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق: إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء: إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه]"(أبو داوود. 2004)؛ وحث ﷺ الأمير على العدل بين الرعية وعدم غشه لهم، وبهذا "أخبرنا أبو نعيم، حدثنا أبو الأشهب: جعفر بن حيان عن الحسن: أن عبيد الله بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، فقال له معقل: محدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: [ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة]"(الدارمي. 2000)؛ كذلك مما بينه نبي الله ﷺ من حق الأمير وحث عليه المسلمين هو مبايعة الأمير على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فقد "حدثنا حفص بن عمر، نا شعبة، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر قال: كنا نبايع النبي ﷺ على السمع والطاعة ويُلقّنا: [فيما استطعتم]"(أبو داوود. 2004)؛ كما بيّن النبي ﷺ للمسلمين جزاء من وُكل بأمر الرعية ثم امتنع عن الخروج إليهم، ولم يكن على اتصال بهم، ولم يقضي حاجتهم ولم يسد فقرهم، فإن الله ﷻ سوف يكافئه من جنس عمله، حيث "حدثنا سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي، نا يحيى بن حمزة، قال: حدثني ابن أبي مريم، أن القاسم بن مُخَيمِرة أخبره، أن أبا مريم الأزديَّ أخبره قال: دخلت على معاوية قال: ما أنعمنا بك أبا فلان – وهي كلمة تقولها العرب – فقلت: حديثاً سمعته أخبرك به، سمعت رسول

الله ﷺ يقول: [من ولاه الله عز وجل شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتِهم وفقرهم: احتجب الله عنه دون حاجته وخَلَّتِه وفقره]، قال: فجعل رجلاً على حوائج الناس"(أبو داوود. 2004)؛ أيضاً بيَّن ﷺ ما يلزم على الإمام من حق ومسئولية على الرعية، فقد "حدثنا عبدالله بن مسلمة، عن مالك، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: [ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راعٍ عليهم وهو مسئول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، فكلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته]"(أبو داوود. 2004).

ولإدارة أزمة الصراع السياسي في المدينة فقد بيَّن النبي ﷺ للمسلمين خيار الأئمة وشرارهم ونصح بعدم شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة، حيث "حدثنا إسحاق ابن ابراهيم الحنظلي، أخبرنا عيسى ابن يونس، حدثنا الأوزاعي عن يزيد ابن يزيد ابن جابر، عن رزيق ابن حيان، عن مسلم ابن قرظة، عن عوف ابن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: [خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم]، قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: [لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة]"(مسلم. 1998)؛ كذلك لكي يقضي ﷺ على الفتنة وعدم انشقاق الرعية على الإمام نهى عن المبايعة لخليفتين، وإذا ثم ذلك فيجب قتل أحدهما، فقد "حدثني وهب ابن بقية الواسطي، حدثنا خالد ابن عبدالله، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا بُويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما]"(مسلم. 1998)؛ كذلك نهى النبي ﷺ الناس عن العصبية والتي تعتبر أحد أسباب الصراع السياسي على الحكم، ففي صحيح إبن ماجه "حدثنا بشير بن هلال الصواف، قال: حدثنا عبدالوارث بن سعد، قال: حدثنا أيوب عن غيلان بن جرير، عن زياد بن رياح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: [من قاتل تحت راية عميّه – ضلالة –، يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقِتلتُهُ جاهلية]"(إبن ماجه. 1997).

يمكن أن نلاحظ مما سبق ذكره أن هناك سببين رئيسيين لأزمة الصراع السياسي على الحكم في المدينة وهما: المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن سلول عندما لم يتم تتويجيه ملكاً بظهور النبي ﷺ في المدينة، والسبب الثاني اليهود لأنهم كانوا أصحاب نفوذ ومال في المدينة وهم أشد أعداء الإسلام؛ ولإدارة هذه الأزمة تعامل النبي ﷺ مع هذين السببين الرئيسيين، بأن عفا وأصفح عن المنافقين وابن سلول، وأما اليهود فوقَّع ﷺ معهم وثيقة ألزمت جميع السكان بتنظيم العلاقة بينهم، وبموجبها تولى النبي ﷺ مهام القيادة في المدينة والذي كان له الأثر البالغ على الإستقرار فيها، كما وحد بها سكان المدينة على معاقبة المفسد؛ وكذلك لإدارة أزمة الصراع السياسي في المدينة، قدم النبي ﷺ مقترحاً بأن يكون لسكان المدينة أمير يقودهم لمصلحة البلاد والعباد، وبيَّن ﷺ للناس حقوق الأمارة وواجباتها ومحاذيرها، وبيَّن ﷺ خيار الحكام من شرارهم وصفات الأمير وحقه على الرعية وحقهم عليه، من عدل وطاعة ونصح وعدم العصبية، ونهى النبي ﷺ عن شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة أو

إلحاق الضرر بالمسلمين لمواجهة أزمة الصراع السياسي على الحكم بين سكان المدينة؛ ومن هذا الطرح بدأ النبي ﷺ في تأسيس وتنظيم وتطبيق نظام الحكم لبناء الدولة الإسلامية.

4.3: إدارة النبي ﷺ لأزمة مقر القيادة السياسية.

أدرك النبي ﷺ حاجة مجتمع المدينة إلى قيادة سياسية وحكيمة تقوده إلى دولة منظمة، فأخذ ﷺ على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس والبناء لهذا المجتمع، ولعمل ذلك وجب عليه ﷺ أن يتخذ مقر مناسب لممارسة هذه المهمة ومكان معلوم للجميع لإدارة الأزمة؛ فكانت من حكمته وإدارته ﷺ لهذه الأزمة، عمل على بناء مسجد وقد اشترى مكان المسجد واشترك ﷺ مع أصحابه في بنائه فكان مركز عبادة للمسلمين، وله دوره في القيام بالمهمة الروحية من الصلاة والذكر، أضف إلى ذلك كان مركزاً إدارياً للدولة الفتية، والذي سمي بعد ذلك بإسم المسجد النبوي وفيه يتدارس مع المسلمين الأمور الطارئة ويتخذ القرارات المناسبة، ومنه كان النبي ﷺ يوجه المسلمين في المجتمع الجديد، كما كان مكاناً للشورى، وكان المسجد أيضاً مكاناً يقضي فيه النبي ﷺ بين المسلمين ولفض النزاعات، ومنه ينطلق الرسل إلى الملوك والرؤساء وجباية الضرائب، ومنه تنطلق الجيوش وتستقبل الوفود، وكذلك كان للمسجد دار ندوة للجماعة الإسلامية تبحث فيه جميع شؤنها(الكرمي. 2007)؛ فقد ورد في صحيح مسلم عن بناء مسجد النبي ﷺ أنه "حدثنا حي ابن يحي وشيبان ابن فَرُّخَ، كلاهما عن عبدالوارث، قال يحي: أخبرنا عبدالوارث ابن سعيد، عن ابن التياح الضُّبَعِي، حدثنا أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة، فنزل في علو المدينة، في حي يقال لهم بنو عمرو ابن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملأ بني النَّجار، فجاؤوا متقلدين بسيوفهم قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبوبكر ردفه، وملأ بني النَّجار حوله، حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال فكان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، ثم إنه أمر بالمسجد، قال فأرسل إلى ملأ بني النَّجار فجاؤوا، فقال: [يا بني النَّجار! ثامنوني بحائطكم هذا]، قالوا: لا، والله! لانطلب ثمنه إلا إلى الله: قال أنس: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، قال فصفوا النخل قِبلةً، وجعلوا عضاديته حجارة، قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم، وهم يقولون: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة"(مسلم. 1998)؛ وبذلك أصبح مسجد رسول الله ﷺ مكاناً للشورى، ومنه يوجه المسلمين في المجتمع المدني ومركز إداري للدولة الفتية، ولم يوجد مقر آخر للقيادة السياسية في المدينة طول حياة الرسول ﷺ(الكرمي. 2007).

ونستنتج هنا عندما هاجر النبي ﷺ للمدينة أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس لبناء لهذا المجتمع، لذلك أدرك ﷺ الحاجة الماسة للقيادة السياسية، ولكن الأزمة هي المقر المناسب لممارسة هذه المهمة؛ لهذا كان من الحكمة ولإدارة هذه الأزمة أن يكون المقر يجمع بين عبادة المسلمين، ليضمن ﷺ أداء واجبه الديني والروحي

اتجاه المسلمين، أضف إلى ذلك أن يكون المقر مركز إداري للدولة الناشئة، ليتدارس النبي ﷺ مع المسلمين كافة الأمور ويتخذ القرارات المناسبة، لهذا بنى ﷺ مسجداً سمي بإسمه ولم يكن له مقر آخر طوال حياته ﷺ.

4.4: إدارة النبي ﷺ لأزمة العلاقات مع الدول الكبرى المجاورة.

كان سبب هذه الأزمة أن المسلمون محاطون بدول كبرى، ولكل دولة لغتها وثقافتها الخاصة، وكان لزاماً على الدولة الإسلامية عند نشأتها تكوين علاقات مع كل تلك الدول لنشر الدين والثقافة الإسلامية، وللتبادل الإقتصادي والسياسي؛ فأول ما واجه به النبي ﷺ هذه الأزمة هو أن كاتب ملوك تلك الدول بالرسائل يدعوهم إلى الله عز وجل، حيث ورد في صحيح مسلم أنه "حدثني يوسف ابن حماد المعني، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ"(مسلم. 1998)؛ كما واجه النبي ﷺ هذه الأزمة بإرسال السفراء أو الرسل إلى الملوك، وكان في بداية نشأة العلاقات مع الدول المجاورة، فمثلاً بعث عبدالله بن حداقة إلى كسرى ملك فارس، وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، كما بعث النبي ﷺ حاطب بن بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمر بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة(ابن هشام. 2011).

كذلك لإدارة أزمة العلاقات مع الدول المجاورة، فقد كان النبي ﷺ اختيار سفرائه قائم على مواصفات رباهم عليها، فكانوا يتحلون بالصبر والشجاعة والعلم والفصاحة، وحسن المظهر، والحكمة وحسن التصرف، فمثلاً: اختار ﷺ دحية الكلبي، فأرسله إلى قيصر عظيم الروم، فكان فارس ماهر، ويضرب به المثل في حسن الصورة(ابن حجر. 1909)، وأرسل ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وكان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها(ابن حجر. 1909)، وعن اهتمام النبي ﷺ بحسن المظهر للبريد المرسل فقد "حدثنا محمد بن المثنى قال: نا معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا أبردتم إليَّ بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم]"(البزار. 1988).

كذلك لإدارة أزمة العلاقات مع الدول المجاورة، وعندما أراد النبي ﷺ أن يكاتب الملوك ويدعوهم إلى الإسلام قيل له، أنهم لا يقبلون كتاب إلا وعليه ختم، وكان هذا في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة وعليه ختم باسمه ﷺ(الغضبان. 1990)، وروى هذا في سنن البخاري حيث "حدثنا أدم أبي إياس حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس إبن مالك رضي الله عنه، قال لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له، إنهم لن يقرؤا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه محمد رسول الله فكأنما أنظر إلى بياضه في يده"(البخاري. 1998)، وكان النقش فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، رسول سطر، الله سطر، وإنما كانوا الملوك لا يقرؤون الكتاب إلا مختوماً خوفاً من كشف أسرارهم، وللإشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم(الزرقاني. 1996).

وكذلك من الأزمات التي واجهها النبي ﷺ في العلاقات مع الدول الكبرى هى ديانات وعقائد الملوك، ولإدارة هذه الأزمة روعي في الرسائل التي وجهت إلى الملوك، بما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، والأخلاقيات التي يمتازون بها، فلما كان هرقل والمقوقس يدينان بألوهية المسيح جزئياً أو كلياً، وكونه إبن الله، جاءت في الكتابة، كلمة عبدالله، فيبتدئ الكاتبان بعد التسمية بقوله: [من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم](مسلم. 1998) وبقوله: [من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط](ابن القيم. 1994)، بخلاف ما جاء في كتابه ﷺ إلى كسرى أبرويز، فاكتفى بقوله: [من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس](ابن القيم. 1994)" (الندوي. 1989).

وفي هذه الأزمة نلاحظ أن من أسبابها هو أن المسلمين كانوا محاطون بدول كبرى، ولكل دولة لغة وثقافة، وكان من الضروري أن تكون هناك علاقات معهم لنشر الدين، وللتَّبادل الإقتصادي والتعامل السياسي معها؛ ولإدارة هذه الأزمة كاتب النبي ﷺ الملوك وأرسل الرسل بالرسائل يدعوهم للإسلام، ولكي يكون المُرسَل ذو أهمية وتأثير فقد اختار ﷺ الرسل بمواصفات حسنة ومميزة، كذلك كان الملوك لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً، ولهذه الأزمة اتخذ ﷺ خاتماً وعليه ختم باسمه؛ وأما إدارته ﷺ لأزمة تعدد ديانات وعقائد الملوك، فقد راعا ﷺ في الخطاب بما يمتازوا به الملوك في عقائدهم التي يدينون بها، ليكون له القبول والإحترام لبلوغ الأهداف وتجاوز الأزمة.

5: النتائج والتوصيات.

5.1: النتائج.

1. مفهوم الأزمة وإدارتها:

- الأزمة: حدث مفاجئ يسبب اضطراباً في النظام ويستدعي تدخلاً سريعاً.
- إدارة الأزمة: هي عملية التغلب على الأزمة باستخدام أدوات التخطيط واتخاذ القرار المناسب لتجنب السلبيات وتحقيق الأهداف.

2. نجاح النبي ﷺ في إدارة الأزمات الاقتصادية:

- زراعياً: شجع النبي ﷺ على الزراعة، ونظم علاقات العمل، وعقد اتفاقيات "المزارعة" مع اليهود لاستثمار خبراتهم.
- تجارياً: أنشأ النبي ﷺ سوقاً إسلامياً مستقلاً، ووضع تشريعات تحرم الغش والاحتكار، وشجع على الأخلاق والصدق في التعامل.
- صناعياً: حث النبي ﷺ على إتقان الحرف والصناعات المحلية (كالبناء والنجارة) لتحقيق الاكتفاء ومكافحة الفقر.

3. نجاح النبي ﷺ في إدارة الأزمات السياسية:

- الوحدة الداخلية: وقع النبي ﷺ "دستور المدينة" لتنظيم العلاقات بين جميع الطوائف وتثبيت قيادته السياسية.
- الحكم الرشيد: أسس النبي ﷺ نظاماً للحكم قائماً على العدل والمسؤولية المتبادلة بين الحاكم والمحكوم.
- المركز السياسي: جعل النبي ﷺ من المسجد النبوي مركزاً للعبادة والإدارة والشورى.
- العلاقات الخارجية: أرسل النبي ﷺ رسائل ورسلاً إلى ملوك الدول المجاورة، مراعياً في خطاباته خلفياتهم الثقافية والدينية.

5.2: التوصيات.

1. ضرورة توسيع الاهتمام الأكاديمي بدراسة السيرة النبوية في مجال الإدارة والأزمات، وتضمينها ضمن المناهج الجامعية والبرامج البحثية.

2. تطوير دراسات تحليلية مقارنة تربط بين الإدارة النبوية للأزمات والنظريات الإدارية المعاصرة، للاستفادة من عناصر القوة في النموذجين.

3. تبنّي معايير الحوكمة والشفافية المستمدة من التجربة النبوية، بما يسهم في ترسيخ العدالة وتعزيز ثقة المجتمع في مؤسساته عند إدارة الأزمات.

6: قائمة المصادر والمراجع والبحوث والمجلات.

6.1: قائمة المصادر.

– القرآن الكريم.

– إبن القيم، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. 1994. زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة السابعة والعشرون، مؤسسة الرسالة– بيروت. لبنان.

– إبن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. 1994. لسان العرب، دار المعارف– مصر.

– البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل. 1980. الجامع الصحيح، الطبعة الأولى، المطبعة السلفية ومكتبتها– القاهرة. مصر.

– البخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل. 1998. صحيح البخاري، بيت الأفكار للنشر والتوزيع–الرياض. السعودية.

– البزار، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي. 1988. مسند البزار، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة. السعودية.

– الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. 1997. سنن الترمذي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الرياض. السعودية.

– الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد. 2009. الصِّحاح، دار الحديث– مصر.

– الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام. 2000. سنن الدارمي، الطبعة الأولى، دار المغنى للنشر والتوزيع– الرياض. السعودية.

– الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. 1986. مختار الصحاح، مكتبة لبنان– بيروت. لبنان.

– الزرقاني، محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف. 1996. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العلمية– بيرت. لبنان.
– السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث. 2004. سنن أبي داود، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الرياض. السعودية.
– الفارسي، الأمير علاء الدين علي بن بلبان. 1993. صحيح إبن حبان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة– بيروت. لبنان.
– القزويني، أبي عبد الله محمد بن يزيد. 1997. سنن إبن ماجه، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الرياض. السعودية.
– المعافري، أبي عبدالله بن هشام. 2011. السيرة النبوية لإبن هشام، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع– لبنان.
– النسائي، أبي عبدالرحمن بن شعيب. 2016. سنن النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع– السعودية.
– النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. 1998. صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع–الرياض. السعودية

6.2: قائمة المراجع.

– إبن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي الكتاني العسقلاني. 1909. الإصابة في تميز الصحابة، دار الكتب العلمية–بيروت. لبنان.
– أحمد، مهدي رزق الله. 1992. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية–السعودية.
– البدراوي، رشيد. 1996. قصص الأنبياء والتاريخ.
– الجزائري، أبي بكر جابر. 2006. هذا الحبيب، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة–السعودية.
– الصلابي، علي محمد. 2006. السيرة النبوية ووقائع وتحليل أحداث، الشبكة الليبية.
– الصيرفي، محمد. 2008. إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع–مصر.
– العمري، أكرم ضياء. 1994. السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة السادسة، مكتبة العلوم والحكم–السعودية.
– العيدروس، محمد حسن. 2001. الدولة الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث–مصر.
– الغضبان، منير محمد. 1990. المنهج الحركي للسيرة النبوية، الطبعة السادسة، مكتبة المنار–الأردن.
– الكرمي، حافظ أحمد عجاج. 2007. الإدارة في عصر الرسول، الطبعة الثانية، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة.
– الندوي، أبو الحسن علي الحسني. 1989. السيرة النبوية، الطبعة الثامنة، دار الشروق للنشر والطباعة–السعودية.
– جاد الله، محمود. 2010. إدارة الأزمات، دار أسامة للنشر والتوزيع– عمان. الأردن.
– عبابنة، عمر يوسف عبدالله. 2011. الأزمة المالية المعاصرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع– عمان. الأردن.
– عرموش، أحمد راتب. 1991. قيادة الرسول السياسية والعسكرية، الطبعة الثانية، دار النفائس للطباعة والنشر– لبنان.
– محمد، السيد السعيد عبدالوهاب. 2006. إستراتيجيات إدارة الأزمات والكوارث دور العلاقات العامة، الطبعة الأولى، دار العلوم للنشر والتوزيع– مصر.
– هاشم، أحمد عمر. 1994. في رياض السيرة النبوية في العهد المدني، مصر للطباعة والنشر– مصر.

6.3: قائمة البحوث والمجلات.

– الجمل، صديقة محمد سليمان. 2008. الهدى النبوي في إدارة الأزمات الإجتماعية العامة. رسالة ماجستير. كلية الدراسات العليا–الجامعة الأردنية.

– الشلوي، فهد بن ناجي. 2008. دور التربية الإسلامية في مواجهة الأزمات من خلال السيرة النبوية. رسالة ما جستير. كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة–جامعة أم القرى.

– اليازجي، صبحي رشيد. 2011. إدارة الأزمات من وحي القرآن الكريم. سلسلة دراسات إسلامية. الجامعة الإسلامية–غزة.

– حياتي، عمر أحمد المصطفى ودفع الله، عبدالقادر محمد أحمد. 2015. المنهج النبوي في إدارة الأزمات صحيفة قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبدالمطلب نموذجاً، دراسة موضوعية–المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب. المجلد31، العدد(62)3، 40 الرياض.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 81-120, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/1qcn2m79

Research Article

Open Access

دور اللغة السـردية في تشـخيص البطل المغترب بين مجموعتي "موت سـرير رقم 12" لغسان كنفاني و"مصلاي الصغير" لهوشنغ غلشيري

بثينة شموس[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم اللغة العربية ، جامعة طرطوس، سورية.

المستخلص: يعد التشخيص من أهم الأمور التي تحكم على نجاح القصة في تقريبها للواقع، ونظراً لأن الاغتراب ظاهرة اجتماعية زاد ظهورها في شخصيات العصر الحديث فقد كان الاعتماد على بيانه في بناء الشخصية أمراً يعين براعة الكاتب ويبدي الخلل الاجتماعي الذي أسفر عنه، ومن أهم الكتاب الذين تطرقوا للبطل المغترب في قصصهم الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني والكاتب الإيراني هوشنغ غلشيري. عملنا وفقاً للمنهج المقارن على مقارنة دور اللغة السردية في تشخيص البطل المغترب في قصص مختارة من مجموعتي: موت سرير رقم 12 للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، ومصلاي الصغير للكاتب الإيراني هوشنغ غلشيري، وكان مما وصل إليه البحث أن الأوصاف والمفردات والصور الفنية التي استخدمها الكاتبان عرّت اغتراب الأبطال وارتبطت بالوطن أو بالغربة، وبيّن البحث أن الحوار انسجم مع الروح المغتربة، فكان أحادي الجانب في قصص كنفاني بما يظهر عزلة البطل، وهادفاً إلى إثبات الذات في مصلاي الصغير، ومبيناً لهشاشتها وانهزاميتها في "المعصوم الرابع" وغيرها من النتائج التي سنتبين منها في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: اللغة السردية، التشخيص، البطل المغترب، غسان كنفاني، هوشنغ غلشيري

[1]***Corresponding author:**
Buthaina Shemous
b.shemous@gmail.com
Department of Arabic language, University of Tartous, Tartous, Syria.

Received:
12/02/2026

Accepted:
09/03/2026

Publish online:
30/04/2026

The Role of Narrative Language in Characterization the Alienated Hero between the two Collections of “Death of Bed No. 12” by Ghassan Kanafani and “My Little Chapel” by Hushang Golshiri

Abstract: Characterization is one of the most important aspects of a story's success, ensuring it closely matches reality. Given that alienation is a social phenomenon increasingly prevalent in modern-day characters, emphasizing it in character development enhances the author's skill and exposes the social dysfunction it has led to. Among the most prominent authors who have explored the alienated hero in their stories are Palestinian author Ghassan Kanafani and Iranian author Houshang Golshiri. This study, based on the comparative approach, compared the role of narrative language in characterizing the alienated hero in selected stories from the collections: Death of Bed No. 12 and My Little Prayer Room, by the two aforementioned authors. The research concluded that the descriptions, vocabulary, and artistic images used by the two authors showed the alienation of the heroes and were linked to the land or to alienation. The research showed that the dialogue was in harmony with the alienated spirit, and was one-sided in Kanafani's stories, showing the isolation of the hero, and aiming to prove the self in "My Little Prayer", and showing its fragility and defeatism in "The Fourth Infallible" and other results that we will discover in the study.

Keywords: Narrative Language, Characterization, Alienated Hero, Ghassan Kanafani, Houshang Golshiri

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

1. المقدمة

شــكّل الاغتراب ظاهرة عانت منها المجتمعات البشــرية بعد التقدم التكنولوجي، وهو ما انعكس في الأدب، فحل البطل المغترب كبطل معضــل محل البطل الحقيقي، وقد رأينا هذه الظاهرة بكثرة في أدب المجتمعات الشــرقية، وانطلاقاً من كون القصة القصيرة قصة البطل العادي أو الإشكالي فقد كانت مسرحاً لظهور الأبطال المغتربين، ولهذا عمدنا إلى دراسة ظاهرة الاغتراب في قصص كاتبين شهيرين في مجتمعين مختلفين والمقارنة بينهما، ولكن دراســة الاغتراب لم تكن عامة، بل كانت مختصــة بالطريقة التي تمكنت فيها اللغة الســردية من عكســها في القصــص، أي كان التركيز على دور اللغة الســردية في تشــخيص البطل المغترب في قصــص مختارة من مجموعتين قصصيتين، هما: "موت سرير رقم 12" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، و"نمازخانه كوچک من: مصلای الصغير" للكاتب الإيراني "هوشنگ گلشيری: هوشنغ غلشيري"، وذلك بعد دراسة الأسس النظرية التي قام عليها البحث كما سنرى.

1.1. المنهجية

قامت هذه الدراسة وفقاً للمنهج المقارن بالاعتماد على أسس المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، على معرفة دور اللغة السردية في تشخيص البطل المغترب في مجموعتي: "موت سرير رقم 12" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، و"نمازخانه كوچک من: مصلای الصغير" للكاتب الإيراني "هوشنگ گلشيری: هوشنغ غلشيري"، وقد بدأت بمقدمة تضمنت المنهجية والدراسات السابقة والأسئلة التي تطمح الدراسة للإجابة عليها، ثم أتت الدراسة النظرية لتعريف كل من الشخصية والتشخيص، واللغة السردية بعناصرها كافة، كالوصف والحوار والمونولوج، وثم عرفنا البطل المضــاد الذي يشــمل البطل المغترب، وعرفنا الاغتراب وذكرنا مسـبباته وعلاماته قبل الانتقال إلى الدراســة التطبيقية، وفي الدراســة التطبيقية درســنا قدرة اللغة الســردية على تشــخيص البطل المغترب في مجموعة "موت سـرير رقم 12" أولاً، واخترنا منها القصـص: "البومة في الغرفة البعيدة، وشــيء لا يذهب، ولؤلؤ في الطريق، والعطش"، ثم انتقلنا إلى مجموعة "مصــلاي الصــغير" واخترنا منها قصــتين: "مصــلاي الصــغير والمعصــوم الرابع"، ثم انتهينا بدراســة مقارنة ونتائج قبل الختام بثبت للمصــادر والمراجع، ولا بد من الإشــارة إلى عدة أمور في المنهجية، أولها أننا اخترنا قصــصــاً يتحقق فيها اغتراب مكاني للبطل في القصــتين، وثانيها أن اختلاف عدد القصص المدروسة عند كنفاني عنه عند غلشيري يعود إلى اختلاف طول القصص لدى الكاتبين، وهو أمر ملحوظ في مجموعتيهما، وقد أكثرنا القصــص المدروســة لدى كنفاني لتتعادل دراســتها مع قصــص غلشـيري في الطول في هذا البحث، ولئلا يكون عدم تناسـب الصـفحات المخصـصـة لكل منهما مثيراً للانتقاد، ومما تجب الإشارة إليه أيضاً أننا لسنا نعنى –هنا– بالوقفة الوصفية التي تعني إبطاء زمن القصة، أي تلك التي تتعلق بالزمن السردي، بل نقصد باللغة تلك التي غلفت بالوصف بقية العناصر، كالزمان والمكان والشخصيات والأحداث، وحين نتحدث عن الوصــف لن ندخل في تفاصــيله فيما إذا كان يبين انفعالاً داخلياً أو ممهداً للحدث

أو دالاً عليه، بل سنتناول الوصف واللغة بما دلّا به على الاغتراب فقط في رؤية تحليلية مقارنة، وسنعدل عن اختيار اللغة السردية المرتبطة مباشرة بالزمن السردي أو الفضاء إن اختصت بأحدهما فقط، فقد خصصنا لذلك بحثاً مستقلاً.

1.2. خلفية الدراسة

لم نجد دراسات تمس لب بحثنا في القصص الراهنة لدى كنفاني، ولكن وجدنا دراسات عامة تهتم بالسرد لديه دون أن تركز تلك الدراسات على القصص المختارة في بحثنا من جهة، ولا على اللغة السردية وتوظيفها لتشخيص البطل المغترب من جهة أخرى، ومن أمثلتها مذكرة: "البنية السردية في القصص الفلسطيني، غسان كنفاني نموذجاً" في قسم اللغة العربية- كلية الآداب- الجامعة العراقية في بغداد، للباحثة لبنى عبد العزيز الغصين، بإشراف د. جبير صالح القرغولي للعام الدراسي (2019- 2020م)، التي ورد في مقدمتها أنها درست اللغة في القصص الفلسطينية بالتركيز على الكاتب غسان كنفاني، ومع أنه لم يُتح لنا الاطلاع إلا على مقدمتها لكن يمكننا الجزم بأنها لم تدرس دور اللغة في إبراز اغتراب البطل لدى الكاتب، ناهيك عن أنها ربما لا تكون قد تناولت القصص التي تناولناها في دراستنا. أما فيما يتعلق بالموضوع عند هوشنغ غلشيري فوجدنا مقالة: "روايت¬شناسى سه داستان كوتاه هوشنگ گلشيرى: السرد في ثلاث قصص لهوشنغ غلشيري" (1395هـ.ش) للباحثتين: نرجس شيخ وشيرين خرمالي، منشورة في المؤتمر الحادي عشر لترويج اللغة الفارسية وآدابها في جامعة غيلان، والتي ورد فيها مرور بسيط على الشخصية الرئيسة في قصة "مصلاي الصغير" التي وردت في بحثنا، وتكلمت عن حبكة القصة، لكن الدراسة لم تتناول اللغة، ولم تركز على أي عنصر غير الحبكة، كما أنها لم تتناول شيئاً عن اغتراب الشخصية، فهي لا تقترب من دراستنا كثيراً أو قليلاً، وهناك مقالة: "تفاوت نوشتار مردان وزنان در آثار غزاله عليزاده وهوشنگ گلشيرى بر اساس رابطه¬ى زبان وجنسيت: الفرق بين كتابة الرجال والنساء في أعمال غزاله عليزاده وهوشنغ غلشيري بناءً على علاقة اللغة والجنس" (1397هـ.ش.) للباحثين: محمد تقي جهاني ومهناز حاتمي، منشوره في العدد الثالث من الدورة الخامسة في مجلة "دوفصلنامه تخصصى مطالعات داستانى: مجلة متخصصة في الدراسات القصصية"، إذ يبدو أن الباحثين درسا لغة الكاتب غلشيري كونه رجلاً لمقابلتها بكتابة كاتبة أنثى، ولكن الدراسة ركزت على إحصاء مفردات معينة كالألوان والألفاظ العاطفية والألفاظ النابية وغيرها لدى الكاتبين لبيان مدى استخدام الرجال والنساء لهذا النوع من الألفاظ، كما أنها جعلت الدراسة محصورة في ثلاث روايات لغلشيري تختلف عن القصص المدروسة، فالمقالة لا تقترب بشكل أو بآخر من مقالتنا الراهنة. وعليه؛ نرى أنه لا يوجد دراسات سابقة تناولت الموضوع المطروح، لذا فأهمية الموضوع تكمن في جدّته من جهة، وفي الإضاءة على العيوب الاجتماعية التي انعكست على الفرد في المجتمعين من خلال أدبيهما.

1.3. أسئلة الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤالين الآتيين:

كيف برز دور اللغة السردية كسرد وحوار وتكرار وأوصاف وصور في قصص مجموعتي "مصلاي الصغير وموت سرير رقم 12" في إظهار اغتراب الشخصيات الرئيسة؟

ما هي نقاط التشابه والاختلاف بين الكاتبين غسان كنفاني وهوشنغ غلشيري في لغتهما السردية التي ساهمت في تشخيص البطل المغترب في القصص المذكورة؟

2. الدراسة النظرية

2.1. الشخصية والتشخيص

الشخصية هي كائنات أو شخوص مصطنعة في القصة أو الرواية (ميرصادقي، 1394هـ.ش: 122)، وهناك عدة طرق لمعرفة الشخصية الروائية، منها: الدافع، وهو ما يعرف بأنه ما يمنح القيمة الأخلاقية للأفعال التي تقوم بها الشخصيات، فليست الشخصية عبارة عما تقوم به من أفعال، بل ما تنوي أن تقوم به، وماضي الشخصية ونمطها وعاداتها ومُثلها ومقدراتها وإمكانياتها وعللها الجسمية، إذ تؤدي إلى تغيرات في مسير الشخصيات (كارد: 1387هـ.ش: 18- 32)، والتشخيص هو خلق الشخصية أو رسمها، وهو منهج يقدم به المؤلف شخصياته في القصة أو المسرحية، وقد يكون بوصف الشخصية وصفاً دقيقاً وهي الطريقة المباشرة أو التحليلية، أو من خلال أحداث الرواية نفسها وتفاعل الشخصية معها وهي الطريقة غير المباشرة أو التمثيلية (وهبة والمهندس، 1984م: 162؛ أمين، 2012م: 110/1)؛ في الطريقة الأولى يشكل الكاتب بناء الملامح الخارجية للشخصية؛ وفي الثانية تُشكل الملامح الداخلية للشخصية عن طرق تداعي الأفكار أو النجوى الذاتية (ميرصادقي، 1394هـ.ش: 125- 132)، أي يمكن للتشخيص أن يكون على عدة مستويات سردية أو وصفية يمكن إجمالها في الوصف، أي ما توصف به الشخصية، سواء أكان وصفاً ذاتياً بما تقدمه الشخصية من أوصاف غيرها، أو وصفاً غيرياً، بما يقدمه السارد أو الشخصيات الأخرى من أوصاف عن الشخصيات الموصوفة، والحكي أي ما تفعله الشخصية من أفعال، والحوار أي ما تقوله الشخصية والمونولوج أي ما تفكر به الشخصية بما يعرف بالخطاب الذاتي (بوعزة، 2010م، 40- 41؛ أمين، 2012م: 125- 128)، كما يمكن أن يُعتمد في صيغة تقديم الشخصية على الملفوظات السردية كصيغة الأفعال في تقديم الشخصية أو الصفات، إذ تقدم هذه الملفوظات معلومات ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة لا تحتاج إلى استنباط أو تأويل (بوعزة، 2010م، 42)، وعادةً تقاس براعة الكاتب بمدى نجاحه في رسم كل شخصية وتمييزها بسمات خاصة، وهو ما يقتضي منه الالتفات إلى ثلاثة أمور: التكوين الجسمي والملامح البارزة في الشخصية، والتكوين الاجتماعي، وهو ثقافتها والبيئة التي تتحرك، والتكوين النفسي والطابع المميز للشخصية (محمد، 2011م: 296- 297؛ بوعزة، 2010م، 40).

2.2. اللغة (السرد والوصف والحوار)

يعرّف السرد بأنه نقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية تجعل القارئ يتخيلها وكأنه يراها بالعين (محمد، 2011م: 299)، وأساس السرد اللغة، إذ يقوم العمل الروائي على نشاط اللغة الداخلي (مرتاض، 1998م: 106)، لأن عدم امتلاك ناصية اللغة يوقع الروائي في خطر (كوك، 1994م: 236)، فاللغة تقوم مقام العدسة وتكشف جوانب مختلفة في الموضوعات (الكردي، 2006م: 164)، وهي كائن اجتماعي حضاري ينمو ويتطور بتطور المستعمِل وبتطور ثقافة المتلقي ومعرفته (مرتاض، 1998م: 107)، ولكن الاهتمام في العمل الأدبي ينصب على اللغة كملفوظ، أي في الخطاب، وهي المحملة بالقصدية والوعي والتي تبتعد عن دلالة المعجم لتحتضن معاني المتكلمين داخل الرواية (باختين، 1987م: المقدمة 16)، فالمشاهد التي تقدمها اللغة في الرواية لا تأخذ مكانتها القصصية إلا بقدر ما ينبغي أن تكون صدى لحقيقة في الواقع (كوك، 1994م: 239)، أي إن اللغة صفة تختص بالمتكلم كما فرضها النقد منذ القدم (راضي، 2003م: 110)، واللغة المعنية في القص أو الروايات هي لغة السياق، وهي لغة تتميز بالتكثيف والإيجاز والإيحاء (حافظ، 1982م: 31) ومن أشكال اللغة الروائية: لغة النسج السردي التي تشكل الشكل المستبد باللغة الروائية، وتتجسد وظيفتها في تقديم الشخصيات ووصف المناظر والأحياز، واللغة الحوارية، وهي التي تقع معترضة بين المناجاة واللغة السردية، ولغة المناجاة (مرتاض، 1998م: 116- 118). أما الحوار -كركن في النسج السردي- فهو حديث الأشخاص، وفائدته جعل القارئ أكثر قرباً من المواقف، وبعث الحيوية في المشهد، وهو أمر مكمّل، فالاعتماد يكون أساساً على السرد (محمد، 2011م: 299)، فأهم وظائفه التخلص من جمود الأسلوب الأدبي، وكشف التعاطف بين الشخصيات، وتنويع وجهات النظر، وتحويل الشخصية إلى شيء موضوعي، وتعبير الشخصية عن نفسها بصورة لا توفرها التقنيات الأخرى وتأكيد الواقعية في الرواية وترابطها (زيتوني،2001م: 82- 83)، ويفترض فيه أن يكون بلغة الشخصيات، أي أن يكون بناء لغتها بناء واقعياً يعكس ثقافتها وبيئتها، فمنطق كل شخصية يجب أن يتوافق مع ما تنطق به من عبارات، إذ يُظهر الفروق الفردية الدقيقة بين الشخصيات في طريقة التفكير وأسلوب التعبير (زيتوني،2001م: 82؛ وادي، 1994م: 45). أما المناجاة -كركن في النسج السردي- فهي حديث النفس ونجواها، وهي لغة حميمة تندس ضمن اللغة العامة المشتركة بين السارد والشخصيات وتمثل الحميمية والصدق والاعتراف والبوح (مرتاض، 1998م: 118- 120؛ وادي، 1994م: 46)، وغالباً ما يشكل المونولوج الداخلي أو المناجاة تكنيكاً في تيار الوعي يستخدم لتقديم المحتوى النفسي والذهني للشخصية ويصورها على نحو دقيق وواقعي، لسبر الإنسان من الداخل (همفري، 2000م: 22- 37).

ومن أركان النسج السردي أيضاً الوصف، إذ يشكل جزءاً من اللغة السردية، وإن كان بعض النقاد قد عدوه زمناً ميتاً أو مبطّئاً لحركة المسار السردي (مرتاض، 1998: 249؛ محفوظ، 2009م: 42)، وقد وُصف بأنه دخول من عمل السارد والقارئ وحدهما، أما ممثلو المشهد فيتفرغون أن تنفصل الحكاية بالعودة إليهم وإعادتهم إلى

الحياة حتى يستأنفوا مشاغلهم (جينيت، 1997م: 113) وعرّف بأنه أسلوب يتخلل العمل القصصي كله، ويمهد له الكاتب بعبارات المتحاورين (محمد، 2011م: 299– 300)، ويسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه (محفوظ، 2009م: 13) وهو ذو أهمية حيوية في العرض (فضل، 1998م: 295) وغالباً تعتمد بؤرة السرد الوصفي على أن الكلام يحمل رؤية خاصة هي الرؤية القولية، فالمتكلم أو السارد يقدم الأشياء أو الأحداث أو الأفكار أو الأزمان، لكنه خلال السرد يختار الكلمات ويوردها بطريقة تكشف عن زاوية معينة في الشيء المصور دون الزوايا الأخرى، أو عن معنى دون آخر، أو شيء خاص في الموصوفات (الكردي، 2006م: 162– 163)، وفي الوصف السردي يعبر عن كل حدث بعدد من الأفعال، فاختيار فعل معين هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث أو نوعية الوعي به، فيكون كل فعل عملية وصفية معادلة للعملية السردية (محفوظ، 2009م: 42– 43)، وغاية الوصف أن يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال أو لهيئة من الهيئات (مرتاض، 1998م: 245)، كما قد يكون منصباً على الشخصيات والأشياء والأماكن التي تنتمي جميعاً إلى سيرورة السرد الروائي (محفوظ، 2009م: 47)، وله وظيفتان: الأولى تجميلية، والثانية ذات طبيعة تفسيرية ورمزية معاً (فضل، 1998م: 294– 295)، ولا ينفصل عن الوصف الصور البلاغية، فحين تُستخدم اللغة في سياق أدبي يقصد بها اللغة الانزياحية، وقد شمل الانزياح الاستعارة أو الرمز (مرتاض، 1998م: 88 و107)، وسماه بعض الدارسين بالانحراف، انطلاقاً من الاعتقاد بأن اللغة الأدبية تنحرف عن المستوى العادي (راضي، 2003م: 534)، وعنوا به الصور البلاغية، لكن هذا لا يعني أن لغة القصة والرواية يجب أن تكون بلاغية بالضرورة (كوك، 1994م: 234 و236)، بل قد تكون لغة عادية، إلا أن احتمالية كونها بلاغية موجودة أيضاً، وهو أمر قد يبدو مستحبّاً بالنظر إلى تعريف القصة على أنها نوع أدبي يجب ألا يخلو أسلوبها من ومضة بلاغية في السرد والحوار (وادي، 1994م: 40)، والانحراف عن المثال في اللغة في كل صورها كانت المحور الذي دارت حوله المباحث الأساسية التي تشكل صلب النظرية العربية في اللغة الأدبية (راضي، 2003م: 294)، وعرّف –الانحراف أو الانزياح– بأنه خروج عن اللغة المعيارية على المستوى الدلالي، ويكمن في كسر مجموعة علاقات تقليدية تنشأ بين الكلمات خلال عملية استخدامها العادي ووضعها ضمن علاقات جديدة خاصة بالنص الأدبي (متولي، 2014م: 105)، بما يشكل إضافات فردية من جانب الأديب، فالمتكلم صاحب لمسة فنية زائدة على الاصطلاح (راضي، 2003م: 118– 119)، وعند الانحراف أو الانزياح قد تشير أية جملة إلى شيء محسوس أو مدرك (كوك، 1994م: 239)، ولكن انحرافها يرتبط بدوافع خاصة تتعلق بذات القائل أو موضوع القول (راضي، 2003م: 523) فلغة القصة مزاوجة بين لغة الشعر وما فيها من صور فنية، ولغة المسرح وما فيها من حوار (وادي، 1994م: 39).

2.3.تعريف البطل والبطل المضاد

تميز الروائي الحديث بتخليه عن شخصية البطل من أجل تصوير الناس العاديين في ظروف عادية، وهو ما يسمى بموت البطل (فوكس، 1994م: 187)، ومن هنا نشأ التفريق بين البطل والشخصية التي استند إليها القص ملغياً بذلك البطولة من اعتباره استجابة إلى مرض اجتماعي أصاب الحضارة الإنسانية كلها (مونسي، 2012م: 10– 13)، وقد أدى دور هذه الشخصية البطل المعضل أو المضاد أو الإشكالي أو الزائف على اختلاف المصطلحات التي استخدمت للدلالة على المدلول ذاته (زيتوني،2001م: 34؛ عثمان، 1982م: 92)، وهو – خلافاً للبطل الذي يمثل ذاتاً فاعلة مستقلة تسعى إلى تغيير العالم من حولها– يتميز بذات منفعلة يصنع منها العالم كائناً جديداً (زيتوني،2001م: 34)، ويتميز بأن صفاته الجسدية والمعنوية لا ترقى لكونه بطلاً، بل غالباً ما يكون رجلاً ضعيفاً أو ساذجاً أو مغفلاً بغية انتقاد المجتمع (زيتوني،2001م: 36)، فهو غالباً ما يؤتى به لإظهار مرض اجتماعي يؤدي إلى تلاشي البطل في المجتمعات الحديثة تحت ضغط عدة عوامل ثقافية واجتماعية (منصوري، 2013، 104– 107)، وغالباً ما تكون نمذجة الشكل الروائي ترتكز على رصد وعي البطل الإشكالي لعدم تلاؤمه مع العالم شكلين: أن يكون أوسع من العالم الخارجي المكون لأفعاله، أو أضيق منه (باختين، 1987م: المقدمة 12– 13)، كما أن فردية البطل وانغلاقه في دائرة الذات أو يأسه من تحقق الذات وضعفه في مواجهة واقعه المرفوض تشكل الأسباب التي تؤدي إلى تكوين سلبية البطل (منصوري، 2013، 98– 101؛ عثمان، 1982م: 96).

2.4.الاغتراب

الاغتراب مرادف للغربة والتغرب (رجب، 1965م: 23؛ أمعضشو، 2012م: 189)، وهو مقابل سلبي للانتماء (دحو، 2011م: 164؛ أمعضشو، 2012م: 193– 194)، ويعني ضياع الذات وسط المجتمع، وفقدان الجوهر الإنساني الاجتماعي، والانسحاق تحت وطأة إيديولوجية مناقضة لواقع فرد ما، وبتعبير آخر يعني وجود الفرد في مجتمع يشعر بأنه غريب فيه مستبعد (التونجي، 1999م: 1/ 114)، وقد تطورت المفردة دلالياً، بدءاً من الانتقال من المكان أو الانفصال عنه، وانتهاءً بدلالة العزلة والانسلاخ وعدم القدرة على الاندماج، ويمكن تتبع ذلك التطور بالاستقراء التاريخي للكلمة عبر المراحل التاريخية المتعددة التي شهدت انتقالها من حقل اللاهوت والفلسفة إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية (دحو، 2011م: 164)، وقد يكون مكانياً وزمانياً وروحياً ونفسياً، وثقافياً واقتصادياً وسياسياً ودينياً، كما يمكن أن يكون إرادياً أو قسرياً (أمعضشو، 2012م: 190؛ خليفة، 2003م: 82– 102)، وكثيراً ما يحمل إشارة إلى حالات تتعرض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو الضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع (خليفة، 2003م: 81)، فأشهر أنواعه الاغتراب الذاتي الذي يتولد عن شعور حاد بالتوتر والقلق وانعدام الثقة، والاجتماعي الذي يبرز في المجتمعات التي تسطو على الأفراد لتسلبهم فاعليتهم وحريتهم وإنسانيتهم (أمعضشو، 2012م: 195)، فيشعر فيه المرء بالبعد عن مجتمع لا

ينتمي إليه أو لا يحب الاختلاط بالناس فيه، فذاك مسبب لضياع ذاته وشخصيته الفردية (رجب، 1965م: 23)، ويكون الاغتراب النفسي والاجتماعي متعلقاً بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غربة وجفاء وفتور في علاقته بالآخرين (رجب، 1988م: 35)، ولعل من أهم العوامل المؤدية إلى الاغتراب البنية النفسية الفردية القابلة للاغتراب، واضطراب شخصية الفرد، وامتلاكه شخصية مهيأة لحال الانفصال عن الذات وعن الآخرين، وعوامل متعلقة بالنشأة الأسرية (سعد الدين، 2021م: 89)، وحدوث الاغتراب يفضح التناقضات الاقتصادية والاجتماعية ويكشف الممارسات السياسية (أمعضشو، 2012م: 195)، فقد تؤدي الظروف الاقتصادية والاجتماعية كالفقر والبطالة والفجوات الاجتماعية إلى حدوث عوارض تقود إلى الاغتراب، كالانسحاب والعزلة الرفض والتمرد والعجز وفقدان الانتماء أو الهدف أو المعنى أو المعايير والتشيؤ والتنافر الثقافي والعزلة الاجتماعية وغربة الذات (سعد الدين، 2021م: 90- 104؛ بركات، 2006م: 36)، فتشكل ما يعرف بالاغتراب الاجتماعي أو الذاتي، لكن الاغتراب السياسي يكون بسبب هيمنة الدولة على المجتمع مما يؤدي إلى سحقه (بركات، 2006م: 92).

2.5. التعريف بالكاتبين

2.5.1. غسان كنفاني

ولد في عكا عام 1936م، وانتقل بعد أحداث 1948 إلى سورية مع عائلته، وعمل مدرساً بإحدى مدارس وكالة غوث اللاجئين بأحد المخيمات، وتنقل بين الكويت وبيروت، وفي عام 1960 عمل صحفياً ومحرراً في جرائد يومية، وأصبح عضواً في المجلس الأعلى للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأصبح الناطق الرسمي باسمها حتى اغتاله الصهاينة في 8 يوليو 1972م (الزركلي، 2002: 119/5؛ دوارة، 1982م: 329).

2.5.2. هوشنغ غلشيري

ولد غلشيري في أصفهان عام (1316هـ.ش) وعمل فيها بالتدريس، وبدأ بنشر قصصه القصيرة في مجلات متفرقة، قبل أن يبدأ بطباعتها في مجموعات، له العديد من المجموعات القصصية والروايات، ويعدّ من أهم الكتّاب الإيرانيين المعاصرين. يتميز أدبه بقدرته على النفوذ في طبقات المجتمع واكتناه دواخل الشخصيات وعرض ما تعانيه من شكوك وحيرة وصراعات، وقد كان مؤسساً مشاركاً للدائرة الأدبية المعروفة باسم "جُنگ اصفهان: سفينة أصفهان"، وله الكثير من القصص والروايات التي لاقت إقبالاً ملحوظاً في المجتمع الإيراني (ميرعابديني، 1380هـ.ش: 672- 698).

3. الدراسة التطبيقية، دور اللغة في تشخيص البطل المغترب

3.1.في مجموعة موت سرير رقم 12

تشكل هذه المجموعة واحدة من أبرز إنتاجات غسان كنفاني، وقد تميز أبطالها بكونهم ممثلين للعديد من العلل الاجتماعية التي يعاني منها الإنسان العربي عامة، والفلسطيني خاصة، ومن تلك العلل الاغتراب، الذي يمكن ملاحظته دون كثير عناء لدى شخصيات قصصه جلّها، ومن مميزات لغته فيها أنها كانت حاملاً للدلالات التي أراد الكاتب إبرازها عن طريق أبطال قصصه، وهو ما سندرسه في نماذج منها بالتركيز على دور اللغة السردية في إبراز اغتراب الشخصيات.

3.1.1. البومة في الغرفة البعيدة

تتكون القصة من قصتين متداخلتين إحداهما إطارية تعود إلى حاضر البطل المغترب، وما يعانيه من غربة في غرفة بعيدة، إذ يرى صورة لبومة في مجلة، فيقتصّها ويلصقها على الجدار، لكنها تطالعه بعينين غاضبتين فيتذكر ما حدث منذ أعوام في قصّة مضمّنة يرويها عن طريق الاسترجاع، ويذكر أنه ساعد جارهم في نقل صندوق عتاد وإخفائه في الحديقة حين دخل اليهود أرضهم، وشاهد حينذاك بومة في أعلى الشجرة تنظر إليه بالعينين ذاتهما نظرة ملؤها لحظة الاختيار بين المواجهة أو الهرب، وما إن استفاقت الذكرى عاد إلى حاضره وإلى صورة البومة وقد امتلأت نظرتها شفقة عليه.

أول ما تبديه القصة إلصاق صورة البومة على الجدار، وقد أبدى السرد أن هذا الحدث ليس عبثاً، بل جاء معبراً عن مقدار ما تشعر به الشخصية من حاجة إلى أليف، حتى ولو كان صورة، وهو ما ظهر عن طريق ما داخَلَ الحدث من مناجاة عرت الموقف والقصد من الحدث من جهة، وما تبع تعليق الصورة في بيان الراوي من جهة أخرى، فما داخَل الحدث شارك في إظهار اغتراب الشخصية في جانبين: خفوت الصوت؛ إذ لا يعلو مع صوت الراوي صوت طرف آخر يكسر رتابة السرد في حوار حتى وإن كان قصيراً في الفضاء المتعلق بالحاضر الذي اقترن بالغربة، حتى صوت الراوي الخافت لم يسمع على امتداد القصة إلا في مناجاة خافتة تبدأ منه وتنتهي إليه، وثانياً في مضمون تلك المناجاة، إذ يقول: "قلت في نفسي وأنا أشد بصري إلى صورة البومة الرائعة: <يجب أن تعلق هذه الصورة على حائط ما، فذلك يكسب الغرفة بلا شك شيئاً من الحياة والمشاركة>" (كنفاني، 2014م: 11- 12). يمكن الاعتقاد في البداية أن ما في هذا المقطع نجوى ذاتية رددها البطل في سريرته، لكن ما حاجة المرء ليعلل أعماله لنفسه أو ليبررها؟ إن بقية العبارة: "فذلك يكسب..." تشكل شرحاً ما لتبرير إلصاق الصورة، وهو ما يفعله المرء عادة مع الآخر، وقد عرى لنا الموقف هنا أن انشطاره الذاتي بلغ حداً جعله لا يتردد في معاملة نفسه كالآخر مفضياً بنا إلى فهم غربته المريرة، كما أن مضمون الكلام يظهر أنه لا يبغي من الصورة إلا إيجاد أليف يكسر رتابة الموقف ويخلق حياة ومشاركة في مكان يحمل نقيض ما يبحث عنه الراوي:

الموت والوحدة والغربة. وأما ما تبع الحدث ففي قوله: "ألصقت الصورة بالفعل على الحائط المقابل للسرير، وأطرتها بورقة بنية كي تنسجم مع الحائط بشكل من الأشكال" (السابق: 12)، فاختيار اللون البني للإطار يفضح القصد الداخلي في خلق الائتلاف الذي أُكِّد بالكلمات أيضاً، ويكشف الحالة الداخلية في سعيه ما بمقدوره لإبعاد التنافر الذي يعكس داخله، ولخلق الانسجام الذي يطمح إليه مع المحيط، فالوصف هنا "ورقة بنية" تآزر مع الحدث وأكمله مظهراً كم ساهم الحدث في تشخيص اضطراب شخصية البطل المغترب وزعزعتها. من جانب آخر فإن محاولة التأطير بحد ذاتها دليل على السعي والرغبة في إظهار حدود واضحة للأشياء تلمّ شتاتها، وهو تماماً ما يحتاج إليه البطل في وجه، ويعكس مدى شعوره الحاد بالتشتت والغربة في الوجه الآخر. هل يمكن الاعتقاد بأنه اختار اللون البني لجعل الإطار مستوحىً من الطبيعة، وكأنه إطار خشبي، أو ربما كأنه نافذة تجعله يطل من خلالها من عالمه الداخلي إلى عالم آخر فيه شخص أليف، خاصة إذا ما أخذنا بالحسبان رأي بعض الدارسين في أن اللوحة الغربية –منذ عصر النهضة– كانت مجازاً لفكرة النافذة، وأن إطارها لم يكن بقصد التأطير وحسب، وإنما تعميقاً بالمعية لفكرة النافذة وإطارها الخشبي، خاصة وأن موطن اللوحة هو ذاته فضاء النافذة وشرطها الوجودي: الجدار (بلال، 2023م: موقع متراس)؛ إن كان كذلك فستكون الصورة كشريك يرغب بالتواصل معه عوضاً عن العالم الخارجي، بشكل يبقى فيه في عالمه الداخلي فلا تفسده النافذة الحقيقية التي تشكل مواجهة بين عالمين، ويجد فيه أليفاً يسامره وينتهي من غربته معه.

من مميزات الوصف في القصة –أيضاً– تكراره في أمرين: الأول صوت البومة الحاد، والآخر عينا البومة؛ فتكرار وصف حدة صوت البومة له مبرراته في إفضاءاته الدلالية، وهو غياب صوت الراوي في الحوار على امتداد القصة –مع أمه وجاره ومع البومة– إذ لم نسمع إلا صوت المحاوِر الآخر حتى في القصة الأولى التي اختارته الصدفة فيها لأن يؤدي دوراً بطولياً كما سنرى، وبالمقابل حدّة صوت البومة في كل مرة ترك لها المجال الذي أكسبتها إياه الأنسنة دليل على أن الراوي –البطل المغترب– شخصية منفعلة تنتظر أن تؤمَر أو تُسأل، أما البومة –الشخصية النظيرة– التي لم تخضع لتغيير في قراراتها واختياراتها فسُمع صوتها حاداً في كل مرة، كقوله: "وفي اللحظة التي أسقطتُ فيها الصندوق بالحفرة سمعتُ صيحة حادة من أعلى الشجرة" (كنفاني، 2014م: 19)؛ وقوله: "وتخترق برعشتها الحية جمجمتي وتقول بصرير حادّ: أتذكر؟ لقد التقينا مرة أخرى من قبل" (السابق: 12– 13)؛ ومنه: "وينحدر من منقارها صرير حادّ: إيه أيها المسكين! هل تذكرتني الآن؟" (السابق: 20)؛ ومنه: "كانت شيئاً قد دخل إلى الغرفة العارية وإلى إحساسي، وتمزق الصمت الميت تحت الصرير الحاد الذي كان ما يزال ينحدر من المنقار الأسود المعقوف: لقد تقابلنا قبل الآن، أتذكر؟" (السابق: 13)، فالحدة في كل ما يتعلق بها بين انحدار الصوت وحدّة صريره وانعقاف منقارها تبين أمرين: حدة الانقلاب المفاجئ في اختياره الموت على الهرب كما أظهرت نهاية القصة، وطغيان حضور البومة على حضور الشخصية الأخرى–

الراوي، فالبومة صوت ضمير الراوي؛ صوت الشخصية التي يودّ الراوي لو كان ذاتها، وصورتها هي صورة البطل قبل أن تعيد الغربة تكوينه.

أما تكرار وصف عيني البومة فقد ورد في تسعة مقاطع على امتداد القصة، وقد أجمعت المقاطع الوصفية جميعاً على اجتماع الغضب واللحظة المصيرية لاختيار الموت أو الهرب في عيني البومة، ومن ذلك: "كان في العينين غضب وحشي، وكانت النظرة –مع ذلك– تحتوي خوفاً يائساً مشوباً بتحفز بطولي، وتشبه إلى حد بعيد نظرة إنسان خضع فجأة للحظة ما عليه أن يختار فيها بين أن يموت أو أن يهرب" (السابق: 12)؛ ومن ذلك أيضاً: "كانت لا تزال تحرك رأسها بتحذير إنساني عميق، وعلى إيماضة قنبلة بعيدة شاهدتُ في عينيها ذلك التحدي الخائف بعض الشيء، ولكن الصامد لضغط لحظة اختيار واحدة بين الفرار أو الموت" (السابق: 20)، إن الجمع بين الموت أو الهرب يبين أن أحد الاحتمالين اللذين طرحتهما البومة –الموت– مرافق للبطولة والبقاء في الوطن دون شك، والهرب لا يعني حينها إلا الاستسلام والخروج من الوطن، أي الغربة، وهو ما اختاره الراوي حينذاك، وتسبَّب –بناء عليه– بالغضب الموجود في عيني البومة. إذا ما دققنا في الاحتمالين لوجدنا ما وراء الكلمات غربة أعمق بكثير مما تفترضه الكلمات: لقد ساوى السرد بين الموت والبطولة والوطن، واختصرها جميعاً بكلمة الموت التي ستكون النتيجة الحتمية للبقاء في الوطن والبطولة، وعادلَ –أيضاً– بين الهرب والغربة والاستسلام، واختزلها بكلمة الهرب أحياناً والفرار أحياناً أخرى، لكن مفردة "الهرب والفرار" لا تطالعنا بأهمية الحدث والفعل أو المقصد بقدر ما تطالعنا بالنفور من المبدأ، فلو سماها خروجاً أو رحيلاً لما حمّل الفضاء – الوطن– الطابع السلبي والمعادي ذاته الذي حمله فرضاً وعنوةً باستخدام مفردة "الهرب أو الفرار". إن المحمول الدلالي الذي نضحت به الكلمة لم يدلنا فقط على الغربة، بل دلنا على سبب عميق يحتم تلك الغربة، وهو الفضاء المعادي، وبيّن –في الوقت ذاته– كون البقاء أشدّ خطراً من الرحيل بما يؤازره استخدام "الهرب" للخروج، والموت للبقاء. لقد أدى تكرار الوصف لعيني البومة دور اللازمة التي لم تكد تنتهي في مقطع إلا وتبدأ في الآخر لتشكل دليلاً على الغربة وتبريراً مبطَّناً لها. في سياق متصل نلاحظ أن الأوصاف التي يستخدمها الراوي لوصف صورة البومة تدلنا على أن لا وعيه يعمل جاهداً على ربط صورة البومة بالأرض والوطن، لكن الذكرى تقاوم أن تتضح: "العيون هي؛ لم تزل تطل غاضبة واسعة مغروسة في الوجه المفلطح العجيب، والمنقار المعقوف كنصل عريض لمنجل أسود لم يزل يطبق بعنف على ضرب من الاشمئزاز الساخر، والريش الرمادي الملون بحمرة وقحة يتجمع..." (السابق: 14)؛ العيون مغروسة والمنقار نصل منجل؛ استعارات تعود بنا إلى الأرض، والأرض تقودنا بدورها إلى الوطن، لكن لماذا اختار الغرس والمنجل؟ إن ما في الملفوظات من محمولات دلالية يودي بنا إلى النهاية، أي نهاية القصة التي استفاق الراوي فيها إلى خطأ اختياره عندما قرر الهرب والغربة منذ البداية، وأدرك أنه كان عليه اختيار المواجهة، وهو ما قرره إذ ما دققنا بتفاصيل الزمان بإشارته لطلوع الصبح، وما ظهر على وجه البومة من زوال الغضب وارتسام الشفقة، وهو ما تآزر في ألفاظ

المقطع السردي السابق –الغرس والمنجل– بمفضياتها الدلالية على حلول وقت الحصاد والنضج. إن نضج الثورة لا بد من أن يجنى، وهو ما تضعه البومة على عاتقه. من جانب آخر فإن اختلاط لون الريش بالرمادي والأحمر الوقح ليس إلا مزجاً بين اليأس والقتال، أو الهرب والمواجهة كما أكد على بيانه في كل مرة وصف فيها نظرة البومة، أي بين البقاء في الوطن والغربة.

فضلاً عما شهدناه في اختيار المفردات وفي الصور البيانية التي كان أولها أنسنة البومة، وتابعها تشبيه منقارها وعينيها أو الاستعارة لهما، تستوقفنا صورة أوردها الراوي في ذكرياته فاضحاً في سرده استشرافه لغربة لا قرار لها، إذ يقول: "كنا نشهد دون أن نقدر على الاختيار كيف تتساقط فلسطين شبراً شبراً، وكيف نتراجع شبراً شبراً" (السابق: 14– 15). يتناسب سلب الإرادة والعجز عن الاختيار مع ما أفضى إليه من نتائج التراجع المستمرة، ولعل أكثر ما يجعلها تترسخ حدوثها على مهل، فالتساقط لم يحدث دفعة واحدة، ولم يكن بسقطة واحدة، بل كان انجرافاً يسحب كل شيء ببطء إلى الهاوية، وهذه الرويّة تنبئ باستحالة الاستعادة، فلو حدثت مرة واحدة حتى لو كانت قاسية وعميقة لكان بالإمكان طمأنة النفس بأنها جولة وقد يكون بعدها جولات مضادة تعيد الأمور إلى نصابها والأشياء إلى مكانتها، لكن التساقط شيئاً فشيئاً إشارة موجعة إلى أن كل الجولات كانت انتكاسات، وأن الزمن أعطى الحدث مدة كافية للرسوخ والاستقرار ليصبح لا رجعة فيها، وهو المقياس ذاته الذي قِيس به التراجع، إذ حدث شبراً وشبراً إلى أن صار في الغرفة البعيدة بالقياس إلى المركز –فلسطين، ولهذا كان وصف الغرفة بالبعيدة في العنوان.

إن البومة استفاقة ضمير الراوي وبعثٌ لروح المقاومة لديه، فالسرد ينبئنا بما كان عليه الراوي وما آل إليه: "سقطت الذكرى بعد فترة مدوية صاخبة إلى رأسي، فأورثتني دواراً مفاجئاً، والتمعت خلال الضباب المتكاثف كل الأشياء التي ذكرتني بها البومة المخيفة" (السابق: 14). سقطت الذكرى فشعرَ بالدوار؛ إذن ليست تلك الذكرى سوى الراوي، أو بتعبير أدق: الوجود الحقيقي للراوي، وإلا فلماذا يشعر بالدوار حين تسقط؟ يبلغنا السرد بطريقة عفوية أن الراوي يدرك تمام الإدراك أن وجوده الحقيقي كان في ذلك الحين –حين حدوث الذكرى– أي إنه معادل للذكرى التي التمعت وسط ضباب الحاضر– الغربة، معيدةً إياه إلى الماضي– الوطن، وإذا تأملنا قليلاً فسنرى أن المدة الطويلة لاسترجاع هذه الذكرى من الطفولة كمرحلة عمرية اقترنت بالقرية، وما مورس فيها من مهمة ثورية في فضاء القرية في ماضيه على ما فيه من اتساع مقابل العودة القصيرة إلى الحاضر والغرفة الضيقة والأفعال الرتيبة؛ هذه المقابلة المثلثة بين فضاء القرية والماضي واتساع الحدث فيه وضيق الغرفة في الحاضر وضيق الحدث فيه تبدي الضيق الذي تعاني منه الذات ومحاولتها الدائمة للخلاص منه بالعودة إلى الفضاء المتسع والأحداث المتسعة فيحدث فيها انشطار يؤدي بدوره إلى اللاانتماء للحاضر وفضائه.

وعلى الوتيرة ذاتها يبدي لنا الحوار جانباً مهماً جداً من غربة البطل، فالقصة كاملة تتكون من قصتين إحداهما تشكل إطاراً للأخرى كما ذكرنا؛ في القصة الأولى –الإطارية– التي تحدث في الحاضر نلمح فتوراً في السرد وانعداماً للحوار، وخفوتاً في الأحداث يفضي إلى حدوثه في فضاء تنفصل فيه الشخصية عن محيطها، ولا تنخرط فيه، أي يعزز كونها في غربة ذاتية واجتماعية، أما القصة الثانية –المضمَّنة– فكانت في الوطن، تعود إلى ماضٍ منقطع، فنرى فيها تصاعداً في الأحداث وانفعالاً ظاهراً مردُّه إلى دخول اليهود إلى قرية الراوي، وتناوباً متواتراً للسرد والحوار بين شخصيات متعددة، منها الجيران والأب والأم، كدليل لا يخالطه الشك على ما في الفضاء من ألفة مع ما فيه من شجون، إلا أنه بعيد عن الغربة، وبما أن القصة من قصص العصف الذهني أو تيار الوعي، فإن صوت الداخل فيها مسموع دون شك، وقد قامت على إظهار منحنيين زمنيين؛ ماضٍ وحاضر لفضاءين مختلفين: قرية وغرفة بعيدة، واتضح في القراءة أن صوت الراوي لم يظهر إلا في مناجاته، ولم يسمع في حوار في أيّ من المنحنيين والفضاءين، فيمكن في القصّة المضمّنة أن نسمع صوت الجار: "صاح صوت العجوز جارنا راجفاً: افتحوا.. افتحوا" (السابق: 17) لكن حين يحين موعد الراوي للكلام نراه يصمت: "فتساءلت برأسي، وأتاني الجواب من فمه الأدرد: <هذه القنابل كان ابني المرحوم قد خبأها ها هنا> [...] فراودني شعور بالخوف بينما استمر الشيخ: <يوشك اليهود أن يدخلوا القرية [...]> وبدأ يحرك إصبعه في وجهي حركة تحذير: <أنت صغير وتستطيع أن تخترق الحديقة...>" (السابق: 17– 18). يتضح لنا أن الطرف الآخر ينتظر رداً من الراوي، وعندما لا يلقى الرد يتابع بمفرده، وهو ما شهدناه أيضاً في الفضاء الآخر المتصل بالحاضر، إذ كان يُسمع صوت البومة حاداً فيما يشبه الصرير دون أن تلقى رداً من الراوي، لكن الملاحظ أن حوارات البومة كانت كلها أسئلة أو عبارات انفعالية تعجبية، وكلها صادرة بصرير حاد كما رأينا في الشواهد التي طرحناها لبيان تكرار وصف صوت البومة، بما يبين نظرتها للراوي بين استغراب واستنكار لاختياره الفرار على الموت. لقد دلنا الحوار بدوره على شخصية البطل المغترب المنفعلة لا الفاعلة، وأكّد منذ البداية بقليل من الاستشراف أنه كان سيختار الفرار.

بناءً على ما مضى رأينا أن لغة الراوي في سرده اتسمت باستخدام مفردات معينة مختارة للدلالة على غربة قائمة أو متوقعة، وهو ما دعمته الصور البيانية التي استخدمها، وأكده الحوار بدوره.

3.1.2. شيء لا يذهب

عُرضت القصة عن طريق نجوى الراوي أثناء رحلة بالقطار تتجه إلى طهران، لوضع باقة ورد على قبر الشاعر عمر الخيام الذي كان يحمل كتاب رباعياته بين يديه، ويفتحه على رباعية مميزة بدائرة تكاد تمّحي مرسومة بقلم رصاص، خطّتها محبوبته القديمة التي كان يسميها ليلى وتسميه قيساً، وقد استرجع برؤية الرباعية ذكريات مريرة ترتبط بالمحبوبة، كاعتقالها تسعة أيام تركت أثرها على روحها، وحولتها إلى شخص آخر بعد الاعتقال

والاغتصـــاب على امتداد تلك الأيام، ومع ذلك اختارت المحبوبة أن تبقى وتقاوم ليبقى لها شـــيء لا يذهب، أما الراوي فهجر بلاده، وبعد مضـيّ أعوام قرر أن يضـع إكليل ورد على قبر الشـاعر عمر الخيام الذي أحبته ليلى كثيراً، ونقلت حبه إليه، وانتهت القصـة أثناء عبوره بالقطار من جانب مقبرة فيها شواهد لقبور كثيرة، فتسـاءل في نفسه إن كان قبر محبوبته يحمل شاهداً، مرجحاً بذلك أن تكون قد حققت حلمها بالوصول إلى ذاك الشيء الذي لا يذهب.

عمل السرد على إظهار باطن البطل وما يعانيه من هشاشة وعجز وضياع معنى الوجود وعدم انتماء الذات، وكلها من علامات الاغتراب، فظهر ذلك في الأوصاف والمفردات التي اختارها الراوي في بيان قصته، وفي الصور الفنية وفي الحوار والمناجاة، وهو ما سنبينه بالشواهد.

برز اغتراب البطل باختياره لمفردات وأوصـاف معينة بمحمولات معينة، إذ تآزر السرد في عناصـر القصـة لبيان ذلك الاغتراب، ومن ذلك قول الراوي: "فتحت على تلك الصـفحة دون أشـعر، فرائحة الطريق الطويل بدت مثيرة. كانت الدائرة المرسومة حول الرباعية بالقلم الرصاص تكاد تختفي. لقد مرت سنوات ثمانٍ على اليوم الذي رُسمت فيه هذه الدائرة، ورغم ذلك فأنا لن أنساها مطلقاً" (السابق: 23). يتفق الزمان والمكان والسرد في المقطع السابق في محاولات تبعيد الذكرى وتهميشـها؛ فالطريق طويل، والقطار الذي انطلق في بداية القصـة وشكّل مسرح الواقع وفضـاءه –عدا فضـاء الاسـترجاع– يعمل على قطع مسـافة زمانية ونفسـية تحقق تجاوزاً نفسـياً للماضـي وتقاس بالذاكرة أكثر منها مسـافة مكانية جغرافية تقاس بالأبعاد، ولكن القطار يفشـل في إفراغ محتواه الدلالي والوظيفي بنقله من عالم إلى عالم، فيبقى عالقاً بين عالمين: عالم الذات وعالم الآخر؛ عالم الماضي وعالم الحاضر، فيبدو وجوده إضـافياً مكملاً وعقيماً عاجزاً عن تحقيق الانفصـال الحقيقي بين العالمين، والدائرة المرسـومة تكاد تمّحي، والسـنوات الثمانية تمثيل معادل زمانياً للطريق الطويل مكانياً، والتي تحاول متعاضـدةً أن تجعل الدائرة تختفي ليتحرر، لكن عبثاً، فقد أقر بأنه لن ينسـاها مطلقاً. ليسـت الدائرة هنا إلا قيداً يؤطره فلا يسـتطيع منه فكاكاً. إن تقييده بالذكرى ربما كان الشـيء الوحيد الذي ما يزال يربطه بالوطن والمحبوبة، فقد أقرّ سـابقاً بأنه لم يفكر بأن يقاوم أو يحمل سـلاحاً، وأقر بأنه لم يصـمد وأنه خرج من بلدته قبل قصـفها، خلافاً للمحبوبة التي التزمت بصمودها، فتأطيره بذكرى دائرة تكاد تمّحي يدل على أنه لا يستطيع أن يتخلص بالكامل من ذلك الماضي، فهو أسير فيه غريب في زمانه.

من جانب آخر تظهر دقة اختيار الألفاظ من أجل بيان اغتراب الراوي الذي تمثّل بعجزه وتخليه وهشـاشـته فيما تعكسـه لنا نظرته لتجربة ليلى العنيفة في سـجن الاحتلال: "قبض اليهود على ليلى وهي تحاول القيام بعمل لم أتمكن من معرفته قط [...] اللحظة التي قابلتها فيها بعد عودتها من الهادار لم تزل راسـخة في ذهني. كنت أتوقع أن أراها تبكي أو ترتجف [...] ولكنني عندما رأيتها كانت هادئة هدوءاً مخيفاً. لم يعد في عينيها أي بريق؛

فقط وجه حزين صامت. قالت لي بصوت منخفض هادئ: <لقد ضاجعوني طوال تسعة أيام> لم أستطع أن أقول شيئاً، بل خيّل إليّ أنها قالت: <لقد كنتُ أصلي طوال تسعة أيام>" (السابق: 26– 27). يُظهر لنا المقطع السابق موقفين من الاعتقال: موقف الراوي وموقف ليلى؛ الراوي توقع من ليلى الهشاشة والاستسلام والعجز والانسحاب إذ توقع أن يراها تبكي وترتجف، أما الموقف الحقيقي الذي اتخذته ليلى فهو أنها كانت هادئة وصامدة. يفضح رأيه بمقابلتها لمصيبتها أنه إنسان لا يتدرّع الصمود في داخله، على العكس من المحبوبة تماماً، لكن زعزعته وتخليه يتناقض واللحظة التي رسمها موقفها في ذهنه: "اللحظة التي قابلتها فيها بعد عودتها من الهادار لم تزل راسخة في ذهني" (السابق: 26)، فرسوخ اللحظة لا يتلاءم مع البكاء والارتجاف اللذين كان ينتظرهما منها؛ إن ما رسخ في ذهنه موقف ليلى، لا التجربة المريرة التي مرت بها، وما ذلك إلا لعجزه عن اتخاذ موقف مشابه لها في صمودها، وهو ما أُكِّد مراراً على امتداد القصة بمواقف مختلفة، ومن ذلك –مثلاً– أن ليلى تصرّ على أنها لا تريد أن تفقد ماضيها الجميل، ولا أن تخرج من حيفا: "ليلى الحزينة البائسة بقيت في حيفا ورفضت أن تخرج منها، وقالت لجيرانها عندما أتوا ليجروها معهم أنها فقدت كل شيء ولا تريد أن تفقد ماضيها الجميل في حيفا الجميلة. تريد أن يبقى لها شيء لا يذهب" (السابق: 29). قد يخيل للمتلقي أن الراوي الذي ناقضَ ليلى في كل شيء فقدَ ماضيه، إذ بقيت ليلى لئلا تفقد ماضيها أما هو فهرب، ولا بد فقدَ ماضيه، لكن ما يكشفه السرد لاحقاً أنه –على العكس من ذلك– ظل أسير ذلك الماضي: "لماذا تلاحقني هذه الإنسانة الرائعة طوال ثماني سنوات؟ لماذا تلح على رأسي كما تلح صفارة القطار قبل أن يدور المنعطف؟" (السابق: 29). إن الصورة الفنية المؤازرة للوصف تطالعنا بقراءتين: الأولى أن حضور ليلى كان من القوة والحدة بقدر يجعله يطوّق أي صوت آخر يظهر معه، أي إن ذلك الماضي منعه من أن يسمع أي صوت في الحاضر مهما كان، والثانية أن ذلك الصوت كان يفعل فعله في عطفه عن قراره وإعادته إلى الطريق الأول، ويبدو أنه نجح في ذلك، فقد تكررت الصورة ذاتها في نهاية القصة، لكن ما أتبع بالصورة حمل محمولات دلالية عميقة جرفت القصة والراوي باتجاه آخر: "أزت العجلات وهي تدور حول منعطف واسع، وصفر القطار. ثمة مقبرة في الأفق وشواهد القبور البيضاء مغروسة في التراب كالقدر.. باردة.. قاسية، ولا تذبل. ترى هل يوجد فوق قبرها رخامة؟" (السابق: 31). لقد دار قطاره عند المنعطف، وصفرَ كصوت ليلى، لكن ما وجده عند ذلك المنعطف كان مقبرة قادته إلى التفكير بقبر ليلى. إن الوصول بالمنعطف إلى التفكير بقبر ليلى دليل على وصولها إلى شيئها الذي لا يذهب – كما سنوضح بُعيد حين– ورسوخ ذلك الشيء مقارنة بشيئه الذي يذهب ويذبل.

لقد بيّن السرد أنه غريب في زمانه، وأنه ما يزال يعيش ماضيه، وأنه حاول المضيّ في قطاره لكن إلحاح الذكرى منعه من اجتياز ذلك الماضي، وقد كانت ليلى بالنسبة له ذلك الشيء الذي لا يذهب، والماضي كذلك وحيفا كانا شيئاً لا يذهب ولا يمضي. إن المفارقة بين الشيء الذي يذهب والذي لا يذهب في قوله: "باقة ورد على ضريح إنسان ميت شيء يذهب. لقد قالت لهم أنها تريد أن يبقى لها شيء لا يذهب" (السابق: 31) تكشف لنا الفرق

بين ما يذهب وما لا يذهب؛ إنه وصـــل أخيراً إلى ما قالته ليلى في البداية: "الحب العنيف [...] لم يســـتطع أن ينسـيها القضـية، بل كانت تتعذب في سـبيل أن تُفهمني أن حياتنا ليسـت شـيئاً، وأنها تبلغ ذروة قيمتها لو قُدمت من أجل سـعادة آلاف غيرنا" (السـابق: 25). لقد وصـل إلى أن الأرض أبقى من الحب، فهو لم يرد أن يضـع باقة الورد إلا للسـبب الذي اسـتطاع رفاقه فهمه فيه: "عندما قلت لهم وأنا في الكويت أنني أريد أن أذهب لإيران كي أضع باقة ورد على قبر الخيام ضحكوا جميعهم وقالوا: <إنه يريد أن يعيش تجربة عنيفة يوهم نفسه فيها أنه يحب>" (السـابق: 30). يمكن أن يُحمل كلام أصـدقائه على محملين: الأول أنهم تمثيل للمجتمع الذي لا يقبل إلا بالأبطال الحقيقيين، فيجبر ذوي الإمكانيات المتواضعة على أن يختلقوا لأنفسهم قصصاً يكونون فيها أبطالاً، أي يرغمونهم على أن يصـــبحوا أبطالاً معضـــلين، والثاني أنهم فهموا حقيقة ريائه، وحولوا خطابه إلى غائب تهميشاً لصدقه ولوجوده الحقيقي معاً، فقد أقر سابقاً بأن ارتباطه بالخيام لم يكن إلا بدافع حبه لليلى: "في الحقيقة إنني لم أكن أعرف من هو عمر الخيام، وهي التي علمتني عنه أشياء كثيرة" (السابق: 25)، وأقر لاحقاً بأنه لا يحاول أن يخدع البقية بقدر ما يحاول أن يخدع نفسه: "...صفع وجهي هواء بارد، وشعرت باللحظة نفسها أن ليلى لا يهمها أن أضع باقة ورد سخيفة على قبر عمر الخيام كي أوهِم نفسي بأنني ضحية حب عنيف. لماذا أصرّ على الاحتفاظ بكتاب الخيام؟ إن أحداً لا يعرف في الحقيقة. تراني أريد من الكتاب أن يوهم الآخرين بأنني ما زلت مرتبطاً بحيفا؟" (السـابق: 30)؛ فشـيئه الذي يذهب هو الحب، وشـيئها الذي لا يذهب هو الصـمود والنضـال والبقاء والأرض. لقد تمسكت ليلى بأرضـها، أما هو فتمسك بحبه في الظاهر فقط، وترك أرضـه وحبه واغترب كما أقرّ قبل قليل، وقد وصـل كل منهما إلى شـيئه، فكاد يصـل إلى شـيئه الذي يذهب، إذ انطلق ليكلل حبه بباقة ورد يضـعها على قبر عمر الخيام حين راودته كل هذه الذكريات وهو في القطار متجهاً إلى هناك كما أبدت القصة، ووصلت ليلى إلى الشيء الذي لا يذهب وماتت في سبيل أرضها كما اعتقد الراوي حين قال: "ثمة مقبرة في الأفق، وشـواهد القبور البيضـاء مغروسـة في التراب كالقدر.. باردة، قاسـية، ولا تذبل.. ترى هل يوجد فوق قبرها رخامة؟" (السابق: 31). إن استخدامه لوصف الشاهدة بأنها "لا تذبل" دليل على اكتشافه لعدم جدوى مسعاه بوضع الورد وبعدم دوام شيئه الذي يذهب ويذبل، وعلى أنه وصل إلى ما وصلت إليه ليلى في أن الأرض فقط هي الشـيء الذي لا يذهب. من جانب آخر فإن اجتماع الوصـفين للشـيء الذي يمثل الهدف: الذي يذهب والذي لا يذهب، كوصـفين متناقضـين لملفوظ زمني يعادل "الذي ينقضـي والذي يدوم" في خط زمني واحد يلتحم فيه الأول –الذي يذهب– مع هذا الخط الزمني مؤقتاً بالانقضـــاء، ويلتحم الآخر –الذي لا يذهب– مع الخط الزمني دائماً بالديمومة ينقل للمتلقي الشعور بأنهما يتوازيان ولا يتقاطعان حتى باجتماعهما على خط زمني واحد. إن الذهاب أو عدمه هنا للزمن، والتقاؤهما في الخط الزمني دون أن يتقاطعا يبدي لنا مفارقة صـــادمة بين رؤية الراوي الذاتية لهما (شـيء يذهب وشـيء لا يذهب) والرؤية الموضـوعية لهما (الاسـتمرار بالحياة– الموت). لقد كان الشـــيء الذي يذهب هو اسـتمراره بالحياة، وشـيئها الذي لا يذهب الموت، فالمفارقة الحقيقية تكمن بين ما

ينقضـــي بالحياة وما يســـتمر بالموت، لكن اقتران الحياة بالهروب والغربة، والموت بالوطن والبقاء يطلعنا على سـفور الحقيقة المرة التي تعشـش في أعماق الراوي بأنْ لا حياة في الوطن، وعلى الحقيقة المؤلمة التي عشـشـت في قلب ليلى بأن استرجاع الحياة في الوطن لا يكون إلا بالموت في سبيله. لقد أسفرت لنا المقبرة التي اعترضته عند المنعطف عن حقيقة أنها وصلت لشيئها الذي لا يذهب كما رجّح بتساؤله الختامي، لكن القصـة انتهت ولمّا يصـل بعدُ إلى شيئه الذي يذهب، غير أن المنعطف والصـفارة قد تحيدان بالذهن إلى أنه ربما يكون قد عدل عن هدفه، وانتهى إلى حقيقة ما اكتشفته ليلى قبله بأعوام كما ذكرنا، فقفل عائداً أدراجه، أو كاد، إذ يبدو وجود شواهد القبور في الطريق كصـــورة أخيرة في القصـــة كوجود مفتعل بمحمولات دلالية عميقة، فحين ظن أن الحياة في الطريق –الذي يمثل الغربة– وجد الموت يعترضه فيها.

يؤيد فكرة عدوله عن رأيه وإظهار اغترابه في الآن ذاته عن طريق اللغة والوصـــف ما اختاره من أوصـــاف في مقطع آخر، إذ عكس ارتباطه بالماضي بفضائه السابق –الأرض– ظلَّه على أوصافه للأشياء في القصـة، فنراه حين يتكلم عن الشـيخ الذي كان ينام في المقطورة التي هو فيها يقول: "صـحا العجوز من نومه الطويل، وحدق بعيون ضيقة كأنها شقوق أرض جافة بأنحاء القاطرة" (السابق: 29). إن تشبيه عيني الشيخ بشقوق أرض جافة تفتح عيوننا على احتمالين: الأول أنه –الراوي– ما يزال مرتبطاً بأرضـه يسـتقي منها حتى تشـبيهاته، والثاني أنه يدرك أن المدة التي ابتعد بها عنها كفيلة بأن تجعل عطشـــه يبلغ حدّ التشـــقق، وهو ما يجيز لنا إعادة الوقوف على وصفه للنوم بأنه طويل. إن هذا الشيخ شاخ بالبعد في نوم طال به والقطار يسير، فاستيقظ ليجد نفسه في أرض ليست أرضه وفضاء ليس فضاءه، وليس ذلك الشيخ إلا الوجود النفسي للراوي.

وبالنظر إلى جانب آخر يتعلق باللغة والسرد نلاحظ أن سرد القصة كان هادئاً وخافتاً ينقل ما في قلب الراوي من خفوت ومضت فيها المناجاة على امتداد القصة، وجاءت حوارات القصة على شكل نقل قول غير مباشر لا يُنقل فيه إلا قول الطرف الآخر، من قبيل: "قال لي صـديقي إن وجه الإيرانية لا يعجبه" (السـابق: 22)؛ ومنه: "كان شـــباب حينا يقولون: ..." (الســـابق: 24)؛ وقوله: "قالت لي ليلى بعد أن..." (الســـابق: 24)؛ ولم يكن للراوي ظهور أو صوت في معظم الحوارات، إلا في حوار قصير مع طفل في استراحة المحطة: "سألتُه بالعربية: ماذا تبيع؟..." (الســـابق: 28)، حتى إن الطرف الآخر حين كان يطيل الانتظار لتلقّي رد الراوي يعاود إلى متابعة حواره حين لا يلقى الرد: "قالت لي بصـوت منخفض هادئ: <لقد ضـاجعوني طوال تسـعة أيام> لم أسـتطع أن أقول شيئاً [...] وانتشلتِ الموقف بكلمة أخرى: <يحسن بك أن تتركني، أنا امرأة مهترئة>" (السابق: 26– 27). إن خفوت الصـوت وأحادية الحوار تبدي جانباً انطوائياً انهزامياً في البطل، وتعكس شـخصـية منفعلة تخضـع لما يُفرض عليها، ولا تملك زمام الأمور لفرض ذاتها أو لإثبات وجودها، وهو أمر متوقّع من شخصية مغتربة.

لقد عملت اللغة عمل المرآة في عكس اغتراب البطل، فكانت الأوصاف والصور البيانية مختارة باعتناء يكشف ما لم يقله البطل، ويبين الجذور العميقة لما في صدره من أحاسيس تتلخص بالعجز وعدم الانتماء، وهو ما آزره الحوار وكشفه على امتداد القصة.

3.1.3. لؤلؤ في الطريق

"لؤلؤ في الطريق" تحكي عن مجموعة شبان يعيشون معاً في بلاد الغربة جمعتهم ليلة بدء العام الجديد، فتحدث أحدهم كاسراً حاجر الصمت بينهم عن ذكرى مريرة واجهته في مطلع عام، فكانت قصّته مضمَّنة في قصة اجتماعهم معاً في مطلع العام على ما يشبه القصة الإطارية، وفيها أن صديقاً له يعاني من مرض في القلب يدعى "سعد الدين" تبعه إلى الغربة رغبة في إيجاد وظيفة دون امتلاك مقوماتها من شهادات، أو بغية الوصول إلى ثروة عن طريق الحظ، وبعد مدة من اليأس في الوصول إلى هدفه أصغى إلى نصيحة صديقه –الراوي للقصة الضمنية– وقرر العودة إلى بلاده، فانطلقا في التو واللحظة إلى مكتب الحجز، وفي الطريق قرر سعد الدين أن يجرب آخر فرصة له في اختبار حظه، فوقف أمام بائع متجول يبيع محاراً، وقرر شراء محار بما لديه من مال لعل إحداها تخفي في داخلها لؤلؤة، ولكنها جميعاً لم تكن كذلك، إلى أن فتح البائع اللؤلؤة الأخيرة من الكومة التي اشتراها سعد الدين، وحين كانت أنظار سعد الدين معلقة بالمحارة الأخيرة وأنظار الراوي الضمني – الصديق– معلقة بسعد الدين أصابت نوبة قلبية سعد الدين، فمات أمام عيني صديقه الذي عجز عن أن يفعل أي شيء، وبعد الانتهاء من نقل الجثة طرح الراوي الضمني تساؤله عن سبب موت سعد الدين، فيما إن كان قد مات لشدة سعادته بكونها لم تكن فارغة أم لخيبته العظيمة بأنها كانت فارغة كغيرها.

تبدي لنا اللغة باطن البطل وتكشف اغترابه في عدة مستويات، منها اختيار الألفاظ والأوصاف، والمفارقات التي تكشف في أمور معينة تظهر ما وراء القصد، ومن ذلك قوله "صمت المذياع فجأة وسُمعت دقات ساعة منهوكة تأتي من أقصى المدينة، ثم اندلق الصوت دفعة واحدة، فدوت أغنية صاخبة قطعها صوت يهنئ بحلول العام الجديد" (السابق: 111) قد يبدي لنا تناغم الحركة والسكون في منحنى هذا المقطع انطلاقة الحياة ومسيرها بين سكون فحركة هادئة ثم صاخبة ثم سكون، لكن هذا الظاهر يخفي باطناً عميقاً يفضحه السرد، فالساعة المنهَكة تشي بوقت عصيب، وكونها في أقصى المدينة يجردها من كونها أليفة، واندلاق الصوت دليل صارخ على ما يتسبب به الصوت من مباغتة ونفور وعلى ميل الراوي إلى عودة الهدوء والسكينة، ووصف الأغنية بالدويّ والصخب يؤكد ذلك، والتهنئة بحلول العام الجديد قد تُوهِم بحلول الفرح، لكن ما تبعها ينفي عنها ذلك الإيهام: "لكن الغرفة بقيت صامتة كما كانت. كان صمتاً من ذاك الطراز الذي يحار الإنسان في تفسيره: "أنصمت يا ترى لأننا ودعنا عاماً حافلاً بالعذاب أم لأننا سوف نستقبل عاماً آخر لا يبدو أقل عذاباً؟ أم للأمرين معاً"

(السابق: 111) إذ تؤكد لنا هذه التتمة ما كشفه السرد بالأوصاف والمفردات منذ البداية في أن الأوقات عصيبة وأن الراوي يسعى إلى الوصول إلى السكون؛ سكون العزلة أو سكون الموت.

كما تظهر اللغة اغتراب البطل فيما استُخدم فيها من صور بيانية، ومنها: "الحظ مدفون تحت ركام عذاب عشرة أعوام" (السابق: 117)، إذ يبدي لنا السرد –هنا– عمق الغربة التي يعاني منها البطل، فالماضي مقبرة الأمل، والحظ الذي فتحته الغربة أمامه مدفون تحت ركام ذلك الماضي. إن استخدامه للركام والدفن كمفردات لوصف ما يحمله الماضي في نفسه يبدي جانبين: الأول أنه يرى ضرورة الاجتثاث من الجذور، أي اجتثاث الوطن وما فيه من عروقه، والتخلي عن الماضي ممثَّلاً بذلك الوطن، والأمر الثاني الذي يبديه أنه لم يرَ في ذلك الوطن إلا الدمار والحطام والركام. إن استخدامه لمفردة "مدفون" في هذا السياق محاولة منه لتحطيم كل المعابر التي تربطه بالوطن، وليس استخراج الحظ من الدفن سوى تصريح بتداعي الأسس التي بني عليها عالمه القديم، وترسيخ اعتقاده بأن خلاصه في الغربة، فالسرد يكشف لنا رغبته العميقة في الغربة، ويبدي مدى قساوة الوطن عليه حتى تبدو الغربة كنزاً دفيناً يستحق معه أن يجتث وطنه من الجذور من أجله، ومضمون هذه الجملة يتناسب مع مضمون العنوان ذاته، فاللؤلؤ لم يكن في الأرض أو على الشاطئ أو في البحر أو في أي مكان ثابت، بل كان في الطريق؛ إن الطريق هنا ليس إلا وسيلة للغربة ودعوة صريحة إليها، والنهاية المفتوحة التي لم نعرف معها فيما إذا كان البطل قد مات لفرط الحزن أم لفرط السعادة تترك إمكانية التأويل مفتوحة لحدسنا بهذا الطريق فيما إذا كنا سنفرضه ملجأً أم مقبرة، أي إن كان ظن الراوي قد خاب فيه أم كان الطريق/ الغربة عند حسن ظنه، لكن انتهاءه بالموت يُفرغه من طابعه الإيجابي إن وُجد، وهو في الأحوال كلها يبين وجهة النظر الشائعة في الدول النامية في أن الكنوز خبيئة في الغربة لا في الوطن، فيكون المرء حينها غريباً في وطنه بفقره وتطلعاته إلى الخروج منه، وحين يكون المرء غريباً إلى هذا الحد في وطنه ففي أيّ مكان يمكن له ألا يكون غريباً؟ إن مضيّ الأعوام العشرة طُويَ بإضافته إلى العذاب، مختصراً بذلك كمّاً هائلاً من الضغط الذي ولّد انفجار تلك الرغبة في البعد والهروب والهجرة لدى البطل. كما يميز سرد العنوان "لؤلؤ في الطريق" أيضاً أنه عرضه بأوصاف مختلفة في المتن: "ولقد قال لي أنه لا يمكن له أن يعود بلا عمل، وبلا مال [...] كيف يعود من وادي الذهب بلا ذهب؟" (السابق: 115)، وفي كل مرة يشير إلى الغربة بألفاظ فيها من الرفعة والسمو ما يجعلها ترقى إلى مستوى الحلم، فمرة تكون وادي الذهب، وأخرى تكون معجزة: "كان يريد معجزة ما شأن كل من يأتي إلى هنا، معجزة تملأ جيوبه بالذهب، وتمسك بيده وتقوده بلطف شديد إلى داره على بسط ممدودة" (السابق: 116). تشكل المعجزة فجوة عميقة بين افتراضين: ما يُتوقع منها (الذهب واللؤلؤ والعودة إلى الوطن ظافراً)، وما يُقدّم إليها (الحظ– اللاشيء)، لكن الفارق بين رؤية البطل الذاتية لهذه الغربة (المعجزة أو وادي الذهب)، والرؤية الموضوعية لها (الاستحالة) تقلب موازين الطريق بأكمله، وهو ما قاد إلى نهاية متوقعة: "سقط سعد الدين على وجهه في الوحل، وعندما حاولت رفعه وجدته ميتاً" (السابق: 120). تتكاثف الملفوظات التي تدل على عمق

الفاجعة؛ من حدث: سقوط، وكيفيته: على الوجه، ومكانه: في الوحل، وهو ما يقود طوعاً إلى نهاية تتناسب مع عمق الفاجعة (الموت): "أنساني الجسد المطروح في الوحل كل شيء عن المحار واللؤلؤ" (السابق: 121)، فاللؤلؤ الذي كان في الطريق كان في وحل الطريق، ولا يمكن أن يُحصل عليه إلا بمكابدة عناء الوقوف والتوازن وسط فضاء لا يبرأ المرء فيه من التلطخ في ذلك الوحل، ولا يمكن أن يُحصَل عليه بالحظ.

من الملفوظات التي مرت في السرد ودلت على مدلولات عميقة تفضي إلى اغتراب البطل أيضاً قول الراوي الضمني "حسن" لصديقه البطل المغترب: "هل تعرف أنه بين كل ألف محارة توجد محارة واحدة حبلى بلؤلؤة، وقد يكون الجنين الثمين صغيراً كحبة العدس؟" (السابق: 118). إن الحقل الدلالي الذي افترضه الراوي يحيل إلى الخصب أو الإنجاب: "حبلى، الجنين" لكن هذا المنحنى المتصاعد في ذهن المتلقي يتنازل فجأة تحت قوتين: قوة المُلازم الآخر من الحقل الدلالي ذاته في وصفه للمحارة في قوله: "ثم تلقى المحارة العاقر في سل النفايات" (السابق: 119)، وقوة الجذب نحو الأسفل في السقوط على الوجه في الوحل والانتهاء بالموت في نهاية الحدث الذي تبع الحوار المذكور، فبغض النظر عمّا إذا كانت المحارة الأخيرة خالية أم لا، تقودنا "حبلى" في هذا السياق إلى استدعاء الإجهاض لا الولادة، وهو إجهاض يتفق مع موت الحلم قبل رؤيته للنور، ومع الهوة التي سيسقط فيها حين سيكتشف زيف الأمل: "لقد بدا شكل سعد الدين مخيفاً. شكل إنسان على وشك السقوط في هوة، وكان يبدو أنه قد تعلق نهائياً بهذه المحارة وأن المستقبل لا بد وأن يكون هناك" (السابق: 119) تلك الهوة التي تشرف على مستقبل لم يجد مفردة أكثر اختزالاً للتعبير عن بعده عنه من الإخبار عنه بالقول: "هناك"، وحين يكون الفضاء هوة والزمن –المستقبل– هناك لن يكون الحدث شيئاً سوى سكون الموت. يمكن التوقف عند استخدام ظرف الزمان "هناك" للغربة بموازنة استخدامه لها في سياق منفصل بالظرف "هنا" في قوله: "قلت له في مرة إن العجلة التي تدور هنا شرسة إلى حدود أسطورية [...] وأن الناس هنا يركضون لاهثين وراء القرش إلى حد أنهم لا يلتفتون خلفهم كي يشاهدوا الزاحفين" (السابق: 114)، وقوله: "كان يريد معجزة ما شأن كل من يأتي إلى هنا، معجزة تملأ جيوبه بالذهب" (السابق: 116). كانت الغربة "هنا" حين أراد إقناعه بالعودة وباستحالة البقاء، وحين الأمل صارت "هناك" بإشارة إلى الفضاء ذاته (فضاء الغربة)، وهو ما يطل علينا بوجهين: الأول أن الأمل بعيد لا يقبل المساومة بالاقتراب، والثاني عدائية فضاء الغربة، فحين ارتبط الأمر بالقسوة والاستحالة كان المكان قريباً، وحين ارتبط بالأمل واللين صار بعيداً، بما يعري ذلك الأمل الذي كان أجوف كالغربة، وككل محارة عاقر، وكلؤلؤة ملعونة: "هل كان ثمة لؤلؤة داخل تلك المحارة الأخيرة الملعونة فمات فرحاً، أم كانت فارغة كإخوتها العاقرات فمات غماً؟" (السابق: 120). تشكل المفارقة الحادة بين لؤلؤة مليئة وملعونة وأخرى فارغة ومحاطة بإخوتها العاقرات جوهر القصة؛ إذ تمثل الأولى الغربة المليئة بالمال والملعونة، وتمثل الثانية الوطن الخالي من الخيرات والمحاط بالعقم في كل شيء إلا بالوجود إلى جانب الأهل، فاقتران الامتلاء باللعنة دليل على أن ما يجنونه من الغربة ليس عطاءً أو خيراً بمقدار ما هو غرق في وحل لعنة تلطخ

الحياة بأكملها، وهي تتآزر مع المفارقة الصادمة بين لحم طري وآلة شرسة في اختصار القصة واختزال مضمونها بالإفضاء بحقيقة الغربة في قوله: "وبدأت السكين تعمل بالمحارات. كان يدخلها ببراعة فائقة في رأس المحارة، حيث شققت الشمس نافذة صغيرة تكفي لرأس النصل، ثم ترفعها بحركة دائرية فتنفتح المحارة عن كتلة لزجة شبيهة باللحم الطري، كأنها أحشاء حيوان صغير، وتعمل السكين تنقيباً في قطعة اللحم، ثم تلقى المحارة العاقر في سل النفايات، وترسم خيبة في عيني سعد الدين..." (السابق: 119). إن بقاء اللحم الطري والكتلة اللزجة بما فيهما من هشاشة وليونة لا يمكن أن يدوم بحال من الأحوال في فضاء تحكمه آلة شرسة: "قلت له في مرة إن العجلة التي تدور هنا شرسة إلى حدود أسطورية" (السابق: 114). في السياق ذاته تستوقفنا مفردة "نافذة" في قوله السابق: "نافذة صغيرة تكفي لرأس النصل" (السابق: 119)؛ إن المحمول الدلالي للنافذة يكسبها قيمة خاصة بكونها مكاناً يطل على عالمين، عالم الوطن وعالم الغربة، أو عالم الماضي وعالم المستقبل، لكن ذلك المحمول أُخمد دفعة واحدة تحت معطَيين: صغرها، والوظيفة الموكلة إليها: "دخول النصل". إن التمثيل السابق اختزل القصة أيضاً بما جاء ما بين الكلمات، وبيّن أن استشراف النافذة للمستقبل لن يُعطى من الزمن ما يكفي إلا للموت.

لقد شكل السرد في كثرة الأوصاف والصور البيانية مسرحاً تتعدد وجوهه إلا أنه يفضي إلى مضمون واحد: الغربة، ولكن الهوة بين تصوّر البطل للغربة وواقعيتها جعلت العثرة الأولى تكون الأخيرة، وهو ما أظهره الراوي الحقيقي –راوي القصة الإطارية المعادل للكاتب– بجعل القصة تبدأ بالحديث عن الموت وتنتهي به، وقد تناسب سكون الموت ورعشة محاولة الإحياء مع الحوار في النص، فالحوار غالباً كان أحادي الجانب، يقوده الراوي الضمني "حسن" الذي شهد حادثة موت البطل المغترب، وتشكلت لديه ردة فعل دفاعية تعمل على بعث الروح في القصة، فقد سُمع صوته في الحوار على امتداد القصة الإطارية والمضمنة، و"حسن" هو المرافق للبطل المغترب، أي هو أحد طرفي القصتين، وفي كل مرة بدأ فيها بالحوار لم يجد رداً، فاستأنف بنفسه، فالراوي الأصلي –الذي يمثل صوت الكاتب– لم يشارك في الحوار إلا ضمن مجموعة أشار إليها عرضاً على أنه جزء منها في التعقيب على كلام "حسن" بسؤال، ومما ظهر من اندفاع حسن إلى الحوار: "عاد إلى صمته، وبدا لنا أنه كف عن رغبته في التحدث، لكنه عاود من جديد:..." (السابق: 112)؛ ومنه: "ولم يكن يهمنا ساعتها أن نناقش حسن فيما إذا كان واهماً أو مبالغاً أو كاذباً [...] ووصل صوت حسن مرة أخرى راجفاً متوتراً: ..." (السابق: 120)؛ ومنه أيضاً: "لقد أصبح من الواجب الآن أن يسأل أحدنا، ولو دون أن يرغب في ذلك: وما هي القصة؟" (السابق: 113). إن عدم رغبتهم بالكلام، وتوق حسن إليه يبين وجهين متناقضين للغربة؛ الأول: انقطاعُ من لا يرغب في الحديث وعزلته، والآخر: توق المنعزل إلى من يتبادل معه الكلام؛ يمثل الأولَ الراوي الحقيقي وبقية الجماعة، ويمثل الآخرَ الراوي الضمني "حسن"، إذ كان يستأنف في كل مرة دون أن يَطلب منه الآخر المتابعة. أما الشخصية الرئيسة في القصة التي مثلت أبرز وجوه البطل المغترب فكانت شخصية "سعد

الدين" الذي لم يُسمع صوته في الحوار إلا في الفرصة الأخيرة التي ظن أنها ستحقق له المعجزة بتجربة حظه، فكانت جمله أطول من جمل الراوي حينها كما لاحظنا في القصة (السابق: 116– 117). إن قيام الحوار غالباً على طرف واحد يبين فتوراً عميقاً في المشاعر وخفوتاً في الحركة ويأساً يتلاقى مع ذاتٍ ضالة لا تستطيع إثبات نفسها حتى تثبت أقوالها، وتعجز عن التفاعل، وتنعدم لديها الرغبة في خلق أية حيوية في فضاء يخيّم عليه صمت ثقيل، وكل ذلك من ظلال الغربة الممتدة على نفوس أبطال القصة.

لقد أبرزت اللغة بأوصافها وصورها وحواراتها وسردها اغتراب البطل، وتآزرت مع بقية العناصر في تعزيز شعور الاغتراب وفضحه، وهو ما يبدي براعة الكاتب في قدرته على الولوج إلى الأعماق لإحكام غلاف الحالة الشعورية لشخصياته.

3.1.4. العطش

تخلو قصة "العطش" من الشخصيات، وليس فيها من الأحداث ما يثير الاهتمام إلا انقطاع الماء عن منزل الراوي وهو في أشد عطشه، وقد عرض الأمر عن طريق المناجاة، لكن المهم في هذا الحدث أنه لم يجد من يقصّه عليه كأنه أمر عابر لشدة غربته ووحدته، فوجد نفسه غارقاً في وحدة مريرة يبحث فيها عمن يتبادل معه بضع كلمات هدفها المبادلة وحسب، لا الموضوع المتبادَل.

إن بطء الزمن القصصي هنا مقياس تعيّنه رتابة الأحداث غير المجدية وتكرارها، فلا نرى حدثاً مهماً إلا انقطاع الماء –كرمز لانقطاع الحياة الحقيقية بما يستجلبه الماء من حياة– والذي حرك بقية الأحداث كالتمدد على السرير والنهوض عنه وتشغيل الراديو وشرب القهوة والتدخين وغير ذلك من الأفعال الخافتة التي دلنا على غربة صاحبها خلوُّها من الإثارة أو كونها عادية تفرض وجود حياة منعزلة لشاب يعيش وحده من جهة، وتكرارها باستمرار من جهة أخرى: "عشرة فناجين قهوة بلا سكر.. علبة سجائر كاملة.. ألف مرة خرجت إلى الشرفة ثم عدت.. هل تذكر كم مرة دورت إبرة الراديو؟ كم مرة غيرت الأسطوانة؟ كم مرة حاولت أن تشرب جرعة من الخمر الذي تخبئه في خزانة الملابس [...] تجوّلْ في الغرفة كقطة محبوسة في خزانة طعام فارغة. لماذا قلبت الأسطوانة؟ أشعِل لفافة أخرى" (السابق: 140– 141)، فالقيام بالأمر ذاته مرات عديدة دليل على التيه الذي يعشش في داخل البطل حتى تُصَور حياته بتلك الرتابة، ويعزِّز ذلك السؤالُ عن التكرار؛ فاستفساره عن عدد المرات التي قام بها بفعل كل أمر دليل على عدم حضور ذهنه من جهة، وعلى استنكاره المبطن وعدم رضاه لتكرار الأمور على تلك الوتيرة التي تشي لنا بوحدته وضياعه النفسي.

إن الأحداث الجوفاء وتكرارها يخلقان نسقاً رتيباً يعصى على الاختراق بحدث آخر، كاشفة عن عمق الفراغ الذي يجوف البطل، لكن الحدث الأوضح والأهم انقطاع الماء، إذ عرّى غربة الشخصية أمام نفسها، وبيّن الزيف الذي

لجأ إليه البطل لإخفاء غربته عن نفسه، والصلابة الواهية للذات، والذي انكشف عن طريق تساؤل يصفع به وجه الحقيقة التي وجد نفسه أمامها عارياً من الادعاءات كلها بالصلابة: "أنت تعيش وحدك الآن. هل كان من الضروري أن ينقطع الماء عن منزلك لتكتشف أنك وحيد؟" (السابق: 141). لقد كان السؤال مزيجاً من الاستنكار والسخرية اللزجة التي وجد نفسه غارقاً فيها حتى النخاع، إذ أوقفه على فتحة بئر عميقة تعكس في قعرها هشاشة ذاته في وحدتها: "سوف تركض باحثاً عن إنسان تجلس معه، أيّ إنسان تجلس معه لتسمع صوتاً موجهاً إليك عبر الجدران. أنا أعرفك. كبرياؤك القبيحة تلجم لسانك" (السابق: 142)، فكبرياؤه هي الحاجز الوحيد أمام سفور الحقيقة، لكن عدم وجود من يشكو له حدثاً بسيطاً كهذا أظهر مقدار الفراغ في حياة البطل وبيّن غربته الحقيقية عن الناس جميعاً: "هل كان من الضروري أن ينقطع الماء عن منزلك لتكتشف أنك وحيد؟ [...] ثم صحا في منتصف الليل أشد عطشاً. لو كان في الغرفة إنسان آخر لقال له متأففاً: <أريد أن أشرب>. ليس من المهم أن تشرب، المهم أن تجد من تقول له أنك تريد أن تشرب، أنك ظامئ. أكان من الضروري أن يحدث هذا لتكتشف أنك ملقى في الفراغ؟" (السابق: 142). إن بساطة الحدث تعرض عظم الموقف، وتبين مدى افتقاره إلى إنسان يكسر غربته: "الإنسان الذي سوف تجلس معه لن تسمع كلمة من كلماته، أنت تبحث عنه فقط لكي تقول له كأنك تحكي شيئاً عابراً: أمس انقطع الماء عن منزلي" (السابق: 143). لقد طغت أهمية الحدث على حضور الشخصيات فيه، فتناقلُ الحدث أو نقله أهم ممن يُنقل له، وهذه المسافة الفاصلة بين بساطته ووقعه في نفس الراوي تكشف عمق المسافة التي نخرت بها الغربة في عظامه، وقد بدا ذلك في اللغة فضلاً عن تكرار الحدث وما رافقه من استنكارات مبطنة باستفهام، ومن كشوفات اللغة لذلك الاغتراب التعبيرُ عن صوت النغم الباكي بالزعيق الذي شكّل دليلاً حاداً على الأزمة النفسية العنيفة: "الصوت يدوي الآن في الغرفة زاعقاً كمليون بومة كئيبة" (السابق: 139) فالبومة التي حملت مدلول الحكمة في القصة الأولى–البومة في الغرفة البعيدة– إذ أعادت الراوي إلى الصواب نراها هنا تفقد مدلولها الأول وتكتسي رداء التشاؤم والاكتئاب بوصفها بالكئيبة، وقد شكل اجتماع صورتين: (تشبيه: زاعقاً كمليون بومة، واستعارة: يدوي) تصاعداً في السرد دل على مدى الانحدار في النفسية، وعلى عمق الألم النفسي الذي تسببت به الغربة الذاتية والاجتماعية على الأرجح، إذ فصل بين ذاته في الماضي وذاته في الحاضر جاعلاً إياها غائباً مرةً: "إنه يحمل.. ذهب.. يضحك.. يدري.. لسانه.. جلده..." (السابق: 139)، ومقرباً إياها قليلاً مرة أخرى جاعلاً منها مخاطباً: "أتذكر أيها الكئيب يوم سمعتَ هذه القطعة لأول مرة؟ كيف حملتْ إليك الشعور بأنك ملقى في دوامة من تدفق لا تريد أن تغادره..." (السابق: 140)، وهو في الحالين يتكلم عن ذاته. هذه الانتقالات المتعددة لضمير "أنا" بين "أنت وهو" دليل قاطع على غربة داخلية عميقة أدت إلى انشطار الذات؛ وقد بدأ بالغائب حين كان يتكلم عن حاضره: "آه لو يستطيع الرجل الكئيب..." (السابق: 139)، وتابع بالغائب حين كان يتحدث عن ماضيه: "يبدو أن الماضي كان لإنسان آخر، أما هو.. آه! إنه يحمل ..." (السابق: 139)، ولكن حين بدأت ذكريات دافئة بعض الشيء تتسرب إلى ذاكرته بما يتعلق

بالنغم الذي كان يسمعه قرّب نفسه إلى نفسه وعاملها كمخاطب: "أتذكر أيها الكئيب يوم سمعتَ..." (السابق: 140)، كما عاملها كمخاطب حين زجرها ووبخها إمعاناً منه في انتقادها: "تجوّلْ في الغرفة كقطة محبوسة في خزانة طعام فارغة. لماذا قلبت الأسطوانة؟ أشعِل لفافة أخرى" (السابق: 140– 141)، لكن الخطاب في اللغة السردية حافظ على المسافة بين المتكلم والمخاطب (الأنا والأنت) معرباً عن غربة حادة ظهرت فيما وراء الكلمات أولاً ثم ظهرت في الكلمات علناً: "لماذا لا تجلس على طرف السرير وتضع رأسك بين كفيك وتعترف بهدوء: أنا غريب؟" (السابق: 140). لقد وصلت غربة البطل حداً جعله يخلق من نفسه نفساً أخرى يوجّه الخطاب إليها لعله يكسر جدار الغربة والعزلة في واقع وصف نفسه فيه دائماً بالرجل الكئيب، مع وجود ذكرى ارتبطت شعورياً بمعزوفة، فإن لم يكن في المعزوفة التي أحبها يوماً ما شيء قد تغير ومع ذلك صار يمقتها فهذا يعني أن شعوره قد تغير، وابتعاده عن ذاته صار واضحاً يظهر في هذه التفاصيل التي تسمى المشاعر: "أتذكر أيها الكئيب يوم سمعتَ هذه القطعة لأول مرة؟ كيف حملت إليك الشعور بأنك ملقى في دوامة من تدفق لا تريد أن تغادره، ماذا حدث لك؟ هل تذكر كيف كان البوق الفاجع يهز عروقك والطبل يدوي في حلقك؟ لا تنهض، القطعة نفسها؛ نفس التوزيع.. نفس الفرقة.. بل نفس شركة التسجيل.. هل تريد أن تقول إنها تغيرت؟ الكذبة لا تنفع" (السابق: 140). يكشف السرد في المقطع السابق أن سبب تغير المشاعر تجاه المقطوعة اختلاف زمن سماعها وتلقيها، مما غيّر من قيمتها الشعورية لديه، فيبدو أنه أحبها في وطنه، ولكن بعد أن تأصلت الغربة في نفسه غيّرت القيمة الشعورية الممنوحة للأشياء الذاتية والمعنوية، فلو دققنا في المفردات التي استخدمها في وصف حبه للمقطوعة لوجدناها صاخبة، فدوامة التدفق كانت محببة وجاذبة له، والبوق الفاجع يهز العروق، والطبل يدوي في الحلق؛ الصخب هو ما أحبه فيها نقيضاً سافراً للعزلة والوحدة والسكون القاتل، لقد أحب فيها بعدها عن السكون والهدوء، فكانت نقيضاً مواجهاً لما تحمله الغربة من هدوء وعزلة، لكن هذا الضجيج تحول إلى سبب للنفور بدوره: "صوت البوق شيء فاجع! ورغم ذلك فإنه ليس هنا، كأن صدرك صفائح قصدير يضربها الصوت ويرتد مرناً كشيء تافه إلى الجدار" (السابق: 140)؛ لقد عاد إلى طلب السكينة في داخله، تلك السكينة التي تتحقق في الأحلام فقط: "قم، أخرِس عواء البوق وأطفئ النور واغرز رأسك في أحلام وسادتك" (السابق: 140)، فتحولت الأشياء التي كانت فيما مضى مصدر سعادة إلى مصدر إزعاج ملحّ اختزله باستعارة العواء له، وشكلت الرغبة في قطع الصوت والنور محاولة علنية لتعطيل الحواس والدخول في سبات عقلي وشعوري يريحه من صخب يعلو كلما سكن المحيط، وينتفض كلما همد الفضاء. إن التناقض المتعب بين نفس تكاد تمّحي لشدة ما اعتادت السكون ومحيط روّض تلك النفس على الهدوء ثم ضجّ بالموسيقا خلق في ذات البطل انشطاراً أرغم معه على محاولة خلق الائتلاف بين داخله وخارجه، والمطالبة بالسكون تماشياً مع متطلبات الانجراف بالوجود والفضاء، ولم يجد بدّاً من الانجراف للأحلام باحثاً عن فضاء آخر.

من جانبه يكشف الحوار عن عمق غربة الشخصية في مستويين: الأول انعدام الحوار بالمطلق في القصة، وهذا أمر منطقي ومتوقَّع بالقياس إلى انعدام الشخصيات فيما عدا الراوي، والثاني أن القصة بذاتها قائمة لغاية واحدة هي طلب الحوار: "لو كان في الغرفة إنسان آخر لقال له متأففاً: <أريد أن أشرب>. ليس من المهم أن تشرب، المهم أن تجد من تقول له أنك تريد أن تشرب، أنك ظامئ" (السابق: 142)؛ إن القصة قائمة على البحث الضمني عن إنسان يوجه إليه كلاماً أو يستمع إليه: "لن تقول لأحد أنك تحمل الجدران الكئيبة معك... لن يقول لك أحد كيف نمت... سوف تركض باحثاً عن إنسان تجلس معه، أي إنسان تجلس معه لتسمع صوتاً موجهاً إليك عبر الجدران..." (السابق: 142)؛ ويبرز فيها انشطار ذاته بين أن تجد من تتبادل معه الحديث، وألا تسمع شيئاً من كلماته، أي أن تكون محور الكلام وحسب، لا محور الإصغاء والمبادلة، وأن تبحث عن وجودها الحقيقي بوجود من يسمع صوتها: "الإنسان الذي سوف تجلس معه لن تسمع كلمة من كلماته.. أنت تبحث عنه فقط كي تقول له كأنك تحكي شيئاً عابراً: أمس انقطع الماء عن منزلي" (السابق: 143). إن تنبؤه بعدم سماع كلام محاوِره يفضي بنا إلى دلالة أخرى تختلف عن حاجته للحوار كأساس قامت القصة من أجله، وهو أن الغربة عششت في داخله فصار عاجزاً عن التفاعل والتبادل، وبالعودة إلى معطيات المعزوفة التي أحبها لصخبها وكرهها لصخبها يمكن –بقليل من الاستشراف– التنبؤ بأنه لن يخرج من غربته وعزلته أبداً، وما إن تنطفأ الشرارة التي أوقدت يقظته على مأساته بعزلته الشديدة سيعود إلى إيصاد الباب على ذاته واحتجازها خارج المحيط بأكمله، وهذا بحدّ ذاته وجه لاغتراب متأصل لا يزول من أعماق النفس.

لقد انعكس اغتراب بطل القصة على سردها بأكمله، فبدا في مفرداته وأوصافه وصوره وتلمّسه للحوار، وأبدى عجزه وانشطار ذاته بما يعلن عن غربة مريرة وعزلة قاسية.

3.2.دور اللغة السردية في تشخيص البطل المغترب في مجموعة مصلاي الصغير

3.2.1. مصلاي الصغير

تدور أحداث القصة عن شاب يدعى حسن يعيش انعزالاً عنيفاً بسبب وجود زائدة على شكل إصبع صغرى لا ظفر لها تقع على طرف إصبعه الصغرى في رجله اليسرى، تسببت منذ طفولته –وبتأثير الأم– بشعور حادٍ بالنقص لوجود ما يخفيه عن البقية، فصار يشعر بأن الجميع غرباء ما عدا الأم، وغربة الجميع عنه جعلته يشعر بأنه يتميز عن البقية بوجود تلك الزائدة، إذ أخذ ينظر إليها على أنها سبب اكتفائه واستغنائه عن البقية، فأخذت الغربة لديه طابعاً مختلفاً يميزه الاكتفاء بالذات، وصار مفهومه لتصنيف الغرباء ذاتياً، فكان يميزهم بشعورين: من لا يجمعه معهم الشعور بأن هناك شيئاً ينقصه أو يزيده، أي من لا يشعر معهم بوجود هم مشترك، ومن لا يشعر بالارتياح لهم، وقد تعرّض لتجربتين في كشف سره في فترتين زمنيتين مختلفتين؛ الأولى في طفولته مع صبي ظنّ أن في ساقه عيباً جعله يشعر بأن همّهما مشترك، وأن ملامحه مريحة وأليفة، والثانية

في سن الخامسة والثلاثين حين أحب امرأة ظنّ أنها تعاني من مشكلة في قدمها وأن قسماتها مريحة وأليفة، ولكن ظنونه خابت في المرتين، ففي الأولى فضحه الصبي في الحي وصار الجميع ينادونه باسم "حسن ذي الأصابع الست"، واضطروا إلى تغيير الحي على إثر ذلك، وفي الثانية تعاملت الفتاة مع الزائدة –التي كان يشعر بأنها تميزه عن البقية– بتقزز وازدراء، وطلبت منه استئصالها، مما حال دون استمرار العلاقة بينهما.

تُظهر اللغة السردية مدى اغتراب الراوي بإبراز عجزه وانشطار ذاته بين داخل يعمل على تضخيمها وخارج يعمل على تقزيمها، وقد بدا ذلك في لغة القصة بين وصف وصور ومناجاة وحوار ساهمت جميعاً في تعرية المجتمع الذي يُضطرّ أبناؤه إلى اتخاذ العزلة ملاذاً لا مفرّ منه.

يحاول الراوي أن يقرب أفكاره بالتمثيل، معلناً عن إدراكه لمدى غرابة ما يقوله، لذا يعمد إلى تبسيط وصفه للزائدة وتقريبه غير مرة: "كانت أصغر من الأصابع الصغرى في العالم كله، مثلما نرى زائدة توأميّة في ثمرة بطاطا أو خيار. أرأيت ذلك؟ أحياناً نرى زائدة صغيرة على طرف ثمرة البطاطا أو الخيار، ولكن الأمر يختلف في أن تلك الزائدة في البطاطا أو الخيار هي بطاطا أو خيار، حتى إن بعض زوائد الخيار الصغيرة تحمل في نهايتها زهرة صغيرة بيضاء، ولكن هذه التي لي ليست إلا زائدة لحمية لا ظفر لها، لهذا أعتقد أنه ما كان عليهم أن يطلقوا عليّ اسم حسن ذي الأصابع الست" (غلشيري، 1364هـ.ش: 8– 9). تبدو المفارقة المفاجئة في أن المتلقي يعتقد أن الراوي استخدم التمثيل بالزائدة التوأمية في الخيار والبطاطا لإقناعه –المتلقي– بأن تلك الزائدة الموجودة إلى جوار إصبعه الصغرى هي إصبع أيضاً، وإلا فما الفائدة من التمثيل، غير أنه يقابلنا بنفي الشبه بينهما بالمطلق: "ليست إلا زائدة لحمية لا ظفر لها...". إنه يرى في قرارة نفسه أن تلك الزائدة غريبة عن أصابعه، لا كتوأم الخيار. لقد عزز سرده التمثيلي كونه غريباً كما أن هذه الزائدة غريبة عن الأصابع، وعزز نفي انتمائه إلى البقية كما عزز نفي تصنيف تلك الزائدة إلى الأصابع، فأعان السرد والتمثيل على رسم غربته وبيانها.

من التمثيلات الأخرى التي قد تحيلنا إلى جانب من جوانب باطن البطل وصفه للقلق أو للوسواس وما يولده لدى الناس: "لكن البعض هكذا؛ دائماً قلقون، قلقون من ألا تكون مثلاً قبعاتهم فوق رؤوسهم؛ ألا يكونوا قد أحضروها، أو أضاعوها أثناء تنقلهم في السيارات؛ وأنا قلق دائماً، وكنت قلقاً دائماً. حدث أحياناً أن أنهض من النوم ولديّ شعور بأنني قد فقدت شيئاً ما، أو أن أهبّ من النوم منتصف الليل لاعتقادي بأن شيئاً ما ليس موجوداً، شيئاً لم أكن أستوعب ما هو في البداية، ولكن كان يكفي أن أمدّ يدي في العتمة إليها دون أن أُشعل النور لأتأكد من أنها موجودة، بالصِّغر نفسه، وربما بالاحمرار نفسه ودون ظفر. وعندها، لا بأس فيما إذا كانت المدفأة مطفأة، أو لو ماتت أمي بهيئتها العظمية وعينيها اللتين تبدوان وكأنهما تبكيان أبداً" (السابق: 10). يصل الراوي إلى وصف الأمان بدءاً بالحديث عن القلق من أن يكون المرء قد نسي شيئاً إضافياً مهماً في مكان ما، لكن الأمر مختلف بالنسبة إليه، فعندما يبدأ القلق لديه من أن يفقد ذلك الشيء الإضافي –الزائدة– سرعان ما يتحول إلى

أمان مطلق عندما يتأكد من وجودها، ولن يكترث حينها بانطفاء المدفأة والبرد، ولا بفقد أهم أشـــخاص حياته – أمه. لو دققنا في الأشـــياء التي لن يكترث لوجودها إذا ما اطمأنّ إلى بقاء الزائدة حين يهبّ مذعوراً من نومه لوجدنا أن فقْدها من رموز الغربة الواضـحة؛ أي البرد وموت الأم، لكن الراوي لا يحدِّثنا هنا عن القلق من الفقد، فلو كان كذلك لما ضـرب لنا مثالاً عدم اكتراثه بفقد أمه إلى الأبد، بل يتحدث عن الفقد الذي يجعله وحيداً: "بعد ذلك أشعر وكأنه لا يمكن أن يكون أحد في الدنيا وحيداً" (السابق: 10)، ففقد الأم لا يسبب له الوحدة، لكن فقد الزائدة يسببها، لأنها تشكل الاختلاف بينه وبين البقية، وهي سبب أمانه ووجوده، وهي الشيء الوحيد الذي يقاوم شعوره بالغربة والوحدة ويشكّل ملاذاً آمناً منهما.

التمثيل الثالث الذي استخدمه جاء –أيضاً– مخالفاً للنتيجة المرجوة منه: "قلت: <اسمعي يا عزيزتي! هل بإمكانك أن تخبريني لماذا تعجبك السّحب؟> قالت: <حسناً! لأنها جميلة، ولأنها مثلاً دائماً ما تغير شكلها.> قلت: <لا، ليس وصفاً دقيقاً.> ولكنني كنت أتمنى أن أقول لها أن السبب يكمن في امتلاكها – السّحب– لإصبع سادسة. قالت: <لماذا توقفت؟> قلت: <لأن فيها شيئاً إضافياً؛ شيئاً إذا ما فكرتِ في أن تحولاته انتهت بالكامل، وأن هذه هي طبيعته الدائمة، عندها ستدركين أنه ليس كذلك إطلاقاً وأن شكله سيتحول في اللحظة نفسها دون شك.> قالت: <لقد قلت هذا.> قلت: <أعرف، ولكنني أخبرتك أن هذا ليس دقيقاً. اسمعي! أنتِ –مثلاً– لو اتضحتْ لي أشياؤك كلها منذ الليلة الأولى فلن تبقي مثيرة بالنسبة إلي!> قالت: <أتقصد أن هذه هي نفسها...> [ما كنت تخفيه؟]" (السابق: 15)؛ إذ يأتي مرة أخرى ليوهمنا أنه يقرب الأمر، لكنه يعود إلى نفي أية مشـابَهة بينهما، فالسّحب تغير شكلها، أما تلك الزائدة فثابتة لا تتغير، إذ أكد على وصفها في كل مرة وردت فيه في القصة بالشكل والحجم واللون والمكان، لكن ما تغير في الحقيقة هو مشاعره تجاه المحبوبة، فبعد اكتشاف المحبوبة للزائدة جاءت خيبة اكتشافه لكونها غريبة: "تكلمتْ عنها بطريقة هازئة [...] لقد فسخنا كل شيء." (السابق: 15– 16)، فتغيرات السحب المتقلبة التي تملك إصبعاً سادسة هي ذاته ونفسه التي تتغير باستمرار، والتي تغيرت في تلك اللحظة، وأعادت المحبوبة غريبة: "ظننت مرة أخرى أن هذه الأخرى ليست كذلك؛ ليست غريبة، لم تكن في البداية كذلك، ولكنها الآن غريبة" (السابق: 12). بقراءة أخرى للحوار المطروح يمكن ترجيح احتمال آخر لغربته، مردُّه إلى أن رغبته العميقة بالتقدير الخارجي دفعته إلى اختيار السّحب ليشبّه بها نفسه، ولكن ارتباط السحب رمزياً بالوحدة تعرّي خواء تلك الرغبة، فمن الرائج –أحياناً– تشبيه الوحدة بالسحابة، فعندما يقال: (همت وحيداً مثل السحابة) تكون كلمة "وحيد" متفقة مع "السحابة"، من قبل أن يشيرا معاً إلى مشار إليه في الواقع، فهناك مناظرة بين الشعور بالوحدة والسحابة (كوك، 1994م: 239). إن الاعتقاد بأن السحاب مقابل للوحدة من جهة، وكون هذا السحاب يملك إصبعاً سادسة كما صرّح بنفسه في اعتقاده من جهة أخرى يزيدان الاحتمال بكون السحاب يقاربه في الارتباط بالوحدة، وفي كونه لديه ما يغنيه عن تلك الوحدة.

من السمات الأخرى للغة السردية في هذه القصة أن الراوي يُظهر الكثير من التردد أثناء حديثه أو مناجاته مبيناً اضطراباً نفسياً عميقاً، فكثيراً ما يناقض نفسه ويتراجع عن فكرته أو مقولته، أو ربما يستدرك أمراً كان قد نفاه للتوّ، أو يهمّ بالكلام وينسى ما أراد الإخبار به؛ من قبيل: "... وذلك ليس بسبب ضيق الأحذية أو شكلها، بل ربما كان بسبب ذلك، من يدري؟" (غلشيري، 1364هـ.ش: 11)؛ وقوله: "بعد هذا العمر لا أحد يعيب رجلاً بالغاً بأن يصفه بالقول: <ذو الأصابع الست>، بل ربما يصفونه، من يدري؟" (السابق: 12)؛ وقوله كذلك: "حسناً، هذه بعض الأشياء وأشياء أخرى مثل... لست أدري" (السابق: 10)؛ ومنه: "ولمَا قالت الفتاة أني وحيد، أو... لا أدري" (السابق: 15)؛ ومنه أيضاً: "واسمها... لا، الأمر لا يستحق أن يُذكر الاسم" (السابق: 12)؛ وقد تكون جمله أحياناً غير تامة، من قبيل: " ولكنها كانت... [غريبة]" (السابق: 11)؛ أو كقوله نقلاً عن المحبوبة: "أتقصد أن هذه هي نفسها... [ما كنت تخفيه؟]" (السابق: 15)؛ وعلامات الاضطراب هذه نتيجة للاغتراب والعزلة، والانطواء على الذات، وقلة الاختلاط بالناس، فالسرد الذي سرده عن حوادث معينة أو مناجاته أو حواراته أبدت جانباً هشاً في داخله مردُّه إلى غربة حادة.

كما يميز لغته السردية اتسامها بالتكرار؛ فعدا عن كون القصتين الرئيستين للصبي والمحبوبة تعدّان تكراراً قهرياً للتجربة ذاتها، وسرداً مؤلماً لها وإن اختلفت عناصرهما فإن تكرار الحدث بصور مختلفة كان مهماً لإظهار ما طرأ على البطل في تلقي ذلك الحدث، وفضلاً عن تكرار الحدث فإن سرده يتسم أيضاً بتكرار الأحداث البسيطة، فمعظم الأحداث التي تحققت تدور حول أمر واحد، هو عرض الزائدة أو الاهتمام بها، من قبيل: "وضعت إصبعي تحتها ورفعتها للأعلى" (السابق: 8)؛ وقوله: "عندما أردت أن أنام في الليل خلعت جوربي، ونظرت إليها كما نظر إليها ذلك الصبي، وحاولت أن أبتسم ابتسامة سخرية مثله، وهو ما أفعله الآن أيضاً وعمري خمسة وثلاثون عاماً؛ أضع يدي تحتها وأريها لنفسي، ولكني لم أعد أبتسم بسخرية" (السابق: 9)؛ وقوله: "أجلس أمام المرآة وأضع مرآةً أخرى على يسار قدمي اليسرى، ثم أرفعها بإصبعيّ بهدوء حتى أتمكّن من رؤية أسفلها وحتى أرى الخطّ الفاصل لتلك الزائدة اللحمية الحمراء الشبيهة بالإصبع في قدمي. وعندما يغلي الماء أسكبه في حوض صغير... أضع قدمي في الماء وأنتظر حتى تصبح قدماي حمراوين بتأثير المياه الساخنة ثم أبدأ بتدليك أصابعي بدءاً من الإصبع الكبرى، فأبدأ مثلاً من إبهامي الأيمن، ولكن دائماً ما يحدث أن أشعر بالملل قبل أن أنتهي إلى قدمي اليسرى فأترك التدليك وأتوجّه إلى الزائدة مباشرة، أدلكها بهدوء ولطف وأغسلها وحدها بالصابون، وحين أجفف قدميَّ أنظر إليها في المرآة مرة أخرى، في المرآتين معاً. إنها موجودة، موجودة دائماً" (السابق: 10)؛ ومنه أيضاً الشاهد الذي أوردناه في التمثيل: "حدث أحياناً أن أنهض من النوم ولدي الشعور بأنني قد فقدت شيئاً ما..." (السابق: 10)؛ فاهتمامه بالتفاصيل الدقيقة والسرد المفصل يكشف أهمية الحدث الناتجة عن أهمية الزائدة التي تشكل ذاته، وتكرار الحدث بصور مختلفة دليل على هيمنته على باطن الشخصية، وهو أمر امتد على امتداد القصة، ولن نطيل الشواهد عنه أكثر. إن ما مر ذكره يؤكد شيئاً واحداً هو أن أمر هذه

الزائدة التي تبدو بسيطة لأي إنسان تشكل أعظم اهتمامات الراوي، فلا أهمية لشيء لا يدور عنها، فأفعاله تجسيد لأفعال شخص غريب في عالم خاص لا يشاركه فيه أحد، ولا يهتم لشؤونه أحد سواه، كما أن بعض الأفعال البسيطة التي كان يؤديها تدل بذاتها على غربة حادة: "كنت أقفز إلى الماء حتى دون أن أخلع ملابسي، وعندما كنت أخرج من الماء كان يكفي أن أدفن قدمي بقليل من الرّمل والحصيّات لتختفي" (السابق: 7)، إذ إن اهتمامه بذكر تفاصيل طرقه في التخفي تبين مدى الغربة التي تعشش في قلبه، فبساطة الأمر وعدم أهميته لا تتنافى مع مدى رغبته الشخصية في تضخميه وإيلائه أهمية بحجبه بالانعزال والبقاء بعيداً عن الناس والأعين، وهو أمر يتكرر حتى مع محبوبته: "سحبت جوربي للأعلى، وابتدأت بجورب القدم اليسرى وصرت مرغماً بعدها على أن أرتدي كامل ملابسي" (السابق، 11)، إن الراوي على يقين من أنه سينتهي في عين أي شخص يرى سرّه، لذا تتركز الأحداث البسيطة على إخفائه: "كانت قد استيقظت قبلي في الصباح الباكر وجلست فوق الأرض إلى جانب السرير تنظر إلى قدميّ. أعتقد أنني استيقظتُ من ملامسة إصبعيها الباردين لقدمي. قالت: <ما هذا؟> قلت: <أي شيء؟> وجمعتُ أصابع قدمي اليسرى؛ فقط جمعتها لتنسى أنها رأت، ولم أحاول حتى أن أثني قدمي أو أخفيها في طيات الفراش الناعمة. لقد رأت، ولهذا انتهى كل شيء" (السابق، 15). إن محاولته للتخفي هنا توقفت عند جمع أصابعه، لكن ذِكره لما لم يحاول فعله دليل على أنه فكّر فيه، غير أنه شعر أن الأوان كان قد فات، وأن سرّه قد افتُضح، أي عادت الفتاة غريبة عنه كما كانت، أو ربما عاد غريباً عنها، مما جعله يتخلى عن متابعة محاولاته، وتركيز اللغة على سرد ما حاول إخفاءه أو فكر فيه ولم يفعله يكشف حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي غربة حقيقية وحادة تدفع بالبطل المغترب في القصة إلى أن يتخفى، وقد تكررت محاولات اللغة لفضح ما يفكر فيه عن طريق سرد ما لم يفعله، فليس محطّ الاهتمام –هنا– سردُ ما فعله، بل سرد ما لم يفعله، من قبيل ما أسرّه في نفسه عندما أراد أن يفشي سره للصبي: "لو كان هنالك حتى شجرة أو كلب لكنت قد ذهبت من هناك متبعاً الظل" (السابق: 8). إنه يفكر في أن يفرّ، لكنه لم يفعل؛ يفرّ من أن يفشي سر امتلاكه لإصبع سادسة لأحد، وهو ذاته سرّ تميزه بأن لديه ما يغنيه عن العالم كله، ويجعله مكتفياً بذاته، لكن "لو" أسقطت المعنى وعكسته، فيبدو أن ذلك لم يتحقق، كما نلاحظ ذكره لما لم يحدث في قوله: "وعندها لن أكون مضطراً إلى إشعال سيجارتي كبقية الناس أو البحث عن خمارة خالية يكون فيها طاولة واحدة ومقعد واحد فقط" (السابق: 11)، أي لن يكون مضطراً لفعل ما يفعله الأشخاص الانعزاليون والمغتربون ممن لا يملكون تلك الزائدة، الذين يبحثون عن خمارة خالية أو يشعلون سجائرهم حين يضيق صدرهم بكل شيء، فهذه طريقتهم في الخلاص من الاضطراب، أما هو فلديه الزائدة، وليس مضطراً لاتباع طرقهم، ومنه أيضاً: "لو كان أحدنا مع أي شخص آخر، حتى لو كان ذلك الشخص عاهرة، فلا حاجة له لخلع جواربه" (السابق: 11). إنه ينفي عن نفسه الأفعال التي تدل على اغترابه عن الآخرين وعزلته، لكن هذا النفي يؤدي مدلولاً عكسياً، إذ يثبت اغترابه ويثبت

أنه دائماً يبحث في ذهنه عن سبل التحرر من ذلك الاغتراب، وهذا بدوره يؤكد شعوره به وانصياعه له، غير أن الحل لديه، فلديه ما يخلصه من ذلك الشعور، وهو الزائدة الموجودة في جوار إصبعه الصغرى في قدمه اليسرى.

من الأمور الأخرى التي أكدت عليها اللغة في دلالتها على اغتراب البطل التأكيد على فكرة الامّحاء والزوال عند التحقق؛ فقد ارتبط عنده زوال كل شيء برؤيته أو بالإقرار بوجوده: "ولكني كنت أعلم أن كل شيء سينتهي فيما إذا عرفتْ تلك الفتاة أو إذا رأت، والذنب بالطبع ليس ذنبها، فكلنا كذلك؛ حين يتضح لنا أمر ونراه تحت ضوء الشمس فسينتهي بالنسبة لنا، وإذا بقينا نحبه فذلك من باب الشفقة" (السابق: 14)؛ ومنه قوله: "لقد رأت، ولهذا انتهى كل شيء، لقد انتهيت بالنسبة لها" (السابق: 15)؛ وقوله: "ولكني ربما كنت أخاف من أن أقول، أقول وينتهي كل شيء" (السابق: 13)، ومنه: "قالت: <قل إنك تحبني.> قلت: <أيجب أن أقولها؟ ألا تشعرين بنفسك؟> لا أدري لماذا لا يصدقون إذا لم نقل؛ تماماً مثل ذاك الفتى النحيل ذي القدم المكسورة. قلت له: <انظر.> قال: <ليس هنالك ما يثير الانتباه.> وضعت إصبعين من أصابعي تحتها ورفعتها فرآها، أنا متأكد، ولكنه قال: حسناً ماذا؟! قلت: انظر! لدي ست أصابع" (السابق: 13). إن تأكيده المستمر على الانتهاء والزوال يحدث بتحقق القول أو الرؤية يؤكد نقيض ذلك في الأذهان، أي يؤكد أن الاستمرار والدوام يكون بالتخفي بالقول والفعل، فيبين أن الأمر المكشوف لا يثير رغبة الآخر بالاحتفاظ به، بل ما يثيرها بقاء ما لم يُكتشف، وبهذا يعطي مكانة لنفسه بالتخفي والبقاء مجهولاً عن أعين البقية، ويؤطر الذات بإطار يصعب اختراقه من كل جهاته لئلا تُكتشف، مما يبرر له البقاء في الظل أو العتمة بعيداً عن الآخر أياً كان.

كما برز دور اللغة جلياً في بيان اغتراب البطل في تكرار وصف الزائدة، ففي كل مرة وردت فيها ذُكر وصفها الدقيق بالشكل والنوع والحجم واللون والموضع، من قبيل: "لا يصحّ أن يُقال إني ذو ستة أصابع؛ فهي ليست إلا زائدة لحمية حمراء صغيرة دون ظفر تستقر بالقرب من الإصبع الصغرى لقدمي اليسرى، ليس إلّا" (السابق: 7)؛ ومنه أيضاً: "زائدة لحميّة حمراء لا ظفر لها. كانت أصغر من الأصابع الصغرى في العالم كله" (السابق: 8)؛ وقد مرّ وصفها أيضاً –عدا عن هذين الموضعين– في أربع مواضع أخرى. إن التأكيد الشديد على وصفها يبين اهتمامه الشديد بها وكأنه لم يكن يرى في العالم سواها، كما يجعلها التكرار كالتعويذة التي لا ينفك يرددها ليبعد الاغتراب عن قلبه، إذ بيّنت القصة قدرة الإحساس بهذه الزائدة على إبعاد الاغتراب والمشاعر السلبية المرافقة له كالوحدة والانعزال عن البطل. وقد أكد النقاد على أهمية دور تأثير العلل الجسمية في إحداث تغيرات في مسير الشخصيات كما ذكرنا في الدراسة النظرية، إذ تؤدي العلل الجسمية إلى تأثيرات شديدة على إحساس الشخص تجاه نفسه وعلى أسلوب الآخرين معه (كارد: 1387هـ.ش: 32). لقد كان لهذه العلة تأثيرها البارز في تشكيل عالم خاص بالشخصية وقوقعتها به لدرجة وصفها بالمصلى الذي نال مركز العنوان، ومن ذلك التأثير إحساس الشخصية بنفسها التي رفعتها حدّ الاكتفاء بذاتها عن كل شيء، وإحساسها بالآخر الذي أبعدته إلى حد التغريب،

وتكرار وصف الزائدة على امتداد القصة كان تدرّعاً بالاكتفاء في وجه التغريب المستمر نفسياً. من جانب آخر يمكن الاعتقاد بأن الاهتمام بذكر التفاصيل الدقيقة للزائدة في كل مرة وردت فيها كان مفضياً إلى غربة عميقة، فالأوصاف المكررة محاولةٌ لدفع وهم المتلقي في أن تكون تلك الزائدة إصبعاً، والإيهام بنقيض ذلك، أي الإيهام بأنها ليست إصبعاً، فركز على ما يبعد عنها المشابهة بالإصبع: لحمية (لا عظم فيها)، حمراء (لا بيضاء أو سمراء)، ودون ظفر (خلافاً للإصبع). إن هذه التفصيلات محاولة لتأكيد كون الزائدة غريبة عن الأصابع، كما هو غريب عمن حوله، لأن هذه الزائدة تمثله، فهي المعادل الوجودي لذاته، إذ لا يشعر بالتحقق إلا بالإحساس بها.

من الجوانب الأخرى التي تبدي فيها اللغة اغتراب البطل في القصة حواراتها، إذ يظهر في مرحلة الطفولة مما استرجعه من ذكريات أن صوت البطل لم يكن يُسمع في حوارات الأم والأب في ردّ أو بيان رأي أو فكرة، إلا في موضع واحد؛ حين كان يريد أن يقطع الزائدة ومنعته أمه، فسُمع صوته في جملة قصيرة تنفي الفعل عن نفسه: "لو لم تصل أمي فجأة لكنت قد قطعتها، ولكن عندما رأت سكّين المطبخ في يدي قالت: <ماذا تريد أن تفعل؟> قلت: <لا شيء> قالت: <قل لي الحقيقة، ماذا كنت تريد أن تفعل؟> [...] ولهذا انتقلنا إلى هذا الحي" (غلشيري، 1364هـ.ش: 9)، وفيما عدا ذلك كان ينقل أوامر الأم ونواهيها فيما يتعلق بإخفاء تلك الزائدة عن أعين الغرباء، وتبريرات الأب لوجود تلك الزائدة، فمن نواهي الأم: "كانت أمي تقول: لا تخلع جاربيك، لا تخلعهما إطلاقاً" (السابق: 7)، ومنها: "عندما كنت أذهب مع أبي إلى الحمام لم نكن نذهب إلى حمام السوق العام، فلم تكن أمي تسمح بذلك [...] وربما لهذا كانت توصيني: <إياك أن تذهب مع الصِّبية إلى السباحة>" (السابق: 7)، ومن تبريرات والده: " قال أبي: لدى الجميع، جميع من تراهم، لديهم شيء ما إضافي أو ناقص" (السابق: 10). إن التحليل العميق للأمر يبين لنا أن نواهي الأم وأوامرها وتبريرات الأب هي من جعلت العقدة تنمو في ذهن الصبي، ولهذا تسببا بمحو شخصيته ووجوده بالكامل في تلك الزائدة، والشعور الدائم بتقزيم ذاته مقارنة بأهمية إخفاء وجود تلك الزائدة، وفي المحاولة الوحيدة التي حاول فيها أن يثبت ذاته ويتخذ قراراً بقطعها سُمع صوته في الحوار، أي إن حواره ارتبط بإثبات الذات، فغاب حين غابت، وتكوّن حين أُثبِتت. إن انعدام شخصيته تناسب مع انعدام صوته، وضعف حجته تناسب مع خفوت صوته حين سمع صوته في الحوار، أي تناسب حواره مع بدء تشكل غربته، ولكن في التجربتين اللتين عرضهما –مع الصبي ومع المحبوبة– نلاحظ اختلافاً في مستوى حواراته وطولها، ففي كلتا التجربتين نراه يطيل الحديث ويبادر دائماً به، ويسأل وينتظر الجواب ويعقّب: "قلت له: <ماذا حصل لقدمك؟> قال: <ألا ترى؟> [...] قلت له: <هل جبّروها لك؟> لم يكن معلوماً. أعتقد أن ساقه كانت مكسورة. أومأ لي براسه وحسب. كان ينظر إلى المكان نفسه في آخر الزقاق، ولم يكن هنالك أحد [...] قلت له: <ستتحسن، ستتحسن سريعاً> قال: <لا. إنها المرة الثانية التي يجبّرونها لي> كانت ساق قدمه اليسرى نحيلة جداً [...] قلت له: <أتريد أن أريك شيئاً؟> نظر إليّ واكتفى بالقول: <ماذا؟> قلت: <قدمي> نظر

إليّ وقال: <ماذا حدث لها؟> قلت: <لا أدري. يجب أن تراها> كنت أفكّ رباط حذائي حين قال: <هل هي مكسورة؟> قلت: <لا. ولكن عِدني بألّا تُخبر أحداً> لم يقل شيئاً، نظر إليّ وحسب [...] قال: <ليس هناك ما يثير الانتباه> قلت: <انظر إليّ>" (السابق: 8).

يبدي لنا هذا الحوار مع الصبي في الطفولة أن شخصيته كانت تعاني انشطاراً مريراً بين وجودها مع الأب والأم اللذين حاولا نفي الذات واستبعادها فقابلهما بانعدام الحوار، وبين وجودها مع الآخر الذي عدّه نظيراً وحاول معه إثبات ذاته بنقصها وعيبها، أي أراد عرضها على حقيقتها كما هي تماماً، فكان حواره طويلاً وواضحاً ومبادراً في كل مرة حاول الآخر بتر الحوار، لكنه خيبة التجربة مع الصبي قوقعته في حدود العائلة، وحجّمت ذاته وأطّرتها بالقالب الذي وضعتها فيه الأم بمؤازرة الأب، فصار حواره في شبابه محاولة لإثبات تضخيم تلك الذات كردة فعل دفاعية على الانتقاص منها، لا عرضها على حقيقتها بنقصها وعيبها، وهو ما ظهر في حواره مع المحبوبة، إذ عمد إلى تمييزها باختلافها، وتشبيهها بالسحب كما رأينا في شاهد سابق، وقد حاول الحوار مع المحبوبة أن يظهر رؤيتين مختلفتين: رؤية الآخر ورؤية المغترب، وأبدى –الحوار– أن الآخر يرى المغترب غريباً أكثر مما يرى المغترب الآخر غريباً كما رأينا في حديثهما عند تشبيه الزائدة بالسحب، وكشاهد آخر أيضاً: "قالت ذات مرة: <لماذا لم تتصل بي؟> فأجبتها: <كنت مشغولاً> فقالت: <بماذا؟! أنت دائماً تذهب إلى غرفتك ولا أدري... [ماذا تفعل] هل هذا هو عملك؟ ثم إنك تخاف من الوحدة، أليس كذلك؟>" (السابق: 13)، إن رؤية الآخر للشخص الغريب تزيد من عمق غربته، وهذه الرؤية تبين أن السبب الأصلي للغربة نابع من تغريب الآخر لها.

لقد أدت جوانب السرد دورها في إكمال تشخيص البطل المغترب، فأظهرت لغته التردد والتكرار كجوانب لضمور الذات، وعمل التمثيل على بيان اغترابه أيضاً بمفارقات ظاهرة بين نيّته وهدفه من استخدام التمثيل والنتيجة الفعلية له، وأخيراً أبرز الحوار أن ذات البطل كان ممحوةً بوجود الأهل، وحاول إثباتها بعيبها ونقصها أمام الآخر النظير، غير أن الفشل الذريع للتجربة جعله يظهر الذات المضخّمة في حواراته مع المحبوبة.

3.2.2. المعصوم الرابع

تعرض القصة الحياة الرتيبة لموظف يعاني من خوف وتوتر دائمين من أن أحداً يتعقبه لأسباب سياسية تتعلق بماضي أبيه الذي كان معتقلاً، والذي لا يَذكر منه إلا ذكرى اعتقاله، وقد سبب شعوره ذاك رغبة عارمة بالانسحاب من التجمعات وأوساط الناس وعدم التعبير عن أي رأي في أي موضوع، وقد وردت أحداث القصة في رسالة يكتبها للأخ يشرح فيها حلماً رآه عن صاحب الرأس المقطوع ومجموعته من الأسرى التي كان – الراوي– منها، وبضع حوادث تتعلق بأولئك الذين يتعقبونه، وعدم شعوره بالأمان بشكل دائم، وبضع حوادث أخرى تتعلق بزميله في العمل وزيارته له في بيته، عارضاً عجز البطل عن تشكيل علاقات مع المحيط، ورغبته بالبقاء وحيداً مهما جرّت عليه الوحدة من تبعات.

تُظهر لنا اللغة السـردية غربة البطل من خلال تكرار سـرد بعض الأفعال البسـيطة التي تدل على عدم شـعوره بالأمان حتى وهو بين الجموع، من قبيل: "...فأصـــبحُ مرغماً على أن أحييهم وأجاملهم، وقد أصـــافحهم، وقد أشاركهم في الشراب أيضاً [...] ماذا يحدث لو تهربتُ منهم، ولم ألقِ عليهم التحية، واستدرت بوجهي إلى واجهة المحلات حين أرى أحدهم، وأبقيتُ ســـيجارتي بين شـــفتيّ حينما يأتيني أحدهم لئلا أُرغم على تقبيله أثناء مصـافحتي له؟" (السـابق: 117)؛ إن هروبه المتكرر من أية محاولة للاحتكاك بالآخرين ظناً منه بأنهم يتعقبونه تعكس غربة عميقة وخوفاً دائماً من الناس والحياة الاجتماعية، وهذا ما كان يدفعه عادة إلى الانعزال والابتعاد عن الجموع: "ثم بدأت بالتفكير بأنه لا بد من أنه يتعقبني الآن، لهذا دخلت في أحد الأزقة" (السابق: 118).

كما تبدي الأوصـاف والصـور البيانية جانباً كبيراً من باطن البطل، وتعكس الهشـاشـة المتأصـلة في نفسـه، فحين ذكر دخول أحد أولئك الغربـاء الذين يتعقبونـه إلى بيتـه بهـدف التفتيش وجمع المعلومـات ذكر جزءاً من الحـادثـة بقوله: "عندها مدّ يده إلى أســـفل طاولة التدفئة وأخرج الكتاب، وأخذ يلوّح به في يده وكأنه علَم النصـــر، ثم قرأ بضـع صـفحات منه بصـوت مرتفع، وعندما أدرتُ الحاكي أخذ يرفع صـوته أكثر. حتى إنه بدأ بالصـراخ تقريباً. ولكن لا تقل لي الآن: <ذاك لأنك أحمق!> كنت قد أخفيت الكتاب خلف رفوف الكتب بعد أن انتزعت غلافه وصـنعت له غلافاً جديداً بنفســي من الورق المقوى" (السـابق: 124). إن تناقض أفعال كل من الراوي والغريب تكشف جانباً عميقاً من غربة الراوي على مستويين: بصري وسمعي؛ فبصرياً لوح الغريب بالكتاب كعلم النصر، أما الراوي فكان قد أخفاه خلف رفوف الكتب بعد أن انتزع غلافه وصـنع له غلافاً جديداً؛ إذ تكشـف المبالغة في الإخفاء من جانب الذات والمبالغة في الإجهار من جانبِ الآخر عمق محاولة التخفي وعقمها، كما أن تغيير غلاف الكتاب وموضـعه تحت طاولة التدفئة أو خلف الرفوف يطل علينا بوجهين: الأول تغيير للهوية تصـاحبَ مع تغيير للفضـــاء المتعارف الذي من المفترض أن يكون الكتاب فيه، والثاني محاولة قلب دوره الدلالي بجعله حُجة يدان بها الراوي؛ يتمخض الوجه الأول عن غربة عميقة جعلت الأشـــياء في محيطه غريبة عن محيطها وذواتها بما يبدي غربة ذاتية عميقة، والثاني يبرز محاولة سلب الأشياء –وبالتالي البطل– لأدوارها ومدلولاتها بما يكشف غربة ثقافية عميقة.

أما سـمعياً فإن ارتفاع صـوت الغريب في القراءة وتشـغيل الراوي للحاكي ليطغى صـوت الحاكي على الصـوت الآخر، ومقابلة الآخر للفعل برفع صـوته أكثر يبين انخفاض صـوت الذات وانطواءها على نفسـها وجنوح صـوت الآخر للطغيان على داخل الذات وخارجها، وفرض ســطوته على حضــورها بالكامل، ويعري ضــعفها وعجزها بالكامل، فلم يحاول الراوي أن يواجه الآخر بصـوته، بل اسـتعان بصـوت خارجي مبدياً هشـاشـة واضـحة أثبتت إخفاقها من جهة، وعرت انطوائيته وضـعفه في مواجهة الغريب من جهة أخرى، ويبدو طغيان الصـوت الخارجي على صـوت الداخل أمراً شـائعاً ومتكرراً في القصـة، فنراه حين يصـف زميله في العمل يبدي اسـتغرابه واسـتنكاره

لارتفاع صوته: "هو أيضاً يقرأ الجرائد كل يوم صباحاً، حتى أنه يتجادل مع الجميع أيضاً –ولكن ليس معي– ويتناقش معهم، بل إنه يفعل ذلك بصوت مرتفع جداً" (السابق: 120)؛ يفضح السرد في المقطع السابق أمرين: الأول أن استدراك الراوي في سرده بمحتوى الجملة المعترضة التي تقضي بنفي مناقشة زميله له يعكس لنا على مستوى الخطاب –بدوره– أمرين: خوف الراوي الشديد من أي حوار أو إبداء رأي علناً مع أيٍّ كان، وإدراك الآخر –الزميل– لهذا الأمر، وعزله لا شعورياً من إظهار الوجود أو من التمثل كوجود مقابل، والشيء الآخر الذي يفضحه السرد أن الراوي لا يخشى النقاش وحسب، بل يخشى أكثر كونه بصوت مرتفع، وهما وجهان متعادلان، فالنقاش إثبات للذات، وكونه بصوت عالٍ تأكيد أكبر على إثباتها ورسوخها واتضاح حدودها ونضجها، لكن الراوي باستنكاره لهما يغور في قعر ذاته ويثبت أنه مهمش من الداخل إلى أقصى درجات التهميش، وقد كرر التأكيد على تأطير الصوت بصوت أعلى في قوله عن الزميل أيضاً: "وبدأ بعد ذلك بالجدال مع ابنته، بشكل لو لم يكن التلفاز يعمل ولم يكن صوتها –أعتقد أنها كانت أم الفتاة– مرتفعاً، لما انتهى الأمر على خير" (السابق: 126). إنه دائماً ما يعتقد بأن الصوت الخارجي يقوّض الصوت الداخلي ويمنع الكارثة، فتذرّعه دائماً بصخب خارجي بغاية التستر على الصوت الداخلي يفضح عري هدوئه الزائف، ويبين عمق جذور الخوف في لا وعيه، وإن لم يجد صوتاً خارجياً مقوِّضاً يعمد إلى إخماد الصوت الداخلي: "ولكنه أيضاً يتفوه أحياناً بكلام لولا احترامي لمجلسنا لوضعت أصابعي في آذاني، وعندما أنهضُ وأغلقُ الباب أو أسترقُ النظر إلى الخارج لأرى إن كان هنالك أحد ينفجرُ صارخاً في وجهي، ويبدأ برفع صوته أكثر وأكثر، ويكرر كلامه، ويضرب على المنضدة أمامه" (السابق: 121). لقد صار رفع الصوت الخارجي جزءاً من طقوسه اليومية: "أضع في الحاكي قرص موسيقا كلاسيكية، وأرفع صوته، ليس كثيراً، أقصد أنني أرفعه إلى حدّ إن سكرتُ وبدأتُ بالكلام فجأة.. أنت تفهم قصدي" (السابق: 125)، لقد ارتبط لاوعيه بالكلام بصوت مرتفع حين غياب العقل في السُّكر أو في النوم، مما يجعله يبحث عن صوت خارجي يغيّب صوت اللاوعي، وهو ما نراه مرة أخرى في قوله: "لا! أنا لا أعتقد أنني قلت مثل ذاك الكلام، وبصوتٍ مرتفع أيضاً! لكن لا توجد عداوة بيني وبين ضابط الدورية. قال [الضابط]: <كان يجلس قرب جدول الماء ويقرأ بصوت مرتفع جداً.> ربما قرأتُ له الجريدة وقلت كلاماً آخر لا أذكره" (السابق: 126)؛ وكان قد أقرّ بأنه أسرف في الشرب حتى الثمالة قبل ذلك، ومن ذلك في النوم: "حتى إنني صرخت كثيراً إلى درجة أن العجوز أتت لصراخي وأخذتْ تطرق الباب. قالت لي: ماذا حدث؟ هل هناك أحد في غرفتك؟" (السابق: 131)؛ وقوله: "تقول صاحبة البيت العجوز بأنني كنت أصرخ في نومي. أفعلتُ ذلك حقاً؟ لا أظنها تكذب، فهي امرأة طيبة. قالت: <عليك أن تحاول أن تنام.> حسناً! لا أستطيع! وهل الأمر بيدي؟" (السابق: 117)، ولهذا كان الصخب الخارجي المنقِذ بالطغيان والتمرد كاشفاً لأمرين: صخب داخلي هائج ينتجه الاضطراب والغليان من شدة التوتر، ورغبة عارمة في ضياع الصوت الداخلي تتناسب مع رغبته العارمة في

الانخراط في أي ازدحام بهدف الضياع بين الجموع والبقاء مجهولاً بين أواسط الناس التي عبر عنها في وصفه لبعض الأمكنة حين قال: "فكرت في سرّي: تبقى الأماكن المزدحمة في ألف رحمة" (السابق: 118).

كما تظهر اللغة السردية للراوي جانباً كبيراً من اغترابه عن طريق إظهار التردد في الأقوال وأحياناً في الأفعال، كقوله: "وأنا غارق في التفكير بالحلم الذي كنت قد رأيته في الليلة السابقة... أعتقد أنني كتبته لك.. نعم! كتبته.. ولكني لم أرسله" (السابق: 118)؛ فبين التردد في فعل الأمر والتأكيد على عدم إكماله بالكتابة دون الإرسال تبدو استمرارية حالة التوتر في البدء بالفعل وعدمه، وفي إتمامه وعدمه، وهو ما كرره مؤكداً في قوله: "كتبت لك عن ذلك؛ لا، ربما نسيت أن أرسلها لك. صدقني! ربما نسيت ذلك لأنه لم يكن بالإمكان إرسالها، بل أنا الذي لم أتمكن من ذلك في الحقيقة" (السابق: 122)؛ وقوله: "لا أدري إن كنت قد كتبتُ لك ما حدث حينما أكثرتُ من الشرب في إحدى الليالي؟ لم يكن الخطأ خطئي. لا، بل كان خطئي لأنني أصغيت إلى زميلي" (السابق: 125)؛ ومنه كذلك: "ربما سبب ذلك أنني سرت كثيراً البارحة. لا، ليس كثيراً، ولكني كنت مرغماً على الانعطاف في الأزقة، والتسكع من هذا الزقاق إلى ذاك" (السابق: 117)؛ ومن ذلك أيضاً نسيانه لما قام به أو قاله، كقوله: "ثم تكلمتُ بعد ذلك، ولكن عمَّ؟ أخبرتك بأنني نسيت" (السابق: 131)؛ وقوله كذلك: "سألتُ زين العابديني حينها: <ألم يخبرك من هو؟> أو ربما سألته: <ألم يخبرك ماذا يريد مني؟>" (السابق: 122)؛ وقوله: "لقد رأيت ذلك بنفسي في أحد الأفلام الأمريكية، لم أعد أذكر اسمه الآن، وحتى لو كنت أذكره لما كتبته لك. فما الفائدة؟" (السابق: 124). ومن تردده الواضح في التمنع لا عن إبراز رأيه وحسب، بل عن ترديد آراء الآخرين أيضاً قوله: "قلت له ذات مرة: <كان هناك العديد ممن لم يكونوا مع هذا الطرف ولا مع ذاك> خطّأني لأن... الآن لا أذكر لماذا بالتحديد. لا يمكن كتابة كل ما يقوله. زين العابديني لا يخشى شيئاً. أو أنه... لست أدري" (السابق: 121). تبدي الشواهد السابقة هشاشة الذات تجاه أي وجود خارجي، وتعلن توتراته وجمله الحائرة عن وجودٍ منتهك لا يقوى على التحقق، وهو ما يظهر جلياً –أيضاً– في الجمل المبتورة وغير التامة التي يتوزع وجودها على امتداد القصة، كقوله: "ثم لو مثلاً... أعني أنك تعلم أنني أخاف من الرجال ذوي النظارات" (السابق: 117)؛ ومنه أيضاً: "ليس خوفاً، لكن.. حسناً" (السابق: 118)؛ وقوله: "طبعاً كان هناك أناس آخرون، ولكن.. لست أدري" (السابق: 119)؛ ومنه أيضاً: "ذات مرة –ولا أذكر متى بالضبط– قال: "للمال الحرام طعم آخر. المعاشرة الحقيقية والصحيحة تكون عندما... لست أدري أين، ومع امرأة مستعدة لفعل ذلك مقابل المال" (السابق: 121)، وكذلك: "لهذا دخلت في أحد الأزقة، قلت في نفسي: <ربما...>، ثم عدت إلى الشارع المحاذي للنهر" (السابق: 118)؛ وقوله: "خشيت أن... طبعاً هو رجل طيب. لديه زوجة وابنان" (السابق: 119)؛ ومنه: "وبعد ذلك... أنت أدرى" (السابق: 118)؛ ومنه: "أقصد أنني أرفعه إلى حدّ إن سكرتُ وبدأتُ بالكلام فجأة... أنت تفهم قصدي" (السابق: 125). ففضلاً عن الجمل المبتورة التي تدل على بتر في الذات وتوتر عميق يمنع الفكرة من التحقق والجملة من التشكل نلاحظ أن غربة الذات تتجلى بوضوح في الاستخدام المتكرر للعبارات المبهمة،

من قبيل: "لست أدري، وأنت أدرى، وربما". إن تهشّم مرآة الذات مقابل أي حدث أو أي شخص لا يعكس ضعفاً داخلياً متأصلاً وحسب، بل يسلط الضوء على عمق ذلك التأصل الذي ألغى أصل الذات وأحرق جذورها، وعلى مسبباته التي تتمثل في المجتمع والكبت، فالمجتمع المريض لا ينتج أفراداً أصحاء. إن أسلوبه في كتابة الرسالة هنا بما فيه من تردد وشكوكية واضطراب معلن يعكس شخصيته بالكامل، فالرسائل عادة ما تكون معبرة عن شخصية المرسِل (وادي، 1994م:41)، وهو أمر أظهر بوضوح مدى عجزه وعدم جدوى أفعاله وخلوّها من المعنى، فاضحاً بذلك اغتراباً يطل علينا مما وراء السطور.

كما تبدو الهشاشة النفسية على مستوى السرد واللغة في التداعي الفكري، الذي تمثله انتقالاته الكثيرة بين القصص والأخبار المختلفة التي لا يربط بينها رابط في كثير من الأحيان، وإن كان هناك رابط فهو رابط واهٍ كما يتضح، فبعد أن كان يتحدث عن الليلة التي أتاه فيها رجل غريب يتعقبه نراه يقص عليه قصصاً تاريخية ودينية دون مبرر بعد أن ضبط الرجل بحوزته كتاباً ممنوعاً: "أخبرته بما حدث في المدينة. حتى إني قصصت عليه أيضاً ما جرى في هجرة النبي وقصة اللجوء إلى الغار والعنكبوت وشبكته التي حمت النبي وصاحبه... وأريتُه كتبي" (غلشيري، 1364هـ.ش: 124)، كما يظهر تشتته بطريقته في السرد؛ إذ قامت القصة على السرد السيكولوجي الذي يقوم على ترتيب الأحداث في الصورة السردية حسب توارد أجزاء التجربة على ذاكرة السارد أو إحدى الشخصيات، أو حسب فيضان المشاعر التي تضطرم داخلها، فتأتي الأحداث مضطربة متداخلة لتعبر عن اضطراب الرؤية وعن تداخلها (الكردي، 2006: 162؛ زيتوني،2001م: 105- 106)، فنراه في بداية القصة يقصّ جزءاً من حلم يدّعي أنه لا يذكر تفاصيله، وأنه ليس مهماً، لكنه بعد أن يقصّ عدة حوادث جرت معه يعود إلى قصّ جزء آخر من الحلم، ومرة ثالثة يخرج منه وينتهي إليه مرة رابعة في تفاصيل جديدة، وهو ما اتبعه في قصّ بقية الأحداث التي جرت معه، فنزاه يقصّ شيئاً يتعلق بحادثة جرت معه، ويخرج منها قبل أن يبين تفاصيلها، ثم يعود بعد حين ليضيء جانباً آخر من الحادثة ذاتها، ويكرر الأمر حتى تنتهي القصة، وتنتهي معها كل الأحداث التي تطرق للحديث عنها هنا وهناك. إن هذا الأسلوب السردي –على جماله وتشويقه– يبين تشتت أفكار الراوي الذي أظهر لنا ذلك عن طريق مناجاة يكتبها في رسالة لأخيه، وهذا التشتت الذهني يعكس نفسية مضطربة وروحاً غريبة لا تكاد تجد مستقراً وراحة من أمر حتى يطالعها آخر.

من جانبه يبدي لنا الحوار جانباً من خفوت حضور البطل في الجمع، وهذا ما يظهر على مستوى السرد في جانبين؛ الأول: غياب صوت البطل في الحوار المسموع معظم الأوقات، غير أن صوته الداخلي –المناجاة– دائم الحضور، إذ تتحدد معالم القصة عن طريق هذه المناجاة في قصة ترسلية، والثاني أنه حينما يُسمع صوته في استرجاع الحوار تكون جمله قصيرة ومبتورة، على نقيض الطرف الآخر –المحاوِر– الذي تتسم حواراته بالطول والامتداد، ولعل انخفاض الصوت المسموع وما يقابله من امتداد الصوت الداخلي على امتداد الرسالة

تقريباً دليل على محاولة البطل عدم الانخراط بالمحيط، والاحتفاظ بعالمه الداخلي لنفســـه هارباً من الخارج إلى الداخل. من جانب آخر تبدي لنا محاوراته مع الزميل في العمل أو ابنته ذاتاً منكمشـة تسـعى إلى اختزال الحوار وبتره، وانهزامية تظهر في الانسـحاب المسـتمر من الحوار من جهة، وفي رضـوخه لرأي الطرف الآخر، لا عن قناعة، وإنما عن رغبة ضـمنية بإنهاء الحوار وحسـب من جهة أخرى، من قبيل: "قال زين العابديني: <هل تجيد الكاراتيه؟> هو يجيد بعض فنونها. قال لي: <هناك أناس يعرفون كيف يحطمون عنق المرء أو عموده الفقري بضـــربة واحدة بأيديهم> أعتقد أنه تعلّم ذلك من كتاب كاراتيه. اقترح عليّ أن أقرأه. قال لي: <ســـيفيدك أيها الشـاب. أسـتطيع أن أعيرك إياه إن شـئت> أجبتُ: <شـكراً> في الحقيقة كنت أود لو أقرؤه، ولكني فكرت في أنه سيطلب مني بالمقابل كتباً، ومن يدري طبيعة تلك الكتب؟" (غلشيري، 1364هـــ.ش: 124- 125). إن رغبته في إنهاء أي نوع من المبادلة بالكلمات أو الأدوات –الكتب– جعله يبتر الأمر على رغبته فيه، وهو ما ظهر أيضـاً بصـورة صـدٍّ للفتاة التي فكر في الارتباط بها: "عندما سألتني ابنته: <أترغب في لعب الشـطرنج؟> أجبتُ: <لا أجيدها>. أنت تعلم لماذا. قالت: <ســأعلّمك. انظر...> ثم شــرحتْ لي. طلبتُ الإذن بالخروج" (الســابق: 129). إن هذه الحوارات تبدي تفاعلاً اضـطرارياً مع المحيط، وتعكس في مضـمونها وشـكلها رغبة بالهروب من أي احتكاك أو تفاعل، معلنة عن انغلاق على الذات وميل إلى الداخل، وهذا وجه من وجوه الاغتراب الشائعة.

لقد ظهر الاغتراب واضـحاً في لغة البطل وتردده وجمله الناقصـة، وظهر أيضـاً في مواقفه وفي طريقة سـرد تلك المواقف، كما أبدى الحوار جانباً مهماً من ميل الراوي إلى الداخل واتجاهه إليه دون أن يرغب بأية محاولة لإجراء مبادلة كلامية أو غيرها، وهو ما تُرجم كله بالكلمات ليبرز لنا اغتراباً عميقاً وهشاشة لا يُشكُّ بوجودها.

4. دراسة مقارنة ونتائج

بعد دراسـة دور اللغة السـردية في تشـخيص البطل المغترب في قصـص من مجموعتي: "موت سـرير رقم "12 لغسان كنفاني، و"مصلاي الصغير" لهوشنغ غلشيري بيّنت النتائج أن السرد في القصص المدروسة جميعاً خافت ورتيب، وهو أمر متوقع مع شـخصـيات تعيش اغتراباً وعزلة قسـرية أو اختيارية، وقد تميزت اللغة في القصـص جميعاً بالتكرار في وصف الأحداث والأشياء، فالأحداث كالأفعال الرتيبة في "لؤلؤ في الطريق والعطش" لكنفاني، وإظهار الاهتمام بالزائدة في "مصـلاي الصـغير" والأفعال الوقائية لملاحقة الآخرين في "المعصـوم الرابع"، وتكرار وصف الأشياء كتكرار وصف عيني البومة وصريرها الحاد في "البومة في الغرفة البعيدة"، وتكرار وصف الهدف الذي يذهب والذي لا يذهب في "شـيء لا يذهب"، وتكرار وصـف الزائدة في "مصـلاي الصـغير"، ومن الملاحظ أن القصــص المدروســة جميعاً اهتمت بانتقاء المفردات التي تعبر عن الحالة الشــعورية للبطل، وقد كانت هذه المفردات منتقاة من الأرض غالباً في قصـــص كنفاني، ودالة على الكثير من الشـــك والتردد والجمل المبتورة والتكرار في قصص غلشيري، وقد عكست لدى كليهما غربة البطل وعدم انتمائه، كما أن استخدام الصور الفنية

كان واضحاً في القصص جميعاً بما يعكس الاغتراب، إلا أن الأمر البارز في قصة "مصلاي الصغير" لجوء البطل عدة مرات إلى التمثيل، لكن ذلك التمثيل كان ينفي المقاربة بين طرفي التمثيل، ويفضي –بدوره– إلى الحالة الشعورية العميقة باغتراب البطل، ومما ميز صور كنفاني كونها كثيراً ما كانت تستمد عناصرها من الأرض أو الغربة، وميز صور غلشيري كونها تحتوي على الكثير من الملفوظات التي تنتج مفارقات تظهر الاغتراب فيما وراء الكلمات، وقد كان الراوي هو الشخصية المغتربة في القصص كلها باستثناء "لؤلؤ في الطريق"، لذا غلب ضمير المتكلم على اللغة السردية في "أنا" الراوي، إلا في لؤلؤ في الطريق، ولكن ما يثير الانتباه أن الراوي عمد إلى مخاطبة نفسه مرة في "العطش" وتبعيدها كغائب على امتداد سرده تقريباً في القصة ذاتها، في محاولة للإمعان في تغريب الذات، كما أن أصدقاء الراوي في "شيء لا يذهب" عاملوه مرة على أنه غائب، في محاولة لتهميش هدفه الذي وصفه نفسه بأنه يذهب، وكشف زيف ادعاءاته.

كما يلاحظ أن القصص جميعاً اعتمدت على المناجاة بكثرة في محاولة لاستنطاق الداخل، واستخدمت الحوار أيضاً، ويتميز الحوار بهيمنة الآخر عليه في "البومة في الغرفة البعيدة وشيء لا يذهب ولؤلؤ في الطريق" وانعدامه في "العطش" لكنفاني، وحوارات البومة في القصة الأولى كانت كلها أسئلة أو عبارات انفعالية تعجبية بما يبين نظرتها للراوي الذي أحاطه استغرابها لاختياره الفرار، كما يُلاحَظ أن الحوار في القصص الثلاث الأولى كان أحادي الجانب، وكانت أحاديته تقوم على الآخر في "البومة في الغرفة البعيدة" بما يقلل من الحيوية ويظهر رغبة البطل في الالتفاف إلى نفسه والانغلاق عليها ويظهر شخصيته المنفعلة أيضاً، وفي القصتين الأخريين كان أحادي الجانب غير أن أحاديته تقوم على ذات البطل، بما يُظهر رغبة عارمة في كسر العزلة وإضفاء روح على الفضاء، ونرى نموذجاً آخر في "لؤلؤ في الطريق" يمثله الراوي الحقيقي والبقية –عدا الراوي الضمني– ويعمل هذا الجانب على محاولة بتر أي حوار والاحتفاظ بالصمت وعدم المشاركة لئلا تكسر العزلة، كما أن انعدام الحوار بالمطلق في "العطش" أمر متوقع لانعدام الشخصيات، ويمكن أن يُقرأ قراءتين: الأولى أنه يبدي عزلة شديدة وتقوقعاً للذات يصعب كسر قشرته، والأخرى أن القصة قائمة على الحاجة الماسّة إلى الحوار الذي شكّل دافعاً قامت القصة من أجل بيانه، ولكن السرد فضح أن تلك الحاجة كانت لإثبات الذات مدة، لا لكسر العزلة وخلق المشاركة، أما في "مصلاي الصغير" لغلشيري فجاء الحوار معادلاً لمحاولة إثبات الذات، فكان شبه معدوم في مرحلة الطفولة بحضور الوالدين اللذين عملا على تطويق حضور الصبي بتكرار تحذير الأم وتبرير الأب، مما خلق ردة فعل جعلت شخصيته تُمحى بحضورهما، أما في محاورته للصبي الآخر في طفولته والذي عدّه نظيراً له فكان حواره محاولة لتأكيد ذاته على ما هي عليه من نقص، ولكن فشله وعدم تحقق الذات جعل حواره في مرحلة الشباب مع المحبوبة يأخذ طابع محاولة تضخيم الذات ورفع مكانتها، أما "المعصوم الرابع" لغلشيري فجاءت على شكل رسالة، لذا فإن الحوار منقول فيها، لكن فيما نقله نجد أن حوارات الآخرين –خاصة الزميل في العمل وابنته– كانت في أغلبها سجالاً يغلب عليه طابع الجدل، خلافاً لحوار البطل الذي كان يبدو

استسلامياً ومطاوعاً ومقتضباً يعكس هروباً إلى الداخل وشخصية منغلقة تعمل ما بوسعها لإنهاء الحوار وإنهاء أي نوع من أنواع المبادلة أو التعامل مع الآخر.

لقد كانت اللغة عند الكاتبين ناقلاً أميناً لشخصية البطل، وعملت على بيان الخلل النفسي في شخصيته وإيضاحه بما يعكس خللاً اجتماعياً عميقاً في المجتمعين العربي والإيراني في فترة أحداث القصص، ويعكس أيضاً مهارة الكاتبين وإبداعهما في أساليب التشخيص، وهو ما يمكن أن يدرس على مستوى أشمل في قصص أخرى كمقالة مكملة لهذه المقالة.

5. المصادر والمراجع

المراجع العربية

أمعضشو، فريد (2012م)، "الاغتراب مفهوماً وواقعاً"، الأزمنة الحديثة، ع1، صص 189- 197.

أمين، أحمد (2012م)، النقد الأدبي، ج1، هنداوي، القاهرة.

باختين، ميخائيل (2987م)، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة.

بركات، حليم (2006م)، الاغتراب في الثقافة العربية متهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

بلال، عوني (2023م)، "البومة التي حدقت في عين كنفاني"، موقع متراس، نشر في 9 مارس، تم الاسترجاع من الرابط:
https://metras.co/%D8%B4%D9%8A%D8%A1-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D8%B0%D9%87%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D9%85%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%BA%D8%B1%D9%81%D8%A9-%D8%A8%D8%B9%D9%8A%D8%AF%D8%A9/

بوعزة، محمد (2010م)، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الاختلاف، الجزائر.

التونجي، محمد (1999م)، المعجم المفصل في الأدب، ج1 و2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

جنيت، جيرار (1997م)، خطاب الحكاية، ت. محمد معتصـــم، عبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، ط2، الهيئة العامة للمطابع الأميرية (المجلس الأعلى للثقافة)، لا مك.

حافظ، صبري (1982م)، "خصائص الأقصوصة البنائية وجماليتها"، مجلة فصول، مج 2، ع4، صص 19- 32.

خليفة، عبد اللطيف محمد (2003م)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، القاهرة: دار غريب.

دحو، لحسن (2011م)، "اغتراب المصطلح أزمة مفهوم وتغريب هوية"، مجلة مقاليد، ع1، صص163- 168.

دوارة، فؤاد (1982)، "مخاض الثورة الفلسطينية في قصص غسان كنفاني القصيرة"، مجلة فصول، مج 2، ع4، صص 329- 338.

راضي، عبد الحكيم (2003م)، نظرية اللغة في النقد الأدبي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

رجب، محمود (1988م)، الاغتراب سيرة ومصطلح، ط3، دار المعارف، مصر.

رجب، محمود (1965م)، "الاغتراب أنواع"، مجلة الفكر المعاصر، ع5، صص19- 25.

الزركلي، خير الدين (2002م)، الأعلام، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت.

زيتوني، لطيف (2001م)، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان- ناشرون، لبنان.

سعد الدين، نادية عباس (2021م)، الفلسفة والمشكلات المعاصرة (التطرف والاغتراب الثقافي نموذجاً). وزارة الثقافة، عمان.

عثمان، اعتدال (1982م)، "البطل المعضل بين الانتماء والاغتراب"، مجلة فصول، مج 2، ع2، صص 91- 102.

فضل، صلاح (1998م)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط1، دار الشروق، القاهرة.
فوكس، رالف (1994م)، "موت البطل في الرواية"، من مجموعة دراسات في نقد الرواية– القسم الثاني المترجم، ترجمة: د. طه وادي، ط3، دار المعارف، القاهرة.
الكردي، عبد الرحيم (2006م)، البنية السردية في القصة القصيرة. الرجل الذي فقد ظله نموذجاً، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.
كنفاني، غسان (2014م)، موت سرير رقم 12، دار منشورات الرمال، قبرص.
كوك، آلبرت (1994م)، "لغة الفن القصصي"، من مجموعة دراسات في نقد الرواية– القسم الثاني المترجم، ترجمة: د. طه وادي، ط3، دار المعارف، القاهرة.
متولي، نعمان عبد السميع (2014م)، الانزياح اللغوي أصوله وأثره في بنية النص، دار العلم والإيمان، مصر.
محفوظ، عبد اللطيف (2009م)، وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر.
محمد، حسين علي (2011م). التحرير الأدبي: دراسة نظرية ونماذج تطبيقية، ط7، العبيكان، الرياض.
منصوري، عليّ (2013م)، "إرهاصات البطل الروائي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 28، صص 83.
همفري، روبرت (2000م)، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، دار غريب، القاهرة.
وادي، طه (1994)، دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، القاهرة.
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل (1984م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت.

المراجع الفارسية

غلشيري، هوشنغ (1364هـ.ش)، نمازخانه كوچک من: مصلاي الصغير، ط2، كتاب طهران، طهران.
كارد، أورسون سكوت (1387هـ.ش)، شخصيت¬پردازى وزاويه¬ى ديد: التشخيص وزاوية الرؤية، ترجمة: بريسا خسروي ساماني، ط1، رسش، الأهواز.
مونسي، حبيب (2012م)، "البطل أم الشخصية؛ لماذا تخلت الرواية عن البطل لصالح الشخصية؟"، مجلة إشكالات– المركز الجامعي لتامنغست– الجزائر، ع1، صص 9– 17.
ميرصادقي، جمال (1379هـ.ش)، عناصر داستان: عناصر القصة، ط6، سخن، طهران.
ميرعابديني، حسن (1380هـ.ش)، صد سال داستان نويسي در إيران: مئة عام على كتابة القصة في إيران، ج1 و2، ط2، جشمه، طهران.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 121-149, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/gxhqja53

Research Article

Open Access

الذكاء الانفعالي كمتغير وسيط في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديميـــة لـــدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا

كاملة حمد فكرون الزوي[1]*

الباحث الأول [1]*:
كلية الآداب، جامعة اجدابيا، ليبيا.

المستخلص: هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الذكاء الانفعالي كمتغير وسيط في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة جامعة اجدابيا، إضافة إلى تحديد مستويات هذه المتغيرات وطبيعة العلاقة بينها. استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، وطبّقت ثلاثة مقاييس (الذكاء الانفعالي، اليقظة العقلية، جودة الحياة الأكاديمية) على عينة مكونة من (118) طالبًا وطالبة. أظهرت النتائج ارتفاع مستويات المتغيرات الثلاثة (بمتوسطات: 185.85، 87.95، 124.40 على التوالي)، ووجود علاقات قوية بينها: بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية (0.88**)، وبين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية (0.73**)، وبين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية (0.76**). كما تبين أن الذكاء الانفعالي يلعب دورًا وسيطًا جزئيًا في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية بقيمة أثر (0.196).

الكلمات المفتاحية: الذكاء الانفعالي، اليقظة العقلية، جودة الحياة الأكاديمية

[1]***Corresponding author:**
Kamla H. Al-Zawi
Kamla.hamad@uoa.edu.ly
Faculty of Arts, University of Ajdabiya, Libya.

Received:
26/02/2026

Accepted:
19/02/2026

Publish online:
30/04/2026

Emotional intelligence as a mediating variable in the relationship between mindfulness and the quality of academic life among a sample of medical students at Ajdabiya University

Abstract: This study investigates emotional intelligence as a mediating variable in the relationship between mindfulness and quality of academic life among medical students at Ajdabiya University. It also examines the levels of these variables and the relationships among them. A descriptive method was used, and three scales (emotional intelligence, mindfulness, and quality of academic life) were administered to a sample of 118 students. Results indicate high levels of all variables (means: 185.85, 87.95, 124.40, respectively) and strong correlations: mindfulness with quality of academic life (0.88**), emotional intelligence with mindfulness (0.73**), and emotional intelligence with quality of academic life (0.76**). Emotional intelligence showed a partial mediating effect on the relationship between mindfulness and quality of academic life (effect = 0.196).

Keywords: Emotional intelligence, Mental alertness, The quality of academic life.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

تهتم الجامعات بتحقيق الريادة العلمية والبحثيَّة، والُّنهوض بجودة المنظومة التَّعليميَّة لبناء المعرفة، وتزويد المجتمع بخُّريجين ذوي كفاءات، ويظهر تحقيق هذا الهدف من خلال الاهتمام بالجوانب الَّنفسيَّة غير المعرفيَّة للمتعلمين، كما إن التعليم الجامعي له دورا بالغ الأهمية في تشكيل عقلية الأمم وطاقاتها، فهو مؤشرا معياريا لبلوغ الريادة من عدمه، باعتباره ترجماناً للكفاءات العالية مؤسسا بذلك الطور النهائي في إعداد الكوادر المؤهلة والمدربة بدرجة عالية معرفياً وعلمياً.

والطلبة الجامعيين كغيرهم من الشباب هي الفئة المقبلة على الحياة، فهي التي ترغب في حياة وغد أفضل ولهم رغبة في تحسين ظروفهم وتحقيق جودة حياة أفضل، وجودة الحياة هي إدراك الفرد لواقعه والتي تعطيه الإحساس بالسعادة أو الحزن والرضا عن وضعه النفسي والصحي والاجتماعي والاقتصادي، ويتضمن المفهوم جوانب مختلفة منها ما يتعلق بالصحة النفسية والجسدية والعلاقات الاجتماعية بما فيها العلاقات الأسرية والعلاقات الدراسية والعمل.

وباعتبار جودة الحياة الأكاديمية، من المفاهيم الحديثة التي أطلقت على هذه الظروف كونها تشمل كل ما يتعلق بالفرد من جودة حياته على الجانب الاقتصادي والصحي والاجتماعي والثقافي والتعليمي وهو ما يراه بور **Power**2006 من كون هذه الأبعاد كافة تسهم في تحديد جودة الحياة، كون هذه الجودة تختلف من بيئة إلى أخرى، فيما يؤكد الغامدي 2016 أ ن مكونات جودة الحياة ذاتية وموضوعية، وذلك من خلال وعي الفرد بضرورة تحقيق التوازن بين الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة (السلامين ، 2018) ، وهذا الإدراك والمشاعر التي تولدها تؤثر على قدرة الفرد في مواجهة التحديات عموما وعلى قدرة الطالب في التعايش مع المرض على وجه خاص، وقد تعمل كحاجز يحول بين الطالب و جودة الحياة التي يطمح لها وقد أشار الشرقاوي في تعريفه لجودة الحياة بأنها" كل ما يفيد الفرد بتنمية طاقاته النفسية والعقلية ذاتيا والتدريب على كيفية حل المشكلات واستخدام أساليب مواجهة المواقف الضاغطة والمبادرة بمساعدة الآخرين والتضحية من أجل رفاهية المجتمع وهذه الحالة تتسم بالشعور وينظر إلى جودة الحياة من خلال قدرة الفرد على إشباع حاجات الصحة النفسية مثل الحاجات البيولوجية والعلاقات الاجتماعية (حسن، ،2004 : 15).

ويعد الذكاء الانفعالي من المفاهيم السيكولوجية التي ظهرت حديثا في علم النفس، ومنذ ظهوره وهو يحظى باهتمام واسع من قبل علماء النفس الذين يدرسون علاقته بمتغيرات نفسية أخرى لإدراكهم بأهمية الوجدان في حياة الفرد النفسية، وإدراكهم لدور الذكاء الانفعالي في نجاح الفرد في حياته العامة والمهنية، وارتباطه بصحة الفرد النفسية، وشعوره بالسعادة ويتحدد مفهوم الذكاء الانفعالي من خلال ربط الذكاء بالعاطفة؛ فالذكاء الانفعالي يعني توظيف المشاعر والعواطف والانفعالات بذكاء، ويتضمن فكرتين هما: أن يجعل الوجدان تفكيرنا أكثر

ذكاءً نحو حالاتنا الانفعالية ، وان يكون تفكيرنا ذكيا في حياتنا الانفعالية (عفش ، 2011).

يُعد مفهوم اليقظة العقلية من المفاهيم الحديثة نسبيا في التراث السيكولوجي، وهو من الخصائص النفسية المهمة التي تساعد الفرد على مواجهة ضغوط الحياة المتعددة بنجاح وفاعلية، وقد حظي هذا المفهوم باهتمام العديد من العلماء والباحثين خاصة في مجال علم النفس الايجابي الذي يركز على جوانب القوة والتفوق في الشخصية الإنسانية، ودورها في دعم نمو الفرد ووقايته من التأثيرات السلبية لما يتعرض له من الشدائد والأزمات، الأمر الذي يؤكد أهميتها التطبيقية البالغة في مجال الإرشاد والعلاج النفسي (علاق ؛ بنين ، 2020) ويعتبر الطلبة أكثر فئات المجتمع حاجة لممارسة اليقظة العقلية، ألا إن مهامهم البيداغوجية تعتمد بالدرجة الأولى على نشاطهم العقلي، فهم بحاجه للتركيز والانتباه والانفتاح على الخبرات والملاحظة والوصف للتعامل بوعي مع الخبرات اليومية في هذا السياق يذكر(وينغ)2019 **Wang** أن العديد من الكليات الشهيرة في الولايات المتحدة الأمريكية تبنت مواد دراسية حول اليقظة العقلية ضمن مناهجها التعليمية، نظرا لاتفاق العديد من الدراسات العلمية على فائدتها فهي تعمل على زيادة الانتباه والتركيز والتوجه نحو الحاضر (دغنوش ، 2022).

وأشار كول 2009 ,**Koole** إلى أن اليقظة العقلية تشجع التنظيم الانفعالي ، وهكذا فإن الجوانب الأساسية من اليقظة العقلية قد تجعل من المرجح أن يطور الأفراد كفاءات تشمل الذكاء الانفعالي، كما تشجع اليقظة العقلية الأفراد على أن يدركوا بدقة مشاعرهم الخاصة، وعواطف ومشاعر الآخرين، وينظموا ذلك بشكل فعال وقد تسهل اليقظة العقلية تطوير ذكاء انفعالي أكبر يؤدي بدوره إلى مزيد من الرفاه الذاتي وتوجد بعض الأدلة التي تشير إلى أن مستويات أعلى من اليقظة العقلية ترتبط بأداء انفعالي أكثر تكيفًا، بما يتماشى مع الذكاء الانفعالي 2004 **Baer, Allen & Smith** وهناك جوانب أساسية من اليقظة العقلية تساعد على تفسير الارتباط بين اليقظة العقلية والذكاء الانفعالي، كما أن اليقظة العقلية تصف الوضوح والحيوية للتجربة الحالية، وتعزز الاتصال الحسي مع الحياة، كما تحسن أداء التنظيم الذاتي، الذي يأتي من خلال حساسية الانتباه المستمر للعوامل النفسية، والمادية والأسباب البيئية (الربيع ، 2019).

مشكلة الدراسة

وتعد مرحلة التعليم الجامعي من المراحل التي تؤثر في تنمية مدركات المتعلمين نحو جودة حياتيهم، إذ إن الطلبة يمرون بمرحلة نمائية مهمة هي المراهقة، لذلك إن نظرتيهم لجودة الحياة تؤثر على أدائهم الدراسي وأيضا على طموحهم المستقبلي في الإنجاز وتحقيق الأهداف الذاتية والموضوعية (عبد المطلب، 2014).

ولاحظ بعض العلماء أن الذكاء الانفعالي رغم أهميته في مواقف التحصيل الدراسي، إلا أنه ليس كافيا للنجاح في مواقف الحياة اليومية، حيث أن بعض الأشخاص المتميزون دراسيا يجدون صعوبة في التكيف مع متطلبات الحياة، وكما أشار جولمان**Goleman** أن بعض الأشخاص ذو ذكاء مرتفع يتعثرون في حياتهم ويفشلون في

حل المشاكل الحياتية فالذكاء الأكاديمي ليس شرطا للنجاح في جانب الحياة الوجداني (**Goleman**,2001).

كما بدأ الاهتمام بمفهوم اليقظة العقلية خلال العقود الثلاثة الماضية نتيجة التقدم الكبير في مجال البحوث والدراسات المتعلقة بالدماغ، رغم أن جذورها تمتد إلى بعض الديانات الشرقية والتقاليد القديمة التي تعتمد على الممارسات التأملية من خلال التركيز على العلاقة بين العقل والجسد، والأفكار والمشاعر(علاق ؛ بنين، 2020) ، وتم تحديد اليقظة العقلية كسمة نفسية توجد لدى جميع الأفراد، ولكن بدرجات متفاوتة، وقد ركزت غالبية البحوث السابقة على دراستها لدى عينات من الراشدين، ومع ذلك أشار كل من **Hine& Sobansky Marks2010**, إلى أن المراهقين هم أفراد نمت لديهم قدرات معرفية كافية، تمكنهم من معرفة الذات، والتأمل الذاتي التي من شأنها أن تعزز لديهم مستويات أعلى من اليقظة العقلية، وهكذا ظهرت بحوث قليلة نسبيا ولكنها متنامية تهدف إلى بحث ما إذا كانت اليقظة العقلية لها فوائد صحية ونفسية مهمة وتبين أنَّها يمكن أن تؤثر بشكلٍ إيجابي في جودة الحياة الأكاديمية (شاهين ،2017). وتتلخص مشكلة الدراسة في إطار التساؤل التالي:

إلى أي مدى يمكن اعتبار الذكاء الانفعالي متغيرا وسيطا في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في كونها من أول الدراسات العربية ـ حسب علم الباحثة ـ التي تناولت الذكاء الانفعالي كمتغير وسيط في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية حيث يمكن أن تسهم هذه الدراسة في تقديم فهم نظري لطبيعة المتغيرات وتعد إضافة نوعية وإثراء للمعرفة وللمكتبات العربية والليبية في مجال الدراسات النظرية في هذا الجانب، كما توفر مراجعة دقيقة لمفاهيم حديثة نسبيا وهي: الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية.

أما الأهمية العملية والتطبيقية للدراسة فتتمثل في توجيه البرامج الإرشادية والتنموية التي تستهدف الارتقاء باليقظة العقلية، كما ستسهم في لفت نظر الأساتذة إلى الدور الذي يؤديه الذكاء الانفعالي في اليقظة العقلية، ليأخذوها في اعتبارهم أثناء تدريسهم للطلبة؛ مما سينعكس إيجاباً على جودة الحياة الأكاديمية وتحصيلهم الأكاديمي وانهماكهم في مهامهم الأكاديمية. كما تنعكس أهمية هذه الدراسة، في المرحلة العمرية التي تتناولها؛ إذ إن الاهتمام بالشباب في المرحلة الجامعية ولاسيما في التخصصات الطبية يعد دليلاً على تقدم المجتمع وتطوره نحو الأفضل.

وأيضا للدراسة أهمية في إثراء المعرفة السيكولوجية والاجتماعية بالأطر النظرية في إبراز دور الذكاء الانفعالي في رفع مستوى جودة الحياة الأكاديمية لدى الطلبة في المرحلة الجامعية، كما قد تسهم هذه الدراسة في وضع

بعض المقترحات التي يمكن الاستفادة منها في بناء برامج إرشادية فردية أو جماعية خاصة بهدف تحسين جودة الحياة الأكاديمية لديهم.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية للتعرف على:

1 ـ معرفة مستوى الذكاء الانفعالي لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

2 ـ معرفة مستوى اليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

3 ـ معرفة مستوى جودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

4 ـ معرفة نوع العلاقة بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

5ـ معرفة نوع العلاقة بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

6ـ معرفة نوع العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

7ـ معرفة إلي أي مدى يمكن اعتبار الذكاء الانفعالي متغيرا وسيطا في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا.

تساؤلات الدراسة

1 ـ ما مستوى الذكاء الانفعالي لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

2 ـ ما مستوى اليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

3 ـ ما مستوى جودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

4 ـ هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

5ـ هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

6ـ هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

7ـ هل يعتبر الذكاء الانفعالي متغيرا وسيطا بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

مصطلحات الدراسة

تعريف الذكاء الانفعالي: Emotional intelligence

عرف جولمان (45: 1995 **Goleman**) الذكاء الانفعالي أنه " مجموعة من المهارات الانفعالية التي يتمتع بها الفرد واللازمة للنجاح المهني وفي مواقف الحياة المختلفة" وعرفه أيضا بقوله: أنه قدرتنا على معرفة مشاعرنا ومشاعر الآخرين وعلى تحقيق ذواتنا وإدارة انفعالاتنا وعلاقتنا مع الآخرين بشكل فعال ".

تعريف اليقظة العقلية: Mental alertness

عرفها الوليدي (2017: 45) اليقظة العقلية بأنها " تركيز الانتباه على اللحظة الحاضرة مع قبول الخبرات والتعايش معها، وعدم إصدار أحكام تقييميه عليها ".

تعريف جودة الحياة الأكاديمية: The quality of academic life among

وفقا لمنظمة الصحة العالمية (1993) هي " إدراك الأشخاص إلى مكانهم في الواقع ووضعهم في الحياة، وتشمل العديد من المكونات منها الثقافة والقيم والنظام ولها علاقة بأهدافهم وتطلعاتهم واهتماماتهم في ضوء تقييمهم لجوانب حياتهم التي تشمل الرضا عن الحياة، الأنشطة المهنية، وأنشطة الحياة اليومية" (شيخي،2014: 16).

حدود الدراسة

حدود موضوعية: خصصت الدراسة الحالية لدراسة الذكاء الانفعالي، واليقظة العقلية، وجودة الحياة الأكاديمية.

حدود مكانية: تم إجراء الدراسة الحالية في كلية الطب البشري جامعة اجدابيا.

حدود زمنية: أجريت الدراسة الحالية خلال العام الجامعي 2024 ـ 2025.

حدود بشرية: طلبة كلية الطب البشري جامعة اجدابيا.

الإطار النظري

الذكاء الانفعالي (**Emotional intelligence**): للذكاء الانفعالي دور كبير في مساعدة الطلاب والطالبات على تجاوز العديد من المشكلات التربوية التي تواجههم خلال حياتهم الجامعية كالإحباط وانخفاض الدافعية والضغوط النفسية حيث يعد امتلاك المهارات الانفعالية الضرورية لدى الطلبة الذين يعانون من تلكً المشكلات التربوية أمراً هاماً لتمكنهم من النهوض وتحقيق الإنجاز اللازم في المجال الأكاديمي، حيث تساعدهم هذه المهارات على التكيف والتغلب على المشكلات والعقبات التي يواجهونها في حياتهم ويتعرضون لها، كما تساعدهم على التحكم في التوتر الذي قد يصاحب هذه العقبات وعليه فسوف نحاول فيما يلي توضيح مفهوم الذكاء الانفعالي وأبعاده المختلف وأهم النظريات النفسية المتعلقة به .

أهتم العديد من الفلاسفة القدماء بموضوع الذكاء وظهر ذلك من خلال كتاباتهم الأولى المتعلقة بتفسير طبيعة المعرفة والتعلم لدى الكائنات البشرية، ويقول أرسطو أن الأفراد يختلفون في خصائصهم المختلفة من بينها الذكاء باختلاف البيئات التي يعيشون فيها وأشار أفلاطون أن الذكاء قدرة الأفراد على التعلم واكتساب الخبرات والتكيف مع الأوضاع المختلفة فيعتبر موضوع الذكاء من الموضوعات المهمة التي يهتم بها علماء النفس وبسبب ارتباطه بكافة مجالات الحياة منها الأكاديمية والمهنية والفنية والاجتماعية رغم الاتفاق بين جميع علماء النفس على أهمية الموضوع إلا أنه ما زال هناك إهمال فيما بينهم حول طبيعة الذكاء وتعريفه، فهناك عدة تعاريف للذكاء فهناك تعريف متكرر للذكاء وهو تعريف(بينيه) أن الذكاء هو القدرة على اتخاذ اتجاه محدد والاستمرار فيه والقدرة على الملائمة والنقد الذاتي(شرحة ، 2011).

فالذكاء الانفعالي يمثل قدرة الفرد على إدراك مشاعره والتعبير عنها، واستخدام هذه المشاعر وإدارة مشاعره ومشاعر الآخرين وهو المسؤول عن قدرة الفرد على إدارة ذاته، وكذلك إدارة علاقاته بالآخرين؛ فكل يوم سواء في الحياة الشخصية أو العملية تتاح أمامنا العديد من الفرص والخيارات، والذكاء الانفعالي هو الذي يساعد في تحديد هذه الفرص، وكيفية اقتناصها ، ويوجد بناءان للذكاء الانفعالي يتمايزان تبعا لطرق القياس المستخدمة وهما: الذكاء الانفعالي كسمة أو فعالية الذات الانفعالية كسمة متعلقة بالتصرفات الانفعالية، وإدراكات الذات المقاسة بالتقرير الذاتي، في حين الذكاء الانفعالي كقدرة أو القدرة الانفعالية المعرفية المتعلقة بالقدرات المعرفية المرتبطة بالانفعالات التي تقاس باختبار الأداء الأقصى (الصباغ ، 2022).

تعددت وتباينت التعريفات التي تناولت مفهوم الذكاء الانفعالي، وقد جاء التعدد والتباين في التعريفات نتيجة لمحاولة أصحابها التأكيد على بعض النواحي الخاصة بالذكاء الانفعالي وكنتيجة منطقية لتزايد الاهتمام الأكاديمي بمفهوم الذكاء الانفعالي والذي أدى إلى جعل المفهوم أكثر وضوحا لدى الباحثين والكتاب وقد وضع كل من ماير و سالوفي تعريفا للذكاء الانفعالي باعتباره قدرة الفرد على مراقبة مشاعره وانفعالاته، ومشاعر وانفعالات الآخرين والتمييز بينها، واستخدام هذه المعلومات في إرشاد وتفكير الفرد وتصرفاته ، وهذا التعريف تناول فقط إدراك وتنظيم الانفعالات دونما التفكير في طبيعة المشاعر أو الانفعالات التي تنظم عمل هذه المشاعر أو التعبير عنها، لذا قدما تعريف آخر في عام1997 حاولا من خلاله تلافي عيوب التعريف الأول ، حيث عرفا الذكاء الانفعالي بأنه قدرة الفرد على الإدراك الدقيق للانفعالات وتقديرها والتعبير عنها، والقدرة على الوصول إلى هذه المشاعر أو توليدها، والقدرة أيضا على فهم الانفعالات والمعرفة الانفعالية وتأملها والارتقاء بالنمو العقلي والانفعالي(ال الشيخ، 2018).

أبعاد الذكاء الانفعالي

إن الذكاء الانفعالي يتضمن أربعة أبعاد هي:

1ـ الوعي (الإدراك) الانفعالي للذات: وهي القدرة على تمييز الانفعالات الذاتية.

2ـ الوعي (الإدراك) الانفعالي للآخرين: وهي القدرة على تمييز انفعالات الآخرين.

3ـ الإدارة الانفعالية للذات: وهي الكفاية التي تمكن الفرد من السيطرة على الانفعالات الذاتية.

4 ـ الإدارة الانفعالية للآخرين: وهي الكفاية التي تمكن الفرد من السيطرة على انفعالات الآخرين (سعيد، 2008).

في حين قسم جولمان (**Goleman**, 1995) الذكاء الانفعالي إلى خمسة أبعاد هي:

1 ـ الوعي بالذات **Awareness Self**: ويتضمن هذا القسم معرفة الفرد لحالته المزاجية بحيث يكون لديه ثراء في حياته الانفعالية ورؤية واضحة لانفعالاته، والوعي بالذات عنصر مؤثر في مشاعرنا، حيث إن الفرد الغاضب عندما يدرك أن ما يشعر به هو الغضب، فهذا يتيح له فرصة كبيرة من الحرية ليختار عدم إطاعة هذا الشعور، والتخلص من قبضة هذا الغضب.

2- إدارة الانفعالات **Emotions Managing**: ويعني هذا القسم قدرة الفرد على تحمل الانفعالات العاصفة وألا يكون عبدا لها، أي: يشعر بأنه سيد نفسه، وهذا يمثل دالة على الكفاءة في تناول أمور الحياة (تنظيم الذات).

3- دافعية الذات (حفز الذات) **Motivation-Self**: بمعنى أن الذكاء الانفعالي يؤثر بقوة وعمق في جميع القدرات الأخرى إيجابا أو سلبا؛ لأن حالة الفرد الانفعالية تؤثر على قدراته العقلية وأدائه بشكل عام.

4 ـ التعاطف أو التفهم العطوف **Empathy**: ويقصد به معرفة وإدراك مشاعر الغير ما يؤدي إلى التناعم الوجداني مع الآخرين

5 ـ المهارات الاجتماعية **Skills Social**: يقصد به التعامل الجيد والفعال مع الآخرين بناء على فهم ومعرفة مشاعرهم.

قسمت صابر 2011 أبعاد الذكاء الانفعالي إلى بعدين رئيسين هما:

1 ـ أبعاد تتعلق بالذات وتتضمن:

البعد الأول: الوعي بالذات

البعد الثاني: تنظيم الذات، إدارة الانفعالات، التحكم في الانفعالات.

البعد الثالث: الدافعية، تحفيز الذات

2 ـ أبعاد تتعلق بالآخرين وتتضمن:

البعد الرابع: الإمباثية والتعاطف

البعد الخامس: المهارات الاجتماعية (إدارة وتطوير انفعالات الآخرين) (ال الشيخ، 2018).

مهارات الذكاء الانفعالي

فالذكاء الانفعالي يتكون من مجموعة من المهارات الانفعالية الاجتماعية فهي مهمة هذه المهارات في نجاح

الأفراد في الحياة ويصنف سالوفي1993 **Salovey & Mayer** أنواع الذكاء الشخصي التي قدمها جاردنر في تحديده الأساسي للذكاء الانفعالي وشمل خمس مجالات أساسية:

1 ـ الوعي الذاتي ويعني تعرف الفرد على انفعالاته والتعرف على المشاعر والميول في الحياة العامة مثل التعلم والزواج والعمل.

2 ـ إدارة الحياة الانفعالية في حالات الشدائد والضغوط والقلق وتخفيف وطأة الفشل والإحباط عن الذات.

3 ـ تنشيط الدافعية التي تتمثل في مهارة توجيه الانفعالات نحو أهداف مهمة والقدرة على ضبط الذات بهدف الوصول إلى الإنتاجية والأداء الجيد، من خلال التحفيز.

4 ـ التعرف على انفعالات الآخرين التي تتضمن القدرة على التعاطف والتقبل والتفهم لمشاعر الآخرين.

5 ـ فاعلية توجيه العلاقات مع الآخرين مثل العشرة ومن خلال التفاعل البناء للعلاقات الاجتماعية (سعيد، 2008).

النظريات التي تناولت الذكاء الانفعالي

نظرية جولمان **Goleman** في الذكاء الانفعالي: نموذج جولمان **(Goleman)**: بدأ جولمان بحثه في مجال الذكاء الانفعالي مدفوعاً بما توصل إليه ماير سالوفي من نتائج في هذا المجال في فترة التسعينات، حتى أصدر كتابه عن الذكاء الانفعالي والذي يعتبر نقطة تحول في سبيل تعريف العامة والمختصين بفكرة الذكاء الانفعالي.

ويذكر جولمان أن للذكاء الانفعالي خمس مكونات هي:

الوعي بالذات: وهو قدرة الفرد على قراءة مشاعره والتعرف عليها، فضلا عن معرفة تأثيرها على الآخرين.

إدارة الذات: قدرة الفرد على ضبط مشاعره ومحفزاته الغريزية، وقدرته على التفكير قبل التصرف.

الدافعية: ميل الفرد إلى العمل بغض النظر عن المكاسب المادية والمعنوية، والنزوع إلى متابعة الأهداف واستمرار العمل بنشاط.

التعاطف: قدرة الفرد على الإحساس بمشاعر الآخرين والتعامل معهم وفقاً لردود أفعالهم الانفعالية.

المهارات الاجتماعية: قدرة الفرد على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، وبناء شبكات من الاتصالات بهم.

ثم أدخل جولمان في عام 2001 تعديلا على نموذجه وقد اظهر ثلاثة أبعاد أساسية هي: الوعي بالذات، إدارة الذات، الوعي الاجتماعي، وأضيف إلى ذلك إدارة العلاقات الاجتماعية(السمان،2015).

نظرية الذكاء الانفعالي لماير وسالوفي: كانت بدايات ظهور النظرية في عام 1990 علي يد العالم ماير وسالوفي من خلال مقالة لهم وكان محور المقالة هو الإشارة إلى أهمية نوعا جديدا من أنواع الذكاء يركز على الفروق الفردية بين الأفراد في معالجة المعلومات الانفعالية من خلال احتواء المقالة على أول تعريف للذكاء الانفعالي وقدما تعريفا للذكاء الانفعالي هو" نوع من الذكاء الاجتماعي يتضمن قدرة الفرد على رصد انفعالات

الذات وانفعالات الآخرين وان يميز بينهم وان يستخدم هذه المعلومات لتوجيه أفعاله وأفكار (شرحة، 2011).

اليقظة العقلية Mental alertness

اليقظة العقلية هي استحضار الاهتمام الكامل للخبرات التي تجري في اللحظة الراهنة، أي التركيز على الأفكار والمشاعر والمثيرات والوعي بها دون إصدار أحكام عليها أو تفسيرها ويعرفها وليس بأنها: حالة من الوعي بالأحداث الداخلية المصحوبة بالتقييم المستمر والاستجابة لها وقد نشأ هذا المفهوم من التقاليد الروحية الشرقية التي تشير إلى أن اليقظة العقلية يمكن تطويرها من خلال الممارسة المنتظمة للتأمل والتي من المرجح إن تؤدي بدورها إلى الصفات الايجابية للشخصية الإنسانية مثل الوعي والبصيرة والحكمة ورباطة الجأش.

إن اليقظة العقلية هي التفحص الدقيق للتوقعات والتفكير المستمرين باعتماد الفرد على خبراته وتثمين الأشياء المهمة في السياق وتحديد الجوانب الجديدة منه، كما تعني تقبل الأفكار الجديدة فالمعلومات الجديدة التي يتقبلها الأفراد المتيقظون عقليا تأتي من مصادر متعددة ؛ لذا نرى أن أصحاب الفكر المتيقظ لا يحصرون أنفسهم في نطاق رؤية واحدة أو طريقة واحدة لحل المشكلات ففي بعض المدارس و الجامعات يقوم عشوائي التفكير بعزل فروع المعرفة عن بعضها، وجد لانجر و بايبر1987 أن لليقظة العقلية أثرا إيجابيا في التعلم والتفكير الإبداعي والذكاء الانفعالي (بولفعة؛ بو بلال، 2020).

بدأ الاهتمام بمفهوم اليقظة الذهنية خلال العقود الثالث الماضية ، وهي عنصر أساسي إذ بواسطتها يستطيع الفرد التأمل ولعل "لانجر" يؤيد ذلك تحديدا بقوله: " فالطالب عندما يكون متيقظا عقليا، فانه يمر بحالة متزايدة من التأمل المعرفي؛ حيث يكون موجود بجسمه وعقلة في اللحظة الحاضرة ، فيفسر الفرد اليقظ عقليا العالم بابتكار الفئات الجديدة واستخدامها بصورة متواصلة دون انقطاع الظاهرة ، ويمكن ا اعتبار أن اليقظة الذهنية سمة من سمات الوعي، وقد أظهرت الدراسات الحديثة أنه يمكن تعزيز اليقظة العقلية من خلال التدريب ويمكن الحصول على مجموعة متنوعة من النتائج ، ومن الدراسات الدالة على ذلك دراسات الدحادحة التي تري إن الإنسان قادر على أن يكون أكثر يقظة من خلال التدريب والممارسة (الدحادحة، 2016).

كما إن اليقظة العقلية تيسر من المرونة المعرفية والوجدانية والسلوكية، وتَسمح بمزيد من الاستجابات التوافقية للمواقف المهددة أو المثيرة للتحدي بدلاً من الاستجابة بطريقة اعتيادية أو متسرعة، ونظريا نجد أن اليقظة العقلية تيسر التنظيم الانفعالي التوافقي الَّذي يقلل بدوره من الاضطرابات والضغوط النفسية، ويزيد من فاعلية العلاقات بين الشخصية وفيما يتعلق باليقظة العقلية والعمليات الاجتماعية، نجد أنَّها تيسر من التركيز في العلاقات، وتقلل من الأحكام والتجنب للانفعالات الصعبة التي قد تظهر في العلاقات الاجتماعية (شاهين، 2017).

أبعاد اليقظة العقلية

تشير لانجر (1989) إلى أن اليقظة العقلية تتألف من أبعاد وهي:

التمييز اليقظ: يشير هذا البعد إلى كيفية رؤية الفرد للأشياء وابتكاره لأفكار الجديدة فالتمييز اليقظ يجعل الفرد ينتج أفكارا جديدة وإبداعا متواصلا للأفكار.

الانفتاح على الجديد: هو إحساس الفرد ومعرفته بالمثيرات الجديدة والتفاعل معها، ففي الوقت الذي يكون فيه الفرد منفتحا على الطرق الجديدة يكون في ذات الوقت على وعي بعواقب السلوك فالفرد يخاطر لأن سلوكه اليقظ يجعله يقيم الأفكار بشكل جيد وفي الوقت المناسب.

الوعي بوجهات النظر المتعددة: ويعني القدرة على النظر للموقف برؤى مختلفة دون توقف عند رأي معين، مما يمكنه من الوعي التام للموقف، مع اتخاذ الرأي المناسب (بولفعة؛ بوبلال، 2020).

فوائد اليقظة العقلية

ويشير عبد الرحمن (2020) إن لليقظة العقلية عدة فوائد وهي:

1 ـ تعزيز الشعور بالقدرة على إدارة البيئة المحيطة من خلال تعزيز الاستجابات الكيفية لمواجهة الضغوط.

2 ـ تحسين الشعور بالتماسك لأن الوعي باللحظة ربما يساعد على الانفتاح على الخبرات والإحساس بها.

3 ـ تعزيز الشعور بمعنى الحياة واستكشاف المعنى.

النظريات المفسرة لليقظة العقلية

نظرية الين لانجر 1992 **Langer Ellen** درست لانجر المتخصصة في علم النفس الاجتماعي بجامعة هارفارد سلوك اليقظة العقلية عن طريق ملاحظة السلوك اليومي للناس من مسارات متعددة في الحياة كالطلبة ورجال الأعمال والمتقاعدين والأطفال وقدمت فروقا جوهرية بين حالة اليقظة واليقظة (الغفلة) فهي ترى أننا نكون يقظين عقليا عندما نصبح أقل آلية في سلوكنا اليومي وعندما نبحث عن الحداثة ، وفي سياق دراسة تأثيرات السيطرة المدركة على المسنين في إحدى دور الرعاية ، وقد طورت لانجر نظريتها بناء على البحوث المتعلقة بالسلوك البشري حيث ترى أن السلوك لا يقتصر على حالة الرضا فقط بل هو أسلوب لمواجهة الحياة مواجهة كاملة، وقد توصلت بعد العديد من الدراسات إلى فهم كيفية عمل اليقظة العقلية لدى الفرد وكيف تختلف عن المفاهيم الأخرى، فهي ترى إن اليقظة العقلية هي حالة من الوعي تتصف بالتميز النشيط لرسم الأحداث التي تترك الفرد منفتحا إلى كل ما هو جديد وحساس لكل من السياق والمنظور، في المقابل يتم تصور مشاعر الفرد بوصفها حالة ذهنية تتميز بالاعتماد المفرط على الفئات السابقة(دغنوش ، 2022).

ترى لانجر أن اليقظة العقلية تعني القدرة على خلق فئات جديدة و استقبال المعلومات الجديدة والانفتاح على وجهات نظر مختلفة من السيطرة على السياق، والتأكيد على النتيجة وتفترض نظرية اليقظة العقلية كما تفترض

هذه النظرية أن جميع القابليات محدودة تكون نتيجة لتقبل غير واعي للإبداعات المعرفية السابقة ألوانها ، فقد أظهرت نتائج لانجر وبيك 1979 **Beck & Lager** أنه بإمكاننا تحسين الذاكرة بعيدة المدى وقصيرة المدى من خلال المتغيرات السياقية وذلك يكون مقدارا من المعلومات للمعالجة بصورة شعورية ، وبحيث طورت لانجر نظرية اليقظة العقلية استنادا إلى البحوث المتعلقة بالسلوك البشري؛ إذ وضعت في اعتبارها أن السلوك لا يقتصر على حالة اليقظة فحسب بل هو طريقة لمواجهة الحياة مواجهة كاملة (بولفعة؛ بوبلال: 2020).

نظرية الوعي الذاتي التأملي : ترى هذه النظرية إن الأفراد يكونون يقظين لحالتهم الداخلية وسلوكهم من اجل مواصلة تحقيق أهدافهم أكدت هذه النظرية على إن اليقظة العقلية توجه النظم نحو تجربة عقلية وانفعالية وجسمية والذي يعد أمر أساسي في تطوير المعرفة الذاتية, و إن الفرق الرئيسي بين الانتباه اليقظ و الانتباه التأملي يتعلق بنوعية و طبيعة الانتباه , ويمثل الوعي قدرتين اساسيتن هما التمكين **capaity** والسيطرة **control** إذ تؤكد هذه النظرية على الدور الرئيس للسيطرة الواعية للتجربة و إن الكائن الواعي يحدد المثيرات التي يراقبها وفقا لاهتماماته و الأهداف لكي يؤدي كل من الوعي و الانتباه دوره في اختيار الهدف ومتابعة الحقيقة وفي إدراك الذات التأملي يهتم التنظيم الذاتي بالسيطرة , على النقيض من نمط معاجلة الوعي الذي يركز على الذات , بينما تركز لأنجر على كيفية فهم الأفراد وتنظيمهم للسلوك و البيئة وتؤكد نظرية الوعي الذاتي التأملي على أهمية الانتباه للمثيرات الداخلية و الخارجية بوصفها قاعدة لردود الأفعال المتشكلة حديثا(مطلك ، 2019) .

جودة الحياة الأكاديمية The quality of academic life among

يعتبر مفهوم الجودة "**Quality** "من المفاهيم التي نالت اهتمام الكثير من الباحثين في العديد من المجالات المختلفة، وقد جذب هذا المفهوم اهتمام العديد من الباحثين في العقدين الآخرين خاصة في مجالات الصحة، والخدمات الاجتماعية، والتربية، والذي يعبر عن الدرجة التي يستمتع بها الشخص بالإمكانيات المتاحة في حياته، وهذه الإمكانيات هي نتيجة الفرص والحدود والتي تعكس التفاعل بين الشخص وعوامل بيئته، ليصبح من أهم الموضوعات في العقود الأخيرة.

أبعاد جودة الحياة الأكاديمية

هناك سبعة أبعاد تمثل في مجموعها جودة الحياة، وهي كما يلي:

1 ـ التوازن الانفعالي ويعني ضبط الانفعالات كالحزن والقلق والكآبة وغيرها.

2 ـ الحالة الصحية للجسم.

3 ـ الاستقرار المهني، حيث يمثل الرضا عن العمل أو الدراسة بعداً هاماً في جودة الحياة.

4 ـ الاستقرار الأسري وتواصل العلاقات داخل البناء العائلي.

5 ـ استمرارية وتواصل العلاقات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة.
6 ـ لاستقرار الاقتصادي وهو ما يرتبط بدخل الفرد الذي يعينه على مواجهة الحياة.
7 ـ التواؤم الجسمي ويرتبط ذلك بما يتعلق بصورة الجسم وحالة الرضا عن المظهر والشكل العام (معمريه؛ سطيف، 2020).

النظريات المفسرة لجودة الحياة الأكاديمية

جودة الحياة الأكاديمية في ضوء النظرية التكاملية: يرى فينتيجودت وآخرون 2003 **Ventegodt,al et** فهما جديدا للحياة الجيدة، فوضحوا من خلال النظرية التكاملية أن الحياة الجيدة هدف إنساني دائم التجدد، وأنه بالرغم من حاجة مفهوم جودة الحياة للتوضيح والشرح إلا أنه بديهي ويتحقق من خلال مجموعة سلوكيات عملية التي تساعد على إدارة متطلبات الحياة ولاستمتاع بالمعيشة وكذلك الشعور بجودة الحياة وأن يؤكد الفرد في نفسه اتجاهات إيجابية نحو الحياة ويسعى دائماً إلى البحث عن معنى وعمق لحياته وهذا ينعكس عليه بالشعور بالسعادة والتفاؤل (السلامين، 2018).

نظرية إشباع الحاجات الإنسانية لما سلوا: تعتبر هذه النظرية من أكثر النظريات أهمية وشيوعا وتتناول مفهوم جودة الحياة في ضوء إشباع الحاجات حيث يرى ماسلو(1987) أن الحاجات الحيوية تعد الأساس لدراسة جودة الحياة وان أهم النتائج على وصول الفرد لإشباع الحاجات الأساسية هو الإحساس بجودة الحياة من خلال شعوره بالسعادة بشكل إيجابي من الناحية الوجدانية وعندما يشبع الفرد من الحاجات الأساسية بشكل كلي يؤدي ذلك إلى تحقيق القيم العالية محققا بذلك طموحاته وأهدافه وعند وصول الفرد لحالة الإشباع هذه نتيجة إلى معالجة مشكلات الحياة ومختلف الخبرات بشكل أكثر إيجابية وكفاءة (عمر؛ بكاكرة، 2020) .

نظرية رايف 1999: تدور نظرية" رايف "حول مفهوم السعادة النفسية إذ أن شعور الفرد بجودة الحياة ينعكس في إحساسه بالسعادة التي حددها رايف بستة أبعاد يضم كل بعد ست صفات تمثل هذه الصفات نقاط لتحديد معنى السعادة النفسية:
البعد الأول: الاستقلالية تمثل قدرة الشخص على اتخاذ القرارات، يكون مستقل بذاته.
البعد الثاني: التمكن البيئي.
البعد الثالث: النمو الشخصي.
البعد الرابع: العلاقات الإيجابية مع الآخرين
البعد الخامس: تقبل الذات
البعد السادس: الهدف من الحياة
ولقد بين "رايف" أن جودة حياة الفرد تكمن في قدرته على مواجهة ألازمات التي تظهر في مراحل حياته المختلفة

وأن تطور مراحل الحياة هو الذي يحقق سعادته النفسية التي تعكس شعوره بجودة الحياة (بلال؛ إيمان: 2021).

الدراسات السابقة

لا توجد دراسة واحدة تناولت الجمع بين متغيرات الدراسة الحالية ـ حسب علم الباحثة ـ لذلك سوف يتم عرض الدراسات السابقة التي تناولت المحاور كلا على حدا:

أولا: الدراسات التي تناولت الذكاء الانفعالي

دراسة الصباغ (2022): هدفت الدراسة إلى تقصي الفروق في الذكاء الانفعالي لدى طلاب المرحلة الثانوية العامة، وتكونت العينة من (100) طالب وطالبة بالقاهرة بالطريقة العشوائية واستخدمت أدوات الدراسة مقياس الذكاء الانفعالي ، وتوصلت النتائج إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط درجات الطلاب على مقياس الذكاء الانفعالي ووجود فروق دالة إحصائيا في التخصص والنوع .

دراسة الربيع (2019): هدفت الدراسة إلى التعرف على الذكاء الانفعالي وعلاقته باليقظة العقلية لدي طلبة جامعة اليرموك على عينة (420) طالب وطالبة، واستخدمت مقياس اليقظة الذهنية للزبيدي2012، ومقياس الذكاء الانفعالي الذي طوره الربيع 2007، وأشارت النتائج إلى وجود مستوي متوسط من اليقظة الذهنية ومستوي الذكاء الانفعالي لأفراد العينة.

دراسة آل الشيخ (2018): هدفت الدراسة إلى التعرف على علاقة الذكاء الانفعالي بالمرونة النفسية، واستخدمت المنهج الوصفي الارتباطي المقارن، على عينة (400) طالبة بطريقة عشوائية، واستخدمت الدراسة مقياس الذكاء الانفعالي ومقياس المرونة النفسية، وتوصلت النتائج بأنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي والمرونة النفسية لدى أفراد العينة.

دراسة المطيري (2017): هدفت الدراسة إلى التعرف على علاقة الذكاء الانفعالي بجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طالبات السنة التحضيرية بجدة، واستخدمت الدراسة مقياس الذكاء الانفعالي لعلوان2011 وجودة الحياة الأكاديمية العتيبي 2014، على عينة (105) من طالبات السنة التحضيرية، واستخدمت المنهج الوصفي الارتباطي، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة الدراسة كما كان مستوي الذكاء الانفعالي لدي عينة الدراسة متوسط ومستوي جودة الحياة الأكاديمية مرتفع.

دراسة عبد الحميد (2008): هدفت إلى بحث العلاقة بين قدرات الذكاء الانفعالي كما يقاس اختبار ماير والضغوط النفسية لدى المعلمين، ضمت عينة الدراسة 119 من معلمي المرحلة الإعدادية والثانوية من طلبة

الدبلوم العام بكلية التربية بجامعة المنيا 53ً معلما، 66 معلمة، أما أدوات المستخدمة فهي قائمة الضغوط النفسية واختبار الذكاء الانفعالي. توصلت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط سالب بين الذكاء الانفعالي والضغوط النفسية.

دراسة المصري (2007): هدفت إلى التعرف على الفروق في الذكاء الانفعالي بين المتفوقين تحصيلا والعاديين من النوعين، تكونت عينة الدراسة من (98) طالبا وطالبة من كلية العلوم التربوية منهم 25ً ذكورا، 73 إناثا طبق عليهم مقياس الذكاء الانفعالي بعد التحقق من خصائصه، أظهرت النتائج تفوق الإناث على الذكور.

دراسة المزروع (2007): هدفت إلى التعرف على علاقة الذكاء الوجداني بكل من المستوى الدراسي والتخصص والتحصيل الدراسي لدى عينة من طالبات جامعة أم القرى بلغت عينة الدراسة 240 طالبة. مستخدمة الباحثة مقياس الذكاء الانفعالي حيث بينت النتائج عدم وجود فروق في مستوى الذكاء الوجداني لدى أفراد العينة تعزى لمستوى التحصيل والتخصص والمستوى الدراسي.

ثانيا: الدراسات التي تناولت اليقظة العقلية

دراسة العطاونة (2023): هدفت الدراسة إلى التعرف على إدارة الذات كمتغير وسيط في العلاقة بين اليقظة العقلية والالتزام الوظيفي لدى المعلمين، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت العينة من (370) معلما ومعلمة، واستخدمت ثلاث أدوات وهي : مقياس إدارة الذات ، واليقظة العقلية، والالتزام الوظيفي، وتوصلت النتائج إلى إن مستوي إدارة الذات واليقظة العقلية والالتزام الوظيفي كان مرتفعا وإن العلاقة بين المتغيرات كانت طردية، وبالنسبة لإدارة الذات كمتغير وسيط فقد كان هناك تأثير للمتغير الوسيط كانت قيمة الأثر للمتغير الوسيط (0.725) وبذلك يكون للمتغير الوسيط تأثير جزئي على العلاقة بين المتغير المستقل (اليقظة العقلية) على المتغير التابع (الالتزام الوظيفي).

دراسة الحربي (2021): هدف البحث إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى في ظل جائحة كوفيد، والتعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى اليقظة العقلية حسب متغير المرحلة الدراسية والتخصص والتحصيل الدراسي ولتحقيق أهداف البحث تَّم بناء مقياس اليقظة العقلية مكون 38 عبارة، وطبقت على عينة عشوائية طبقية واعتمدت البحث على المنهج الوصفي. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مستوى اليقظة العقلية كان متوسطًا لدى الطالبات وكما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزي لمتغير المرحلة الدراسية لصالح طالبات الدبلوم العالي وكما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لتخصص الدراسي ولصالح تخصص الإدارة التربوية والتخطيط، وكذلك وجدت فروق دالة إحصائًيا تعزى لمتغير التحصيل الدراسي لصالح طالبات ذوات التحصيل المرتفع.

دراسة عبد المطلب وصفوة (2020): هدفت إلى الكشف عن درجة توافر اليقظة العقلية ومكوناتها في ضوء نظرية لانجر "**Langer** "لدى طلبة جامعة الزقازيق، بالإضافة إلى التعرف على الفروق في اليقظة العقلية ومكوناتها تبعاً الاختلاف كل من الجنس، والاتجاه نحو التخصص، ونوع الاختبار التحريري المفضل. تكونت عينة البحث من (575) طالب وطالبة بالكليات النظرية والتطبيقية. ولتحقيق أهداف البحث قام الباحثان ببناء استبانة تكونت من 88عبارة لقياس اليقظة العقلية في ضوء المكونات الأربعة لنظرية "لانجر" **Langer** بعد التحقق من صدقها وثباتها. وتم استخدام الأساليب الإحصائية البارا مترية المناسبة- بعد التحقق من اعتدالية توزيع البيانات- ممثلة في المتوسط والانحراف المعياري واختبار "ت" لمجموعتين مستقلتين، واختبار تحليل التباين الأحادي "**ANOVA**". أظهرت نتائج الدراسة: لا توجد فروق دالة إحصائياً في جميع مكونات اليقظة العقلية والدرجة الكلية لها ترجع إلى اختلاف الجنس، ولا توجد فروق دالة إحصائياً في جميع مكونات اليقظة العقلية والدرجة الكلية لها ترجع إلى اختلاف أسلوب التعلم المفضل (السطحي- العميق).

دراسة بولفعة وبلال (2020): هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين اليقظة العقلية وأساليب التعلم، والفروق العائدة للنوع والتخصص والمستوي الدراسي، وتكونت العينة من (300) بطريقة عشوائية، واستخدمت مقياس اليقظة العقلية لعبد الله 2013 وأساليب التعلم خزام2015، وأظهرت النتائج إن مستوي اليقظة العقلية متوسط لدى أفراد العينة، ولا توجد فروق في اليقظة العقلية تبعا لمتغير النوع والمستوى والتخصص، ولا توجد فروق لدى المتغيرات نفسها على مقياس أساليب التعلم.

دراسة السيد (2018): هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين اليقظة العقلية والرضا عن الحياة لدى عينة من المرهقين وتكونت العينة من (250) فردا واستخدم مقياس اليقظة العقلية لبير وآخرون 2006، ومقياس الرضا عن الحياة للدسوقي2013.وتوصلت النتائج إلى وجود مستوى متوسط من اليقظة العقلية والرضا عن الحياة لدى عينة الدراسة ولا توجد فروق بين الذكور والإناث في المقياسين.

ثالثا: الدراسات التي تناولت جودة الحياة الأكاديمية

دراسة السلامين (2018): هدفت الدراسة إلى التعرف إلى جودة الحياة وعلاقتها بمستوى الطموح المستقبلي لدى عينة من جامعة الخليل، وبلغ عدد العينة (507) طالب وطالبة بطريقة عشوائية، واستخدم المنهج الوصفي الارتباطي، واستخدمت أدوات وهي مقياس جودة الحياة ومقياس الطموح المستقبلي، وتوصلت النتائج إلى إن هناك علاقة موجبة طردية بين جودة الحياة والطموح المستقبلي.

دراسة الهنداوي (2011): هدفت الدراسة إلى معرفة علاقة المساندة الاجتماعية بمصادرها المختلفة المتمثلة في الأسرة والأقارب والأصدقاء، ومؤسسات المجتمع بمستوى الرضا عن جودة الحياة بأبعادها المتمثلة في جودة الحياة الأسرية، وجودة الصحة العامة و الجودة النفسية وجودة العلاقات، وجودة شغل الوقت والدور الاجتماعي

والجودة المهنية وجودة الحياة الزوجية لدى المعاقين حركيا، وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد تكونت عينة الدراسة من201 من المعاقين حركيا بإعاقات متعددة من كال الجنسين منهم 119من الذكور و 82 من الإناث، وقد قام الباحث بتطبيق أدوات الدراسة مقياس الدعم الاجتماعي، مقياس مستوى الرضا عن جودة الحياة . وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها توجد علاقة ذات إحصائية بين المساندة الاجتماعية والرضا عن جودة الحياة لدى المعاقين حركيا من أفراد العينة.

دراسة سليمان:(2009): هدفت الدراسة إلى التعرف على أنواع المساندة الاجتماعية وعلاقتها بجودة الحياة لدى المراهق المريض بالسكري، حيث استخدمت الباحثة المنهج السيكومتري والإكلينيكي، وطبقت مقياس المساندة الاجتماعية ومقياس جودة الحياة، واستمارة بيانات أولية واستمارة دراسة حالة، على مجموعتين من مرض السكري المراهقين من الذكور والإناث في بعض محافظات مصر. كما خلصت إلى النتائج التالية: – توجد علاقة ارتباطيه موجبة ذات دالة إحصائية بين جمع أنواع المساندة الاجتماعية المقدمة للمراهق المريض بالسكري وجودة الحياة.

تعليق على الدراسات السابقة

لم تجد الباحثة دراسة واحدة تناولت متغيرات الدراسة الحالية وعليه تناولت المتغيرات كلا على حدا، ومن خلال عرض الدراسات السابقة نلاحظ إن هناك اختلاف في بعض الدراسات من حيث الهدف، فبالنسبة للدراسات التي تناولت متغير الذكاء الانفعالي نجد دراسة الصباغ (2022) هدفت إلى معرفة الفروق في الذكاء الانفعالي، أما دراسة الربيع (2019) هدفت لمعرفة نوع العلاقة بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية، أما دراسة آل الشيخ (2019) ودراسة المطيري (2018) وعبد الحميد (2008) هدفت إلى معرفة نوع العلاقة بين المتغيرات، بينما دراسة المصري (2007) هدفت إلى معرفة الفروق في الذكاء الانفعالي بين المتفوقين والعاديين، أما عينة الدراسات فكانت جميعها بالطريقة العشوائية ، بينما كان المنهج المستخدم هو المنهج الوصفي الارتباطي .أما الأدوات فكان مقياس الذكاء الانفعالي، أما النتائج فقد تضاربت فنجد دراسات وجدت عدم وجود فروق دالة إحصائيا على مقياس الذكاء الانفعالي في دراسة الصباغ (2022) ودراسة آل الشيخ (2018) واتفقت دراسة المطيري (2017) عبد الحميد (2008) على وجود علاقة بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة والمرونة النفسية.

أما بالنسبة للدراسات التي تناولت متغير اليقظة العقلية فنجدها هدفت جميعها إلى معرفة الكشف عن نوع العلاقة بين اليقظة العقلية والمتغيرات الأخرى باستثناء دراسة واحدة هدفت إلى معرفة مستوي اليقظة العقلية وهي دراسة الحربي (2021) أما طريقة سحب العينة فكانت جميعها بالطريقة العشوائية ، واستخدمت جميعها المنهج الوصفي الارتباطي، وتوصلت النتائج دراسة العطاونة (2023) إلى وجود تأثير جزئي للمتغير الوسيط في العلاقة بين المتغيرات، بينما توصلت نتائج دراسة كلا من عبد المطلب وصفوة (2020) وبولفعة وبلال

(2020) لا توجد فروق في اليقظة العقلية لدى أفراد العينة تبعا لمتغير النوع والمستوي والتخصص.

أما بالنسبة للدراسات التي تناولت متغير جودة الحياة الأكاديمية فنجدها هدفت دراسة السلامين (2018) إلى معرفة الكشف عن نوع العلاقة بين جودة الحياة ومستوي الطموح، ودراسة سليمان (2009) التعرف على أنواع المساندة الاجتماعية وعلاقتها بجودة الحياة ودراسة الهنداوي (2011) علاقة المساندة الاجتماعية والرضا عن جودة الحياة ، وتم سحب العينة بالطريقة العشوائية، واستخدمت مقاييس جودة الحياة، وتوصلت النتائج إلى إن هناك علاقة موجبة طردية بين جودة الحياة ومستوي الطموح، وهناك علاقة موجبة بين جودة الحياة والمساندة الاجتماعية.

الإجراءات المنهجية

ترتكز دقة النتائج التي تتوصل لها الدراسة على صحة الإجراءات التي تتبعها والأدوات والأساليب التي تستخدمها أثناء إجراء الدراسة فمن خلال ذلك سنحاول التطرق إلى أهم الإجراءات المنهجية المتبعة في هذه الدراسة، وذلك بالتطرق أولاً إلى خطة الدراسة الاستطلاعية ثم إلى الدراسة الأساسية المتمثلة في المنهج المستخدم، ومجتمع الدراسة إضافة إلى عينة الدراسة وخصائصها والأدوات المستخدمة لجمع البيانات، وأيضا سنحاول أن نستعرض أهم الأساليب لإحصائية المتبعة لتحليل البيانات بصورة كمية.

مجتمع الدراسة

يضم مجتمع الدراسة الحالية كل طلبة المقيدين بالدراسة في كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا البالغ عددهم (1175) كما تشير الإحصائية الواردة من مكتب مسجل جامعة اجدابيا.

عينة الدراسة

لقد تم اختيار عينة الدراسة وفق الطريقة العشوائية بلغ حجمها 10% من مجتمع الدراسة وهي الأنسب بالنسبة لمتغيرات الدراسة الحالية وتعطي فرص متساوية لجميع مفردات المجتمع وهي خالية من خطأ التحيز (الهمالي، 2003) وتمَ اختيار عدد بلغ (118) طالب وطالبة

أدوات الدراسة

قامت الباحثة باستخدام مقياس الذكاء الانفعالي الذي طورته شرحة (2011) الذي يتكون من (58) فقرة، والذي يصحح حسب توزيع سلم ليكارت الخماسي (يحدث دائما ـ يحدث عادة . يحدث أحيانا ـ يحدث نادرا ـ لا يحدث) والذي يأخذ وزن استجابة (5 ،4 ،3، 2 ،1) على التوالي، ومن خصائص سلم ليكارت انه يمتاز بالبساطة والسهولة والدقة والموضوعية، وبلغت الدرجة الكلية للمقياس (290) درجة.

كما قامت الباحثة باستخدام مقياس اليقظة العقلية طوره بولفعة وبلال (2020) الذي يحتوي على (27) فقرة،

وتم الاستجابة عليها وفق سلم ليكارت الخماسي (تنطبق على دائما ـ تنطبق علي غالبا . تنطبق علي أحيانا ـ تنطبق علي نادرا ـ لا تنطبق علي أبدا) والذي يأخذ وزن استجابة (5 ،4 ،3، 2 ،1) على التوالي، وبلغت الدرجة الكلية للمقياس (135) درجة.

وأيضا قامت الباحثة باستخدام مقياس جودة الحياة الأكاديمية إعداد السلامين (2018) الذي يحتوي على (37) فقرة، وتم الاستجابة عليها وفق سلم ليكارت الخماسي (موافق بشدة ـ موافق . محايد ـ غير موافق ـ غير موافق بشدة) والذي يأخذ وزن استجابة (5 ،4 ،3، 2 ،1) على التوالي، وبلغت الدرجة الكلية للمقياس (185) درجة.

الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة (الصدق ـــ الثبات) في الدراسة الحالية

أولا – الصدق: يعرف (ملحم،2011: 270) الصدق على انه "يقيس الاختبار ما وضع لقياسه" بمعني عن الاختبار الصادق يقيس الوظيفة التي يزعم انه يقيسها ولا يقيس شيئا آخر بدلا منها أو بالإضافة إليها. ولتحقق من صدق الأداة استخدمت الباحثة أنواع الصدق التالية:

الصدق الظاهري: تم حساب الصدق الظاهري للمقاييس عن طريق التحليل المبدئي للفقرات بواسطة عدد من المحكمين من ذوي الخبرة في مجال التخصص لتحديد ما إذا كانت الفقرات تتعلق بالجانب الذي نريد قياسه، وقد تم حذف وتعديل بعض الفقرات وأيضا تعديل مفتاح التصحيح.

صدق المفهوم: كما قامت الباحثة في نفس الوقت بحساب صدق المفهوم وذلك بعرض مقاييس الدراسة على عينه من الطلبة (عددهم 20) طالب وطالبة لمعرفة ما إذا كانت فقرات المقاييس واضحة بالنسبة لهم أم لا، واتضح أن فقرات المقاييس تتمتع بسهوله ووضوح.

صدق التكوين الفرضي (الاتساق الداخلي): يتم حساب الاتساق الداخلي للاختبار بمدى اتساق كل فقرة من فقرات الاختبار بالدرجة الكلية له، أي انه يمكن حساب الاتساق الداخلي للاختبار بحساب معاملات الارتباط بين درجات الأفراد في كل سؤال ودرجاتهم في الاختبار ككل (منسي، 2000). فقد تراوحت قيمة معامل ارتباط (بيرسون) ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية في مقياس الذكاء الانفعالي (**46. ـ **77.)، بينما تراوحت قيمة ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية في مقياس اليقظة العقلية (** 58. ـ **79.)، وتراوحت قيمة ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية في مقياس جودة الحياة الأكاديمية (**38. ـ**77.)، وتبين إن فقرات المقاييس على درجة عالية من الارتباط التي تثبت إن المقاييس على درجة من الصدق ويثبت صلاحية المقاييس للاستخدام والتطبيق.

ثانيا – الثبات: طريقة الفا كرونباخ: تم حساب الثبات بطريقة الفا كرونباخ، وبلغت قيمة الفا كرونباخ للدرجة الكلية لمقياس الذكاء الانفعالي (0.979) ومقياس اليقظة العقلية (0.892) ومقياس جودة الحياة الأكاديمية

(0.876) وهو يشير إلى درجة عالية من الثبات، ويدل على إن المقاييس على درجة عالية من الثبات ويثبت صلاحية المقاييس للاستخدام والتطبيق.

إجراءات جمع بيانات الدراسة الأساسية

بعد التأكد من الخصائص السيكومترية لأدوات جمع البيانات خلال الدراسة الاستطلاعية، تم تطبيق وجمع البيانات من العينة الأساسية للعام الدراسي (2024ـ 2025) وبعد الانتهاء من عملية جمع البيانات ومراجعتها تم تصحيح الإجابات وفقا لطريقة التصحيح المذكورة، كما تم مرجعة كل كراسات الإجابة عدة مرات للتأكد من صحة ودقة البيانات.

الأساليب الإحصائية

تم استخدام أسلوب الإحصاء البارامتري لتحليل بيانات العينة بواسطة الحاسوب باستخدام برنامج الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (**SPSS**25.)، كما تم استخدام شبكة المتغيرات الحديثة (**SAM**) برنامج (22. **AM0S**) وذلك بعد اجراء اختبار الاعتدالية على البيانات وظهر اعتدالية التوزيع والأساليب الإحصائية هي:

1 ـ معامل ارتباط بيرسون (**Person Correlation**) لتحديد معامل ارتباط كل فقرة من فقرات مقياس الدراسة بالدرجة الكلية وفحص العلاقات بين المقاييس.

2 ـ معادلة الفا كرونباخ لتحديد معامل ثبات مقاييس الدراسة.

3 ـ واختبار **T.test** لمجموعة واحدة لمعرفة مستوي انتشار متغيرات الدراسة، وكذلك درجة الحرية والمتوسطات الحسابية والمتوسط النظري.

4 ـ أسلوب تحليل المسار (**Path Analysis**) بهدف اختبار الآثار المباشرة والآثار غير المباشرة والآثار الكلية للمتغيرات باستخدام طريقة التمهيد (**Bootstrapping**).

عرض النتائج ومناقشتها

سنتناول عرض النتائج التي توصلت إليها الدراسة في ضوء أسئلتها التي تم طرحها كما يلي:

1. ما مستوى الذكاء الانفعالي لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل (**test. T**) لعينة واحدة لمعرفة مستوي انتشار الذكاء الانفعالي لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (1) يبين مستوي انتشار الذكاء الانفعالي لدى أفراد العينة

مستوى انتشار	عدد العينة	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوي الدلالة
مقياس الذكاء الانفعالي	118	145	185.85	35.20	117	57.34	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه يوجد مستوي انتشار عالي لدى أفراد العينة على مقياس الدراسة فقد بلغ المتوسط الحسابي لمقياس الذكاء الانفعالي (185.85) فهو أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس (145) مما يدل على انتشار الذكاء الانفعالي لأفراد العينة وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة الربيع (2019) التي بينت وجود مستوي مرتفع من الذكاء الانفعالي في دراسته.

2. ما مستوى اليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل **(test. T)** لعينة واحدة لمعرفة مستوي انتشار اليقظة العقلية لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (2) يبين مستوي انتشار اليقظة العقلية

مستوى انتشار	عدد العينة	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوي الدلالة
مقياس اليقظة العقلية	118	67.5	87.95	12.68	117	75.34	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه يوجد مستوي انتشار عالي لدى أفراد العينة على مقياس الدراسة فقد بلغ المتوسط الحسابي لمقياس اليقظة العقلية (87.95) فهو أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس (67.5) مما يدل على انتشار اليقظة العقلية لأفراد العينة، وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة بولفعة وبلال (2020) ونتيجة دراسة الحربي(2021) ونتيجة دراسة السيد(2018) في وجود مستوي من اليقظة العقلية في دراساتهم.

3. ما مستوى جودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل **(test. T)** لعينة واحدة لمعرفة مستوي انتشار جودة الحياة الأكاديمية لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (3) يبين مستوي انتشار جودة الحياة الأكاديمية

مستوى انتشار	عدد العينة	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة T	مستوي الدلالة
جودة الحياة الأكاديمية	118	92.5	124.40	14.21	117	95.087	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه يوجد مستوي انتشار عالي لدى أفراد العينة على مقياس الدراسة فقد بلغ المتوسط الحسابي لمقياس جودة الحياة الأكاديمية (124.40) فهو أعلى من المتوسط الفرضي للمقياس (92.5) مما يدل على انتشار جودة الحياة الأكاديمية لأفراد العينة.

4. هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى عينة من طلبة كليـــة الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون لمعرفة نوع العلاقة بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (4) يبين معامل ارتباط بيرسون بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية.

المتغير	عدد العينة	قيمة الارتباط	مستوي الدلالة
الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية	118	0.73**	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى عينة الدراسة فقد بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.73**) وهو دال إحصائيا عند 0.01.، ويلاحظ أن قوة العلاقة بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية لدى عينة الدراسة جاءت طرية موجبة أي بمعني كلما زادت درجة الذكاء الانفعالي زادت قوة اليقظة العقلية، وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة الربيع (2019) التي توصلت لوجود علاقة دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي واليقظة العقلية.

5. هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون لمعرفة نوع العلاقة بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (5) يبين معامل ارتباط بيرسون بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية

المتغير	عدد العينة	قيمة الارتباط	مستوي الدلالة
الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية	118	0.76**	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة الدراسة فقد بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.76**) وهو دال إحصائيا عند 0.01.، ويلاحظ أن قوة العلاقة بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة الدراسة جاءت طرية موجبة أي بمعني كلما زادت درجة الذكاء الانفعالي زادت جودة الحياة الأكاديمية، وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة المطيري (2018) التي توصلت لوجود علاقة دالة إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية.

6. هل توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن التساؤل، تم تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من خلال المقياس وذلك باستخدام التحليل الإحصائي، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون لمعرفة نوع العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى أفراد العينة كما بينها الجدول التالي:

جدول (6) يبين معامل ارتباط بيرسون بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية.

المتغير	عدد العينة	قيمة الارتباط	مستوي الدلالة
اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية	118	0.88**	.000

يتضح من الجدول السابق بأنه توجد علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة الدراسة فقد بلغ معامل ارتباط بيرسون (0.88**) وهو دال إحصائيا عند 0.01.، وقوة العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية لدى عينة الدراسة جاءت طرية موجبة أي بمعني كلما زادت درجة اليقظة العقلية زادت جودة الحياة الأكاديمية.

7. إلى أي مدى يمكن اعتبار الذكاء الانفعالي متغيرا وسيطا في العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحيـــاة الأكاديمية لدى عينة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة اجدابيا؟

للإجابة عن هذا السؤال، جرى بناء نموذج سببي **(Causal Model)** بناءً على الخطوات الآتية:

أ ـ بناء نموذج سببي بين متغيرات الدراسة الحالية.

ب ـ إنشاء نمط للعلاقة بين المتغيرات بالترتيب

ج ـ رسم نموذج تخطيطي لمسار العلاقات بين المتغيرات.

د ـ حساب معاملات المسار.

هـ ـ اختيار حسن المطابقة مع النموذج الأساسي

و– تحليل وتفسير النتائج.

واستخدم أسلوب تحليل المسار(**Path Analysis**)، ويهدف التعرف إلى الآثار المباشرة (**Effects Direct**)، والآثار غير المباشرة(**Indirects Effects**) الوسيطة، والآثار الكلية (**Total Effects**) واستخدمت طريقة التمهيد (**Bootstrapping**) وتجدر الإشارة إلى إن طريقة التمهيد تعد من أفضل الطرق لاختبار العلاقات الوسيطة فهي تتفوق على طريقة بارون وكيني وعلى طريقة سوبل، حيث تقوم طريقة التمهيد (**Bootstrapping**) بتوليد مجموعة كبيرة من العينات المسحوبة من العينة الأصلية بطريقة عشوائية مع الإرجاع، إذا تهدف بذلك إلى معالجة دقة تقدير العينات عن طريق إيجاد تقديرات غير متحيزة من مجموعة التقديرات المتحيزة .

لهذا استخدمت طريقة التمهيد عن طريق برنامج (**AMOS**) وذلك بإعادة المعاينة (2000) مرة، مع تصحيح الانحياز بنسبة (90%)، بهدف اختبار الوساطة وتقدير قيم التأثيرات المباشرة وغير المباشرة والكلية ودلالتهم الإحصائية ويوضح الشكل التالي التأثير المباشر للمتغير المستقل على المتغير التابع قبل إدخال المتغير الوسيط في النموذج.

كما يوضح الجدول (7) نتائج قيم معامل الانحدار للتأثير المباشر للمتغير المستقل على المتغير التابع قبل إدخال المتغير الوسيط في النموذج، كما يوضح الشكل (1) تحليل المسار للتأثيرات المباشرة للنموذج.

وأيضا يوضح الجدول (7) نتائج تحليل المسار للتأثيرات المباشرة والغير مباشرة والكلية ودلالاتهم الإحصائية.

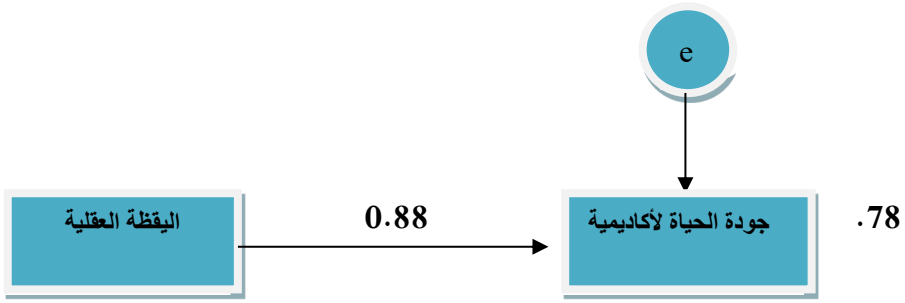

شكل (1) التأثير المباشر للمتغير المستقل على المتغير التابع قبل إدخال المتغير الوسيط

يتضح من الشكل (1) وجود تأثير مباشر لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية.

يتضح من الشكل (1) وجود تأثير مباشر لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية ويوضح الجدول (7) نتائج قيم الانحدار للتأثير المباشر لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية ودلالته الإحصائية.

جدول (7) قيم الانحدار للتأثير المباشر للمتغير المستقل على المتغير التابع ودلالته الإحصائية.

المسار	قيمة B	الخطأ المعياري SE	القيمة الحرجة	قيمة P.value
	الأثر المباشر			
اليقظة العقلية ـ جودة الحياة الأكاديمية	0.881	0.061	14.442	<.000**

الاختصارات **B**= معامل الانحدار، ** دالة إحصائيا عند مستوى دلالة(**P<0.01**)

يلاحظ من الجدول (7) وجود تأثير مباشر دال إحصائيا بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية إذا بلغت قيمة التأثير (0.881) بدلاله إحصائية أقل من (**P<0.01**)، ويوضح الشكل (2) تحليل المسار للنموذج

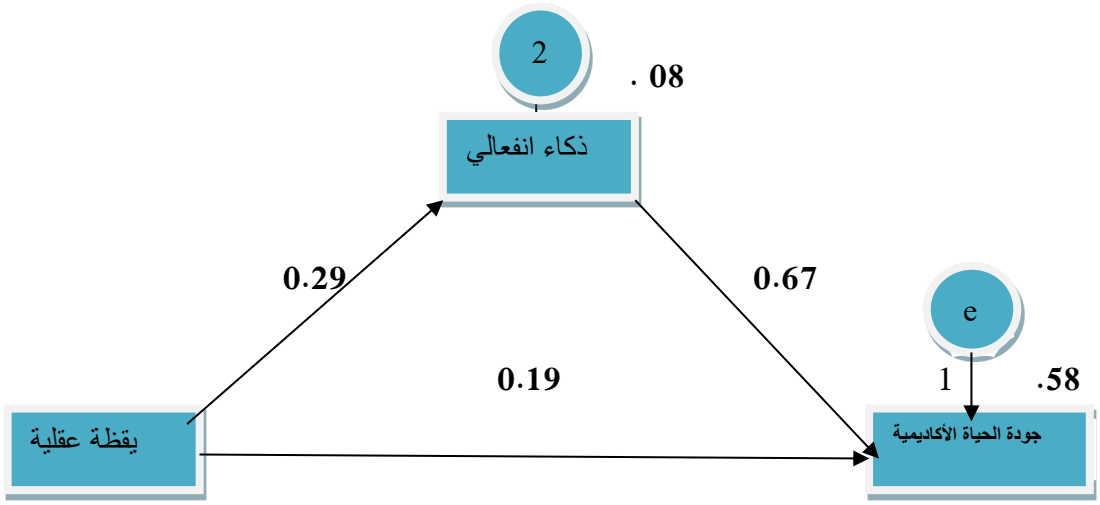

شكل (2) نموذج تحليل المسار للتأثيرات المباشرة للنموذج

يتضح من الشكل (2) وجود تأثير مباشر لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية من جهة وللذكاء الانفعالي على جودة الحياة الأكاديمية من جهة أخرى، ويوضح الجدول (8) نتائج تحليلا لمسار للتأثيرات المباشرة وغير المباشرة والكلية ودلالاتهم الإحصائية.

جدول (8) نتائج تحليل المسار للتأثرات المباشرة وغير المباشرة والكلية

المسارات	قيمة B	الخطأ المعياري SE	القيمة الحرجة	قيمة–P Value
	الآثار المباشرة			
اليقظة العقلية ـــــــــــــــــــــــ	0.290	0.292	0.993	<.000**

الذكاء الانفعالي				
اليقظة العقلية ← جودة الحياة الأكاديمية	0.197	0.061	3.229	<.000**
الذكاء الانفعالي ← جودة الحياة الأكاديمية	0.679	0.019	35.736	<.000**
الآثار غير المباشرة				
اليقظة العقلية ← جودة الحياة الأكاديمية	0.196	0.059	3.322	<.000**
الآثار الكلية				
اليقظة العقلية ← جودة الحياة الأكاديمية	0.881	0.061	14.442	<.000**

الاختصارات **B**= معامل الانحدار، ** دالة إحصائيا عند مستوى دلالة(**P<0.01**)

يتضح من جدول (8) ما يلي:

ـ وجود تأثير مباشر دال إحصائيا بين اليقظة العقلية والذكاء الانفعالي إذا بلغت قيمة التأثير (0.290)، كما جاءت قيمة التأثير المباشر بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية دالة إحصائيا إذ بلغت قيمة التأثير (0.197)، كذلك وجود تأثير مباشر دال إحصائيا بين الذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية إذ بلغت قيمة التأثير (0.679).

ـ جاءت قيمة الأثر الغير مباشر لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية في ظل وجود الذكاء الانفعالي كمتغير وسيط (0.196) وهي دالة إحصائيا مما يعني وجود تأثير للمتغير الوسيط الذكاء الانفعالي على العلاقة بين اليقظة العقلية وجودة الحياة الأكاديمية، أي إن المتغير الوسيط الذكاء الانفعالي أسهم في خفض العلاقة بين المتغير المستقل (اليقظة العقلية) والمتغير التابع (جودة الحياة الأكاديمية)، كما جاءت قيمة الآثار الكلية لليقظة العقلية على جودة الحياة الأكاديمية في ظل وجود الذكاء الانفعالي كمتغير وسيط(0.881) وهي دالة إحصائيا.

وفي ضوء ما أشار إليه أونج (**Awang,2012**) أنه إذا كان التأثير الغير المباشر من خلال المتغير الوسيط دال إحصائيا والتأثير المباشر للمتغير المستقل على التابع دال إحصائيا في ظل وجود المتغير الوسيط، فإن المتغير الوسيط (الذكاء الانفعالي) يعّد وسيطاً جزئياً (**Partial Mediation**) للعلاقة بين المتغير المستقل (اليقظة العقلية) والمتغير التابع (جودة الحياة الأكاديمية).

التوصيات والمقترحات

التوصيات

ـ الدعوة إلى ممارسة اليقظة العقلية والتأمل في الكون والطبيعة والنفس وسائر مخلوقات الله لتحسين المزاج والتمتع بالوجود الأفضل وزيادة الرفاه النفسي.

ـ الاهتمام بالبرامج التدريسية والتثقيفية لتحسين مستوى اليقظة العقلية لدى الطلبة الذين هم بحاجة لتنميتها والتركيز على المتغيرات النفسية الأخرى المرتبطة بها كالذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية.

ـ عقد ندوات ومحاضرات للتعريف باليقظة العقلية وفائدتها في شتى نواحي الحياة.

المقترحات

في إطار النتائج المستخلصة من الدراسة الحالية تضع الباحثة مجموعة من الاقتراحات البحثية لتعزيز البحوث المتعلقة بمتغيرات الدراسة:

ـ إجراء دراسات مستقبلية على عينات من طلبة الجامعات في مختلف الكليات وفي بيئات مختلفة وأيضا إجراء دراسات مستقبلية على عينات من طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) بهدف التعرف على طبيعة متغيرات الدراسة اليقظة العقلية والذكاء الانفعالي وجودة الحياة الأكاديمية وعلاقتها بمتغيرات أخرى.

ـ إجراء دراسات حول اتجاهات الأساتذة نحو تدريس اليقظة العقلية لطلبة الجامعات بمختلف التخصصات.

ـ إجراء دراسات تهدف لقياس درجات اليقظة العقلية عند فئات مختلفة من المجتمع حيث إن أغلب الدراسات المتوفرة اقتصرت على فئة الطلبة.

قائمة المراجع

أولا: المراجع العربية

ـ ابوغفش، إيناس (2011). أثر الذكاء العاطفي على مقدرة مدراء مكتب الأونروا بغزة على اتخاذ القرار وحل المشكلات. رسالة ماجستير. الثانوية العامة. الإسلامية. غزة، فلسطين.

ـ بلال، بن جحنون؛ إيمان، زوايمية (2021). جودة الحياة وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين المصابين بالأمراض المزمنة. رسالة ماجستير. الجزائر.

ـ بولفعة، عائشة، بوبلال، رانيا (2020). اليقظة العقلية وعلاقتها بأساليب التعلم (دراسة ميدانية على عينة من الطلبة كلية العلوم الاجتماعية). بجامعة قاصدي مرباح ورقلة. رسالة ماجستير. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة. الجزائر.

ـ الحربي، نوار محمد سعد (2021). مستوى اليقظة العقلية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى في ظل جائحة كوفيد ـ 19. مجلة البحوث التربوية والنفسية.ع (68). م (18). ص 1 ـ 31.

ـ حسين، مصطفي حسن (2004). بعض المتغيرات النفسية لنوعي الحياة وعلاقتها بسمات الشخصية لمدمن الهيروين. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة عين شمس.

ـ الدحادحة، باسم (2016). فاعلية التدريب على برنامج التأمل التجاوزي في تحسين مستوى يقظة العقل لدى طلبة جامعة نزوي،

دراسات العلوم التربوية، المجلد (34). الملحق (1).

ـ دغنوش، نورة (2022). اليقظة العقلية، الضغوط النفسية والانجاز الأكاديمي لدى طلبة الجامعة. أطروحة دكتوراه. جامعة محمد خيض. بسكرة. الجزائر.

ـ عبد الحميد، أسماء (2008). العلاقة بين قدرات الذكاء الانفعالي والضغوط النفسية. مجلة كلية التربية بالمنصورة، 2 (68) 431 –458.

ـ عبد الرحمن، حنان أحمد (2020). اليقظة العقلية وعلاقتها بالمرونة النفسية والرضا الوظيفي لدى عينة من موظفي بعض مؤسسات الدولة. مجلة كلية التربية. جامعة عين شمس. ع (44)، ج (4). ص 115 ـ 192.

ـ عبد المطلب، السيد الفضالي؛ صفوت، إيناس محمد (2020). اليقظة العقلية في ضوء نظرية لانجر وعلاقتها بكل من الاتجاه نحو التخصص وأسلوب التعلم ونوع الاختبار التحريري المفضل لدى طلبة جامعة الزقازيق. المجلة التربوي. ع (69). ص 148 ـ 189.

ـ علاق؛ مباركة؛ آمال بنين (2020). اليقظة العقلية ودورها في تحسين جودة الحياة النفسية. الجزائر.

ـ عمر، إيمان عياش؛ بكاكرة، دلال (2020). جودة الحياة الأكاديمية وعلاقتها بالذكاء العاطفي لدى طلبة الجامعة. رسالة ماجستير. جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي. الجزائر.

سعيد، سعاد (2008). الذكاء الانفعالي وسيكولوجية الطاقة اللامحدودة. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان. الأردن.

ـ سليمان، حنان مجدي صالح (2009). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بجودة الحياة لدى مريض السكر المراهق.

ـ شاهين، هيام صابر صادق (2017). اليقظة العقلية كمتغير معدل للعلاقة بين القلق الاجتماعي وجودة الحياة المدركة لدى المراهقين المكفوفين. دراسات نفسية. مج (27). ع (4). ص 507 ـ 561.

ـ شرحة، مهيرة يوسف أحمد (2011). الذكاء الانفعالي وعلاقته بمفهوم الذات لدى طلبة الصف الأول ثانوي في مدارس منطقة جنوب الخليل. جامعة القدس. رسالة ماجستير. فلسطين.

– المصري، محمد (2007). الذكاء الانفعالي دراسة مقارنة بين المتفوقين تحصيليا والعاديين من طلبة المرحلة الجامعية. مجلة كلية التربية: التربية وعلم النفس (جامعة عين شمس). 2 (31) 157 –175.

ـ معمريه، بشير (2020). جودة الحياة تعريفاتها محدداتها مظاهرها أبعادها. الجزائر.

ـ مطلك، فاطمة عباس (2019). تأثير اليقظة العقلية في التفكير الايجابي لدى طلبة الجامعة. مجلة العلوم الاجتماعية. 6 (8). ص 645 ـ 676.

ـ ملحم، سامي محمد (2011). القياس والتقويم في التربية وعلم النفس. ط5. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

ـ منسي، محمود عبد الحليم (2000). مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية. الإسكندرية دار المعرفة الجامعية.

النجاشي، سمية بنت عبد الله؛ الموسى، نوال بنت محمد (2020). التنبؤ بأبعاد التفكير الابتكاري من خلال متغيرات اليقظة الذهنية والشرود الذهني والعفوي لدى طالبات الجامعة. المجلة السعودية للعلوم النفسية. ع (65). الرياض. ص 27 ـ 45.

ـ السمان، مي (2015). الذكاء الانفعالي وعلاقته بدافعية الانجاز. رسالة ماجستير. جامعة دمشق. سوريا.

ـ السلامين، أفنان أحمد حسين (2018). جودة الحياة وعلاقتها بالطموح المستقبلي لدى عينة من طلبة عرب النقب الدارسين في كلية التربية. رسالة ماجستير. جامعة الخليل. فلسطين.

ـ السيد، هدى جمال محمد (2018). اليقظة العقلية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى عينة من المراهقين. دراسات نفسية. مج28. ع4. ص833 ـ 945.

ـ شيخي، مريم (2014). طبيعة العمل وعلاقتها بجودة الحياة، مجلة جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان بالجزائر، 5(2)111 ـ 160.

ـ آل الشيخ، غزل بنت عبد الرحمن (2018). الذكاء الانفعالي وعلاقته بالمرونة النفسية لدى طالبات. رسالة ماجستير. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية.

ـ العطاونة، خلود خليل أحمد (2023). أدارة الذات كمتغير وسيط في العلاقة بين اليقظة الذهنية والالتزام الوظيفي لدى المعلمين في المدارس الحكومية في محافظة الخليل. رسالة ماجستير جامعة الخليل. فلسطين.

ـ الصباغ، هدير محمود (2022). الفروق في الذكاء الانفعالي لدى طالب مرحلة الثانوية العامة وفقا لبعض المتغيرات الديمغرافية. دراسات تربوية واجتماعية، مجلة دورية محكمة تصدر عن كلية التربية. جامعة حلوان. مصر. م (28). ج (3). ص 142 ـ 187 .

ـ الربيع، فيصل (2018). الذكاء الانفعالي وعلاقته باليقظة الذهنية لدى طلبة جامعة اليرموك. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. مج(15)،ع(1). الأردن.

ـ المزروع، ليلي عبد الله سليمان (2007). علاقة هوية الأنا بفاعلية الذات والذكاء الوجداني لدي عينة من المراهقات (موهوبات – عاديات) بمكة المكرمة, رسالة ماجستير, كلية التربية, السعودية.

ـ الهنداوي، محمد حامد إبراهيم (2010). الدعم الاجتماعي وعلاقته بمستوى الرضا عن جودة الحياة لدى المعاقين حركيا بمحافظات غزة. جامعة الأزهر. مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة ورقلة ، العدد(11).

ـ الهمالي، عبد الله عامر (2003). أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته. ط3. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

ـ الوليدي، على (2017). اليقظة العقلية وعلاقتها بالسعادة النفسية لدى طلبة جامعة الملك خالد. مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية (28).

ثانيا: المراجع الأجنبية

— Goleman. D. (1995). The Impact of Emational In telligence on Gftedness.

— Awang, Z.(2012).Structural equafion modeling using AMOS graphic.Penerbit University Technologi MARA.

—Goleman, D. (2001). An EI-based theory of performance. In D. Goleman, & C. Cherniss (Eds.), the emotionally intelligent workplace: How to select for, measure, and improve emotional intelligence in individuals, groups, and organizations (pp. 27)

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 150-167, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/xhg8fc95

Research Article Open Access

النشاط الاقتصادي في إقليم برقه خلال عصر الدولة الفاطمية (301هـ-567هـ /913-1171م)

أسامة الشيلابي[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم التاريخ، جامعة اجدابيا، ليبيا

المستخلص: ساهم إقليم برقه في تمهيد الطريق لقيام الدولة الفاطمية في مصر، رغم ذلك لم تنعم الدولة الفاطمية بالسيطرة والتبعية الكاملة لإقليم برقه، في حين ساهمت عوامل متعددة في بلورة وازدهار النشاط الاقتصادي من خلال توفر المناخ المعتدل ومصادر المياه وخصوبة التربة، إلى جانب تطور حركة الملاحة البحرية في توفر خطوط تجارية بين موانئ برقه والإسكندرية ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية. الدولة الفاطمية، إقليم برقه، الاقتصاد، الزراعة

[1]*Corresponding author:
Osama S. El-Shilabi
osama_elshilabi1979@yahoo.com.my
Department of History,
University of Ajdabiya,
Libya

Received:
17-01-2026

Accepted:
10-02-2026

Publish online:
30-04-2026

Economic Activity in the Barqa Region during the Fatimid State Era (301–567 AH / 913–1171 CE)

Abstract: The Barqa region contributed to paving the way for the establishment of the Fatimid state in Egypt, Although, the Fatimid state did not have complete control and dependence on the Barqa region, while multiple factors contributed to the crystallization and prosperity of economic activity ,including its moderate climate, water sources, and soil fertility, in addition to the development of maritime navigation and trade lines between Barqa's ports and Alexandria, which contributed to stimulating economic movement.

Keywords: The Fatimid State, The Barqa region, Economy, Agriculture.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

لعب إقليم برقه دورا محوريا في نجاح السيطرة الفاطمية على بلاد مصر، حيث خلقت أراضيه جسرا سياسيا وعسكريا ولوجستيا لضمان ظفر الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بالسيطرة على الأراضي المصرية، وظلت تلك السيطرة على إقليم برقه سياسية فقط فكان الإقليم منبع للحركات السياسية والعسكرية المتمردة.
توافرت العديد من العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط الاقتصادي في إقليم برقه من خلال المناخ المعتدل والتربة الخصبة والغطاء النباتي الواسع والتضاريس المتنوعة والموقع الجغرافي المميز الذي يتوسط بلاد المشرق والمغرب ما جعل الدولة الفاطمية تسارع لبناء جسور الاقتصاد والتبادل التجاري في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة البحرية مع ساكنيه، فكانت طرقه منفذا للقوافل التجارية المصرية نحو بلاد المغرب والسودان.

مشكلة الدراسة: يغوص البحث في تبيان العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط الاقتصادي ومدي توفر المناخ المعتدل وطبيعة الموارد المائية في الإقليم وانعكاسها على جودة المنتجات الزراعية، كذلك الحدود الجغرافية لإقليم برقه ومدي توفر التضاريس المساعدة على تطور النظام الاقتصادي، ومميزات التجارة ومبادي التصدير والاستيراد مع الأقاليم المجاورة ودورها في توسيع النشاط التجاري، ومن ثم تحديد طرق المعاملات المالية في تلك الفترة وعمليات البيع والشراء وطرق المقايضة ودورها في رواج التجارة الداخلية والخارجية.

أهمية الدراسة: شكل إقليم برقه الجسر الذي عبرت عليه الخلافة الفاطمية نحو بلاد مصر. فقد تصدى أهل برقه لكل المحاولات الرامية إلى فرض السيطرة الكاملة على الإقليم؛ فشكلوا سدا أمام المد الشيعي في أقاليم ليبيا الثلاث. في حين لم يستتب الأمر للحكم الفاطمي في برقه التي كانت أرض خصبة للخارجين عن الحكم الفاطمي في بلاد مصر والفارين من تنفيذ الأحكام وزعماء الثورات لما يشكله الإقليم من بيئة حاضنه لهم.

أهداف الدراسة: يأتي ذلك من خلال توضيح الملامح العامة للحكم الفاطمي لإقليم برقه والأسس السياسية والدينية التي اعتمدها الفاطميين في حكمهم للإقليم ومدى نجاحهم في تنفيذ ذلك. ومن ثم التطرق لوفرة الموارد الطبيعة وانعكاسها على ازدهار النشاط الاقتصادي ودور المدن والواحات البرقاوية في تنظيم حركة الأسواق وتنويع طرق البيع والشراء، كذلك التعرف على كيفية رواج التجارة البحرية في الإقليم ودور الموانئ البرقاوية في لعب دور الوسيط التجاري بين مدن برقه والإسكندرية من جهة وبرقه وبلاد المغرب من جهة أخرى.

منهج الدراسة: يسير الباحث على خطى المنهج السردي التاريخي في توضيح مجريات وأحداث الغزو الفاطمي لبلاد مصر عبر إقليم برقه حتى دخولهم لمدينة القاهرة، وطبيعة تعيين الحكام لإقليم برقه وطرق إدارته تحت سيطرتهم، ومن ثم سرد الثورات المناهضة للحكم الفاطمي ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها. ثم يستعن الباحث

بالمنهج الوصفي التحليلي في وصف أثر الاعتدال المناخي والتنوع التضاريسي والتربة الخصبة على جودة المحاصيل الزراعية وسهولة تصديرها للمناطق المجاورة، كذلك وصف شبكة الطرق التجارية المتفرعة في الإقليم ودورها في ربط الإقليم بمناطق بلاد مصر والسودان ورواج التجارة مع أقاليم ليبيا في طرابلس وفزان.

خطة الدراسة: يشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، حيث يتناول المبحث الأول الوضع السياسي لإقليم برقه تحت الحكم الفاطمي وأشهر الثورات الرافضة لسيطرته، فيما يستعرض المبحث الثاني حدود وجغرافية إقليم برقه وأثرها على ازدهار النشاط الاقتصادي، في حين يشرح المبحث الثالث طبيعة النشاط الاقتصادي وفروعه من الزراعة وأهم المنتجات الزراعية ومن ثم الصناعة ومميزات التجارة وطرق القوافل المارة بالإقليم وأثرها على تطور الحركة التجارية مع الأقاليم المجاورة وينتهي البحث بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل على تنوع السلالات الغذائية في إقليم برقه وتوفر مصادر المياه من الأمطار والعيون والآبار الطبيعة لتساهم في زيادة الموارد الاقتصادية للمدن والواحات البرقوية، فيما تنوعت الصناعات التقليدية وتغليف التمور وتجفيف الفواكه فضلا عن تفرد الإقليم بالسلالات النادرة من الجمال والأحصنة والغنم والماعز كثروة سيادية وحيوانية تصدر للدول المجاورة. من ناحية أخرى شكل الإقليم سدا منيعا أمام المحاولات الشيعية لزرع شرايين المذهب الشيعي في ظل تمكن المذهب المالكي من قلوب ساكنيه، حيث ولّى الفاطميين على الإقليم كل من يدين لهم بالولاء لضمان للسيطرة على خط الدفاع الغربي عن حدود دولتهم الفتية.

أولاً: الوضع السياسي لإقليم برقه تحت الحكم الفاطمي

عرف إقليم برقه منذ القدم حيث يعود للعصر الروماني باسم أنطابلس أو بنطابلس أي المدن الإغريقية الخمسة، حتى فُتح الإقليم على يد القائد المسلم عمر بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فأطلقوا عليه أسم برقه وأصبح يجمع المنطقة الجغرافية الممتدة من حدود مصر الغربية إلى حدود مدينة سرت من الغرب ومدينة ودان من جهة الجنوب الشرقي (البلاذري، 1988م، 220)

ظل إقليم برقه تحت السيادة البيزنطية في وضع يسوده الطغيان والتمزق السياسي وفرض الضرائب حتي وصول حملة عمر بن العاص من مصر سنة 22هـ/643م فتصالح مع أهلها على فرض الطاعة ودفع الجزية بمقدار ثلاثة عشر ألف دينار. ثم أنقسم الجيش الفاتح إلى قسمين: الأول نحو إقليم فزان بقيادة عقبه بن نافع الفهري وفتحه صلحًا حتى منطقة زويلة (البلاذري، 1988م،23)

أما القسم الثاني من الجيش فسار من برقة بقيادة عمر بن العاص نحو مدينة اجدبيه فدخلها صلحًا، ومنها أنطلق إلى طرابلس فحاصرها، لشهرين حتى تمكن من دخولها بعد استغلال مواطن ضعفها من جهة البحر. وبذلك دخلت أقاليم برقه وفزان وطرابلس تحت الحكم الإسلامي، وانتهت حقبة الحكم البيزنطي، لتبدأ مرحلة جديدة من الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بشكل عام وإقليم برقه بشكل خاص (عباس، 1967م،33،35)

ونتطرق بعد ذلك لوصول الحكم الفاطمي لبلاد المغرب؛ إذ ساهمت الدعوة السياسية والدينية للدعاة الفاطميين في الترويج لخلافة عبيد الله المهدي (297–322هـ/910–934م) بقيادة عبيد الله الداعي، حيث تمكن المهدي من الهجرة إلى بلاد المغرب بعد تمهيد الدعوة له فسكن مدينة سجلماسة [1] مدة أربعين يوما، ثم سار نجو رقادة فدخلها سنة 279هـ/910م (ابن الأثير، 1357هـ،597/6) و دعي له على المنابر وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وأبطل الدعوة للخليفة العباسي في إفريقية، معلنا قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (ابو الفداء،1980م، 142/15)

وبطبيعة الحال كانت منطقة شمال إفريقيا عند دخول الفاطميين إليها تظم المذهب المالكي السني ومذهب الأباضية والصفرية من الخوارج، إضافة للمذهب الإسماعيلي الجديد مما ساهم في زيادة التوتر في المنطقة، كما لا يخفى التنافس بين القبائل البربرية زناتة في الغرب، وصنهاجة وكتامة في الشرق مما جعل سياسة عبيد الله المهدي تعتمد على إثارة الفتن بين القبائل لإضعاف قوتها والسيطرة على ولائها (طقوس،2007م ، 84–85)

اتجهت السياسة الخارجية للدولة الفاطمية نحو التوسع في الأراضي وبث الفتن للاستيلاء على مناطق جديدة، فبعد تثبيت دعائم دولتهم في المغرب تطلعوا نحو إسقاط حكم الدولة العباسية في المشرق ومنها كانت خطة عبيد الله المهدي للتوسع في المشرق والبداية بدخول مصر والسيطرة عليها كبوابة نحو غزو بلاد المشرق وإخضاعه ومن ثم السيطرة على بلاد الشام والمشرق الإسلامي بالكامل (طقوس،2007م،86)

ومن هنا أصبحت الأقاليم الليبية هي مساراً الجيش الفاطمي وحدودًا غربيةً لبلاد مصر. ما جعلها مسرحا للأحداث وثغرةً مؤديةً إلى حلم الفاطميين في امتلاك أراضي الدولة العباسية. ولذلك وجه الجيش الفاطمي ثقله نحو إقليم برقه كجسرا للعبور نحو غزو بلاد مصر. ومن أهم الحملات الفاطمية على بلاد مصر وإقليم برقه مايلي:

– الحملة الأولى على مصر مرورا بإقليم برقه في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله "295–320هـ" حيث تقلد في عهده الوالي أبو منصور تكين حكم منطقة الفسطاط، ومنها سار تكين لقيادة جيشه للسيطرة على إقليم برقه، في المقابل سارع القائد حباسة بن يوسف الكتامي لصد الزحف العباسي والتوجه نحو برقه سنة 301هـ/913م فوصل سرت ودخلها بدون قتال وفر منها جنود العباسيين والأغالبة. ثم توجه نحو اجدابيه ودخلها بعد أن طلب أهلها الأمان ومنها دخل برقه في ظل التخاذل العباسي والاختلاف بين قادتهم فأطاح بهم حباسه وأجبرهم على الانسحاب نحو بلادهم (ابن عذاري،1983م ،385/1)

[1] مدينة سجلماسة: من أشهر المدن المغربية وثاني مدينة في جنوب المغرب الإسلامي بعد القيروان، تقع على سهل سبخي كثيرة المزارع والبساتين والدور، تأسست على يد ابي القاسم بن واسول سنة 140هـ/758م بعد قيام دولة بني واسول ساهمت في نمو الدولة واستقرار سكانها (البكري، 1992م،835/2)

بعد هزيمة العباسيين عاث حباسه في مدينة برقه "المرج الآن" فسادا، فقتل أهلها ونهب أموالهم وقذف بعضهم في النار متهما إياهم بالولاء للعباسيين، كما فرض عليهم جمع مائة ألف مثقال من المال وإلا قام بقتلهم فجمعوها خوفا منه (ابن عذاري، 1983م ، 71/1)

في ظل هذه الاعتداءات أرسل أهل برقه كتابا للخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي يشكون فيه أفعال حباسة وتجبره عليهم وقتله لهم ونهبه لأموالهم فرد عليهم بالاعتذار وإنه ما أمر بذلك وأرسل إلى حباسه بالرحيل عن المدينة (عباس، 1967م ،76)

بعد نجاح الحملة الاستكشافية بقيادة حباسه أرسل عبيد الله المهدي حملة كبيرة بقيادة أبي القاسم القائم حملة كبيرة انطلقت نحو طرابلس ثم سرت. أرسل القائم إلى حباسه يطلب منه التريث في المسير نحو مصر حتى يلتحق به، ولكن حباسه أراد أن يكون له شرف الحرب فتوجهه نحو الإسكندرية فيما لحق به القائم وتوغل حتى وصل الجيزة (الكندي،1908م، 280،282)

استمر زحف حباسه والقائم نحو فتح الحصون المصرية، حتى بعث تكين والي مصر للخليفة العباسي يطلب منه المدد لمواجهة الزحف الفاطمي فأرسل له القائد مؤنس الخادم في جيش قوامه أربعون ألف مقاتل فالتقى الجيشان وهزم حباسه، وانسحب القائم إلى الفسطاط وعاد نحو المغرب، فيما اضطر حباسه للتراجع أمام القوة العباسية وقتل على يد الخليفة الفاطمي جراء هزيمته (ابن عذاري،1983م ،172/1)

بعد انسحاب القائم بن المهدي من مصر رجع إلى مدينة برقة، وأمرهم ببناء الأسوار حول المدينة وغادر إلى المغرب بعد أن ولىَّ عليهم رجالاً من قبيلة كنانة وحامية من الجند لحمايتها، ولعدم قبول أهل برقة بالمذهب الفاطمي ولتمسكهم بالمذهب المالكي ثار أهلها على الحامية وقتلوا قائدها، فأرسل لهم عبيد الله المهدي سنة 303هـ/915م جنده لتأديبهم بقيادة ابن فروخ اللهيفي فحاصر المدينة لمدة سنة وأربعة أشهر ثم دخلها وسفك دماء أهلها وأحرق ديارهم وظل حاكما للمدينة حتى توفي بها سنة 306هـ/ 918م (الذهبي،1984م،83/4)

ويتضح من ذلك أن إقليم برقة لم يخضع عسكريا للسيطرة الفاطمية إلا بعد حملة حباسه بن يوسف الكتامي، حيث لم تخضع الأقاليم الليبية للمذهب الشيعي. فكأن إقليم برقه وما حوله حتى سرت غربا وودان جنوبا على المذهب المالكي وما بعدها إلى طرابلس على المذهب الإباضي. حيث سعى الفاطميين لتحويل برقه نحو السيادة الفاطمية؛ كونها مقرا للحكم العباسي وقاعدةً عسكريةُ لجندهم مما جعل السيطرة الفاطمية على الإقليم وما حوله سيطرة عسكرية فقط في ظل رفض أهل برقة وطرابلس لتغيير معتقداتهم.

اعتمد حكم الفاطميين في إقليم برقه على اقتصاره في أيدى عمالهم من المؤيدين والأنصار المشهود لهم بالتبعية، وتميز حكمهم باستتباب الأمن والنظام في الأقاليم التابعة لهم، واستعمال الحزم والشدة عند اهمال العمال لواجباتهم والتقصير في خدمة شئون رعاياهم، فكانت أقاليم برقه وطرابلس وفزان ذات اهمية كبيرة لدى الفاطميين، حيث ساهموا في بناء أسوار طرابلس وتقوية الملاحة البحرية والعسكرية في المدينة، وتدريب سكانها على الإبحار

حتى أمتلك أهلها سفناً ضخمة للشحن، ساهمت في شحن البضائع وزيادة النشاط التجاري البحري(التيجاني، 1981م ،240)

في حين شكل إقليم برقة و ما حوله عمقاً استراتيجياً لدى الفاطميين باعتباره المنفذ الرئيسي نحو غزو بلاد مصر وبقائها تحت الحكم الفاطمي. فقد تقلد حكمه زمن الخليفة المعز لدين الله " 342-365 هـ/954-975م" أفلح الناشب حيث أمره بالاهتمام بأهلها وتدعيم أسوارها، ومن ناحية أخرى يتضح أهمية الإقليم عسكريا واستراتيجيا من خلال استعانة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله به في استرجاع جزيرة إقريطش[2] وحماية المسلمين الأندلسيين القاطنين بها بعد عجز الخلفاء العباسيين والأمراء الأخشديين من استرجاعها، حيث طلب من أخشيد مصر أن يرسل له سفنه إلى ميناء برقة لتنظم إلى مراكب الفاطميين لتنطلق بعدها نحو الجزيرة لقربها من مدينة برقه وتحريرها من غزو البيزنطيين سنة 350هـ/ 962م(حسن،1948م،296،298)

من هنا يتضح أهمية الموانئ البرقاوية في استراتيجية الدولة الفاطمية من الناحية الحربية والعسكرية لقربها من السواحل الأوروبية وجزيرة إقريطش اليونانية. كذلك البعد العسكري للدولة الفاطمية والاعتماد على الفرقة البرقية العسكرية التي عرفت بالقوة العسكرية وتوظيفها في حروبهم الخارجية ، كذلك اعتماد الدولة الفاطمية على الموانئ البرقاوية في حالات الحرب لموقعها الاستراتيجي العسكري، وفي حالات التجارة والتصدير نحو بلاد مصر والدول الأوروبية كمحطة تجارية بحرية تميزها عن غيرها من موانى بلاد المغرب.

استغل المعز لدين الله العوامل الداخلية لبلاد مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي"357هـ/968م" وسوء الظروف المعيشية في البلاد وانتشار المجاعة والكوارث الطبيعية وتذمر السكان. حينها أمر المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي بالمسير نحو مصر سنة 358هـ/968م والاستراحة في برقه فيما أمر عاملها أفلح الناشب بالترحيب بالصقلي وتقديم فروض الطاعة والولاء له، فلما وصلها جوهر دخل برقه واستقبله أفلح مترجلا بكل ترحاب. ومنها أنطلق نحو الاسكندرية مصطحبا معه فرقة من الجند تسمى البرقية نسبه إلى أهل برقة عرفت بالقوة والفروسية وترك أفلح الناشب على خدمة أهلها (ابن أبي دينار،1268هـ ، 82)

تمكن جوهر الصقلي من الزحف على الحصون المصرية في الإسكندرية والفسطاط ودخل القاهرة دون مقاومة تذكر، فأصبحت بلاد مصر تحت السيادة الفاطمية وجهز جوهر الصقلي دار الملك في الجزء الشرقي من القاهرة وداعى المعز لدين الله خليفة الفاطميين للمجيئ والحكم منها(ابن خلكان،1978م ، 147/1)

بعد استقرار الأوضاع في بلاد مصر تحت الحكم الفاطمي وتلبية لدعوة جوهر الصقلي للحكم من دار الملك في القاهرة قرر الخليفة الفاطمي المسير نحو بلاد مصر، بعد أن ولّى بولكين بن زيري على بلاد المغرب، فيما تعود تبعية الأقاليم الليبية ما بعد طرابلس للحكم الفاطمي المباشر من القاهرة، بوصفها حدود مصر الغربية

[2] جزيرة اقريطش: هي جزيرة كريت اليونانية تقع على البحر المتوسط تتوسط قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، فتحها المسلمون في عهد الخليفة العباسي المأمون سنة201هـ/827م (ابو الفداء،1980،55)

والموقع الاستراتيجي التي تتمتع به بما فيها إقليم برقه الحصن الغربي وبوابة مصر الغربية (ابن أبي دينار،1268هـ، 65)

انطلق المعز من بلاد المغرب سنة 362هـ/973م فمر على طرابلس ثم سرت حتى وصل اجدابيه واستراح بقصره الذي أسسه ابنه تميم فكان آية في الجمال من النقوش والتماثيل المنحوتة على أشكال مختلفة حيث لايزال بعضه قائما حتى الآن. وبعد أيام سار في جيشه نحو مدينة برقة وأقام في قصره فيها حيث توفى خلال إقامته بالمدينة كاتبه جوذر فحزن عليه كثيرا، كما توفى فيها شاعره ابن هاني الأندلسي فعبر عن فقدانه بقوله "هذا الراحل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق" (ابن خلكان، 1978م،75/4)

واصل المعز سيره من برقة حتى وصل الإسكندرية فاستقبله أهلها بالترحاب وخطب فيهم بأنه لم يرد المال أو الأرض إنما أراد أن ينهى حياته بالأعمال الصالحة والجهاد ضد الكفار، وتأمين طريق الحجاج وخرج من الإسكندرية نحو القاهرة فدخلها في السابع من رمضان سنة 362هـ/973م، فكان في استقباله جوهر الصقلي وسار به نحو قصر الملك. ثم استقبل في اليوم الثاني أعيان البلاد وشيوخها وأطلق أسم القاهرة على المدينة بدلا عن المنصورية ؛ لقهرها للعباسيين ولتكون دارا للحكم الفاطمي في بلاد المشرق (المقريزي، 1996م، 130/1)

في سياق متصل بعد عصر المعز لدين الله ظل إقليم برقه تحت السيادة الفاطمية إلا أنه لم يخضع لها بالكامل مع ظهور حركات تمرد على ولاتها التابعين للفاطميين في القاهرة ومن أشهر تلك الثورات نستعرض مايلي

حركة أبي ركوه في برقه ضد الحكم الفاطمي سنة (395ه – 397ه/ 1005– 1007م):

شغل أبي ركوه وظيفة معلم الصبيان في دار قبيلة بني قرة وعرف بحسن خلقه وفصاحة لسانه، ويرجع نسبه للأمويين حيث استغل كره بنى قرة للفاطميين وسخطهم على سب الصحابة والسلف فبادر بقيادة معارضة ضد الحكم الفاطمي. وتمكن من لم شمل قبائل بني قرة وبنى زناته حوله، فسار لحصار مدينة برقه سنة 395هـ/1004م ولقوة تحصينها ومتانة دفاعاتها لم يتمكن من دخولها(الأنطاكي،1990م، 188)

عاد أبي ركوه إلى حصار برقه مرة أخرى وشدد عليها لمدة خمسة أشهر، فأرسل إليهم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله نجده لفك الحصار بقيادة إينال التركي، وهنا فك أبي ركوه الحصار مؤقتا وذهب لملاقه إينال وأوعز لجنده بمناوشته في الطريق وردم آبار المياه في طريقه؛ ليصل منهكا من طول الطريق والعطش. فأشتبك معه أبي ركوه حين وصوله عند موقع عيون النظر وهزم إينال التركي وتم أسره بعد هروب أغلب جنوده. وعندما علم والي برقه صندل الأسود بخبر هزيمة اينال فر من المدينة نحو مصر عن طريق البحر فدخلها أبي ركوه وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله الثائر وسك العملة لنفسه (ابن الأثير،1999م ،199/9)

بدأ أبي ركوه في التوسع خارج نطاق إقليم برقه واتجه بأطماعه نحو مصر بتشجيع من أعوانه بامتلاك الأراضي والضياع المصرية، فاندفع بجيشه نحو مصر ودخل حصونها واصطدم بالجيش الفاطمي المعزز بطلب

من سلطان الفاطميين بجيوش بلاد الشام، لمساندته بقيادة المفرح بن دغفل الطائي وتمكنوا من هزيمته سنة 396هـ/1005م وغنم الكثير من أموالهم وأسلحتهم (المقريزي، 1996م، 63/2)

وفي سياق متصل ورط أبي ركوه جيشه في حرب حامية الوطيس بعد أن كشف الفاطميين خططه وطرق قتاله من قادة جيشه الخائنين له والجواسيس التابعين لهم لينتهي أمره بالهزيمة أمام الفاطميين والفرار نحو بلاد النوبة ثم سلم نفسه وقتل على أيديهم (ابن خلدون، 1969م،37/6)

كان تسرع واندفاع أبي ركوه نحو مصر بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، حيث خرج بجنوده عن المناطق الخاضعة له وابتعد بذلك عن موارده وحاضنته الأساسية في إقليم برقه، كذلك تبعثرت جيوشه في أراضي البلاد المصرية المترامية الأطراف بعيدا عن خطوط الامداد والدعم في دار حكمه متشبثا بخيوط من السراب عن الإطاحة بالحكم الفاطمي في مصر مما جعله فريسه سهله لجيوش الفاطميين.

استمر إقليم برقه في عداوة وعدم تبعية للحكم الفاطمي حيث ظل كره بني قرة للفاطميين مستمرا من خلال استيلائهم على الهدايا المقدمة للحكام الفاطميين من ولاه المغرب عند مرورها بهم، من ناحية أخرى شكل إقليم برقه الملاذ الآمن للفارين من ظلم وتعسف الفاطميين والهاربين من الأحكام السلطانية في مصر (ابن تغري بردي،1970م، 81/3)

ظلت الأمور على حالها حتى بدأت هجرة قبائل بني سليم وبني هلال نحو إقليم برقه، فقد شكل تدهور الوضع الاقتصادي في قلة الموارد والجفاف والفوضى دورا في تلك الهجرة نحو برقه، من ناحية أخري ساهمت كثرة المشاكل و الاضطرابات التي أثارتها قبائل بني هلال وبني سليم في تسريع هجرتهم، فقد تكفلت الدولة الفاطمية بدعم هجرتهم ومنحهم الوزير اليازوري ما يحتاجونه من أموال وخصص بعيرا لكل فرد وحفزهم على الهجرة بقوله أن الخليفة الفاطمي منحكم حكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي(ابن الأثير،1999م،299/8)

هاجرت قبائل بني سليم وبني هلال بلاد مصر واستقرت في إقليم برقه حيث أرسلت في طلب أهلهم بالمجيء لبرقه بقولهم " أنهم وجدو بلاد غاية في الخصب لا مزاحم لهم فيها " مما يدل على وفرة الأراضي الزراعية وخصوبة المراعي والسهول الجارية والمناخ المعتدل (ابن تغري ،1970م، 80/5)

كما هيمنت قبائل بني سليم على جميع القبائل القاطنة من البربر واليهود وغيرهم فلم يكونوا دولة أو كيان سياسي في الإقليم، بل كانت قبائل رعوية تعتمد على الرعي والزراعة، ولم يكن ولائها للفاطميين فكانت أرضها ملاذا للفارين من ظلم الحكم الفاطمي (المقريزي، 1996م، 216/2)

لم يكن للفاطميين سلطة مطلقة في إقليم برقه بالرغم من خضوع الإقليم سياسيا لهم، ودعمهم لنزوح قبائل بني سليم وبني هلال إلا أن التبعية كانت أسمية فقط. وكان رحليهم للبحث عن حياة اقتصادية أفضل في ظل مجاعات بلاد مصر وليس لحكم إقليم برقه وترسيخ حكم الفاطميين فيه، حيث ظلت أراضي إقليم برقه مناهضة

لحكم الفاطميين ومواطن للفارين من ظلمهم، في حين لم يفلح الفاطميون في زرع المذهب الإسماعيلي في الإقليم لتجذر المذهب المالكي في نفوس قاطنيه.

ثانياً: حدود وجغرافية إقليم برقه ودورها في ازدهار النشاط الاقتصادي:

دخلت حدود إقليم برقة في ترابط مع حدود بلاد مصر حيث وصف القلقشندي حدود إقليم برقه بأنها منقسمة إلى جزئين الأول يمتد إلى ديار مصر والثاني يشمل جزء من إفريقية من العقبة الصغرى المعروفة " مرسى مطروح " إلى حدود إقليم برقه الغربية (القلقشندي، 1922م، 396/3)، فيما يحدد الجغرافي الوزان حدود إقليم برقه من الإسكندرية شرقا حتى مدينة مصراته غربا، حيث لا يوجد فواصل طبيعية بين إقليم برقة وبلاد مصر وإقليم طرابلس(الوزان،1983م،25/2)، فيما يرى البعض إن حدود إقليم برقه يمتد حتى مدينة تاورغاء جنوب طرابلس (الزاوي، 1968م،146).

وفي سياق متصل عرفت حدود برقه بأنها مساحة جغرافية كبيرة تشمل مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية، حيث تمتعت مدينة برقه "المرج حاليا" عاصمة الإقليم بموقع جغرافي زراعي خصيب يتوسطها سهلا زرعيا تحيط به المرتفعات الجبلية من كل الجهات (عبده،2001، 33)

كما يصف المؤرخ الاصطخرى عاصمة الإقليم بقوله إنها مدينة في وسط الإقليم في سهل خصيب تحيط بها الجبال والمرتفعات ويقطنها قبائل البربر يحيطون بها من كل مكان (الاصطخري، 2004م،38) في حين يصف اليعقوبي عاصمة الإقليم مدينة برقة بخصوبة تربتها فيقول بأنها " تتوسط الإقليم وتربة أرضها شديدة الحمرة ويشرب أهلها من ماء الأمطار الذي يصل إليها من الجبال المحيطة عن طريق الأودية وتحيط بالمدينة قرى ومدن صغيرة يسكنها القبائل والجند (اليعقوبي،1422هـ،181)

كما وصف اليعقوبي حدود مدينة برنيق "بنغازي حاليا" بأنها تقع على ساحل البحر وتتمتع بميناء عظيم في البناء والجودة تقف فيه المراكب ويسكنها قوم من أبناء الروم (اليعقوبي،1422هـ، 182) في حين وصف المؤرخ البكري حدود مدينة اجدابيه بأنها مدينة كبيرة في الصحراء أرضها صفاء كثيرة الآبار، عذبة المياه، تكثر فيها المساجد والبساتين والنخيل وأسقف منازلها من الطوب، أسواقها عامرة بأفضل التمور تجلب إليها من واحات أوجله وودان(البكري،1992م،2/ 650) وهي مواطن قبائل لواته ولها ساحل على البحر ومرسى للمراكب ومعظم أهلها من البربر وهي آخر المدن التي تعيش فيها قبيلة لواته (اليعقوبي،1422هـ،183)

حدد المؤرخ اليعقوبي موقع مدينة سرت بأنها آخر حدود إقليم برقه وأهلها من منداسة وقنطاس وتمتد حتى موقع يعرف بتورغا وهو آخر حدود إقليم برقه (اليعقوبي،1422هـ،184) ولها سور منيع ومنازلهم من الطين تكثر بها البساتين والأراضي الزراعية وأشجار النخيل وأسعار بضائعهم مناسبة لكل زمان (ابن حوقل، 1938م، 68/1)

تعتبر واحات إقليم برقه الجنوبية ومنها مدينة أوجله وما بها من النخيل وأنواع التمور النادرة من أهم الموارد الاقتصادية لإقليم برقه وسببا في ازدهار اقتصاده. كذلك واحة ودان فهي من أعمال برقه المضافة يقطنها

عرب من اليمن مسلمون من قبيلة مزاتة ويحكم المدينة رجلا من أهلها ولا يدفعون الخراج (ابن حوقل، 1983م، 69/1)

تميز إقليم برقه بالتنوع التضاريسي حيث تمتد المظاهر الساحلية من غرب مصر حتى سواحل سرت، فيما تظهر التضاريس الجبلية في مناطق الجبل الأخضر والغطاء النباتي المحيط بمدينة برقه عاصمة الإقليم، كما يمتد الغطاء الصحراوي في الإقليم من خلال واحات وصحاري الإقليم وحوض وواحات أوجلة وودان، فيما تميزت الطبيعة الصحراوية بالأشجار المثمرة من النخيل والمراعي الصحراوية (ابن سعيد، 1970،71)

فيما يشكل البحر عامل تضاريسي هام في جغرافية ومناخ إقليم برقه، حيث يربط بين المدن الساحلية والموانئ الموجودة بها، كما يعمل على خفض درجات الحرارة وتوجيه الرياح لحدوث الأمطار مما يعزز جودة الغطاء النباتي في الإقليم (الوزان، 1983م، 227/2)

كذلك شكلت جبال إقليم برقه عاملا جغرافيا واقتصاديا هاما، فقد تدفقت كسلاسل جبلية محاذية للساحل البرقاوي الذي يربط القرى المحيطة بالسلاسل الجبلية ويمدها بالتنوع النباتي والنشاط الزراعي وتجرى بينهما الأودية كعوامل أساسية لمصادر المياه فحولها تقام المجتمعات وتنشط الزراعة (الهرام ،1997م،105)

ثالثا: النظام الاقتصادي في إقليم برقه

تكفل الموقع الجغرافي لإقليم برقه والتضاريس المحيطة به في لعب دور جوهري في ازدهار النشاط الاقتصادي، حيث اجتمع الساحل والجبل مع الصحراء لتجعل الإقليم يعج بعوامل الاقتصاد النشط من خلال المناخ المعتدل، وتوفر مياه الامطار وجريان السيول وتدفق الأودية ووفرة الغطاء النباتي؛ ما نتج عنها من نشاط زراعي وظهور للصناعات الخفيفة وتطور الأسواق الداخلية والتبادل التجاري مع الأقاليم المحيطة، ومن أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سكان الإقليم مايلي:

1- الزراعة:

ساهمت الإمكانات الطبيعية لإقليم برقه في جودة الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية، حيث وصف الرحالة والجغرافيين أرض برقه وخصوبة تربتها بأنها أرض خلوقية وخصبة (الحموي، 1957،289/) فيما عبر البكري عن ذلك بقوله تربتها حمراء دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة(البكري،1992، 650/2)، فكانت مدينة برقه تتمتع بتربة خصبة حمراء شديدة الحمرة(القلقشندي،1922م،396/3) فيما يصف الرحالة أرض وتربة مدينة اجدابيه بأنها أرض ذات صفاء بالغة الخصوبة كثيرة البساتين والثمار(البكري، 1992م،654/2) كما وصف المؤرخون صحراء برقه بأنها أرض رملية فسيحة تحيط بها القرى تميزها الزروع والتربة الخصبة (القلقشندي، 1922م،100/5)

إلي جانب خصوبة التربة يعتبر توفر مصادر المياه عاملا أساسيا في جودة الزراعة وتدفق المنتجات الزراعية وازدهار النشاط الزراعي، فقد اعتمدت الزراعة في إقليم برقه على عده مصار للمياه منها مايلي:

أ- مياه الأمطار:

لعب المناخ في إقليم برقه عاملا هاما في تدفق الأمطار، فقد شكل الموقع الجغرافي وتضاريس الإقليم سببا في نجاح ذلك منذ الفتح وحتى العصر الفاطمي، حيث وصف الرحالة والجغرافيين مصادر المياه في الإقليم نذكر منهم اليعقوبي بقوله" شرب أهل برقه من مياه الأمطار يأتي إليهم من الجبل في أودية" (اليعقوبي، 1422هـ،185) كما ذكر ياقوت الحموي توفر الأودية الجارية ودورها في ري المحاصيل الزراعية بقوله "أهل برقه يشربون من ماء السماء يجرى في أودية" (الحموي، 1957م،290/1)فيما وصف المقدسي توفر مياه الأمطار في مدينة اجدابيه بذكره " مدينة اجدابيه عامرة بنائهم على البحر يشربون من ماء السماء(المقدسي،1957، 123)

ب- الآبار والعيون:

تعتبر من أهم مصادر المياه عند أهل برقه انتشرت في جميع المناطق الساحلية والصحراوية واستعملت للشرب وري المحاصيل الزراعية، فقد احتوى الإقليم على العديد من الوديان الجارية الناتجة عن تدفق مياه الأمطار من أشهرها وادي درنه حيث وصفه الرحالة أبن سعيد بقوله: وادي عظيم ينزل من الجبال ويصب في البحر ولم أرى في برقه نهر أعظم منه (ابن سعيد، 1970م، 146)

معظم الآبار التي حفرت في إقليم برقه تعود للعصر الفاطمي، فهي من خطة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في غزوه لبلاد مصر، حيث أمر عماله بحفر الآبار على طول الطريق الواصل بين بلاد المغرب وبلاد مصر وخاصة في إقليم برقه لأنها قاعدة للجند ومكان للاستراحة قبل التوجه لغزو بلاد مصر (ابن الأثير، 1357هـ،304/7)

كما عرفت مدينة اجدابيه بكثرة العيون والآبار حيث وصفها البكري بقوله أنها "مدينة كبيرة أرضها صفاء وآبارها منقورة في الصفاء طيبة الماء وبها عين ماء عذب تسقى منه البساتين والنخيل" (البكري،1992م،652/2)، كذلك تميزت مدينة سرت بكثرة الآبار والعيون العذبة العميقة التي استخدمت في سقاية الناس والحيوانات وزراعة المحاصيل الزراعية وخاصة الذرة، كما تمتعت واحات إقليم برقه بتوفر مياه الآبار والعيون العذبة في واحات زويلة وودان وأوجله وانعكاسها على نشاط زراعة المحاصيل الزراعية من القمح والذرة (البكري، 1992م ،652/2)

- أشهر المنتجات الزراعية في إقليم برقه:

1- القمح: يعتبر من أهم المنتجات الرئيسية في الإقليم والغذاء الأول لهم حيث يزرع في كل مناطق الإقليم خاصة في المرج واجدابيه وواحات برقة الجنوبية مثل أوجله وزويلة وودان.

2- الشعير: من أشهر محاصيل الإقليم الاستراتيجية ويعد من أطعمة الناس وغذاء للحيوانات، يزرع في مناطق متعددة في سهول برقه وماحولها ومدينة اجدابيه

3 – الذرة: تعد من المحاصيل ذات الأهمية في مناطق الإقليم حيث زرعت في الواحات الجنوبية في أوجلة وودان وزعت بكثرة في اجدابيه وسرت ودرنه إلى جانب محصول الدخن والبرسيم (بولبيض، 2009،132)

4- النخيل: عرفت زراعة النخيل في إقليم برقه في مناطق اجدابيه وسرت وحول مناطق وواحات أوجله وودان والكفرة، حيث وصف الرحالة والجغرافيين جودة النخيل وكثرة تصديره للمناطق المجاورة كبلاد مصر والمغرب (الحموي، 1977م،277/1)

5 – الزيتون: انتشرت زراعة الزيتون في مناطق واسعة من إقليم برقه خاصة في مدينة برقه وبرنيق وواحات الجنوب في أوجله وودان (العمري،1423هـ،504/3)

6- الفواكه: أشتهر إقليم برقه بتنوع الفواكه في مناطق مختلفة، فقد وصف البكري ما تحتوي عليه مدينة برقه من الفواكه مثل الجوز والأترج والسفرجل واللوز والموز والتين والكمثرى والرومان وغيرها (البكري، 1992م،15)

فقد نتج عن تمتع إقليم برقه بغطاء نباتي فسيح، وتضاريس جبلية وصحاري شاسعة ومصادر مياه متنوعة توفر الثروة الحيوانية في الإقليم وانعكاسها على ازدهار النشاط الاقتصادي كمصدر هام للحوم من جهة وثروة سيادية لسكان الإقليم من جهة أخرى.

ونظرا لخصوبة التربة واعتدال المناخ وكثرة الزروع انتجت المراعي البرقاوية أفضل السلالات من الأغنام فكثرت أعدادها في مناطق مدينة برقه وما حولها، كما انتشرت الماعز في المناطق الصحراوية في مناطق اجدابيه وأوجله وسرت(زيادة،1966م،11)

فيما ترعرعت الإبل في إقليم برقه وعرفت بالسلالات النادرة ووفرة البانها، فقد اعتمد عليها السكان في حرث الأراضي وري المحاصيل الزراعية والتنقل بين المدن، حيث وصف المؤرخون أهل برقه بأنهم أهل ماشية ودواب كثيرة من الأغنام والماعز والإبل (العمري،1432هـ، 545/3)

كذلك تميزت خيول برقه بقوتها وجمال أجسادها وتنوع سلالاتها، حيث تزاحم خلفاء الدولة الفاطمية على استيرادها وتوزيعها على فرسانهم كرمز للقوة والصلابة، فيما أهتم سكان الإقليم بتربية حيوانات أخرى كالنعام في ودان وتربية الصقور والحجل في ساحل مدينة برقه وتربية الغزال في واحات برقه الجنوبية إلى جانب تربية النحل في غابات إقليم برقه ووديانها (بالناصر،2024م،33)

2- الصناعة:

عرف إقليم برقه العديد من الصناعات التقليدية والصناعات القائمة على الموارد الطبيعية والموارد النباتية، كذلك الصناعات القائمة على الموارد الحيوانية في ظل الطلب المتزايد على المنتجات النباتية والحيوانية من بلاد مصر والأقاليم المجاورة.

من أهم الصناعات التقليدية في إقليم برقه صناعة الفخار والأواني المنزلية معتمدين على أشجار النخيل والطين وصناعة أطباق حفظ الطعام والأدوات المستخدمة في الطب الشعبي، بالإضافة لصناعة زيت الزيتون حيث اعتمد الأهالي على استعمال المعاصر الرومانية القديمة المنتشرة في منطقة طلميثة على ساحل مدينة برقه في عصر الزيتون فكان يصدر منها للمناطق المجاورة في مصر وبلاد الشام (البرغوثي، 1973م،280)

كذلك انتشرت صناعة العسل في إقليم برقه في مرتفعات الجبل الأخضر، حيث يصدر أصناف منها إلى بلاد مصر، كذلك صناعة دبغ الجلود وصناعة الصوف، كما عرف الإقليم صناعة القطران حيث يجلب من اجدابيه وسرت وتمر عليه قوافل الحجيج ويحملونه معهم (البكري، 1992م،650/2)

ونتيجة لوفرة المنتجات الزراعية عرف سكان الإقليم تجفيف المنتجات الزراعية كمورد اقتصادي هام، حيث تركزت في واحات الجنوب في أوجلة وودان، كما اشتهرت مدينة اجدابيه بتجفيف الفواكه كالتين والكمثرى (ابن حوقل، 1938م ،73،70) كذلك ظهرت الصناعات القائمة على أشجار النخيل وصناعة الجريد وتغليف التمور وتصديرها إلى المناطق المجاورة (الزاوي، 1986م،198)

3- التجارة:

تميز الموقع الجغرافي لإقليم برقه بتدعيم ورواج حركة التجارة، حيث توسط طرق التجارة بين بلاد مصر والشام والحجاز من جهة وبين بلدان المغرب العربي والأندلس من جهة أخرى، كما ساعدت موانى إقليم برقه على لعب دور الوسيط البحري للتجارة مع الدول المجاورة والدول الأوروبية في صقلية والبندقية ومن أشهر الطرق التجارية بالإقليم البرقاوي مايلي:

- الطريق الساحلي الواصل بين مصر وبرقه وطرابلس ثم بلاد إفريقية: وصف البكري الطريق بأنه أفضل الطرق التجارية مرور بإقليم برقه والأكثر أمانا للمسافرين والتجار من خلال توفر عوامل الراحة والأسواق والموانئ البحرية التجارية في إقليم برقه؛ مما ساعد في توفر السلع التجارية وعمليات البيع والشراء وقرب المسافات وتوفر الأمن ورخص الأسعار(البكري،1992م،653/2)
- طريق برقه زويلة كانم: يعتبر من الطرق التجارية الهامة بين إقليم برقه وبلاد المغرب والسودان، كما يربط مناطق إقليم برقه بالمدن التجارية في السودان، حيث ساهم الطريق في ازدهار الحركة التجارية بين بلاد مصر عبر برقه إلى السودان، حيث وصف الإدريسي الطريق بقوله: من برقه إلى مدينة اجدابيه ست مراحل وهي من الأميال مائة واثنان وخمسون ميلا ثم إلى مدينة أوجله ليصل إلى مدينة زويلة ويلتقي بالطريق القادم من طرابلس ومنها إلى بلاد السودان (الإدريسي، 1996م،290/1)

وفي سياق متصل توفرت الموانئ البحرية والمراسى في إقليم برقه لتكون عاملا في ازدهار التجارة البحرية مع الدول المجاورة، حيث انتشرت على طول سواحل إقليم برقه موانى تجارية تنقل البضائع كخط ملاحي تجاري بين بلاد مصر والمغرب العربي، فقد وصف الإدريسي مرسى طبرقه كونه أول المراسي للسفن المتحركة من الإسكندرية نحو برقه ويتمز بالهدوء وقلة الرياح حيث تلجئ إليه السفن عند هيجان البحر والعواصف الشديدة (الإدريسي،1996م،315/1)

ومن المراسى الهامة في إقليم برقه مرسى طلميثة فقد لعب دورا محوريا في حركة التبادل التجاري بين بلاد مصر وأهل برقه فكان مكتضا بالمراكب التجارية التي تحمل شتى أنواع البضائع التجارية (الإدريسي، 1996م،308/1)

بالإضافة إلى مرسى اجدابيه باعتباره بوابة وحات برقه والطريق البحري نحو التجارة مع بلاد السودان حيث يقصده التجار من كل مكان، وأطلق عليه البكري أسم الماجور (البكري، 1992م،650/2) ونستعرض أيضا مرسى ابن غازي أو مرسى ملال وهو من المراسى المعروفة بالنشاط التجاري وكثرة المراكب المحملة بالبضائع من وإلى بلاد مصر، كما ورد ذكر بعض المراسى الأخرى عند المؤرخين والرحالة منها مرسى رأس التين ومرسى القوارة ومرسى كرسته (العمري،1423هـ،135/3،137)

ويجرنا الحديث هنا للتعريج عن الأسواق المنتشرة في إقليم برقه ودورها في تطور الحركة التجارية وضبط الأسعار وطرق البيع والشراء، حيث انتشرت الأسواق في جميع أرجاء الإقليم، خاصة المناطق الحدودية والقريبة من الموانئ البحرية، فقد وصف البكري إقليم برقه بالأسواق العامرة والبضائع الرخيصة، إذ يصدر من أسواقها العسل والصوف إلى بلاد مصر، كذلك أسواق سرت التي تعج بالبضائع من التمور والفواكه والزيت وتجارهم يتبايعون على سعر موحد يختارونه فيما بينهم (البكري، 1992م،652/2)

كما تميزت مدينة اجدابيه بالتجارة الصادرة والواردة وكثرة الأسواق، وتوافد التجار عليها باعتبارها مركز للتجارة ومدخل تجاري للطرق التجارية من طبرق نحو واحات برقه وبلاد السودان، فقد وصف المؤرخون أهلها بإتقان التجارة وتميزت أسواقها برخص الأسعار وتوفر البضائع فهي مركز لتوزيع البضائع القادمة من مصر نحو بلاد السودان (ابن حوقل، 1968م،70)

ساهمت واحات إقليم برقه الجنوبية مثل أوجله وودان في تكوين محطات تجارية على الطريق الصحراوي نحو بلاد السودان، فكانت تتوسط الطريق التجاري من برقه نحو إقليم طرابلس وبلاد المغرب من ناحية ومدخل للطريق نحو إقليم فزان من ناحية أخرى، حيث تنوعت أسواقها بالمنتجات من التمور والجلود والإبل ذات السلالات النادرة والحيوانات الصحراوية من الغزلان والنعام (الإدريسي، 1996م،315/1)

اعتمد إقليم برقه نشاط تصدير السلع التجارية من خلال الأسواق عبر الموانئ والطرق التجارية لرواج الحركة الاقتصادية الخارجية، وخاصة تصدير اللحوم نحو بلاد مصر بكميات كبيرة، فكانت أكثر ذبائح بلاد مصر تستورد من إقليم برقه وذلك لجودة لحومها وطيب مذاقها (الحميري، 1975م،90)

من ناحية أخرى صدر إقليم برقه أجود سلالات الخيول العربية الأصيلة إلى بلاد مصر، حيث كانت توزع الخيول العربية على جنود الفاطميين بعد نزولهم في مدينة برقه للاستراحة من سفرهم من بلاد المغرب، كما صدرت الخيول البرقية عن طريق المراكب المحملة بالخيول والجمال والاخشاب نحو الإسكندرية (القلقشندي، 1922م،115/6)

وصف البكري الحالة التجارية لمدينة زويلة والسلع المتوفرة بها للتصدير والتبادل التجاري منها تجارة الرقيق مع إقليم طرابلس وبلاد السودان، كذلك تميزت منتجاتهم بأجود أنواع التمور والطيور التي صدرت نحو إقليم فزان وطرابلس(الحموي،1977م،158،275)

فيما لعبت المراسى البحرية دورا هاما في التبادل التجاري فكان ميناء طلميثة نقطة تحول في التجارة الداخلية في تصدير الحبوب من القمح والشعير والعسل والملح نحو إقليم طرابلس من جهة ويصدر القمح والشعير والعسل والكبريت والخيل والجمال والفواكه نحو ميناء الإسكندرية من ناحية أخرى، مما جعل إقليم برقه قاعدة تجارية واقتصادية في تبادل السلع والمنتجات بين الدول والأقاليم المجاورة(مفتاح،1978م،218)

4- النظام المالي:

كانت طرق البيع والشراء في إقليم برقه عاملا مؤثرا في ازدهار النشاط الاقتصادي، حيث يكفل النظام المالي إتمام عمليات بيع وتبادل السلع والخدمات والدفع بالدينار والدرهم والمكاييل والموازين، ومن أهم طرق البيع والشراء المتبعة ما يلي:

- نظام البيع بالتبادل أو المقايضة: من أنظمة البيع والشراء التي عرفت في عصر الفاطميين، حيث وصفها المؤرخون والرحالة عند مرورهم بالأسواق في إقليم برقه أو مشاهدتهم للمراكب الراسية في موانئ الإقليم، عندما تتم مقايضة ما تحمله من بضائع ومنتجات بالبضائع المحلية من المنتجات والفواكه والحيوانات والملح وغيرها، حيث ذكر البكري أن أسواق مدينة اجدابيه رخيصة يقايضون البضائع بشكل موحد ، فقد قايض التجار اليهود في مرسى طلميثه السفن الراسية بالبضائع بما لديهم من المنتجات (البكري،1992م،651)، إلى جانب المقايضة في الامتعة والمنتجات عرف أهل برقه التقايض بما يملكون من دارهم للبيع كنوع من أنواع النشاط المالي في الإقليم(ابن العمري،1423م،540/3)
- التعامل بالدينار والدرهم: ظهر التعامل بالدينار في برقه قبل العصر الفاطمي، فقد ورد ذلك عند دفع خراج برقه في عهد الدولة العباسية في عهد الخليفة الرشيد، فبلغ أربعة عشر ألف دينار عن كل ضيعة والصدقات خمسة عشر ألف دينار، مما يؤكد التعامل بالدينار في عمليات البيع والشراء ودفع الخراج (اليعقوبي، 1422هـ،183)

وفي عهد الدولة الفاطمية تعامل الإقليم بالدينار خلال عمليات البيع والشراء وتحصيل الضرائب، حيث يقدر وزن الدينار بأقل من المثقال والسكة دائرية الشكل والكتابة، وله نصف دينار يسمى القيراط والربع يعرف بالخرنوقة، حيث يؤخذ الجميع بالعدد ولا يعتد في التعامل بالقطع النقدية (المقدسي، 1991م، 240)

ومن أشهر العملات الفاطمية في إقليم برقه الدينار الذهبي في عهد الخليفة المستنصر "بالله " 427-487 هـ/ 1036-1094 م" في سنة 448هـ/ 1057م، والدراهم التي سكت في برقه في عهد الخليفة المعز لدين الله " 341- 365 هـ/ 953-975 م" إلى جانب المقايضة كوسائل لدعم النشاط الاقتصادي في الإقليم (منصور، 2008م،137) كذلك دخلت الموازين والمكاييل الفاطمية في منظومة النشاط الاقتصادي خلال عمليات البيع والشراء متمثلة في الأرطال والصاع والذراع (المقدسي،1991م ،241)

فقد تمتعت برقه وماحولها بنظام اقتصادي متعدد الفروع والنشاطات، حيث اعتمد على كل المميزات الجغرافية والمناخية والصناعات والموارد المتوفرة، وتسخيرها في مجالات الإنتاج وسد الحاجات الأساسية، ومن ثم الانطلاق نحو التصدير للمنتجات المتميزة زراعية أو حيوانية أو معدنية، فيما لعبت الطرق التجارية والمحطات البحرية من الموانئ دور الوسيط التجاري مع الدول والبلدان المجاورة.

فيما شكلت المدن البرقاوية كيانات اقتصادية ومناطق حرة برقاوية في كل من طلميثة على الساحل البرقاوي وما مثله مينائها من سوق اقتصادية تربط دول العالم المجاور، فيما شكلت اجدابيه معبرا تجاريا عبر الصحراء نحو السودان وعبر الساحل نحو إقليم طرابلس والمغرب العربي، كما لعبت واحات برقه دور المعابر والممرات التجارية مع دول الصحراء للتبادل التجاري والتصدير في جميع مجالاته، إلى جانب ذلك أسس إقليم برقه نظاما ماليا متكاملا لعمليات البيع والشراء والمقايضة كأساس للنمو والازدهار الاقتصادي.

الخاتمة:

من خلال الحديث عن التطور الاقتصادي ومراحله في إقليم برقه خلال عصر الدولة الفاطمية، نجد أن سكان الإقليم لم يتنحوا عن عقائدهم الدينية ومذهبهم المالكي طول فترة الحكم الفاطمي للإقليم، بل تصدوا لكل المحاولات الهادفة لزرع العقائد الشيعية والتمدد العُبيدي في إقليم برقه وطرابلس، فكان الإقليم الغصة التي أرقت حكم الفاطميين في شمال إفريقيا ومنعت تمرير معتقداتهم إلى نفوس سكانه.

من ناحية أخرى لم يكن الولاء للفاطميين السمة السائدة في إقليم برقه، بل كان التمرد والعصيان وظهور الثورات من خصائص الإقليم الدائمة، حيث تدفقت عليه حركات المعارضة للفاطميين في مصر فكان موطنا للخارجين عن القانون في بلاد مصر لتركهم التمسك بالطاعة العمياء للحكم الفاطمي في الإقليم.

كان للفاطميين دور في تنصيب الولاة على إقليم برقه مقتصرين في ذلك على عامل الولاء السياسي للبعض من أهل الإقليم على عكس العامة المعارضين لحكمهم، كما اعتمدوا على بعض الولاة من خارج الإقليم من أهل المغرب، وذلك لم يمنع أهل برقه من الثورة على ولاة الفاطميين وخلعهم مما جعلهم في مواجهة غير متكافئة مع سلاطين الفاطميين الذين أسرفوا في قتلهم وحرقهم وتشريدهم. وبذلك حكم الفاطميين برقه بالحديد والنار وتعذيب المناوئين لحكمهم فلم يرضى أهل برقه عن حكمهم ولا عن إتباع منهجهم الشيعي المخالف لعقيدتهم المالكية.

توافرت العديد من المقومات في ازدهار النظام الاقتصادي في برقه من خلال الموقع الجغرافي المناسب في تعدد المظاهر الطبيعية، فكانت التربة عاملا مساعد في تطور الزراعة في الإقليم، وتميزت بالخصوبة وشدة الاحمرار مما ينعكس على تنوع وجودة المحاصيل الزراعية، وتوفر المراعي لزيادة الإنتاج الحيواني، فيما تعددت مصادر المياه من الأمطار والقنوات والوديان والمياه الجوفية من الآبار والعيون لتكون رافد من روافد الاقتصاد البرقاوي.

فيما تركزت الحركة الصناعية في إقليم برقه على بعض الصناعات التقليدية التي تتطلبها حياة السكان والصناعات الحرفية المساعدة على الزراعة وري الأراضي، كما عُرفت الصناعات القائمة على المعادن التي وجدت في أراضي الإقليم وتم تصديرها لبلاد مصر، كذلك نشطت الحركة التجارية في ربوع إقليم برقه من خلال الموقع الجغرافي الذي يتوسط الطريق التجاري بين المشرق والمغرب والطرق التجارية نحو بلاد السودان من جهة والطرق التجارية مع الأقاليم الليبية من جهة أخرى؛ ما جعل إقليم برقه ممرا تجاريا للقوافل نحو مناطق متفرقه ومحطة تجارية لشراء وتبادل السلع المختلفة، كذلك عرف إقليم برقه التجارة البحرية والتصدير البحري نحو بلاد مصر وبلاد المغرب العربي بما يمتلكه من موانى بحرية منتشرة على طول الساحل البحري، فكانت تصدر المنتجات بكافة أنواعها وتقام فيها الأسواق التجارية التي اعتمدت على أنظمة مختلفة للبيع والشراء.

اعتمد الاقتصاد البرقاوي على أساليب متنوعة في المعاملات التجارية والمالية منها نظام المقايضة من خلال تبادل سلعة بأخرى لإتمام عمليات البيع والشراء، فكانت معتمدة في الأسواق التجارية في المدن والواحات البرقاوية وداخل الموانئ التجارية، كذلك الدفع بالدينار الذهبي والدراهم الفضية التي ضُربت في الإقليم زمن الدولة الفاطمية، فيما استخدمت الموازيين والمكاييل كوسائل مساعدة في عمليات البيع والشراء مما يوضح طبيعة النظام النقدي ووسائل الدفع في إقليم برقه زمن سلاطين الفاطميين.

وبذلك ساد في إقليم برقه نظام اقتصادي متكامل يعتمد على مقومات طبيعية وجغرافية وتضاريسية متنوعة، في ظل نظام زراعي وصناعي وتجاري قائم على استخلاص الموارد المتوفرة، وتوظيفها لدفع عجلة النمو والازدهار الاقتصادي مع دعم سير العجلة الاقتصادية بطرق مختلفة لإتمام عمليات البيع والشراء، وتحقيق الغايات الاقتصادية لكل المزارعين والصناع والتجار في تحصيل منافعهم و رواج أسواقهم بكل الوسائل المتاحة.

المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير، على بن أحمد. (1357هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج7.
- الأنطاكي، يحي بن سعيد. (1990م)، تاريخ الأنطاكي، دار جروش برس، بيروت.
- الإدريسي، محمد بن محمد. (1996م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دار عالم الكتب، بيروت، ج1.
- الاصطخري، إبراهيم بن محمد. (2004م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت. ج 2.
- البرغوثي، عبد اللطيف. (1973م)، تاريخ ليبيا الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا.
- البكري، ابو عبيد الله. (1992م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- بالناصر، زكية. (2024م)، دراسة في تاريخ برقة الإسلامي، عين حورس للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن. (1970)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، القاهرة، ج5.
- التيجاني، ابو شهاب الدين بن عبد الله. (1957م)، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، محمد عبد الله(1981م) رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
- الحموي، شهاب الدين. (1977م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج1
- الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1975م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1996م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 5
- ابن خلكان، ابو العباس. (1978م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.
- ابن حوقل، محمد ابو القاسم. (1938م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ج1
- الذهبي، شمس الدين محمد. (2006م)، سير أعلام النبلاء، تقديم محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ج 4
- الزاوي، الطاهر. (1978م)، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس.
- ابن سعيد، على بن موسى. (1970م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
- عبده، عبد الله. (2000م)، مدينة برقة وآثارها الإسلامية، دار الأفاق العربية، القاهرة.
- عباس، احسان. (1967م)، تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر، بنغازي.
- ابن عذاري، ابو عبد الله محمد. (1983م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار صادر، بيروت.
- العمري، احمد بن يحيى. (1443هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ج3.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1987م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت، ج6.
- ابو الفداء، إسماعيل. (1980م)، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2
- القلقشندي، أحمد بن علي. (1992م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6.
- مفتاح، صالح مصطفى. (1978م)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا.
- المقدسي، ابو عبد الله محمد. (1991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،مكتبة مدبولي، القاهرة.
- المقريزي، تقي الدين أحمد. (1996م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب العلمية، القاهرة.
- منصور، عاطف. (2008م)، النقود الإسلامية واهميتها في دراسة التاريخ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- الهرام، أحمد. (1997م)، التضاريس والجيومورفولوجيا، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي بولقمة، الدار الجماهيرية للنشر، سرت.
- اليعقوبي، احمد بن إسحاق. (1422هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 168-185, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/enptqp35

Research Article

Open Access

واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية وتحدياته في ظل التحول الرقمي "دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس"

عبد الله محمد عبد الله أطبيقه[1]*

الباحث الاول[1]*:
قســم الإعــلام، كليــة الآداب، جامعة سرت، دولة ليبيا

المستخلص: تسعى هذه الدراسة إلى تشخيص واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام بالجامعات الليبية، وتحليل أبرز التحديات التي تواجه العملية التعليمية في ظل الطفرة الرقمية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، حيث شملت عينة مكونة من 102من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين، لتقييم الخطط الدراسية، المحتوى العلمي، وطرق التدريس المتبعة. أظهرت نتائج الدراسة وجود فجوة في الاستمرارية الأكاديمية، حيث يتم تدريس المقرر غالباً بصورة غير منتظمة وبدون تخصص أكاديمي طويل المدى، مما يحول دون تراكم الخبرات النوعية ويؤثر على استقرار المحتوى. ورغم الإدراك العالي لأهمية المقرر في ترسيخ القيم المهنية والمسؤولية الاجتماعية، إلا أن هناك ضعفاً نسبياً في تنمية المهارات التطبيقية اللازمة لاتخاذ القرار الأخلاقي في البيئات الرقمية المعقدة. تخلص الدراسة إلى ضرورة تحديث توصيف المقرر وفق معايير معاصرة تركز على الكفايات الأخلاقية والرقمية، مع التأكيد على التكامل بين الجانبين القيمي والتطبيقي؛ لضمان إعداد كوادر إعلامية قادرة على مواجهة التحديات الأخلاقية المتغيرة في البيئة الإعلامية الراهنة.

الكلمات المفتاحية: أخلاقيات الإعلام، التعليم الإعلامي، التحول الرقمي، مناهج التدريس، الجامعات الليبية

[1]***Corresponding author:**
Abdullah M. Atbiqa,
amatbga@su.edu.ly
Department of Media, Sirte University, Libya

Received:
27-01-2026

Accepted:
27-03-2026

Publish online:
30-04-2026

Teaching of Media Ethics in Libyan Universities in the Context of Digital Transformation: A field study on a sample of faculty members

Abstract: This study aims to analyze the current status of teaching "Media Ethics" in Libyan universities and identify the primary challenges encountered amidst the digital transformation. Adopting a descriptive-survey methodology, the research utilized a sample of 102 faculty members from various media departments and colleges across Libya to evaluate curricula, content, and pedagogical approaches. The findings reveal that the teaching of media ethics is often conducted irregularly and without long-term academic specialization, which hinders the accumulation of specialized expertise and affects the stability of the course content. While there is a high perception of the course's role in instilling professional values and social responsibility, the results indicate a relative weakness in developing practical decision-making skills within complex digital ethical contexts. The study concludes that there is an urgent need to re-design the course descriptions according to modern standards based on ethical and digital competencies. It emphasizes the necessity of integrating moral dimensions with practical applications to prepare media students capable of navigating evolving ethical challenges in a shifting digital media environment.

Keywords: Media Ethics, Media Education, Digital Transformation, Teaching Methods, Libyan Universities

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة:

يُعد تدريس أخلاقيات الإعلام أحد المرتكزات الأساسية في إعداد الكوادر الإعلامية القادرة على ممارسة العمل الإعلامي بمسؤولية مهنية واجتماعية، خاصة في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها المشهد الإعلامي العالمي بفعل الثورة الرقمية وانتشار وسائل الإعلام الجديدة ومنصات التواصل الاجتماعي، فقد أدت هذه التحولات إلى تعقيد البيئة الإعلامية، وظهور أنماط جديدة من الممارسة الإعلامية التي لم تعد تخضع في كثير من الأحيان للضوابط المهنية التقليدية، مما زاد من حدة الإشكالات الأخلاقية المرتبطة بالمصداقية، والخصوصية، وخطاب الكراهية، والتضليل الإعلامي.

وفي هذا السياق، تبرز الجامعة باعتبارها المؤسسة المعرفية الأولى المسؤولة عن ترسيخ القيم الأخلاقية المهنية لدى طلبة الإعلام، من خلال تضمين مقرر أخلاقيات الإعلام ضمن الخطط الدراسية، والعمل على تقديمه بأساليب تعليمية قادرة على الربط بين الجوانب النظرية والتطبيقية، ومواكبة التحديات التي فرضها الإعلام الرقمي، غير أن تدريس أخلاقيات الإعلام لم يعد يقتصر على عرض المبادئ العامة والقواعد الكلاسيكية، بل أصبح يتطلب معالجة قضايا أخلاقية مستجدة ترتبط بالإعلام الإلكتروني، وصحافة المواطن، والذكاء الاصطناعي، والتفاعل الجماهيري عبر الفضاء الرقمي.

وفي الجامعات الليبية، يُلاحظ إدراج مقرر أخلاقيات الإعلام ضمن برامج أقسام وكليات الإعلام، إلا أن واقع تدريسه يثير العديد من التساؤلات حول مدى حداثة محتواه، وفاعلية أساليب تدريسه، وقدرته على تهيئة الطلبة لمواجهة الإشكالات الأخلاقية المعاصرة في بيئة إعلامية مضطربة تتسم بضعف التنظيم، وتعدد المنصات، وتراجع الالتزام بالمعايير المهنية.

مشكلة البحث

على الرغم من الأهمية المتزايدة لأخلاقيات الإعلام في ظل التحول الرقمي، وما يرافقه من تعقيدات مهنية وقيمية، إلا أن تدريس هذا المجال داخل أقسام وكليات الإعلام بالجامعات الليبية يواجه إشكالات متعددة، تتعلق بالمحتوى العلمي، وطرائق التدريس، ومدى مواكبته للتحولات الرقمية المتسارعة، فالملاحَظ أن كثيرًا من المناهج الجامعية لا تزال تعتمد على مقاربات تقليدية في تناول أخلاقيات الإعلام، مع تركيزها على النماذج الكلاسيكية للممارسة الإعلامية، دون الاهتمام الكافي بقضايا الإعلام الرقمي، والتفاعل عبر المنصات الاجتماعية، والضغوط الاقتصادية والسياسية التي تؤثر في السلوك المهني للإعلاميين.

وفي ليبيا على وجه الخصوص، تزداد حدة هذه الإشكالية في ظل بيئة إعلامية غير مستقرة، وتعدد المنصات الإعلامية غير الخاضعة للتنظيم، وضعف الأطر القانونية والمهنية الناظمة للعمل الإعلامي. الأمر الذي يطرح تساؤلات جوهرية حول مدى قدرة مقررات أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية على بناء وعي أخلاقي مهني راسخ لدى الطلبة، وتأهيلهم للتعامل مع الواقع الإعلامي الرقمي بمسؤولية واحترافية. وعليه، تتحدد مشكلة البحث

في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية، وما أبرز التحديات التي تواجهه في ظل التحول الرقمي؟

أهمية البحث:

أ. تنبع أهمية هذه البحث من تناوله لموضوع بالغ الأهمية يتمثل في واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية وتحدياته في ظل التحول الرقمي، في وقت يشهد فيه المجال الإعلامي تطورات تقنية متسارعة فرضت إشكاليات أخلاقية جديدة تتطلب إعادة النظر في البرامج والمقررات الجامعية.

ب. تتجلى أهمية البحث في تركيزه على مقرر أخلاقيات الإعلام بوصفه أحد المقررات الأساسية في إعداد الطلبة مهنيًا وقيميًا، لما له من دور في ترسيخ القيم المهنية، وتعزيز المسؤولية الاجتماعية، وتنمية القدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية في الممارسة الإعلامية.

ج. يكتسب البحث أهميته من ندرة البحوث الميدانية التي تناولت واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية–حسب علم الباحث–خاصة في ضوء البيئة الإعلامية الرقمية وما تفرضه من تحديات تتعلق بالإعلام الإلكتروني، ووسائل التواصل الاجتماعي، وصحافة المواطن، والذكاء الاصطناعي.

د. يسهم هذا البحث في تقديم بيانات علمية يمكن الإفادة منها من قبل صناع القرار، وأقسام الإعلام، وأعضاء هيئة التدريس، لتطوير توصيف المقرر، وتحديث محتواه، وتحسين أساليب تدريسه بما يواكب متطلبات العصر الرقمي.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف وهي:

1. التعرف على واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في أقسام وكليات الإعلام بالجامعات الليبية.
2. الكشف عن مدى وضوح أهداف مقرر أخلاقيات الإعلام واتساق محتواه مع هذه الأهداف.
3. التعرف على طبيعة محتوى المقرر، ومدى تناوله لقضايا أخلاقيات الإعلام التقليدية والرقمية.
4. رصد أبرز التحديات التي تواجه تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية.
5. تقديم مقترحات تطويرية تسهم في تحسين تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في ضوء التحول الرقمي.

تساؤلات البحث:

سعى هذا البحث للإجابة على مجوعة من التساؤلات أهمها:

1. ما مدى قيام أعضاء هيئة التدريس بتدريس مقرر أخلاقيات الإعلام، وعدد مرات تدريسه؟
2. ما واقع مقرر أخلاقيات الإعلام من حيث مكانته في الخطة الدراسية، ووضوح أهدافه، وتكامل محتواه مع بقية المقررات الإعلامية؟

3. إلى أي مدى يتضمن محتوى المقرر المبادئ الأساسية لأخلاقيات الإعلام وقضايا المصداقية والموضوعية والمسؤولية الاجتماعية؟
4. ما أبرز التحديات التي تواجه تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية؟
5. ما دور مقرر أخلاقيات الإعلام في ترسيخ القيم المهنية وتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطلبة؟
6. ما أهم المقترحات التي يراها أعضاء هيئة التدريس ضرورية لتطوير تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية في ظل التحول الرقمي؟

مفاهيم البحث: هناك مجموعة من المفاهيم الواردة في مشكلة البحث والتي رآى الباحث ضرورة تعريفها اصطلاحاً واجرائياً وهي:

1. **أخلاقيات الإعلام:** تعنى أخلاقيات الإعلام بكيفية تصرف الإعلامي الأخلاقي، وتشمل قيماً مثل الجدارة بالثقة، والاحترام، والمسؤولية، والنزاهة، والحقيقة، وضبط النفس، والتي يجب على الإعلاميين ممارستها طواعيةً، للحفاظ على ثقة الجمهور وتعزيزها، وللحفاظ على مصداقيتهم، وعدم خيانة ثقة الجمهور. (N & Ramya, 2023) ويعرّفه الباحث إجرائيًا بأنها مجموعة القيم والمعايير المهنية والسلوكية التي تحكم ممارسة العمل الإعلامي، وتوجّه أداء الإعلاميين في إنتاج المحتوى ونشره، بما يضمن احترام الحقيقة، والموضوعية، والمسؤولية الاجتماعية، وحقوق الأفراد، سواء في وسائل الإعلام التقليدية أو الرقمية.
2. **تدريس أخلاقيات الإعلام:** يُقصد بها الباحث إجرائيًا العملية التعليمية المنظمة التي تهدف إلى تنمية الوعي الأخلاقي والمهني لدى طلبة أقسام الإعلام، من خلال تقديم محتوى علمي وتطبيقي يتناول المبادئ والقواعد الأخلاقية للممارسة الإعلامية، وأساليب توظيفها في الواقع العملي، باستخدام طرائق تدريس مناسبة.
3. **التحول الرقمي:** يقصد به تبني تقنيات لإعادة تصور عملية إنتاج المحتوى وتوزيعه، ويتمحور حول استخدام البيانات والأتمتة والابتكارات مثل الذكاء الاصطناعي لتقديم تجارب مخصصة للمستهلكين، بهدف توفير تجارب جذابة تجذب الجمهور وتدفعه للعودة مرارًا (Olmstead, 2024) يُعرّفه الباحث إجرائيًا في هذه الدراسة بأنه: الانتقال من أنماط الإعلام التقليدي إلى بيئة إعلامية رقمية تعتمد على التقنيات الحديثة، ومنصات التواصل الاجتماعي، والإنتاج التفاعلي للمحتوى، وما يرافق ذلك من تغيرات في طبيعة الممارسة الإعلامية والتحديات الأخلاقية المرتبطة بها.
4. **الجامعات الليبية:** ويقصد بها الباحث إجرائيًا مؤسسات التعليم العالي الحكومية الليبية التي تضم أقسامًا أو كليات متخصصة في الإعلام، وتدرج مقرر أخلاقيات الإعلام ضمن خططها الدراسية.

الدراسات السابقة: يُعدّ استعراض الدراسات السابقة خطوة أساسية في البحث العلمي، لما له من دور محوري في بناء الإطارين النظري والمنهجي للدراسة، وتحديد موقعها ضمن المسار التراكمي للمعرفة العلمية، كما يسهم هذا الاستعراض في الكشف عن الاتجاهات البحثية السائدة، وتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين الجهود العلمية

السابقة، فضلًا عن إبراز الفجوات البحثية التي تسعى الدراسة الحالية إلى معالجتها. وانطلاقًا من ذلك، يستعرض الباحث مجموعة من الدراسات العربية والأجنبية ذات الصلة بموضوع البحث، والتي تم اختيارها وفق صلتها المباشرة بإشكالية تحديث البرامج والمقررات الإعلامية، وقد تم تنظيم هذه الدراسات وتحليلها زمنيًا وموضوعيًا، مع التركيز على أهدافها ومناهجها وأبرز نتائجها، وذلك بهدف الاستفادة منها في بناء الإطار النظري للدراسة الحالية، وتوضيح الإضافة العلمية التي تسعى إلى تقديمها من خلال دراسة ميدانية تسلط الضوء على واقع الجامعات الليبية في ظل التحول الرقمي.

1. تناولت دراسة (Wenger, Hossain, & Senseman, 2024) تأثير الذكاء الاصطناعي في تعليم الصحافة بالجامعات الأمريكية، بالاعتماد على نظرية الابتكار الثوري. استخدمت المقابلات المعمقة مع قيادات كليات الصحافة المعتمدة، أظهرت النتائج أن الذكاء الاصطناعي يفرض تحديات تتعلق بخبرة أعضاء هيئة التدريس، والمناهج، والسياسات التعليمية، والاعتبارات الأخلاقية، أكدت الدراسة الحاجة إلى تحديث المناهج الصحفية بما يواكب التحولات الرقمية، كما شددت على أهمية إدماج أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في التعليم الصحفي.
2. هدفت دراسة (Forja-Pena, García-Orosa, & López-García,k 2024) إلى تحليل التحديات الأخلاقية الناتجة عن دمج الذكاء الاصطناعي في الصحافة الرقمية، اعتمدت على تحليل مدونات أخلاقية واستطلاع رأي للجمهور والعاملين في الإعلام، أظهرت النتائج وجود قلق متزايد بشأن المعلومات المضللة وتآكل الثقة الإعلامية. وأكدت الدراسة الحاجة إلى أطر أخلاقية وتنظيمية جديدة، كما أبرزت أهمية تحديث التعليم الإعلامي ليشمل أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.
3. سعى بحث عبد النبي، وائل (2024) إلى تحليل الاتجاهات الحديثة في بحوث أخلاقيات الإعلام الموجه للطفل خلال الفترة (2015–2022)، اعتمد على التحليل الكمي والكيفي للدراسات العربية والأجنبية، توصل إلى تنوع المناهج والنظريات المستخدمة مع تباين الاهتمام بالقضايا الأخلاقية، قدم رؤية نقدية مقارنة بين المدارس البحثية المختلفة، وأوصى بوضع أجندة بحثية مستقبلية لتطوير هذا المجال.
4. تناولت دراسة عبد الوهاب، بوخنوفة **(2022)** واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات العربية من خلال تحليل (21) منهجًا دراسيًا، أظهرت النتائج اعتماد المناهج على أساليب تدريس تقليدية تركز على الجوانب القانونية أكثر من الأخلاقية، كما كشفت ضعف استخدام دراسات الحالة والتفكير الأخلاقي الناقد، وأكدت أن الأهداف التعليمية غير مرتبطة بمخرجات قابلة للقياس، خلصت الدراسة إلى عدم ملاءمة المناهج الحالية لبيئة إعلامية رقمية متغيرة.
5. هدفت دراسة السريتي، ولاء (2022) إلى تقويم فاعلية برنامج تعليمي قائم على الإنفوغرافيك في تنمية أخلاقيات الإعلام الجديد لدى طلاب الإعلام وعلاقته بمهارات إنتاج الرسائل الإعلامية. واعتمدت الدراسة المنهج المختلط باستخدام تصميم تجريبي قائم على مجموعتين تجريبية وضابطة، وطبقت على عينة

عشوائية قوامها (92) طالبًا وطالبة من طلاب كلية الإعلام. وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح التطبيق البعدي لدى المجموعة التجريبية، كما بينت تفوق الإناث في التحصيل المعرفي لمهارات إنتاج الرسائل الإعلامية. وأكدت النتائج فاعلية استخدام الإنفوغرافيك في تنمية أخلاقيات الإعلام الجديد وتعزيز مهارات الإنتاج الإعلامي لدى الطلاب.

6. هدفت دراسة المكاوي ،بسام (2018) إلى التعرف على دور مقررات أخلاقيات الإعلام في برامج الجامعات العربية في تعزيز التكوين المهني والأخلاقي للصحفيين، وقد أُجريت على عينة قوامها (60) صحفيًا عربيًا من جنسيات وفئات مهنية مختلفة، وأظهرت النتائج وجود فجوة بين ما يتم تدريسه في المقررات الأكاديمية وما يواجهه الصحفيون في الممارسة المهنية الفعلية، كما أشار بعض المبحوثين إلى أن تلك المقررات تتضمن تشريعات ومواثيق قديمة، وكشفت الدراسة عن غياب بعض الموضوعات المهمة في المقررات، مثل قضايا الخصوصية، وحماية المصادر، والسلوك المهني العام، وأوصت الدراسة بضرورة مراجعة وتحديث مقررات أخلاقيات الإعلام في الجامعات العربية من حيث المضمون والكم، وإدراج المستجدات في مواثيق الشرف الصحفية.
7. هدفت دراسة (Plaisance, 2006) إلى تقييم فعالية مقررات أخلاقيات الإعلام من خلال قياس التغير في القيم والأيديولوجيات الأخلاقية لدى الطلاب، استخدمت استطلاعًا قبليًا وبعديًا على طلاب أخلاقيات الإعلام، أظهرت النتائج حدوث تغير إيجابي في إدراك القيم المهنية مثل النزاهة والاستقلالية، كما سجلت انخفاضًا في المثالية والنسبية الأخلاقية بعد دراسة المقرر، وأكدت الدراسة أهمية تدريس أخلاقيات الإعلام في تشكيل وعي مهني نقدي.

التعليق على الدراسات السابقة

في ضوء استعراض الدراسات السابقة التي تناولت أخلاقيات الإعلام وتعليمها في السياقات الأكاديمية والمهنية، يمكن استخلاص عدد من النقاط:

1. يتضح أن العديد من الدراسات ركزت على تحليل واقع تدريس أخلاقيات الإعلام وتقييم فاعلية المقررات الدراسية، كما في دراسة عبد الوهاب (2022) التي كشفت اعتماد المناهج على أساليب تقليدية وضعف توظيف أساليب التفكير الأخلاقي النقدي، وكذلك دراسة Plaisance (2006) التي أكدت أهمية مقررات أخلاقيات الإعلام في تنمية الوعي المهني والقيمي لدى الطلاب، كما أظهرت دراسة المكاوي (2018) وجود فجوة بين ما يُدرَّس في المقررات الأكاديمية وما يواجهه الصحفيون في الممارسة المهنية الفعلية، مع الحاجة إلى تحديث محتوى هذه المقررات بما يواكب التطورات المهنية.

2. اهتمت بعض الدراسات بتطوير أساليب تدريس أخلاقيات الإعلام وتوظيف أدوات تعليمية حديثة، مثل دراسة السريتي (2022) التي أثبتت فاعلية استخدام الإنفوغرافيك في تنمية أخلاقيات الإعلام الجديد ومهارات إنتاج الرسائل الإعلامية لدى طلاب الإعلام.
3. ركزت دراسات حديثة على تأثير التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي في العمل الإعلامي والتعليم الصحفي، مثل دراسة Wenger وآخرين (2024) ودراسة Forja-Pena وآخرين (2024)، اللتين أبرزتا التحديات الأخلاقية المرتبطة بتوظيف الذكاء الاصطناعي في الصحافة الرقمية، وأكدتا ضرورة إدماج أخلاقيات الذكاء الاصطناعي ضمن مناهج التعليم الإعلامي لمواكبة التحولات التكنولوجية المتسارعة.

نوع البحث ومنهجه:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تعتمد على منهج المسح؛ ويهدف الى وصف ظاهرة بوضعها الراهن (الحاج،2020، ص51) وذلك لملاءمته لطبيعة الموضوع الذي يستهدف وصف واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية، والكشف عن اتجاهات وآراء أعضاء هيئة التدريس تجاه محتواه وطرائق تدريسه والتحديات التي تواجهه في ظل التحول الرقمي، ويقوم منهج المسح على جمع بيانات كمية من مجتمع الدراسة أو عينة ممثلة له، وتحليلها إحصائيًا لاستخلاص أنماط واتجاهات عامة يمكن تعميمها ضمن حدود الدراسة.

وقد تم توظيف هذا المنهج بوصفه إطارًا إجرائيًا يسمح برصد الظاهرة كما هي في واقعها الفعلي، دون تدخل في متغيراتها أو التأثير عليها، بما ينسجم مع أهداف الدراسة التي تركز على الوصف والتفسير، وليس على الاختبار التجريبي للعلاقات السببية.

مجتمع البحث

تكون مجتمع البحث من جميع أعضاء هيئة التدريس العاملين في أقسام وكليات الإعلام بالجامعات الليبية، بمختلف درجاتهم العلمية وتخصصاتهم الدقيقة داخل الحقل الإعلامي، ممن لهم ارتباط مباشر أو غير مباشر بتدريس المقررات الإعلامية النظرية والتطبيقية، وبخاصة المقررات ذات الصلة بالقيم المهنية وأخلاقيات الممارسة الإعلامية.

ويُعد هذا المجتمع مناسبًا لتحقيق أهداف البحث؛ لكونه يمثل الفئة الأكاديمية المسؤولة عن تصميم المقررات الإعلامية وتنفيذها وتقييم مخرجاتها التعليمية، بما يتيح الوقوف على الواقع الفعلي لتدريس مقرر أخلاقيات الإعلام من منظور مهني وأكاديمي متخصص.

عينة البحث

اعتمد البحث على العينة العارضة (المتاحة)، وهي أحد أنواع العينات غير العشوائية، حيث يقوم الباحث بإجراء دراسته على الأفراد الذين يتاح الوصول إليهم أو الذين تتوفر إمكانية مقابلتهم وجمع البيانات منهم بسهولة وفي الوقت المتاح (راضي، 2023، ص59)، ويُعد هذا النوع من العينات مناسبًا في الدراسات التي تستهدف فئة محددة يصعب حصرها أو الوصول إلى جميع أفرادها، وقد تم اختيار أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس في أقسام وكليات الإعلام بالجامعات الليبية ، نظرًا لما يُتوقع أن يمتلكوه من معرفة علمية وخبرة أكاديمية مباشرة بالمقررات الإعلامية، الأمر الذي يجعلهم الفئة الأكثر قدرة على تقديم آراء وتقديرات علمية تتصل بموضوع الدراسة، وبلغ حجم العينة (102) عضوًا من أعضاء هيئة التدريس.

أداة جمع البيانات

اعتمد الباحث على أداة الاستبيان بوصفها الأداة الرئيسة لجمع البيانات الميدانية، وهي عبارة عن سلسلة من الأسئلة يصيغها الباحث بعناية فائقة ، وتختلف الأسئلة من حيث الحجم والشكل والمضمون والهدف والتنظيم(إبراهيم ،2017،ص114) نظرًا لما توفره من إمكانية الوصول إلى عدد كبير من المبحوثين في زمن قصير، وقدرتها على توحيد أسلوب طرح الأسئلة، بما يسهم في رفع مستوى الموضوعية وإمكانية المعالجة الإحصائية للبيانات، وقد تم تصميم الاستبيان في ضوء أهداف الدراسة وتساؤلاتها، وبالاستناد إلى الأدبيات النظرية والدراسات السابقة في مجال أخلاقيات الإعلام والتعليم الإعلامي والتحول الرقمي، وتكوَّن الاستبيان من عدة محاور رئيسة شملت:

1. **البيانات الديموغرافية:** مثل النوع، والدرجة العلمية، وسنوات الخبرة.
2. **واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام:** ويتضمن أسئلة حول موقع المقرر في الخطة الدراسية، ووضوح أهدافه، واتساق محتواه.
3. **محتوى المقرر وأبعاده الرقمية:** ويقيس مدى تضمين القضايا المعاصرة مثل الإعلام الرقمي، والخصوصية، والتضليل الإعلامي، والذكاء الاصطناعي.
4. **طرائق وأساليب التدريس:** ويشمل استخدام الأساليب التفاعلية، ودراسات الحالة، والتقنيات الرقمية.
5. **التحديات والمقترحات التطويرية:** ويتناول العوائق المؤسسية والبشرية، وآفاق تطوير المقرر.

حدود البحث:

1. **الحدود الموضوعية:** اقتصرت على تحليل واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام، من حيث المحتوى، وطرائق التدريس، والتحديات، والدور القيمي في ظل التحول الرقمي، دون التطرق إلى بقية المقررات الإعلامية إلا في حدود علاقتها بالمقرر محل الدراسة.

2. **الحدود البشرية:** تمثلت في أعضاء هيئة التدريس العاملين في أقسام وكليات الإعلام بالجامعات الليبية ممن شملتهم عينة الدراسة.
3. **الحدود المكانية:** انحصرت الدراسة في الجامعات الليبية التي تتوافر فيها أقسام أو كليات للإعلام، حيث شملت اقسام الإعلام بجامعات (سرت وبني وليد والجفرة والجامعة الاسمرية والمرقب والزاوية وصبراتة، وسبها، وخليج السدرة، وعمر المختار) كما شملت أعضاء هيئة التدريس بكليات الإعلام في كل من (مصراته وطرابلس وبنغازي واجدابيا والزنتان والزيتونة).
4. **الحدود الزمنية:** تم اجراء الدراسة الميدانية خلال الفترة الزمنية من 2025/11/13 وحتى 2026/1/3م .

اختبار الصدق والثبات:

تم التحقق من صدق الاستبانة من خلال عرضها على (5) محكّمين متخصصين في مجال الإعلام(*)، وبناءً على ملاحظاتهم أُعيدت صياغة فقرات الاستبانة واعتمادها بصورتها النهائية لتوزيعها على عينة الدراسة ، أما ثبات الاستبانة، فقد تم التأكد منه باستخدام معامل الاتساق الداخلي (ألفا كرونباخ) عبر برنامج SPSS الإصدار 26، حيث بلغ معامل الثبات (0.87)، وهو معدل يدل على درجة عالية من الثبات.

عدد الفقرات	Cronbach's Alpha
34	**0.873**

نتائج الدراسة الميدانية

جدول رقم (1) يوضح البيانات الديموغرافية لعينة الدراسة

المتغير	البيان	ت	%
النوع	ذكر	43	%42.2
	أنثى	59	%57.8
سنوات الخبرة الأكاديمية	أقل من 5 سنوات	29	%28.4
	5–10 سنوات	49	%48.0
	أكثر من 10 سنوات	24	%23.5
الدرجة العلمية:	محاضر مساعد	27	%26.5
	محاضر	36	%35.3
	أستاذ مساعد	23	%22.5
	أستاذ مشارك	9	%8.8
	أستاذ	7	%6.9
	المجموع	**102**	**100**

يتضح من الجدول (1) توزيع عينة الدراسة من حيث النوع حيث تُظهر نتائج الجدول أن نسبة الإناث بلغت (57.8%) مقابل (42.2%) للذكور، وهو ما يدل على تفوق عددي للعنصر النسائي في عينة الدراسة، ويُعزى

ارتفاع نسبة الإناث إلى عدة أسباب، من أبرزها الإقبال المتزايد للإناث على التخصصات الإعلامية في الجامعات الليبية، لما تتميز به هذه التخصصات من طبيعة نظرية وتطبيقية تتلاءم مع ميولهن الأكاديمية، فضلًا عن توسع فرص العمل الإعلامي المرتبطة بالمجالات الرقمية، مثل الإعلام الإلكتروني وصناعة المحتوى.

أما انخفاض نسبة الذكور نسبيًا، فيعود إلى توجه عدد منهم نحو تخصصات أخرى يُنظر إليها على أنها أكثر ارتباطًا بسوق العمل التقليدي، أو ذات عائد مادي أو اجتماعي أعلى، إضافة إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي قد تؤثر على الاستمرارية الأكاديمية لبعضهم.

كما يتضح من الجدول توزيع عينة الدراسة من حيث سنوات الخبرة الأكاديمية تشير النتائج إلى أن الفئة الأكثر تمثيلًا هي فئة (5–10 سنوات) بنسبة (48.0%)، تليها فئة أقل من 5 سنوات (28.4%)، ثم فئة أكثر من 10 سنوات (23.5%)، ويُفسَّر ارتفاع نسبة الفئة المتوسطة الخبرة بكون الجامعات الليبية شهدت خلال السنوات الماضية تعيين عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس الجدد نسبيًا، الذين أصبحوا اليوم ضمن هذه الفئة، كما أن هذه الفئة غالبًا ما تكون الأكثر انخراطًا في العمل الأكاديمي والبحثي والمشاركة في الاستبانات.

أما انخفاض نسبة من تزيد خبرتهم عن 10 سنوات، فقد يعود إلى تقلص أعداد الأساتذة القدامى نتيجة الإحالة إلى التقاعد، أو تقلدهم مناصب إدارية تقلل من مشاركتهم في الدراسات الميدانية.

ويتضح من الجدول توزيع عينة الدراسة من حيث الدرجة العلمية فقد أظهرت النتائج أن أعلى نسبة كانت لفئة المحاضرين (35.3%)، تليها فئة محاضر مساعد (26.5%)، ثم أستاذ مساعد (22.5%)، في حين انخفضت نسبة أستاذ مشارك (8.8%) وأستاذ (6.9%)، ويُعزى هذا التفاوت إلى طبيعة الهرم الأكاديمي في الجامعات الليبية، حيث تشكل الدرجات الوسطى (محاضر ومحاضر مساعد) القاعدة العريضة لأعضاء هيئة التدريس، بينما تقل أعداد الأساتذة بسبب متطلبات الترقية العلمية الصارمة، وضعف فرص النشر والترقية في بعض الأحيان.

كما أن ارتفاع نسبة الدرجات الوسطى يعكس واقع المؤسسات الجامعية التي تعتمد بشكل كبير على هذه الفئة في التدريس، بما في ذلك تدريس المقررات النظرية مثل أخلاقيات الإعلام.

جدول رقم (2) يوضح هل سبق لك تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام؟

هل سبق لك تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام	ت	%
نعم	23	%22.5
لا	79	%77.5
المجموع	**102**	**100**

توضح النتائج أن (77.5%) من أفراد العينة لم يسبق لهم تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام، مقابل (22.5%) فقط سبق لهم تدريسه، ويُفسَّر هذا الارتفاع الكبير في نسبة غير المدرسين للمقرر بأن تدريس أخلاقيات الإعلام

غالبًا ما يُسند إلى عدد محدود من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين، أو يُدمج ضمن مقررات أخرى، مما يقلل من عدد القائمين عليه، كما قد يعود ذلك إلى ضعف الاهتمام المؤسسي بالمقرر مقارنة بالمقررات العملية أو التقنية، وبسبب تضمين بعض أقسام وكليات الإعلام لهذا المقرر ضمن مقرر التشريعات الإعلامية ،أما انخفاض نسبة من قاموا بتدريس المقرر، فيعكس محدودية الخبرة التخصصية المتراكمة، وهو ما قد يؤثر على تطوير المقرر ومحتواه.

جدول رقم (3) يوضح عدد مرات تدريس المقرر:

هل سبق لك تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام	ت	%
مرة واحدة	6	%26.1
مرتان	13	%56.5
أكثر من مرتين	4	%17.4
المجموع	**23**	**100**

تشير النتائج إلى أن غالبية من درّسوا المقرر قاموا بتدريسه مرتين (56.5%)، بينما بلغت نسبة من درّسوه مرة واحدة (26.1%)، وأكثر من مرتين (17.4%)، ويعكس ذلك عدم استقرار عملية إسناد المقرر لنفس عضو هيئة التدريس على مدى سنوات متعددة، مما يؤدي إلى ضعف التراكم المعرفي والخبرة التخصصية في تدريسه، كما قد يُفسَّر انخفاض نسبة من درّسوه أكثر من مرتين بغياب سياسة واضحة لتخصص الأساتذة في تدريس هذا النوع من المقررات.

جدول رقم (4) يوضح واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية

العبارة	الخيارات					
	موافق		محايد		غير موافق	
	ت	%	ت	%	ت	%
يُعد مقرر أخلاقيات الإعلام مقررًا أساسيًا في الخطة الدراسية	23	22.5	18	17.6	61	59.8
أهداف المقرر واضحة ومحددة	19	18.6	34	33.3	49	48.0
محتوى المقرر متسق مع أهدافه التعليمية	21	20.6	46	45.1	35	34.3
حجم المقرر مناسب مقارنة بأهميته	17	16.7	35	34.3	50	49.0
يوجد تكامل بين مقرر أخلاقيات الإعلام وبقية المقررات الإعلامية	23	22.5	51	50.0	28	27.5

تشير نتائج هذا الجدول إلى وجود تباين واضح في آراء أفراد العينة حول واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام. فقد أظهرت النتائج أن نسبة غير الموافقين على اعتبار المقرر مقررًا أساسيًا في الخطة الدراسية بلغت (59.8%)، وهو ما يعكس ضعف مكانة المقرر داخل البرامج الأكاديمية، وعدم منحه الأهمية الكافية مقارنة بالمقررات الإعلامية الأخرى.

كما بينت النتائج أن (48.0%) من المبحوثين يرون أن أهداف المقرر غير واضحة، الأمر الذي يدل على قصور في صياغة الأهداف التعليمية أو عدم توضيحها لأعضاء هيئة التدريس والطلبة، في المقابل، جاءت

نسبة المحايدين مرتفعة فيما يتعلق باتساق محتوى المقرر مع أهدافه (45.1%)، والتكامل بينه وبين بقية المقررات (50.0%)، مما يشير إلى غياب رؤية واضحة ومتكاملة لدور المقرر داخل الخطة الدراسية.

وبشكل عام، تعكس هذه النتائج أن واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام يعاني من إشكالات تنظيمية ومنهجية، تتعلق بموقعه في الخطة، وأهدافه، ومدى تكامله مع باقي المقررات الإعلامية.

جدول رقم (5) يوضح محتوى مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية

العبارة	الخيارات					
	موافق		محايد		غير موافق	
	ت	%	ت	%	ت	%
يتناول المقرر المبادئ الأساسية لأخلاقيات الإعلام	14	13.7	56	54.9	32	31.4
يشمل قضايا المصداقية والموضوعية والمسؤولية الاجتماعية	16	15.7	60	58.8	26	25.5
يتضمن موضوعات أخلاقيات الإعلام الرقمي	11	10.8	26	25.5	65	63.7
يعالج قضايا الخصوصية والتضليل الإعلامي	14	13.7	16	15.7	72	70.6
يواكب المحتوى التحولات الحديثة في الممارسة الإعلامية	20	19.6	29	28.4	53	52.0

تكشف نتائج هذا الجدول أن محتوى مقرر أخلاقيات الإعلام يركز بدرجة أكبر على الجوانب التقليدية، حيث جاءت نسب المحايدين مرتفعة فيما يتعلق بتناول المبادئ الأساسية لأخلاقيات الإعلام، وقضايا المصداقية والموضوعية والمسؤولية الاجتماعية. في المقابل، أظهرت النتائج ضعفًا واضحًا في تضمين القضايا المرتبطة بالإعلام الرقمي؛ إذ بلغت نسبة غير الموافقين على تضمين موضوعات أخلاقيات الإعلام الرقمي (63.7%)، وعلى معالجة قضايا الخصوصية والتضليل الإعلامي (70.6%)، كما أشار أكثر من نصف أفراد العينة (52.0%) إلى أن محتوى المقرر لا يواكب التحولات الحديثة في الممارسة الإعلامية.

ويُفسَّر ذلك بأن محتوى المقرر لم يخضع للتحديث المستمر بما يتلاءم مع التحول الرقمي، ولا يعكس التغيرات السريعة في البيئة الإعلامية الرقمية، الأمر الذي يحد من فاعليته في إعداد طلبة قادرين على التعامل مع التحديات الأخلاقية المعاصرة.

جدول رقم (6) يوضح أساليب وطرائق التدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية

العبارة	الخيارات					
	موافق		محايد		غير موافق	
	ت	%	ت	%	ت	%
تعتمد طرق التدريس على الشرح النظري فقط	41	40.2	28	27.5	33	32.4
يتم استخدام أساليب تعليم تفاعلية	10	9.8	36	35.3	56	54.9
يتم توظيف دراسات حالة إعلامية	9	8.8	42	41.2	51	50.0
تُستخدم وسائط وتقنيات رقمية في التدريس	7	6.9	19	18.6	76	74.5
تسهم أساليب التدريس في تنمية التفكير النقدي لدى الطلبة	59	57.8	32	31.4	11	10.8

تشير نتائج هذا الجدول إلى هيمنة الأسلوب النظري في تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام؛ حيث وافق (40.2%) من أفراد العينة على أن التدريس يعتمد على الشرح النظري فقط، في المقابل أظهرت النتائج ضعف استخدام الأساليب التفاعلية، ودراسات الحالة، والتقنيات الرقمية، إذ تجاوزت نسبة غير الموافقين في هذه البنود 50%، ووصلت إلى (74.5%) فيما يتعلق باستخدام الوسائط الرقمية، ورغم هذا القصور أشار أغلب المبحوثين (57.8%) إلى أن أساليب التدريس تسهم في تنمية التفكير النقدي لدى الطلبة، وهو ما قد يدل على جهود فردية يبذلها بعض أعضاء هيئة التدريس، رغم محدودية الإمكانات وضعف الدعم المؤسسي.

وتكشف هذه النتائج عن فجوة واضحة بين طبيعة المقرر ومتطلبات التحول الرقمي، حيث لا تزال أساليب التدريس بعيدة عن التفاعل والتطبيق العملي، وهو ما يقلل من فاعلية المقرر في ترسيخ القيم الأخلاقية لدى الطلبة.

جدول رقم (7) يوضح أخلاقيات الإعلام في ظل التحول الرقمي

العبارة	الخيارات					
	موافق		محايد		غير موافق	
	ت	%	ت	%	ت	%
يتناول المقرر أخلاقيات وسائل التواصل الاجتماعي	6	5.9	45	44.1	51	50.0
يناقش أخلاقيات صحافة المواطن	4	3.9	71	69.6	27	26.5
يعالج القضايا الأخلاقية للإعلام الإلكتروني	23	22.5	53	52.0	26	25.5
يتناول أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في الإعلام	3	2.9	30	29.4	69	67.6
يساعد الطلبة على فهم التحديات الأخلاقية الرقمية	73	71.6	16	15.7	13	12.7

توضح نتائج هذا الجدول أن تناول مقرر أخلاقيات الإعلام للقضايا الرقمية الحديثة لا يزال ضعيفًا ومحدودًا؛ فقد بلغت نسبة غير الموافقين على تناول أخلاقيات وسائل التواصل الاجتماعي (50.0%)، وعلى أخلاقيات الذكاء الاصطناعي في الإعلام (67.6%)، كما أظهرت النتائج حيادًا مرتفعًا تجاه مناقشة أخلاقيات صحافة المواطن، وهو ما يدل على عدم وضوح هذه الموضوعات ضمن محتوى المقرر أو تناولها بشكل سطحي، في المقابل وافق (71.6%) من أفراد العينة على أن المقرر يساعد الطلبة على فهم التحديات الأخلاقية الرقمية، مما يشير إلى وجود معالجة عامة ومجردة لهذه التحديات دون التعمق في تطبيقاتها العملية، وتعكس هذه النتائج وجود فجوة معرفية وتطبيقية بين محتوى المقرر ومتطلبات البيئة الإعلامية الرقمية الحديثة.

جدول رقم (8) يوضح التحديات التي تواجه تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية

العبارة	الخيارات					
	موافق		محايد		غير موافق	
	ت	%	ت	%	ت	%
ضعف الإمكانات التقنية يعيق تدريس المقرر	53	52.0	37	36.3	12	11.8
محدودية الوقت المخصص للمقرر	24	23.5	38	37.3	40	39.2

نقص المراجع الحديثة في أخلاقيات الإعلام الرقمي	48	47.1	20	19.6	34	33.3
ضعف تدريب أعضاء هيئة التدريس في المجال الرقمي	67	65.7	6	5.9	29	28.4
ضعف اهتمام الطلبة بالمقرر	50	49.0	19	18.6	33	32.4

أظهرت النتائج أن أبرز التحديات تتمثل في ضعف تدريب أعضاء هيئة التدريس في المجال الرقمي، حيث بلغت نسبة الموافقة (65.7%)، إضافة إلى ضعف الإمكانات التقنية بنسبة (52.0%)، كما أشار عدد كبير من المبحوثين إلى نقص المراجع الحديثة في أخلاقيات الإعلام الرقمي بنسبة (47.1%)، وضعف اهتمام الطلبة بالمقرر بنسبة (49.0%)، وتعكس هذه النتائج أن التحديات لا تقتصر على جانب واحد، بل تشمل البنية التحتية، والموارد البشرية، والمحتوى العلمي، ودافعية الطلبة، مما يستدعي تدخلًا مؤسسيًا شاملًا لتطوير تدريس المقرر.

جدول رقم (9) يوضح دور مقرر أخلاقيات الإعلام

العبارة	**الخيارات**					
	موافق		**محايد**		**غير موافق**	
	ت	**%**	**ت**	**%**	**ت**	**%**
يسهم المقرر في ترسيخ القيم المهنية لدى الطلبة	64	62.7	22	21.6	16	15.7
يساعد الطلبة على اتخاذ قرارات أخلاقية مهنية	49	48.0	39	38.2	14	13.7
يعزز المسؤولية الاجتماعية في الممارسة الإعلامية	71	69.6	19	18.6	12	11.8
يرفع وعي الطلبة بمخاطر الانتهاكات الأخلاقية	54	52.9	37	36.3	11	10.8

تشير نتائج هذا الجدول إلى إدراك إيجابي لأهمية المقرر، حيث وافق أغلب أفراد العينة وبنسبة (62.7%) على دوره في ترسيخ القيم المهنية، وتعزيز المسؤولية الاجتماعية في الممارسة الإعلامية بنسبة (69.6%)، ورفع وعي الطلبة بمخاطر الانتهاكات الأخلاقية بنسبة (52.9%)، ويساعد الطلبة على اتخاذ قرارات أخلاقية مهنية بنسبة (48.0%)، وتعكس هذه النتائج قناعة أعضاء هيئة التدريس بأهمية المقرر من الناحية القيمية والتربوية، رغم الإشكالات المرتبطة بمحتواه وطرائق تدريسه، مما يؤكد أن المشكلة لا تكمن في أهمية المقرر بقدر ما تكمن في آليات تدريسه وتطويره.

جدول رقم (10) يوضح ما أهم المقترحات التي تراها ضرورية لتطوير تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية في ظل التحول الرقمي؟

المقترحات التي تراها ضرورية لتطوير تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية في ظل التحول الرقمي؟	**ت**	**%**
ضرورة تحديث محتوى مقرر أخلاقيات الإعلام	19	%18.6
إدماج موضوعات أخلاقيات الإعلام الرقمي بشكل أوسع	13	%12.7
زيادة الجانب التطبيقي للمقرر	16	%15.7
تنظيم دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس	23	%22.5
تطوير توصيف المقرر وفق معايير حديثة	31	%30.4
المجموع	**102**	**100**

أظهرت النتائج أن مقترح تطوير توصيف المقرر وفق معايير حديثة جاء في المرتبة الأولى بنسبة (30.4%)،وهو ما يعكس وعيًا بضرورة معالجة جذور المشكلة، كما يعكس ارتفاع مقترح التدريب والتحديث رغبة واضحة في تطوير المقرر بما يتلاءم مع التحول الرقمي، يليه تنظيم دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس بنسبة (22.5%)، ثم ضرورة تحديث محتوى مقرر أخلاقيات الإعلام بنسبة (18.6%)، تليها زيادة الجانب التطبيقي للمقرر بنسبة (15.7%)، واخيراً إدماج موضوعات أخلاقيات الإعلام الرقمي بشكل أوسع بنسبة (12.7%)، وتدل هذه المقترحات على وجود إجماع بين أفراد العينة على ضرورة إعادة النظر في المقرر بشكل شامل، بما يضمن مواكبته للتحول الرقمي، وتعزيز جانبه التطبيقي، ورفع كفاءة القائمين على تدريسه.

النتائج العامة للبحث:

في ضوء ما سبق، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج العامة التي تعكس واقع تدريس مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية في سياق التحول الرقمي:

1. تُظهر نسب عدم الموافقة المرتفعة على اعتبار المقرر أساسيًا وجود تموضع هامشي له مقارنة بالمقررات التقنية والمهنية الأخرى، ما يقلل من أثره التربوي والتكويني في بناء الهوية المهنية للطلبة.
2. تشير النتائج إلى أن تدريس المقرر يتم غالبًا بصورة غير منتظمة ودون تخصيص أكاديمي طويل المدى، الأمر الذي يحد من تراكم الخبرة التخصصية ويؤثر على استقرار المحتوى وطرائق التدريس.
3. تعكس نسب الحياد وعدم الموافقة على وضوح الأهداف واتساق المحتوى معها وجود خلل في التصميم التعليمي، بما يتعارض مع مبادئ المواءمة البنائية في التعليم الجامعي.
4. تؤكد النتائج استمرار الاعتماد على الشرح النظري وضعف توظيف الأساليب التفاعلية والتقنيات الرقمية، ما يقلل من فرص التعلم التجريبي والتطبيقي المرتبط بالقضايا الأخلاقية الواقعية.
5. أبرزت النتائج ضعف تناول موضوعات الذكاء الاصطناعي، ووسائل التواصل الاجتماعي، وصحافة المواطن، والخصوصية والتضليل الإعلامي، رغم مركزيتها في البيئة الإعلامية الحديثة.
6. أقر أفراد العينة بدور المقرر في ترسيخ القيم المهنية والمسؤولية الاجتماعية، غير أن هذا الإدراك لا يوازيه مستوى مماثل في تنمية مهارات اتخاذ القرار الأخلاقي في السياقات العملية.
7. تتمثل أبرز العوائق في ضعف التدريب الرقمي لأعضاء هيئة التدريس، وقصور الإمكانات التقنية، ونقص المراجع الحديثة، وهو ما يشير إلى أن الإشكال يتجاوز مستوى القاعة الدراسية ليطال السياسات الجامعية والموارد المؤسسية.

التوصيات

استنادًا إلى النتائج العامة، يوصي البحث بمجموعة من الإجراءات التطويرية ذات الطابع المنهجي والمؤسسي:

1. إعادة توصيف مقرر أخلاقيات الإعلام وفق معايير حديثة قائمة على الكفايات الأخلاقية والرقمية، بما يضمن وضوح الأهداف التعليمية وقابليتها للقياس والتقويم.
2. تعزيز المكانة الأكاديمية للمقرر داخل الخطة الدراسية من خلال اعتباره مقررًا أساسيًا أو محوريًا، وربطه عرضيًا ببقية المقررات الإعلامية بما يحقق التكامل القيمي والمنهجي.
3. تخصيص كوادر أكاديمية متخصصة لتدريس المقرر مع ضمان الاستمرارية في الإسناد، بما يسهم في بناء خبرة تراكمية وتطوير محتوى تدريسي مستدام.
4. تنظيم برامج تدريبية دورية لأعضاء هيئة التدريس في مجالات أخلاقيات الإعلام الرقمي، والذكاء الاصطناعي، وأساليب التعليم التفاعلي والتعلم القائم على المشكلات ودراسات الحالة.
5. تحديث محتوى المقرر بصورة دورية لإدماج القضايا المعاصرة مثل الخصوصية الرقمية، والتضليل الإعلامي، وخوارزميات المنصات، وأخلاقيات استخدام الذكاء الاصطناعي في الإنتاج الإعلامي.
6. تعزيز الجانب التطبيقي والتفاعلي عبر توظيف دراسات حالة محلية ودولية، ومحاكاة مواقف مهنية، ومشروعات تطبيقية رقمية تتيح للطلبة ممارسة اتخاذ القرار الأخلاقي في بيئات شبه واقعية.
7. تطوير البنية التحتية التقنية في المؤسسات الجامعية بما يدعم استخدام المنصات التعليمية الرقمية والوسائط المتعددة في تدريس المقرر.
8. إثراء الموارد العلمية والمراجع الحديثة من خلال توفير قواعد بيانات رقمية ومصادر أكاديمية متخصصة في أخلاقيات الإعلام الرقمي.

ما تثيره من بحوث مستقبلية

يقترح البحث مجموعة من المسارات البحثية التي يمكن أن تُسهم في تعميق الفهم الأكاديمي والتطبيقي لأخلاقيات الإعلام في السياق الجامعي:

1. اجراء دراسات مقارنة بين الجامعات الليبية والعربية والدولية لقياس أوجه التشابه والاختلاف في توصيف المقرر ومحتواه وطرائق تدريسه.
2. القيام ببحوث نوعية معمقة تعتمد على المقابلات المتعمقة والملاحظة الصفية لتحليل الممارسات التدريسية الفعلية وأثرها على بناء الوعي الأخلاقي لدى الطلبة.
3. اجراء دراسات تجريبية تقيس أثر توظيف أساليب تعليم تفاعلية ورقمية (مثل التعلم القائم على المشروعات والمحاكاة الرقمية) في تنمية مهارات اتخاذ القرار الأخلاقي.

4. تحليل اتجاهات الطلبة نحو أخلاقيات الإعلام الرقمي وعلاقتها باستخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي والذكاء الاصطناعي في السياقات التعليمية والمهنية.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن مقرر أخلاقيات الإعلام في الجامعات الليبية يحتل موقعًا إشكاليًا بين الاعتراف بأهميته القيمية والتربوية من جهة، ومحدودية تمفصله المنهجي والرقمي والتطبيقي من جهة أخرى، فقد أظهرت النتائج أن التحولات المتسارعة في البيئة الإعلامية الرقمية لم تُقابل بمستوى مماثل من التحديث في المحتوى وطرائق التدريس والبنية المؤسسية الداعمة.

ويؤكد البحث أن تطوير هذا المقرر لا ينبغي أن يُنظر إليه بوصفه إجراءً جزئيًا أو فنيًا، بل باعتباره مشروعًا تربويًا واستراتيجيًا متكاملًا يستهدف بناء صحفيين وإعلاميين يمتلكون كفايات أخلاقية ورقمية تؤهلهم لاتخاذ قرارات مهنية واعية ومسؤولة في بيئة إعلامية معقدة ومتغيرة. ومن ثم، فإن تبني مقاربة شمولية قائمة على التكامل بين الأهداف والمحتوى والموارد البشرية والتقنية يمثل شرطًا أساسيًا لتعزيز فاعلية المقرر ودوره في ترسيخ ثقافة إعلامية أخلاقية مستدامة.

المراجع والهوامش:

- . N., & Ramya, Ms. (2023). The Study and Importance Of Media Ethics. **International Journal of Creative Research Thoughts**, 11(8), f105–f106. journal-article. Retrieved from https://ijcrt.org/papers/IJCRT2308550.pdf
- . Olmstead, L. (2024, December 20). Digital transformation in media & Entertainment (+Examples). Retrieved from https://whatfix.com/blog/digital-transformation-media-entertainment/
- Wenger, D., Hossain, M. S., & Senseman, J. R. (2024). AI and the Impact on Journalism Education. **Journalism & Mass Communication Educator**, 80(1), 97–114. https://doi.org/10.1177/10776958241296497
- Forja-Pena, T., García-Orosa, B., & López-García, X. (2024). The Ethical Revolution: Challenges and Reflections in the Face of the Integration of Artificial Intelligence in Digital Journalism. **Communication & Society**, 37(3), 237-254. https://doi.org/10.15581/003.37.3.237-254
- عبد النبي، وائل مخيمر (2024) الاتِّجاهات الحديثة في بحوث أخلاقيات الإعلام الموجه للطفل: رؤية تحليليَّة نقديَّة، **المجلة الدولية لبحوث الإعلام والاتصالات**، جمعية تكنولوجيا البحث العلمي والفنون SRTAEG المجلد 4، العدد 13، ص ص 75-140
- عبد الوهاب، بوخنوفة (2022) واقع تدريس أخلاقيات الإعلام في الجامعات العربية " مناهج قديمة لبيئة إعلامية جديدة"، **المعيار**، جامعة العلوم الاسلامية الأمير عبد القادر، قسنطينة، المجلد 26، العدد 5، ص 483-510.
- المكاوي، بسام (2018) مقررات أخلاقيات الإعلام في برامج الجامعات العربية ودورها في تعزيز التكوين المهني للصحفيين، **المجلة المصرية لبحوث الإعلام**، جامعة القاهرة – كلية الإعلام، العدد 64، ص 359 – 386.

- السريتي، ولاء (2022) فاعلية برنامج قائم على الانفوجرافيك لتنمية أخلاقيات الإعلام الجديد لدى طلاب الإعلام وعلاقته بمهارات إنتاج الرسائل الإعلامية لديهم، **المجلة المصرية لبحوث الإعلام**، جامعة القاهرة – كلية الإعلام، العدد 81، ص 367 – 404.
- Plaisance, P. L. (2006). An assessment of Media Ethics Education: course content and the values and ethical ideologies of media ethics students. **Journalism & Mass Communication Educator,** 61(4), 378–396. https://doi.org/10.1177/107769580606100404
- الحاج، كمال (2020) مناهج البحث الإعلامي، منشورات الجامعة الافتراضية، سوريا، ص51.
- راضي، وسام (2023) **العينات في بحوث الإعلام**، مكتب سنتر العلوم، طبعة 1، العراق، ص59
- إبراهيم، إسماعيل (2017) **مناهج البحوث الإعلامية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، طبعة 1، مصر، ص114

(*) محكمي استمارة الاستبيان:

أ. أ.د. محمد أحمد فياض، أستاذ جامعة أم القيوين– الإمارات العربية المتحدة

ب. د. ريم قدوري فتيحة، أستاذة محاضرة في علوم الإعلام والاتصال جامعة غليزان– الجزائر

ج. أ.د. عبد الكريم على الدبيسي، أستاذ الإعلام، جامعة المستقبل بابل – العراق

د. د. كريمة كمال عبد اللطيف، أستاذ الإعلام الرقمي بكلية الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، جامعة جنوب الوادي– مصر.

هـ. د. خزيم سالم علي الخالدي، استاذ مساعد، بكلية الإعلام، قسم الاذاعة والتلفزيون، جامعة اليرموك –الأردن

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 186-210, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/dmt09744

Research Article

Open Access

قلق المستقبل وعلاقته بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية

حليمة سعد فرج الدقوشي[1]*

الباحث الاول[1]*:
كلية التربية، جامعة عمر المختار، ليبيا

المستخلص: هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى الأيتام المقيمين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية، إضافة إلى التعرف على الفروق وفق متغيرات النوع، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية، والوظيفة، ومدى إسهام قلق المستقبل في التنبؤ بمستوى الطموح. تكونت العينة من (60) يتيماً من الذكور والإناث بدور الرعاية في مدينتي البيضاء وبنغازي، وطُبِّق مقياسا قلق المستقبل ومستوى الطموح. أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية دالة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح. كما لم تظهر فروق بين الذكور والإناث في قلق المستقبل باستثناء القلق الذهني لصالح الإناث، بينما ظهرت فروق في مستوى الطموح لصالح الذكور في بعض الأبعاد. كذلك لم تسجل فروق تبعاً للمستوى التعليمي إلا في أبعاد محدودة، ولم تظهر فروق تُعزى للحالة الاجتماعية أو الوظيفة. وأكدت النتائج أن قلق المستقبل يُعد متغيراً مُسهماً في التنبؤ بمستوى الطموح.

الكلمات المفتاحيـــة: قلق المستقبل، مستوى الطموح، الأيتام، المحرومين من الرعاية الوالدية، دور الرعاية

[1]***Corresponding author:**
Halima S. Daqoushi
halima.aldagoush@omu.edu.ly
Faculty of Education, Omar Al-Mukhtar University, Libya

Received:
16-01-2026

Accepted:
31-03-2026

Published online:
30-04-2026

Future anxiety and its relationship to the level of ambition among orphans deprived of parental care in care homes

Abstract: This study aimed to examine the relationship between future anxiety and the level of ambition among orphans residing in social care institutions. It also explored differences based on gender, educational level, social status, and employment, as well as the predictive role of future anxiety in determining ambition levels. The sample consisted of 60 male and female orphans from care homes in Al-Bayda and Benghazi. Two instruments were administered: the Future Anxiety Scale and the Ambition Level Scale. The results revealed a significant correlation between future anxiety and ambition. No gender differences were found in future anxiety except for mental anxiety, which favored females, while some dimensions of ambition favored males. Differences related to educational level were limited, and no significant differences were found based on social status or employment. The findings also indicated that future anxiety significantly predicts the level of ambition.

Keywords: Future Anxiety, Ambition Level, Orphans, Deprived of Parental Care, Care Homes.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

يعتبر القلق من المشكلات النفسية المرافقة للإنسان طوال حياته من الميلاد وحتى الوفاة, ويشتد حضوره ويشكل تهديداً للشعور بالأمن والراحة النفسية في العديد من المواقف وخاصة في عالمنا المعاصر أصبح القلق ظاهرة بارزة تترك أثاراً عميقة على المجتمع بصفة عامة وعلى الشباب بصفة خاصة في عالم يتسم بالتغيرات والتطورات السريعة والمتلاحقة تجعلهم يواجهون تحديات عديدة مرتبطة بقدرتهم على التكيف مع المستقبل ومتطلباته واستثمار إمكاناتهم في مجالات الحياة المختلفة، فالقلق يؤثر في الثقة بالنفس ومواجهة المواقف الضاغطة سلباً كما يعوق التفكير المنظم, ويحد من الفدرة على الإبداع، ويعتبر التفكير في المستقبل من أكثر ما يثير القلق والتساؤلات لدى الأفراد حول ما يمكن أن يحدث لاحقاً، الأمر الذي يجعلهم يعيشون في حالة توتر وانتظار دائم (الاقصري، 2002).

وينظر إلى قلق المستقبل على أنه مصطلح حديث ومهم في علم النفس، لأنه يرتبط بتقلبات الحياة المتسارعة والاحتياجات المتعددة التي يعيشها الإنسان في العصر الراهن، وما ينتج عنها من شعور دائم بعدم الاستقرار والسيطرة (Zaleski, 1996) .

وأي تبني اتجاه سلبي نحو الحياة، يترافق مع ضعف القدرة على مواجهة الضغوط الحياتية، وتدني منظومة القيم، وما يصاحب ذلك من مشاعر التوتر والضيق كما تتسم بانخفاض تقدير الذات، وتراجع الشعور بالأمن والطمأنينة، نتيجة الاستغراق في التفكير بالأحداث الراهنة والتوقعات المستقبلية (المشيخي، 2009). كما يعتبر قلق المستقبل نوع من القلق يرتبط بالتوقع السلبى تجاه ما يمكن أن يأتي به المستقبل من أحداث، خاصة وأن التوقعات المستقبلية قد أصبحت غير محددة بوضوح لدى معظم الشباب (Raffaril, Marcela, Koller & Silvia , 2005).

ويشير زليكسي Zaleski 1996 إلى أن قلق المستقبل قد يستمر لفترات زمنية مختلفة، حيث يظهر في أشكال متعددة مثل القلق المتعلق بالموت، وقلق الانفصال، والقلق الاجتماعي وغيرها، إلا أن هذا النوع من القلق غالباً ما يكون محدوداً بزمن قصير قد يمتد لدقائق أو ساعات.

ويعد قلق المستقبل أحد أنواع القلق التي تمثل تهديداً لحياة الفرد، إذ يرتبط بالخوف من المجهول والشعور بعدم الأمان والاستقرار، وينتج عن أفكار غير عقلانية وتوقعات خاطئة للأحداث، مما يؤدي إلى تفسير المواقف المحيطة بشكل سلبي، ويضعف ثقة الفرد بنفسه وقدرته على مواجهة المستقبل كما ينشأ هذا القلق من الخوف من التغيرات المتوقعة، ويختلط بالخوف من الموت والتشاؤم بصورة غير منطقية، الأمر الذي يقود إلى النظرة السوداوية للمستقبل وانخفاض الدافعية والطموح (شقير، 2005).

ويعد قلق المستقبل كذلك من أحد الأشكال غير السوية، إذ ينشأ من الخوف والترقب لوقوع أحداث سلبية في الأيام القادمة، مما يسبب للفرد توتراُ واضطراباً يؤثران سلباً في قدرته على تحقيق أهدافه وطموحاته، ويشعره بعدم

استقرار الحياة، كما يؤدي إلى ضعف القدرة على التركيز والإحساس بالأمن، إضافة إلى افتقاره للشعور بالطمأنينة تجاه المستقبل (عشري، 2004).

ويرى فرويد1957, Freud أن مشاعر القلق تعد إشارة خطر تهدد الشخصية؛ فهي تنبه الفرد إلى مواقف تثير التوتر والاضطراب، وتسهم في دفع "الأنا" لاتخاذ التدابير التي تحميه من المواقف الضاغطة، كما يفرق فرويد بين أنواع القلق مثل القلق الموضوعي المرتبط بمصادر خارجية، والقلق العصابي الناجم عن صراعات داخلية بين الهو والأنا، إضافة إلى القلق الأخلاقي المتصل بالقيم والمعايير، ويعد القلق في المجمل حالة من الاستجابة غير السوية لمثيرات داخلية أو خارجية، ينتج عنها اضطراب في السلوك، إذا لم يستطع الأنا السيطرة على تلك الصراعات(الزعلان، 2015).

أما فرويد 1957, Freud فيشير إلى أن الخوف يمثل الدافع الأول لظهور القلق فحين يشعر الفرد بالخطر، يعمل جهاز الإنذار الداخلي على تنبيهه فتتفاعل الأجهزة النفسية معه وإذا استمرت حالة التنبيه دون معالجة يتحول الخوف إلى قلق، وقد يصبح حالة مستمرة من التوتر، ويرجع فرويد علاقة القلق بالصدمات إلى أن الفرد قد يعجز عن استيعاب الأحداث المؤلمة وتكييفها (السبعاوي، 2007).

في حين ينظر السلوكيون لقلق المستقبل بأنه سلوك متعلم من البيئة تحت التدعيم الإيجابي والسلبي، وبالتالي فأن للقلق دور مزدوج فهو محفز من ناحية، ومصدر لتعزيز خفض القلق من ناحية أخرى (الخالدي والعلمي، 2009).

أما النظرية الإنسانية ترى أن قلق المستقبل هو خوف مما يتوقع حدوثه في المستقبل، وليس من ماضي الفرد؛ فالمستقبل هو العامل الحاسم في استثارة القلق (حسين، 2007).

ويذهب بعض علماء النفس المعرفيين أمثال أليس (Ellis,1955) (وبيك Beck, 1963) إلى أن الأفكار غير الواقعية والمبالغ فيها تعد مصدراً أساسياً للقلق، إذ توجه الفرد نحو توقعات سلبية تتعلق بالمستقبل، ما يؤدي إلى استجابة انفعالية مضطربة السبب في إحداث القلق نتيجة الاضطراب في التكوين المعرفي للفرد الذي يظهر الرؤية السلبية عن الذات والأخرين والمستقبل؛ أي الحديث السلبي مع الذات، والتفسير للواقع بشكل سلبي هي مصدر للقلق (سعود، 2005).

ويُعد مستوى الطموح من المتغيرات الأساسية التي تؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد والمجتمع، لما له من تأثير واضح في الحياة اليومية، وفي التوافق والتكيف النفسي والاجتماعي، إذ يتأثر شعور الفرد بالنجاح أو الإخفاق بمدى تحقيقه لطموحاته والوصول إلى المستوى الذي يسعى إليه، سواء كان ذلك بصورة إيجابية أو سلبية، ويكون متفائلاً ولديه القدرة على تحديد أهدافه بدقة، ويستطيع التغلب على الصعوبات والعقبات ولا يستسلم للفشل أو الإحباط بل يشعر بقيمة الحياة ومعناها.

كما يعد مستوى الطموح أحد الأبعاد الجوهرية للشخصية الإنسانية؛ لما له من دور مهم في حياة الفرد، إذ يوضح أسلوب تعامل الإنسان مع نفسه ومع البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه، ويؤثر في نظرته إلى مستقبله،

فالمتفائل ينظر إلى الحياة بإقبال وأمل، ويستحضر صورة مشرقة لمستقبله، في حين يميل المتشائم إلى الكسل والتراخي والهروب من الواقع، ويوقع نفسه في الإخفاق في المستقبلي، وهو ما يؤدي إلى عدم واقعية مستوى الطموح (خليل، 2002).

ويرى أدلرAdler أن مشاعر النقص تعد حافزاً مهماً يدفع الفرد إلى السعي نحو التفوق والسمو، وأن قوة الدافعية الخلاقة هي التي تدفع الإنسان إلى الابتكار وتحقيق الذات، كما يميز أدلر بين الأهداف النهائية السامية التي يسعى الفرد إلى تحقيقها، والأهداف الوهمية التي قد يقع فيها، مؤكداً أن الفرد السوي هو من يعرف حدود إمكاناته ويضع لنفسه أهدافاً واقعية تتناسب مع قدراته، وأن السلوك الإنساني موجه دائماً نحو غاية يسعى إلى بلوغها (المصري، 2011).

وتشير نظرية القيمة الذاتية للهدف التي طرحها اسكا لونا(Esca lona,1940) إلى أن الفرد يحدد توقعاته بما يتناسب مع قدراته، فقيمة الشيء الذاتية تتحدد من خلال احتمالات النجاح والفشل المتوقعين، وتوضح هذه النظرية إلى أن بعض الأفراد يميلون إلى اختيار مستوى طموح مرتفع، في حين يفضل آخرون مستوى طموح يتوافق مباشرة مع قدراتهم، بينما يختار البعض مستوى أقل من ذلك، ويتأثر مستوى الطموح بعوامل متعددة، إذ يعد امتلاك طموح مرتفع دافعاً قوياً يعزز من النشاط المعنوي والعملي لدى الفرد كما تبين أن ارتفاع القدرة على الاستفادة والسعي المستمر ينعكس إيجاباً على احتمالات النجاح وتجنب الفشل، وقد ساهمت هذه النظرية في تفسير العديد من المواقف الحياتية المرتبطة بسلوك الإنسان ودوافعه وعلاقتها بنتائج النجاح أو الفشل (سرحان، 1993).

وكذلك يشير باندورا (Bandura, 1997) إلى أن معتقدات الكفاءة الذاتية تؤثر يشكل مباشر في مستوى الطموح، والمثابرة، والقدرة على مواجهة الإحباط، حيث يميل الأفراد ذوو الكفاءة الذاتية المرتفعة إلى وضع أهداف أكثر تحدياً والاستمرار في مواجهتها رغم الصعوبات.

في حين ترى نظرية كيرت ليفينKurt Lovin أنه توجد قوى فاعلة ومؤثرة على مستوى الهدف تدفع الفرد نحو سلوكيات متعددة مثل الإنتاج والعمل والإنجاز والدافعية والكفاءة والمهارات الاجتماعية وترتبط هذه الجوانب بتحقيق أهداف مستقبلية ما يجعلها مؤثرة بوضوح في حياة الفرد الحالية (توفيق، 2005).

فالأفراد الأكثر نضجًا وأعلى قدرة عقلية يستطيعوا أن يختاروا من بين عدة وسائل متاحة أفضل وسيلة لتحقيق مستوى طموحاتهم، والنجاح والفشل فالنجاح يرفع من مستوى الطموح في حين الفشل يؤدي إلى الإحباط، كذلك الثواب والعقاب، والقوى الاجتماعية والمنافسة بين الزملاء يرفع من مستوى الطموح ويدفع إلى العمل وتعبئة الجهود نحو تحقيق الأهداف المستقبلية.

فهناك ارتباطاً قوياً بين مستوى الثقة بالنفس ومستوى الطموح فما يملكه الفرد من إمكانيات يتحدد على ضوئها مستوى طموحه، ويلعب مستوى الطموح لدى الفرد والجماعة دوراً أساسياً ومهمًا في السمات الشخصية، إذ يلقي

الضوء على ملامح المستقبل، والفكرة عن الذات ويكون النجاح أو الإخفاق في تحديد الطموح الذي يؤثر في الصحة النفسية بالعموم (الزبير، 2017).

ويعد موضوع قلق المستقبل ومستوى الطموح من الموضوعات المهمة في الشخصية الإنسانية، والمؤدي إلى اضطرابها بمكوناتها وسماتها كافة، وبالتالي فإن القلق على المستقبل ومستوى الطموح ظاهرة تستحق الدراسة خاصة لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية لأن حياتهم مليئة بالظروف المثيرة للقلق على المستقبل، سواء على الصعيد الدراسي، أو الاجتماعي، أو النفسي أو الاقتصادي؛ فحرمان الفرد من الوالدين وما يترتب على ذلك من إيداعه بإحدى المؤسسات دار الرعاية له آثاره السلبية على نمو شخصيته حيث يتعرض للعديد من الاضطرابات والمتاعب النفسية، فإن فقدان أحد الوالدين أو كليهما يمثل خبرة أليمة وهزة عاطفية لها تأثيرها السالب على صحته النفسية والاجتماعية فيما بعد، ولا يوجد ما يعوض الفرد عن أسرته أنه مهما كانت عليه الأسرة من سوء فإنها أفضل بالنسبة للفرد من أي مؤسسة مهما كان مستواها.

وبناء على ما سبق فأنه تظهر الحاجة الماسة لإجراء الدراسة الحالية والتي تهدف إلى التعرف على العلاقة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى الأيتام، والفروق بينهم وفقاً لمتغير النوع، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية، والوظيفة، والتعرف على مدى إسهام قلق المستقبل في التنبؤ بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية.

مشكلة الدراسة:

يظهر قلق المستقبل من خلال إدراك الفرد للأشياء والأحداث المتوقع حدوثها، إضافة إلى انخفاض قدرته على التعامل مع مصادر الضغوط المرتبطة بها، مما ينعكس سلباً على قدرته على التكيف مع المشكلات والظروف التي يواجهها ويترتب على ذلك تعرضه لمستويات مرتفعة من الاضطرابات والضغوط النفسية (الزواهرة، 2015).

كما يتأثر مستوى الطموح بدرجة القلق المرتبط بالمستقبل، إذ أن الخوف والتوجس من الأحداث المقبلة قد يحدان من مستوى الطموح لدى الفرد، ويجعلانه يشعر بأن تحقيق أهدافه غير ممكن من وجهة نظره، مما يدفعه إلى تجنب التحديات بدل مواجهتها والتغلب عليها (بدر، 2003).

وتعد التغيرات السريعة التي طرأت على مختلف جوانب الحياة اليومية في الوقت الحاضر ذات أثر كبير على المجتمع بوجه عام، وعلى فئة الإيتام بصفة خاصة، ولا سيما العاملين في مجال رعايتهم، فقد أسهمت الظروف الراهنة التي تمر بها البلادُ نتيجة التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى التغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم، في بروز تحديات داخلية وخارجية وما يصاحبها من أثار سلبية على الأفراد بما في ذلك الأيتام, وتتمثل هذه التحديات وفقاً لعدد من العلماء في انخفاض قدرة الفرد على مواجهة الضغوط وضعف

استعداده للتكيف وغياب الدعم وهو ما يجعل اليتم أحد أبرز العوامل التي تضعف بنية الطفل النفسية وتؤثر على مستوى طموحه.

وأشار أبو غزال(Abu-Ghazal, 2009) إلى أن المحرومين من الرعاية الأسرية(الأيتام) والذين يخضعون للرعاية الاجتماعية، يواجهون مجموعة من السمات التي قد تتقاطع مع الحرمان النفسي، كضعف الثقة بالنفس، والقلق، والسلوك الانطوائي، وهي سمات يمكن أن تحد من اندماجهم الاجتماعي وتؤثر في مستقبلهم، كما أوضح أن غياب الرعاية الأسرية يجعلهم عرضة لمشكلات نفسية واجتماعية لا تتيح لهم تحقيق توافق فعال مع محيطهم، وإذا ما افتقر هؤلاء الأطفال إلى الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية، زادت احتمالات ظهور مشكلات أكثر تعقيداً قد تمتد آثارها إلى المستقبل.

وبناء على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التعرف على العلاقة بين بين قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى الأيتام، والتعرف على الفروق في قلق المستقبل ومستوى الطموح وفقاً لمتغير النوع، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية، والوظيفة، والتعرف على مدى إسهام قلق المستقبل في التنبؤ بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية.

اولاً الأهمية النظرية:

1. تأتي أهمية الدراسة الحالية في تسليط الضوء على فئة الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية للفت نظر الباحثين للخوض في هذا المجال بسبب قلة الدراسات لهذه الشريحة على حد (علم الباحثة).
2. إلقاء الضوء حول مفهوم قلق المستقبل، ومستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية والمودعين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية.
3. إثراء الأدب التربوي في المكتبة الليبية بشكل يسهم في جذب اهتمام الباحثين لهذه الفئة التي لازالت النظرة المجتمعية تجاههم فيها الكثير من التشويه والمغالطات.

ثانياً الأهمية التطبيقية:

1. الاستفادة من هذه الدراسة في تقديم مؤشراً للقائمين على رعاية هذه الفئة حول طبيعة المشكلات النفسية والاجتماعية التي يوجهونها في دور الرعاية ودورها في التأثير على قلق المستقبل لديهم، وبالتالي إمكانية إعادة النظر في الخدمات التي يقدمونها لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وتحسينها وتطويرها.
2. قد تفيد نتائج الدراسة الحالية القائمين والعاملين في مراكز الإيواء، حيث تفسر لهم بعض الظواهر والسلوك الذي يقوم به بعض الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية.

3. قد تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة للانطلاق منها إلى دراسات مستقبلية حول علاقة قلق المستقبل، ومستوى الطموح بمتغيرات نفسية أخرى عند الأيتام.
4. تساعد نتائج هذه الدراسة في مساعدة العاملين مع الأيتام على وضع خطط وبرامج لإشباع الحاجات الإرشادية الخاصة بهم وزيادة مستوى الطموح لفئة الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية، لجعل الأيتام يضعون مستوى طموح مناسب لقدراتهم، وإمكانياتهم.

مفاهيم الدراسة:

1- **قلق المستقبل:** حالة نفسية إيجابية تنشأ نتيجة تفاعل الفرد مع خبراته السابقة غير السوية، وتمثل قدرة الشخص على إدراك ذاته وواقعه بوعي من خلال استدعاء الخبرات الماضية والاستفادة منها في التكيف مع متغيرات الحاضر، وتسهم هذه الثقة في تعزيز مشاعر الأمل والتفاؤل، والحد من القلق والخوف من القادم، كما تزود الفرد بالدافعية اللازمة لتحقيق أهدافه المستقبلية، وتمثل ثقة الفرد بالمستقبل مؤشراً مهماً على نضج تفكيره وسلامة توجهاته المستقبلية، فضلاً عن قدرته على التعامل الإيجابي مع المشكلات الاجتماعية والأحداث الحياتية المتوقعة، وما يرتبط بها من أفكار وسلوكيات وانفعالات(شقير، 2005).

ويعرف إجرائياً بأنه مجموع الدرجات التي يحصل عليها الفرد في مقياس قلق المستقبل المستخدم في هذه الدراسة من إعداد (شقير، 2005).

2- **مستوى الطموح:** يقصد بمستوى الطموح تلك الأهداف التي يحددها الفرد لنفسه في الجوانب التعليمية أو المهنية أو الأسرية أو الاقتصادية، ويسعى إلى بلوغها، ويتأثر ذلك بمجموعة من العوامل المرتبطة بشخصيته وبالظروف البيئية المحيطة به (باظه، 2004).

ويعرف إجرائياً بأنه مجموع الدرجات التي يحصل عليها الفرد في مقياس مستوى الطموح من إعداد(معوض وعبد العظيم، 2005).

3- **الأيتام:** هم الأفراد الذين توفى أحد والديهم أو كلاهما أو الذين تعرضوا للإهمال أو الهجر أو الذين أبعدوا عن آبائهم بقرار من القضاء فهؤلاء الأفراد يعرفون في أوساط الرعاية بأنهم أيتام اجتماعياً (منظمة قرى الأطفال، 2004).

4- **المحرومين من الرعاية الوالدية:** هم الأيتام وغير الشرعيين ومجهولي النسب النزلاء بدار الرعاية المحرومين من الرعاية الأسرية والاجتماعية بدار رعاية البنين بمدينة البيضاء وبنغازي، ودار رعاية البنات بمدينة بنغازي.

5- **دور الرعاية:** مؤسسات إيواءيه تقدم المساعدة للملتحقين بهذه الدور حتى يحصلوا على مستوى كريم في الحياة ومساعدتهم على تكوين علاقات سليمه مع الاخرين وعلى تنمية قدراتهم بما يمكنهم من التعامل مع باقي المجتمع (عياش، 2009).

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: قلق المستقبل وعلاقته بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية.

الحدود البشرية: عينة من الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية بمدينتي البيضاء وبنغازي.

الحدود المكانية: دور الرعاية للأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية بدار رعاية البنين بمدينة البيضاء وبنغازي، ودار رعاية البنات بمدينة بنغازي.

الحدود الزمنية: العام 2022– 2023.

الدراسات السابقة:

دراسة **فريح (2012):** هدفت إلى تحديد مستوى الحاجات النفسية والاجتماعية، وقلق المستقبل، والكشف عن طبيعة العلاقة بينهم، والتعرف على الفروق بين الجنسين لدى عينة من المراهقين مجهولي النسب بقرية الأيتام بمحافظة القليوبية أعمارهم تتراوح ما بين(12–18) سنة، والنتائج أظهرت وجود علاقة إيجابية بين درجاتهم في المتغيرين، ووجود فروق دالة إحصائياً بين متوسطاتهم في الحاجات النفسية والاجتماعية وقلق المستقبل وفقاً لمتغير النوع.

كذلك أجرت **كلاب (2014)** دراسة هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين إشباع الحاجات النفسية وقلق المستقبل لدى المراهقين المقيمين في المؤسسات الإيوائية وغير الإيوائية في محافظات غزة، وذلك في ضوء عدد من المتغيرات(الجنس والعمر والمرحلة التعليمية وحالة الوالدين(أحياء أم متوفون) ومكان الإيواء)، لدى عينة مكونة من(161) مراهقاً تتراوح أعمارهم ما بين(12–18) سنة، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى قلق المستقبل لصالح الأيتام الذكور، ولصالح الأيتام المتواجدين في المؤسسات الإيوائية، وعدم وجود فروق بينهم تعزى للعمر والمرحلة التعليمية ولحالة الوالدين (أحياء أم متوفون).

أما دراسة **الزعلان (2015)** فقد سعت إلى فحص العلاقة بين قلق المستقبل وبعض سمات الشخصية لدى الأطفال المحرومين المقيمين في مؤسسات الإيواء، والمحتضنين لدى أسر بديلة، في ضوء عدد من المتغيرات الديموغرافية لدى عينة قوامها (30) طفل وطفلة، وأظهرت النتائج أن نسبة بلغت 76.3% من الأطفال يمتلكون مستوى متوسط من قلق المستقبل، ولا توجد فروق في قلق المستقبل لدى الأطفال مجهولي النسب تعزى لنوع الجنس، في حين توجد فروق بالنسبة لدرجات القلق الأسري، والفروق لصالح الإناث، والذين يقيمون في مؤسسة إيوائية وللمستوى التعليمي لصالح طلبة المرحلة الثانوية.

أما دراسة **شلهوب (2016)** ركزت على مستوى قلق المستقبل لدى المراهقين ودراسة علاقته بالصلابة النفسية، على عينة مكونة من (300) طالب الموجودين في مراكز الإيواء في دمشق والسويداء مما تتراوح أعمارهم ما بين (18 –30) سنة، وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة بين الصلابة النفسية وقلق

المستقبل، وجود فروق بينهم في قلق المستقبل لصالح الذكور، ولصالح طلبة الجامعة، وعدم وجود فروق دالة لمقياس قلق المستقبل تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية.

أما دراسة **قشطة (2017)** هدفت إلى التعرف على الكشف عن مستوى الحرمان العاطفي الأبوي والاكتئاب وقلق المستقبل لدى الأيتام المقيمين بمراكز الإيواء وأقرانهم المقيمين مع أسرهم، وتحديد الفروق بينهم، والكشف عن العلاقة بين الحرمان العاطفي وكل من الاكتئاب وقلق المستقبل، وتكونت العينة من جميع الأيتام المقيمين بمراكز الإيواء والبالغ عددهم (74) طفل وطفلة، وعينة من المقيمين مع أسرهم بلغ عددهم (126) طفل وطفلة، وأظهرت النتائج أن مستوى الحرمان العاطفي الأبوي كان مرتفعاً وبلغ الوزن النسبي (83.77%)، وتبين أن مستوى الاكتئاب لدى الأيتام (61.042%)، وأن مستوى قلق المستقبل كان(66.24%)، وتبين وجود علاقة دالة إحصائياً بين الحرمان العاطفي الأبوي وبعض الأعراض الفرعية الاكتئابية والدرجة الكلية للاكتئاب، كما تبين وجود علاقة ارتباط دالة إحصائياً بين الحرمان العاطفي الأبوي وقلق المستقبل، وكانت العلاقة دالة بين الحرمان العاطفي الأبوي ومجالات قلق المستقبل، والدرجة الكلية لقلق المستقبل، وتبين وجود فروق في مستوى الحرمان العاطفي الأبوي بين الأيتام في مراكز الإيواء وأقرانهم المقيمين مع أسرهم، ولصالح المقيمين بمراكز الإيواء، في حين لم تظهر فروق بين الأيتام في مراكز الإيواء وأقرانهم المقيمين مع أسرهم في مستوى الاكتئاب وقلق المستقبل، وعدم وجود فروق في مستوى الحرمان العاطفي الأبوي لدى الأيتام تعزى لمتغيرات (الجنس، والصف الدراسي، وسبب الوفاة، وسنوات الحرمان) فقد ظهرت فروق تعزى لمتغير العمر عند وفاة الأب، وأظهرت نتائج تحليل البيانات عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكتئاب لدى الأيتام تعزى لمتغيرات(الجنس، والصف الدراسي، وسبب الوفاة، وسنوات الحرمان، والعمر عند وفاة الأب)، كذلك لم تظهر فروق في مستوى قلق المستقبل تعزى لمتغيرات (الجنس، وسبب الوفاة، والعمر عند وفاة الأب، وسنوات الحرمان)، بينما ظهرت فروق في مستوى قلق المستقبل تعزى لمتغير الصف الدراسي.

كما هدفت دراسة **فلاته والشريف(2021)** إلى معرفة العلاقة بين الأفكار اللاعقلانية ومستوى الطموح لدى مراهقات دور الأيتام بمدينة مكة المكرمة، إضافة إلى التعرف على الفروق في مستوى الطموح تبعا لمتغير (العمر – المرحلة)، على عينة مكونة من (29) مراهقة من جميع مراهقات دار الأيتام بدار الزهور بمدينة مكة المكرمة، وأظهرت النتائج أن المتوسط الحسابي لانتشار الأفكار اللاعقلانية لدى العينة بلغ (3.38) في حين بلغ المتوسط الحسابي لمستوى الطموح (3.48) كما بينت النتائج عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأفكار اللاعقلانية ومستوى الطموح، وعدم وجود فروق داله في متوسط درجات الأفكار اللاعقلانية ومستوى الطموح تعزى لاختلاف متغيري (العمر – المرحلة).

فروض الدراسة:

1. توجد علاقة ارتباطية دالة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية.
2. توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير النوع.
3. توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير المستوى التعليمي.
4. توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية.
5. توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة.
6. توجد فروق دالة احصائيا في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقاً لمتغير النوع.
7. توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير المستوى التعليمي.
8. توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية.
9. توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة.
10. يسهم قلق المستقبل في التنبؤ بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الارتباطي التنبؤي لدراسة العلاقة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح، كما استخدم المنهج المقارن للتعرف على الفروق بين أفراد العينة في مفهومي قلق المستقبل ومستوى الطموح تعزى إلى النوع والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية والوظيفة.

الإجراءات:

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية في دور الرعاية البالغ عددهم (96) نزيل من دار رعاية البنين بمدينة البيضاء، ودار رعاية البنين بمدينة بنغازي، ودار رعاية البنات بمدينة بنغازي للعام 2022– 2023م

عينة الدراسة: سحبت عينة الدراسة بالطريقة العشوائية، وتكونت عينة الدراسة من (60) نزيل بنسبة 62 %من مجتمع الدراسة وقد تم استبعاد (10) استمارات لعدم عدم إكمالها من قبل المستجيبين والجدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع والمؤهل الدراسي والوظيفة والحالة الاجتماعية.

جدول (1) أعداد أفراد العينة موزعين حسب النوع والمؤهل الدراسي والوظيفة والحالة الاجتماعية

النوع		المؤهل الدراسي		الوظيفة		الحالة الاجتماعية	
ذكور	27	متوسط	25	طالب	22	أعزب	42
إناث	23	عالي	25	موظف	18	متزوج	8
				أعمال حرة	10		
المجموع	50		50		50		50

أدوات الدراسة:

1- **قلق المستقبل:** من إعداد (شقير2005) يتكون من (28) عبارة موزعة على خمسة أبعاد هي:

أ- القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية. ب- الصحة وقلق الموت. ج- القلق الذهني (قلق التفكير في المستقبل). د- اليأس من المستقبل. هـ- الخوف والقلق من الفشل في المستقبل

ويتم الإجابة عليها باختيار استجابة واحدة من خمس استجابات هي(ابداً – قليلا –عادة – تماما – دائما) بحيث تكون الدرجات (4-3-2-1-0) على الفقرات من(1- 10) والدرجات (0-1-2-3-4) على الفقرات من (-11 28) وبالتالي الدرجة الكلية للمقياس تراوحت ما بين (0 – 112).

صدق المقياس: قامت الباحثة بحساب الصدق للمقياس من خلال الصدق التلازمي حيث قامت الباحثة بتطبيق مقياس قلق المستقبل (شلهوب، 2016) مع أداة الدراسة الحالية مقياس قلق المستقبل (شقير، 2005) على عينة من مجتمع الدراسة وقد تم حساب معامل الارتباط بيرسون لإيجاد العلاقة بين المقياسين وكانت درجة العلاقة بينهما (0.77) وهذا يشير إلى أن أداة البحث تتمتع بصدق تلازمي.

ثبات المقياس: تم حساب ثبات المقياس باستخدام التجزئة النصفية وقد بلغ معامل الارتباط بين نصفي المقياس (0.94) وبذلك تتمتع الأداة بدرجة عالية من الثبات.

2- **مقياس مستوى الطموح :** من إعداد (معوض وعبد العظيم 2005) يتكون من(36) عبارة موزعة على أربعة أبعاد هي(التفاؤل- المقدرة على وضع الأهداف- تقبل الجديد – تحمل الإحباط), وضعت أربعة بدائل للإجابة عن كل بند من بنود المقياس (دائماً)(3) (كثيراً)(2) (أحياناً)(1) (نادراً)(0) وتعكس هذه الدرجات في البنود السالبة وتتراوح الدرجة الكلية للمقياس ما بين(0 – 108).

صدق المقياس: قامت الباحثة بحساب الصدق للمقياس من خلال الصدق التلازمي حيث قامت الباحثة بتطبيق مقياس مستوى الطموح (الجبوري، 2013) مع أداة الدراسة الحالية مقياس مستوى الطموح (معوض وعبد

العظيم، 2005) على عينة من مجتمع الدراسة وقد تم حساب معامل الارتباط بيرسون لإيجاد العلاقة بين المقياسين وكانت درجة العلاقة بينهما (0.68) وهذا يشير إلى أن أداة البحث تتمتع بصدق تلازمي.

ثبات المقياس: تم حساب ثبات المقياس باستخدام التجزئة النصفية وذلك من خلال حساب معامل الارتباط بين نصفي المقياس وقد بلغ معامل الارتباط (0.80) وبذلك تتمتع الأداة بدرجة عالية من الثبات.

نتائج الدراسة ومناقشتها

ينص الفرض الأول على أنه توجد علاقة ارتباطية دالة بين قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام معامل الارتباط بيرسون بين قلق المستقبل ومستوى الطموح والجدول التالي يوضح الارتباط بين المتغيرين.

جدول (2) معامل الارتباط بين قلق المستقبل ومستوى الطموح

المقياس	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
قلق المستقبل	50	0.48	0.01
مستوى الطموح			

يتضح من جدول(2) وجود علاقة ارتباطية موجبة بين متغيري قلق المستقبل ومستوى الطموح، وهو ما يتوافق مع مراجعة التراث وما توصلت إليه دراسات سابقة التي أكدت وجود تأثير إيجابي ومباشر بين هذين المتغيرين، بمعنى أن ارتفاع أو انخفاض إحدى المتغيرين يقود بنفس الاتجاه المتغير الآخر، وهذا يشير إلى قدرة أي من المتغيرين على التأثير بصورة إيجابية على المتغير الآخر، فإذا ارتفع مستوى الطموح ارتفع معه قلق المستقبل ويحدث العكس تواليا، فهناك العديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمهنية التي يتعرضوا من خلالها لقلق المستقبل الذي له علاقة بأهدافهم ومستوى طموحهم وتطلعاتهم المستقبلية، كما يعد قلق المستقبل من القضايا التي تشغل اهتمام عدد كبير من الأفراد، لما يترتب عليه من اضطراب في التفكير وتشتيت الطموحات، وضعف القدرة على اتخاذ قرارات واقعية، إضافة إلى غياب الوضوح في تحديد الأهداف، خاصة في ظل التحولات السريعة التي يشهدها المجتمع، وتتعدد العوامل المؤثرة في مستوى الطموح، من بينها الأزماتالاقتصادية، وتدني الدخل، والصراع بين القيم المادية والأخلاقية، فضلاً عن الضغوط النفسية وعدم القدرة على التكيف مع متطلبات الحياة ومشكلاتها المختلفة.

ينص الفرض الثاني على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير النوع، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف المعياري واختبار(t) لدراسة الفروق بين الجنسين في قلق المستقبل والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (3) نتائج اختبار (t) لدلالة الفروق في قلق المستقبل وفقا لمتغير النوع

الابعاد	النوع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	ذكر	6.56	4.61	48	0.482	0.632
	أنثى	7.30 6.71	6.34 5.99			
الصحة وقلق الموت	ذكر	6.00	4.01		1.38	0.173
	أنثى	7.60	4.20			
القلق الذهني(التفكير في المستقبل)	ذكر	9.44	5.75		2.51	0.015
	أنثى	13.65	6.04			
اليأس من المستقبل	ذكر	10.37	6.06		0.677	0.501
	أنثى	11.39	4.25			
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	ذكر	8.40	4.60		0.870	0.389
	أنثى	7,39	3,46			
مقياس قلق المستقبل	ذكر	41.48	15.87		1.37	0.176
	أنثى	47.08	12.42			

يتضح من جدول(3) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى القلق من المستقبل بصفة عامة باستثناء بعد القلق الذهني(التفكير في المستقبل) حيث ظهرت فروق دالة لصالح الإناث وتتسق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه دراسات كلاب(2014)، الزعلان(2015)، قشطة(2017) التي خلصت إلى عدم وجود فروق جوهرية بين الجنسين، إلا أنها تختلف عن نتائج دراستي فريح(2012)، شلهوب(2016) اللتان بينتا وجود فروق لصالح الذكور، ويمكن تفسير تفوق الإناث في بعد التفكير المستقبلي باحتمال ارتباطه بطبيعة الأدوار الاجتماعية المتوقعة منهن، والتي تستلزم استعداداً وتحسباً أكبر للمستقبل، إلى جانب ارتفاع حساسيتهن تجاه المتغيرات الاجتماعية والمواقف المستقبلية، وما يترتب على ذلك من زيادة التفكير في مسؤولياتهن الأسرية والحياتية مقارنة بالذكور، أما عدم ظهور فروق عامة بين الجنسين في القلق المستقبلي فيرجح أنه يعود إلى تشابه الظروف التي يواجهها كلا الجنسين بالإضافة إلى تقارب المرحلة النمائية التي يمرون بها مما يؤدي إلى مستويات متقاربة من إدراك المستقبل والقلق المرتبط به، كما أن الجنسين يشتركون ويتلقون نفس الخدمات والرعاية سواء الصحية أو التعليمية أو الاجتماعية أو النفسية بنفس المستوى والدرجة في دور الرعاية فالمستقبل غامض وغير متوقع.

ينص الفرض الثالث على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير المستوى التعليمي، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف

المعياري واختبار(t) لدراسة الفروق بين أفراد العينة في قلق المستقبل وفقا لمتغير المستوى التعليمي والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (4) نتائج اختبار (t) لدلالة الفروق في قلق المستقبل وفقا لمتغير المستوى التعليمي

الابعاد	المستوى التعليمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	متوسط	8.36	6.26	48	1.95	0.057
	عالي	5.44	4.09			
الصحة وقلق الموت	متوسط	6.96	4.38		.3720	0.711
	عالي	6.52	3.95			
القلق الذهني (التفكير في المستقبل)	متوسط	12.60	6.25		1.40	0.167
	عالي	10.16	6.03			
اليأس من المستقبل	متوسط	11.72	5.95		1.18	0.243
	عالي	9.96	4.46			
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	متوسط	8.20	4.14		.4440	0.659
	عالي	7.68	4.14			
مقياس قلق المستقبل	متوسط	48.36	14.25		2.17	0.035
	عالي	39.76	13.74			

تشير نتائج الجدول(4) إلى اختبار الفروق في مستوى قلق المستقبل تبعاً لمتغير المستوى التعليمي لدى أفراد العينة، وتوضح النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد في معظم أبعاد قلق المستقبل، إذ جاءت قيم مستوى الدلالة لكل من بعد القلق المرتبط بالمشكلات الحياتية(0.057)، وبعد الصحة وقلق الموت(0.711)، وبعد القلق الذهني المرتبط بالتفكير في المستقبل(0.167)، وبعد اليأس من المستقبل(0.243)، وكذلك بعد الخوف والقلق من الفشل في المستقبل(0.659)، وهي جميعها قيم أعلى من مستوى الدلالة(0.05)، الأمر الذي يشير إلى أن هذه الأبعاد لا تتأثر باختلاف المستوى التعليمي لدى أفراد العينة، في المقابل أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية لمقياس قلق المستقبل، حيث بلغ مستوى الدلالة(0.035)، وهي قيمة أقل من(0.05)، مما يدل على وجود اختلاف في الدرجة الكلية لقلق المستقبل تبعاً للمستوى التعليمي، وقد كانت هذه الفروق لصالح ذوي المستوى التعليمي المتوسط، حيث بلغ متوسطهم الحسابي(48.36)،مقارنة بمتوسط(39.76) لدى ذوي المستوى التعليمي المتوسط مقارنة بالفئة الأعلى تعليماً، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة شلهوب(2016)، ودراسة قشطة(2017) كانت الفروق لصالح التعليم الجامعي، في حين تختلف مع دراسة كلاب(2014) التي لم تظهر فروقاً دالة، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن قلق المستقبل لا يرتبط بالعوامل التعليمية فقط، بل يتأثر أيضاً بمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية

مثل الدعم الاجتماعي والخبرات الحياتية وظروف التنشئة، وقد يعزى هذا الاختلاف إلى أن الأفراد ذوي المستوى التعليمي الأعلى يمتلكون قدراً أكبر من المعارف والمهارات التي تساعدهم على التعامل مع التحديات المستقبلية والتخطيط لها بصورة أكثر فاعلية، الأمر الذي قد يسهم في خفض مستوى القلق لديهم، في المقابل قد يواجه الأفراد ذوو المستوى التعليمي المتوسط درجة أكبر من عدم اليقين بشأن فرصهم المستقبلية، مما قد يزيد من مستوى القلق لديهم تجاه ما قد يواجهونه في المستقبل.

ينص الفرض الرابع على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف المعياري واختبار(t) لدراسة الفروق بين أفراد العينة في قلق المستقبل وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (5) نتائج اختبار (t) لدلالة الفروق في قلق المستقبل وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية

الابعاد	الحالة الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	أعزب	7.29	5.73	48	1.15	0.255
	متزوج	4.88	3.04			
الصحة وقلق الموت	أعزب	6.69	4.04		0.192	0.849
	متزوج	7.00	4.92			
القلق الذهني (التفكير في المستقبل)	أعزب	11.71	6.19		0.871	0.388
	متزوج	9.62	6.39			
اليأس من المستقبل	أعزب	10.95	5.58		0.342	0.734
	متزوج	10.25	3.49			
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	أعزب	8.02	4.34		0.328	0.745
	متزوج	7.50	2.78			
مقياس قلق المستقبل	أعزب	44.97	15.38		1.02	0.312
	متزوج	39.25	7,68			

يتضح من جدول(5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية فيما يتعلق بقلق المستقبل وفقاً للحالة الاجتماعية وهو ما ينسجم مع نتائج دراسة شلهوب(2016) ويمكن تفسير ذلك بأن الظروف الصعبة والضغوط السائدة في البلاد تجعلهم يعيشون مستويات متقاربة من القلق بغض النظر عن الحالة الاجتماعية فكل ما حولهم يفرض ضغوطاً إضافية تشمل الجوانب المادية والاجتماعية الأمر الذي يدفعهم إلى البحث عن مستقبل أكثر استقراراً والرغبة في الارتقاء إلى معيشة أفضل وتلبية الاحتياجات الأساسية من

مأكل وملبس وعلاج حيث يتساوى الجميع في مستوى الشعور بالقلق تجاه المستقبل نظراً لعدم القدرة على التنبؤ بما قد تحمله الأيام القادمة.

ينص الفرض الخامس على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في قلق المستقبل لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة، وللتحقق من صحة هذا الفرض فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي لدراسة الفروق بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة والجداول التالية توضح ذلك.

جدول (6) المتوسطات والانحرافات المعيارية للعينة في قلق المستقبل وفقاً لمتغير الوظيفة

الابعاد	الوظيفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	طالب	7.14	6.09
	موظف	5.11	3.97
	أعمال حرة	9.60	5.46
الصحة وقلق الموت	طالب	6.23	4.48
	موظف	6.78	4.24
	أعمال حرة	7.80	3.26
القلق الذهني (التفكير في المستقبل)	طالب	10.59	6.07
	موظف	11.83	6.09
	أعمال حرة	12.30	7.10
اليأس من المستقبل	طالب	10.72	6.12
	موظف	10.17	3.99
	أعمال حرة	12.30	5.58
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	طالب	7.91	4.78
	موظف	6.94	2.67
	أعمال حرة	9.80	4.39
مقياس قلق المستقبل	طالب	43.18	16.14
	موظف	40.83	10.71
	أعمال حرة	51.8055	15.30

جدول (7) نتائج تحليل التباين لدلالة الفروق بين أفراد العينة في قلق المستقبل وفقا لمتغير الوظيفة

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	بين المجموعات	131.731	2	65.866	2.351	0.106
	داخل المجموعات	1316.769	47	28.016		
	الكلي	1448.500	49			
الصحة وقلق الموت	بين المجموعات	17.045	2	8.523	0.487	0.618
	داخل المجموعات	822.575	47	17.502		
	الكلي	839.620	49			
القلق الذهني(التفكير في المستقبل)	بين المجموعات	25.862	2	12.931	0.327	0.723
	داخل المجموعات	1859.918	47	39.573		
	الكلي	1885.780	49			
اليأس من المستقبل	بين المجموعات	29.756	2	14.878	0.523	0.596
	داخل المجموعات	1336.964	47	28.446		
	الكلي	1366.720	49			
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	بين المجموعات	52.457	2	26.229	1.592	0.214
	داخل المجموعات	774.363	47	16.476		
	الكلي	826.820	49			
مقياس قلق المستقبل	بين المجموعات	803.447	2	401.724	1.981	0.149
	داخل المجموعات	9531.373	47	202.795		
	الكلي	10334.820	49			

يتضح من جدول(7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية في مستوى القلق المستقبلي رغم تباين المتوسطات بين فئات الأعمال الحرة والطلبة والموظفين؛ إلا أن هذا التباين لم يبلغ مستوى الدلالة، وتنسجم هذه النتيجة مع ما ورد في الأدبيات التي تربط القلق من المستقبل بالعوامل النفسية والاجتماعية المرتبطة بخبرات الطفولة الصادمة والتي تمتد تأثيراتها إلى مراحل لاحقة من الحياة، كما توضح نتائج الدراسة أن النظرة السلبية للمستقبل تعزز مشاعر الخوف وعدم الأمان وترتبط بزيادة المشكلات السلوكية والاضطرابات الانفعالية مما قد يجعل الفرد أكثر عرضة للمخاطر النفسية والاجتماعية ويؤثر سلباً في جودة حياته وانخفاض تقدير الذات مما يسهم في ارتفاع مستويات القلق المستقبلي نتيجة لتجارب النقص وفقدان الدعم الأسري الأمر الذي يضعف الثقة بالنفس ويزيد الشعور بالعجز والإحباط.

ينص الفرض السادس على أنه: توجد فروق دالة احصائيا في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقاً لمتغير النوع، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف المعياري واختبار(t) لدراسة الفروق بين الجنسين في مستوى الطموح والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (8) نتائج اختبار(t) لدلالة الفروق في مستوى الطموح وفقاً لمتغير النوع

الابعاد	النوع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
التفاؤل	ذكر	21.59	5.96	48	0.421	0.676
	أنثى	20.87	6.16			
المقدرة على وضع الاهداف	ذكر	20.44	5.68		1.74	0.088
	أنثى	17.78	5.02			
تقبل الجديد	ذكر	16.41	3.21		2.33	0.024
	أنثى	14.35	2.99			
تحمل الاحباط	ذكر	11.04	2.94		2.95	0.005
	أنثى	8.69	2.61			
مقياس مستوى الطموح	ذكر	69.48	15.02		1.97	0.054
	أنثى	61.69	12.45			

تشير نتائج جدول (8) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في بعد التفاؤل حيث بلغت قيمة (t=0.421)عند مستوى دلالة(0.676)، وكذلك في الدرجة الكلية لمقياس الطموح إذ بلغت قيمة(t=197) عند مستوى دلالة (0.054) وهو مستوى غير دال إحصائياً، مما يدل على تقارب مستوى الطموح العام بين الذكور والإناث، وفي المقابل كشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بعض الأبعاد الفرعية، حيث ظهرت فروق دالة في بعد تقبل الجديد حيث بلغت قيمة(t = 2.33) عند مستوى دلالة(0.024)، وبعد تحمل الإحباط حيث بلغت قيمة(t = 2.95) عند مستوى دلالة(0.005)، وكانت هذه الفروق لصالح الذكور، مما يشير إلى تمتعهم بدرجة أعلى من المرونة النفسية والقدرة على التكيف مع المواقف الضاغطة، كما تشير النتائج إلى وجود فروق في بعد القدرة على وضع الأهداف حيث بلغت قيمة(t = 1.74) عند مستوى دلالة(0.088) إلا أنها لم تصل إلى مستوى الدلالة رغم ميل المتوسطات لصالح الذكور، وتعكس هذه النتائج أن الفروق المرتبطة بالنوع لا تظهر في مستوى الطموح ككل، وإنما تتركز في بعض المكونات النوعية المرتبطة بالسلوك الأنجازي والتكيف مع التحديات، ويمكن تفسير هذه النتائج في ضوء تأثير التنشئة الاجتماعية، حيث تشير الأدبيات إلى أن الذكور غالباً ما يشجعون على الاستقلالية والمجازفة واتخاذ القرار، مما يعزز لديهم القدرة على مواجهة التحديات وتحمل الإحباط، مقارنة بالإناث اللواتي قد يتعرضن لأنماط تنشئة أكثر تحفظاً في بعض السياقات الثقافية، وهذه النتيجة تدعم ما أشار إليه Bandura,1997 في نظرية الكفاءة الذاتية، حيث أوضح أن الخبرات

الاجتماعية والتوقعات المجتمعية تسهم في تشكيل معتقدات الفرد حول قدرته على النجاح، وهو ما يفسر تفوق الذكور في أبعاد مثل تحمل الإحباط وتقبل الجديد.

ينص الفرض السابع على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير المستوى التعليمي، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف المعياري واختبار (t) لدراسة الفروق بين أفراد العينة في مستوى الطموح وفقا لمتغير المستوى التعليمي والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (9) نتائج اختبار (t) لدلالة الفروق في مستوى الطموح وفقا لمتغير المستوى التعليمي

الابعاد	المستوى التعليمي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
التفاؤل	متوسط	20.64	5.52	48	.727 0	0.471
	عالي	21.88	6.50			
المقدرة على وضع الاهداف	متوسط	19.60	6.33		0.485	0.630
	عالي	18.84	4.61			
تقبل الجديد	متوسط	14.88	3.20		1.27	0.211
	عالي	16.04	3.26			
تحمل الاحباط	متوسط	9.09	3.15		2.14	0.037
	عالي	10.84	2.64			
مقياس مستوى الطموح	متوسط	64.20	14.80		.838 0	0.406
	عالي	67.60	13.88			

يتضح من جدول(9) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية في مستوى الطموح بوجه عام تعزى إلى المستوى التعليمي باستثناء بعد(تحمل الاحباط) الذي ظهرت فيه الفروق لصالح ذوي المستويات التعليمية العليا، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه دراسة فلاته والشريف(2021) إذ يمكن تفسيرها بأن أفراد هذه الفئة يتقاسمون ظروفاً حياتية متقاربة تتسم بالقلق إزاء المستقبل وافتقارهم إلى الدعم النفسي والاجتماعي مما يؤدي إلى استنزاف قدراتهم الذهنية وعرقلة قدرتهم على تحديد أهداف حياتية واضحة وهو ما ينعكس سلباً على مستوى طموحهم، كما قد تعزى هذه النتيجة إلى طبيعة البيئة التربوية التي نشأوا فيها والتي يغلب عليها الشعور بالخوف وعدم اليقين وضعف الثقة بالنفس، وتعد هذه العوامل من أهم المحددات المؤثرة في تشكيل مستوى الطموح لكونها تؤثر بصورة مباشرة في نموهم النفسي والاجتماعي، وتضعف من إدراكهم لذواتهم وثقتهم بقدراتهم مما يدفعهم إلى تبني مستويات طموح أدنى مقارنة بأقرانهم

ينص الفرض الثامن على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية، وللتحقق من صحة هذا الفرض تم استخدام كل من المتوسط والانحراف المعياري واختبار(t) لدراسة الفروق بين أفراد العينة في مستوى الطموح وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (10) نتائج اختبار (t) لدلالة الفروق في مستوى الطموح وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية

الابعاد	الحالة الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة t	مستوى الدلالة
التفاؤل	أعزب	21.17	5.97	48	0.249	0.804
	متزوج	21.75	6.54			
المقدرة على وضع الاهداف	أعزب	19.57	5.50		1.03	0.305
	متزوج	17.37	5.39			
تقبل الجديد	أعزب	15.42	3.37		0.155	0.877
	متزوج	15.62	2.72			
تحمل الاحباط	أعزب	9.92	3.01		0.167	0.888
	متزوج	10.12	3.23			
مقياس مستوى الطموح	أعزب	66.09	14.46		0.219	0.828
	متزوج	64.87	14.35			

يتضح من جدول(10)عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية في مستوى الطموح تعزى إلى الحالة الاجتماعية، ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى أن أفراد العينة سواء العازبون أو المتزوجون يتجهون إلى التقدم، وتحديد الأهداف والخطط لحياتهم، والميل للكفاح وتحمل المسؤولية، والمثابرة والايمان بالحظ، والآمال، والتطلعات ووضع خطط وآمال، وطموح إلى مرتبة اجتماعية فنظرة الفرد إلى المستقبل من أهم القوى الدافعة التي تؤثر في مستوى الطموح، ونظراً لظروف الأيتام ووضعهم الاجتماعي، دفعهم ذلك للتطلع إلى حياتهم المستقبلية والأمل في مستقبل زاهر، ويرجع أيضا إلى العوامل المؤثرة في مستوى الطموح التي منها الظروف البيئية المحيطة مما يعني أنهم تلقوا نفس النصح، والفلسفة في دار الرعاية.

ينص الفرض التاسع على أنه: توجد فروق دالة إحصائياً في مستوى الطموح لدى الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة، وللتحقق من صحة هذا الفرض فقد تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي لدراسة الفروق بين الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية وفقا لمتغير الوظيفة والجداول التالية توضح ذلك.

جدول (11) المتوسطات والانحرافات المعيارية للعينة في مستوى الطموح وفقاً لمتغير الوظيفة

الابعاد	الوظيفة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التفاؤل	طالب	22.32	5.11
	موظف	22.67	5.73
	أعمال حرة	16.40	6.35
المقدرة على وضع الاهداف	طالب	19.68	5.64
	موظف	19.89	5.06
	أعمال حرة	17.00	5.90
تقبل الجديد	طالب	15.09	3.75
	موظف	16.11	2.56
	أعمال حرة	15.10	3.31
تحمل الاحباط	طالب	9.41	3.11
	موظف	10.28	3.08
	أعمال حرة	10.60	2.71
مقياس مستوى الطموح	طالب	66.50	14.88
	موظف	68.91	12.82
	أعمال حرة	59.10	14.71

جدول(12) نتائج تحليل التباين لدلالة الفروق بين أفراد العينة في مستوى الطموح وفقا لمتغير الوظيفة

الأبعاد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
التفاؤل	بين المجموعات	296.447	2	148.224	4.742	0.013
	داخل المجموعات	1469.173	47	31.259		
	الكلي	1765.620	49			
المقدرة على وضع الاهداف	بين المجموعات	62.029	2	31.015	1.028	0.366
	داخل المجموعات	1418.551	47	30.182		
	الكلي	1480.580	49			
تقبل الجديد	بين المجموعات	11.924	2	5.962	0.553	0.579
	داخل المجموعات	506.496	47	10.777		
	الكلي	518.420	49			
تحمل الاحباط	بين المجموعات	12.591	2	6.295	0.686	0.509
	داخل المجموعات	431.329	47	9.177		
	الكلي	443.920	49			

مقياس مستوى الطموح	بين المجموعات	637.156	2	318.578	1.594	.214
	داخل المجموعات	9391.344	47	199.816		
	الكلي	10028.500	49			

يتضح من جدول (12) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في مستوى الطموح تبعاً لمتغير الوظيفة باستثناء بعد(التفاؤل) التي جاءت نتائجها لصالح الموظفين، ويمكن تفسير هذه النتيجة من خلال مراجعة التراث والنظريات المفسرة التي تؤكد أن مستوى الطموح يعد صفة ثابتة نسبياً لدى الفرد، وتتأثر بعوامل متعددة مثل الأهداف، والقدرات، والإنجازات، والخبرات، والنجاح أو الفشل، فضلاً عن البعد النفسي والاجتماعي، إلى جانب النمط التربوي وطبيعة البيئة المحيطة بالفرد، وإذا كانت السلوكيات الإنسانية تتباين، فإن مستوى الطموح كذلك يتفاوت تبعاً لعدد من المؤثرات التي قد تكون ثابتة أو متغيرة مثل المعوقات والفرص، ومن ثم فإن التباين في مستويات الطموح بين المجموعات يمكن تفسيره بالظروف والتجارب التي يمر بها الأفراد فبعض الأفراد يرتفع مستوى طموحهم بعد تحقيق النجاح, بينما قد يزداد الطموح لدى آخرين بعد التعرض للفشل في حين يتراجع لدى البعض نتيجة الإحباط أو العجز وبالتالي يختلف أثر الفشل والنجاح على مستوى الطموح من شخص لأخر بحسب طبيعة شخصيته واستجابته للمواقف المختلفة.

ينص الفرض العاشر على أنه: يسهم قلق المستقبل في التنبؤ بمستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية، ولاختبار صحة هذا الفرض ومعرفة ما أذا كان قلق المستقبل لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية يمكن أن يتنبأ بمستوى الطموح لديهم تم إجراء اختبار تحليل الانحدار البسيط لمقياس قلق المستقبل ومستوى الطموح والجدول التالي توضح ذلك.

جدول (13) نتائج تحليل الانحدار باعتبار قلق المستقبل متغيراً منبئاً ومستوى الطموح متغيراً تابعاً

المتغير المنبئ	المتغير التابع	R	R2	قيمة T	دلالة T	قيمة F	دلالة F	معامل الانحدار (B)	معامل الانحدار (Beta)	القيمة الثابتة
القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية	مستوى الطموح	.320	.103	4.26	.000	5.485	.023	14.920	.320	148.539
الصحة وقلق الموت	مستوى الطموح	.379	.144	5.36	.000	8.04	.007	13.964	.379	120.503
القلق الذهني (التفكير في المستقبل)	مستوى الطموح	.152	.023	3.768	.000	1.13	.293	15.711	.152	43.318
اليأس من المستقبل	مستوى الطموح	.009	.000	3.07	.003	.004	.953	11.05	.009	.101
الخوف والقلق من الفشل في المستقبل	مستوى الطموح	.111	.012	3.61	.001	.594	.445	10.03	.111	10.103
مقياس قلق المستقبل	مستوى الطموح	.358	.128	7.37	.000	7.034	.011	67.977	.358	1320.977

يتضح من الجدول(13) قلق المستقبل يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 12.8**%** من تباين قلق المستقبل, كما يتضح أن القلق المتعلق بالمشكلات الحياتية يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 10.3**%**, وأن الصحة وقلق الموت تسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 14.4**%** , وأن القلق الذهني(التفكير في المستقبل) يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 2.3 **%** , وأن الخوف والقلق من الفشل في المستقبل يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 1.2**%** في حين أن اليأس من المستقبل يسهم في التنبؤ بمستوى الطموح بنسبة 0**%** وذلك بتطبيق معادلة الانحدار للتنبؤ وأن قيم (T) دالة, وبعض قيم(F) دالة أذن قلق المستقبل له علاقة بالتنبؤ بمستوى الطموح حيث تشير هذه النسب إلى وجود علاقة عكسية بين قلق المستقبل ومستوى الطموح، حيث يؤدي ارتفاع مستوى القلق إلى انخفاض ملحوظ في مستوى الطموح، كما يوضح الجدول أن قلق المستقل يشكل أحد العوامل الأساسية المؤثرة في مستوى الطموح إذ تظهر النتائج وجود علاقة ارتباط سلبية بين المتغيرين ويعزى ذلك إلى أن الفرد القلق بشأن مستقبله غالباً ما يتبنى نظرة تشاؤمية تجاه ما ينتظره مما يزيد من انشغاله بالمخاوف المحتملة ويضعف دافعيته نحو بذل الجهد وتحقيق الأهداف إضافة إلى ذلك فأن سيطرة القلق على التفكير قد تؤدي إلى التشتت وفقدان القدرة على التخطيط المنظم واتخاذ القرارات المناسبة، الأمر الذي ينعكس سلباً على مستوى الطموح وقد يدفع الفرد إلى تجنب الأهداف أو الانسحاب منها، وتتوافق هذه النتائج مع ما أشارت إليه دراسة كل من(خليل، 2002)،(حنتول، 2012) بأن ارتفاع مستوى القلق يسهم في انخفاض مستوى الطموح لدى الفرد نتيجة شعوره بعدم الاستقرار وتراجع ثقته بقدرته على مواجهة التحديات المستقبلية.

التوصيات:

1- تقديم البرامج الإرشادية التي تساعد الأيتام والمحرومين من الرعاية الوالدية على خفض مستوى قلق المستقبل, والرضا عن حياتهم وتحقيق جودة الحياة لديهم.

2- القيام بحملات وإرشادات لفئة الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية لما للحرمان من أثار وخيمة على شخصيتهم.

3- توعية الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية بقدراتهم وإمكانياتهم وتنميتها من خلال مختلف النشاطات التي تتناسب معهم للخفض من قلقهم نحو المستقبل وزيادة مستوى طموحهم.

البحوث المقترحة:

1- دراسة علاقة متغيرات نفسية أخرى مع مفهوم قلق المستقبل ومستوى الطموح لم تهتم الدراسة الحالية بها.

2- دراسة علاقة قلق المستقبل ومستوى الطموح بمتغيرات ديموغرافية أخرى.

3- دراسة مفهوم قلق المستقبل ومستوى الطموح لدى فئات عمرية أخرى.

4- بناء برامج إرشادية وثقافية لخفض قلق المستقبل، وزيادة مستوى الطموح لدى الأيتام المحرومين من الرعاية الوالدية.

المراجع

- باظه، أمال عبد السميع (2004). ***مقياس مستوى الطموح لدى المراهقين والشباب***، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- بدر، إبراهيم محمود (2003). مستوى التوجه نحو المستقبل وعلاقته ببعض الاضطرابات لدى الشباب الجامعي دراسة مقارنة بين عينات مصرية وسعودية، ***المجلة المصرية للدراسات النفسية***، المجلد 13، القاهرة .
- الجبوري، محمد عبد الهادي (2013). ***قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات والطموح الأكاديمي والاتجاه للاندماج الاجتماعي لطلبة التعليم المفتوح***، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والتربية، الاكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك.
- حسين، عبد العظيم طه (2007). ***العلاج النفسي والمعرفي مفاهيم وتطبيقات***، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة.
- حنتول، أحمد موسى محمد(2012). ***فاعلية برنامج إرشادي نفسي مقترح لتخفيف قلق المستقبل وأثره على دافعية الانجاز ومستوى الطموح لدى طلاب كلية المجتمع بجامعة جازان***، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلام www.libback.edu
- الخالدي، عطا والعلمي دلال(2009). ***الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق***، عمان: دار صفاء للنشر.
- خليل، هيام السيد(2002) . ***العلاقة بين توجهات الأهداف والطموح المهني لدى عينه من طلاب الجامعة***، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة عين شمس.
- الدحيات، أمل صالح (2007) . ***دراسة مقارنة في سمات الشخصية للأيتام الذين ترعاهم المؤسسات الاجتماعية والأيتام الذين ترعاهم أسرهم***، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة مؤتة.
- الزبير، نادية الأمين (2017). قلق المستقبل وعلاقته بمستوى الطموح لدى طالبات كليات التربية في الجامعات السودانية (**طالبات** كلية التربية – حنتوب، بجامعة الجزيرة نموذجاً)، ***مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل***، العدد (36) , 115- 129.
- الزعلان، إيمان حمدي درويش (2015). ***قلق المستقبل وعلاقته بسمات الشخصية لدى الأطفال مجهولي النسب "في مؤسسات الإيواء والمحتضنين لدى أسر بديلة***"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الزواهرة، محمد (2015). العلاقة بين الصلابة النفسية وقلق المستقبل ومستوى الطموح لدى طلبة جامعة حائل بالسعودية، ***مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية***،3(10) ،47-80.
- السبعاوي، فضيلة (2007). ***قلق المستقبل لدى طلبة كلية التربية وعلاقته بالجنس والتخصص***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل.
- سرحان، نظيمة أحمد محمود(1993). العلاقة بين مستوى الطموح والرضا المهني للأخصائيين الاجتماعيين، ***مجلة علم النفس***، 7(28), 112- 124.
- سعود، ناهد شريف (2005). ***قلق المستقبل وعلاقته بسمتي التفاؤل والتشاؤم***، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا.
- شقير، زينب محمود (2005). ***مقياس قلق المستقبل***, القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

- شلهوب، دعاء جهاد (2016). ***قلق المستقبل وعلاقته بالصلابة النفسية (دراسة ميدانية لدى عينة من الشباب في مراكز الإيواء المؤقت في مدينتي دمشق والسويداء)***, سالة ماجستير غير منشورة، كليــة التربيــة جــامعــة دمشـق.
- عشري، محمود محي الدين (2004). قلق المستقبل وعلاقته ببعض المتغيرات الثقافية، دراسة حضارية مقارنة بين طلاب بعض كليات التربية بمصر وسلطنة عمان، ***المؤتمر السنوي الحادي عشر للإرشاد النفسي بجامعة عين شمس***، المجلد الأول.
- عياش، جهاد عطية (2009). ***مدى فاعلية برنامج إرشادي مقترح للتخفيف من السلوك العدواني لدى أطفال مؤسسات الإيواء في قطاع غزة***، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، عمادة الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، غزة.
- فريح، عزازى إسماعيل (2012). ***الحاجات النفسية والاجتماعية المرتبطة بقلق المستقبل لدى المراهقين مجهولي النسب من المنظور التربوي***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- فلاته، نهلة طلال والشريف، ليلى مبارك (2021) .الأفكار اللاعقلانية وعلاقتها بمستوى الطموح لدى مراهقات دار الأيتام بمكة المكرمة, ***مجلة العلوم التربوية والنفسية***, 5(20), 25−51.
- قشطة، لمياء محمد (2017). ***الحرمان العاطفي الأبوي وعلاقته بالاكتئاب وقلق المستقبل (دراسة مقارنة الأيتام في مراكز الإيواء وأقرانهم)***، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بجامعة الأزهر، غزة، فلسطين.
- كلاب، نسرين (2014). ***إشباع الحاجات النفسية وعلاقتها بقلق المستقبل لدى المراهقين الأيتام المقيمين في المؤسسات الإيوائية وغير الإيوائية بمحافظات غزة (دراسة مقارنة)***، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- المشيخي، غالب بن محمد (2009). ***قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح لدى عينة من طلاب جامعة الطائف***، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة ام القرى.
- المصري، نيفين عبد الرحمن (2011). ***قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح الأكاديمي لدى عينة من طلبة جامعة الأزهر بغزة***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر بغزة.
- معوض، محمد عبد التواب وسيد عبد العظيم (2005). ***مقياس مستوى الطموح***، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- منظمة قرى الأطفال الدولية SOS (2004). ***دليل عمل منظمة قرى الأطفالSOS***, عمان: الأردن.
- AbuGhazal, M. (2009). Child emotional and social development. Ministry of Culture Publication Series, Amman.
- Bandura, A.(1997). Self – efficacy: The exercise of control. New York: W.H. Freeman and Company.
- Humara, M. (1999). The Relationship between Anxiety and Performance: A Cognitive – Behavioral Perspective. The Online, ***Journal of Sport Psychology***,1(2),1–10
- Rrffaril, H. Marcela, M. Koller, A. & Silvia, H.(2005).Future expectations of Brazillian street youth, ***Journal of Adolescence***,28(2), 249-262.
- Preliminary research. - Zaleski, Z. (1996). Future Anxiety: Concept Measurement and Personality and individual difference, 21(2), 165- 174.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 211-231, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/d5ztya70

Research Article

Open Access

الأمراض والأوبئة في الأندلس من القرن الثاني إلى القرن التاسع الهجري: دراسة تاريخية في آثارها وانعكاساتها

ريم محمود محمد راشد[1]*

الباحث الأول[1]*:
قسم التاريخ، كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، ليبيا

المستخلص: يتناول هذا البحث دراسة الأمراض والأوبئة التي عرفتها الأندلس خلال الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن التاسع الهجري/ الثامن – الخامس عشر الميلادي، باعتبارها ظاهرة تاريخية ذات تأثير واسع على مختلف جوانب الحياة، فقد شهدت الأندلس مثل غيرها من الحواضر الإسلامية والأوروبية موجات متعاقبة من الأمراض الفتاكة كالطاعون والجدري والجذام، والتي تركت بصماتها الواضحة على البنية السكانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويسعى البحث إلى تحليل انعكاسات هذه الجوائح على التوازن الديمغرافي، ودورها في تحولات المشهد الحضري، إضافة إلى أثرها في النشاط الاقتصادي، كما سلط الضوء على دور المؤسسات الطبية، وإسهامات كبار الأطباء في تطوير الممارسات الطبية والعلاجية، كما يبرز تفاعل المجتمع الأندلسي مع تلك الكوارث من خلال الإجراءات الوقائية والاحترازية التي اتخذتها السلطات واللجوء إلى الطب التقليدي، ويعتمد البحث على مجموعة المصادر التاريخية بهدف إبراز صورة شاملة عن طبيعة هذه الأزمات الصحية وانعكاساتها المتعددة، ومن خلال ذلك يسعى إلى تقديم قراءة جديدة تسلط الضوء على العلاقة بين الأوبئة والتحولات الكبرى التي عرفها تاريخ الأندلس السياسي والحضاري.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، البيمارستانات، الطاعون، الجدري، الاندلس.

***Corresponding author:**
Reem M. Rashed
re.rashed@uot.edu.ly
Department of History,
University of Tripoli,
Tripoli, Libya

Received:
21-01-2026

Accepted:
19-02-2026

Published online:
30-04-2026

Diseases and Epidemics in al-Andalus from the 2nd to the 9th Hijri Century: A Historical Study of Their Effects and Repercussions

Abstract: This study examines the diseases and epidemics that afflicted al-Andalus during the period extending from the 2nd to the 9th century AH / 8th to 15th century CE, viewing them as a historical phenomenon with profound impact on various aspects of life. Like other Islamic and European centers, al-Andalus experienced successive waves of deadly diseases such as plague, smallpox, and leprosy, which left clear marks on its demographic, social, economic, and cultural structures. The research seeks to analyze the repercussions of these epidemics on demographic balance and their role in shaping urban transformations, in addition to their effects on economic activity. It also highlights the role of medical institutions and the contributions of prominent physicians in advancing medical and therapeutic practices. Furthermore, the study emphasizes Andalusi society's response to these crises through preventive and precautionary measures implemented by the authorities, as well as recourse to traditional medicine. Drawing upon a wide range of historical sources, the research aims to provide a comprehensive picture of the nature of these health crises and their multiple consequences, ultimately offering a fresh perspective on the relationship between epidemics and the major political and civilizational transformations that marked the history of al-Andalus.

Keywords: Epidemics, Bimaristans, Plague, Smallpox, Al-Andalus

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

مثّلت الأندلس فضاءً حضارياً متفرداً، حيث كان للثقافة الإسلامية دوراً مهماً في تطور العلوم والمعارف، مما أدى إلى نهضة علمية وطبية استثنائية، غير أن هذا الازدهار لم يكن بمنأى عن التحديات الكبرى، وعلى رأسها الأمراض والأوبئة التي كانت تضرب المجتمعات في العصور الوسطى بلا تمييز، فقد عرفت مدن الأندلس من قرطبة إلى إشبيلية وغرناطة موجات متكررة من الطواعين والجدري والأمراض الحموية، مخلفة آثاراً عميقة على السكان والاقتصاد والعمران. ولم تكن هذه الجوائح مجرد أحداث صحية عابرة بل شكلت لحظات مفصلية أعادت رسم ملامح المجتمع الأندلسي، ودفعت الأطباء والعلماء والسلطات إلى البحث عن وسائل للوقاية والعلاج، بين الموروث الطبي العقلاني والطب الشعبي المتجذر في العادات والتقاليد، وانطلاقاً من ذلك يسعى هذا البحث إلى استجلاء أثر الأوبئة في الأندلس عبر قراءة تاريخية تحليلية تقارن التجربة الأندلسية بغيرها من تجارب المشرق الإسلامي وأوروبا، مبرزاً الدروس التي يمكن أن تمدّ الحاضر بأدوات لفهم الأزمات الصحية الراهنة والتعامل معها.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الموضوع قد حظي باهتمام عدد من الباحثين، حيث وقفنا على مجموعة من الدراسات التي تناولت الأمراض والأوبئة في الأندلس من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ومع كل الجهود القيّمة التي بذلتها هذه الدراسات في إبراز ملامح تلك المرحلة، فإننا نأمل أن تسهم هذه الدراسة في إضافة ولو قدر يسير إلى مسار البحث في التاريخ الإسلامي، من خلال تقديم رؤية موسعة تكشف جانباً حيوياً من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمجتمع عُرف بازدهاره العلمي والحضاري، وتساعد على فهم كيفية تعامل المجتمعات القديمة مع الجوائح.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسهم في إلقاء الضوء على جانب حيوي من تاريخ الأندلس، حيث شكّلت الأوبئة والأمراض أحد العوامل المفصلية التي أثّرت في مسار المجتمع الأندلسي خلال الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادي، كما يساعد هذا البحث على إبراز دور الأطباء والعلماء الأندلسيين في إثراء التراث الطبي الإسلامي، وكشف تفاعل التجربة الأندلسية مع مراكز العلم في المشرق وأوروبا، مما يمنح فهماً أعمق لآليات مواجهة المجتمعات التاريخية للأزمات الصحية، وتزداد أهمية هذا الموضوع في الحاضر من خلال الدروس التي يقدّمها في إدارة الأوبئة، والتي يمكن مقارنتها بما يشهده العالم اليوم من تحديات صحية كبرى.

أولاً/ المفهوم والدلالة:

1. الأمراض: عّرف أهل الطب المرض بأنه اختلال في التوازن الطبيعي ويجب إصلاحه، وهذا أساس الطب الغربي(العقلاني) الذي بدأ مع أبقراط، والذي يعتمد على علاج الأمزجة، فالمرض هو الاضطراب الوظيفي المتطور، وهو ليس حالة ثابتة، وإنما حالة حركة متطورة تطوراً غير طبيعي في جسم الإنسان وهذا التطور قد يأخذ فترة طويلة أو قصيرة ولكنه ينتهي دائماً بنتيجة قد تكون إما الشفاء التام أو الوفاة أو تقف في مرحلة وسط تعمل على إعداد الجسم لظروف جديدة **(راشد، 2021، ص32)**.

في الصحاح نجد "المرض بأنه السقم" **(الجوهري ت393هـ، د.ت، ج4، ص243)** وفي لسان العرب المرض هو السقم وهو ضج الصحة **(ابن منظور ت711هـ، د.ت، ج1، ص189)**، والمرض والمُرض هو فساد المزاج وإظلام الطبيعة واضطرابها يعد صفائها واعتدالها، وقيل هو حالة خارجة من الطبع ضارة بالفعل والمقابل لها هو الصحة، ويضاف إلى ذلك أن المرض يختص بالنفس **(البستاني ت1300هـ، 1987، ص846)**.

أما ابن سينا فقد عّرف المرض بقوله:" هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوباً أولياً وذلك إما مزاج غير طبيعي وإما تركيب غير طبيعي" **(ابن سينا ت428هـ، 1999، ج1 ص103)** نستنتج من ذلك أن المرض هو وضع غير طبيعي في جسم الإنسان يؤدي إلى وضع مرتبك مخالف للصحة.

2. الأوبئة:- ورد لفظ الوباء ليدل على المرض العام، ومنه الوَبأٌ الذي قابل دَلالياً مفردة الطاعون وجمع الممدود أوْبئةُ، وجمع المقصور أوْبَاءُ ويقال في اللغة تَوْبَأُ فهي مَوْبُوءَةُ إذا كَثُرَ مَرَضُهَا، وكذلك وُبِئَتْ تَوْبَأُ وَبَاءةً فهي وِبِئةُ، وأَوْبَأَتْ أيضاً فهي مُوبِئَةُ واسْتوبَأْتُ الأَرْضَ، وجدتها وَبِيئَةً **(ابن منظور، ج1، ص189)**، ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف فيقال: احذر القَرَفَ في غنمك وقيل: القَرَفُ هو العدوى **(ابن منظور، ج9، ص18)** ويسمى كذلك بالمرض الوافد، لأنه يصيب الإنسان عن طريق الهواء، أو المرض العام، لأنه يشمل عدداً من الناس ويقول ابن خاتمة أنه مرض عام للناس قتال غالباً ما يكون من سبب مشترك **(ابن خاتمة ت770هـ، 1988 ص162)**.

ورد مفهوم الوباء في كثير من المصنفات العربية إذ ذكر الأنطاكي أن الوباء يكون مرتبطاً بالهواء المتعفن ويضيف مؤكداً أنه: "تغير الهواء للفساد" **(الأنطاكي ت1008هـ، 1995، ص333)**، وهو عند ابن الخطيب **(ابن الخطيب ت776هـ،2015، ص65)**: "مرض حاد حار السبب، سُمَّيُّ المادة، يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل رطوباته إلى السمية، وقد اعتاد الناس على إطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم، وقد اصطلح على الأوبئة أيضاً اسم (الأمراض الوافدة)، لأنها قادمة على الناس من بعد مع الهواء ليست من جهة مطعوم ولا مشروب ولا عرض

نفساني وشبه ذلك، أما طبياً فهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان وهناك من يعرفه بأنه مادة سمية تحدث ورماً قاتلاً **(راشد، 2021، ص33)**، درس المؤرخون الأمراض والأوبئة بدقة كونها تصف مجموعة من الأعراض التي تصيب الدولة في فترات مختلفة وغالباً ما يأتي حدوثها بعد المجاعات، فيذكر ابن خلدون أن الوباء يأتي ملازماً للمجاعة ويمثل عارضاً يصيب الدولة في آخر عمرها ويعجل بزوالها، ويضيف أن كثرة العمران وما يصاحبه من فساد الهواء أحد أسباب الأوبئة **(ابن خلدون ت808هـ، 2005، ص110)**.

مما سبق نلحظ أن المجاميع اللغوية لم تفصل بين مصطلحي الوباء والطاعون، رغم تعارض الخطاب الديني والتاريخي مع الخطاب الطبي في دقة البعد الوظيفي للمصطلح، فقد بقى المرض العام يوصف بمصطلحات مثل الوباء، الطاعون، الموتان.

بناءً على التعريفات السابقة يمكننا استنتاج مقاربة أولية مفادها أن الوباء هو المرض الوافد العام الشامل، والذي يعتبر أعم من الطاعون **(الرصاع ت894هـ، 2007، ص107)**، والأخير–الطاعون– أخص من الوباء، حيث تظهر أعراض الوباء على الإنسان كالحميات العفنة، والجدري **(العسقلاني، 1990 ص104)**.

ثانياً/ الأوضاع الصحية في الأندلس:

1. لمحة عن النظام الصحي:

تطور النظام الصحي في الأندلس بدعم من الحكام الأمويين، وخاصة عبد الرحمن الناصر(300–350هـ) الذي أسس مؤسسات طبية متقدمة في قرطبة، مما جعلها مركزاً للطب في العالم الإسلامي شمل النظام الصحي وضع تشريعات صارمة لتنظيم المهن الطبية، واشترطت هذه التشريعات اجتياز امتحانات للحصول على ترخيص ممارسة الطب، مما يعكس مستوى عالٍ من التنظيم المهني، لقد بلغ الطب والصيدلة في الأندلس عصرهما الذهبي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وازدهر الإنتاج الطبي حتى عُدت الأندلس صاحبة تجربة كبيرة كان لها أثر كبير في الحضارة الإسلامية وقد استلهمت الأندلس نموذج البيمارستانات من المشرق الإسلامي، لكنها طورتها لتناسب بيئتها المحلية من خلال إنشاء مرافق طبية تقدم خدمات مجانية للفقراء والمرضى النفسيين، مع التركيز على النظافة والرعاية الشاملة **(فيلالي، 2010، ص19)**، كانت الأندلس رائدة في إنشاء أنظمة صرف صحي متقدمة مثل قنوات المياه في قرطبة، التي ساهمت في تحسين الصحة العامة وتقليل انتشار الأمراض المعدية ودعم الحكام مثل الحكم الثاني (350–366هـ)، إنشاء مكتبات طبية ضخمة تضمنت آلاف المخطوطات الطبية، حيث كلف رجاله بجلب الكتب من دمشق وبغداد والإسكندرية، مما عزز البحث العلمي والتعليم الطبي، كما شجعت الأوقاف الإسلامية تمويل البيمارستانات والصيدليات، مما جعل الرعاية الصحية متاحة لشرائح واسعة من المجتمع، بما في ذلك الأقليات الدينية **(فيلالي، ص84)**.

2. المرافق الطبية:

– **البيمارستان:** هو مكان لعلاج المرضى أو المستشفى بلغة العصر الحديث، وقد كانت البيمارستانات في الأندلس مراكز طبية متقدمة مثل بيمارستان قرطبة الذي أُسس في القرن العاشر، وبيمارستان غرناطة في القرن الرابع عشر، وتضمنت هذه المراكز أقساماً منفصلة لعلاج المرضى من الرجال، وأخرى لعلاج النساء **(زرهوني، 2006، ص91)**، بالإضافة إلى أقسام متخصصة لعلاج الأمراض النفسية، وهي ميزة فريدة مقارنة بالمستشفيات الأوروبية في تلك الفترة، وكانت البيمارستانات تقدم خدمات مجانية ممولة من الأوقاف والخزينة الحكومية، حيث كانت الدولة تتكفل بدواء المرضى وتغذيتهم وثيابهم، كما كانت مجهزة بمختبرات لصناعة وتحضير الأدوية والمعاجين الطبية التي يحتاجها المرضى **(عبد الغني، 2020، ص9)** وإلى جانب كونها أماكن للعلاج كانت بمثابة مدارس طبية لتعليم الطب، وكانت العلوم الأساسية تدرس على يد معلمين خاصين، وكانت البيمارستانات الإسلامية أول المؤسسات الطبية التي تحتفظ بسجلات مكتوبة عن الحالة الصحية للمرضى ونظام علاجهم، وكان الطلاب هم المسؤولين عن تدوين حالة المرضى تحت إشراف الأطباء وكانت الاختبارات إجبارية ولا يمارس الطب سوى المؤهلين لذلك **(بوكرابيلة، 2021، ص427)**.

– **الصيدليات:** تعتبر من المؤسسات الإستشفائية التي لم تكن منفصلة عن الطب، وقد انتشرت الصيدليات في المدن الكبرى مثل إشبيلية، قرطبة، وطليطلة، ونظراً لأهمية مهنة الصيدلة وتعلقها بحياة الناس، فقد خضعت لمراقبة صارمة من قبل المحتسبين لضمان جودة الأدوية وسلامتها، حيث فرض على الصيادلة قواعد صارمة لتحضير الأدوية، مثل استخدام مكونات طازجة وتجنب المواد الفاسدة وكان الصيادلة في الأندلس على دراية واسعة بعلم العقاقير مستفيدين من أعمال ابن البيطار الذي وثّق خصائص مئات النباتات الطبية **(حسين، 2018، ص106)**.

أولى الأطباء الصيادلة اهتمام كبير للوقاية وحفظ الصحة، واهتموا بالأمراض الوبائية، فكان للطبيبين ابن زهر (ت557هـ) وابن رشد (ت595هـ) الفضل في اكتشاف عدم إصابة مريض الجذري بالمرض مرة ثانية، وكان لصيادلة الأندلس انتاجات ونظريات علمية، حيث صنع المهتمون بالعلاجات أدوية مفردة ومركبة وعقاقير **(بوكرابيلة، ص428)**، أخضعت السلطات في الأندلس الأطباء والصيادلة إلى رقابة الدولة لمنع الغش ووكلت المحتسب بوضع قوانين ممارسة الطب، وتحديد المسؤولية الطبية للطبيب اتجاه مرضاه في حالة وقوع الضرر كما يفرض المحتسب عقوبات على كل خطأ أو إهمال اتجاه الإنسان أو الحيوان على حد سواء.

– **منازل الأطباء:** تعتبر منازل الأطباء من أقدم أماكن العلاج وأكثرها دواماً، فقد ظلت حاضرة طيلة العصر الوسيط، حيث فتح كثير من الأطباء أبواب منازلهم لاستقبال المرضى وعلاجهم، وخصصوا أماكن ومقاعد للانتظار **(بو لقدام، 2024، ص59)**.

- **الأسواق الصحية:** تعتبر الأسواق من المرافق الاقتصادية المهمة في أي مدينة، وللحفاظ على صحة السوق، حيث كلفت الدولة المحتسبين لمراقبة أوضاع الأسواق، فقد كانت النظافة مشروطة وفرض على أصحاب الدكاكين تنظيف ما حول دكاكينهم، لأن النظافة تحفظ الصحة وتبعد الأمراض التي تنتشر في البيئة غير النظيفة وكانت الأسواق مراكز رئيسية لتوزيع الأدوية والمستلزمات الطبية في المدن الأندلسية ففي قرطبة مثلاً كانت هناك أسواق متخصصة لبيع الأعشاب الطبية، الزيوت، والمعادن المستخدمة في تحضير الأدوية، ووثّقت المصادر وجود تجار متخصصين في استيراد المواد الطبية من المشرق والمغرب، مما عزز توفر الموارد الطبية **(بو لقدام، 2024، ص44-45)**.

3. التعليم الطبي: إلى جانب دورها الطبي والعلاجي كانت البيمارستانات معاهد علمية لتدريس الطب وقد تضمن التعليم الطبي في الأندلس دراسة النصوص اليونانية والإسلامية، وكانت دراسة علم الطب في البيمارستان تنقسم إلى قسمين قسم نظري، وقسم عملي، ويعد التدريب العملي في البيمارستان جزءاً أساسياً من المناهج، حيث كان الطلاب يرافقون الأطباء في جولاتهم اليومية لتطبيق المعرفة النظرية وكان الطلبة يتخصصون في الأمراض الباطنية والجراحية، وقد برز عدد من العلماء الأندلسيين كمترجمين ومعلمين" كابن زهر (ت557هـ) وابن رشد (ت595هـ)، ابن البيطار (ت616هـ)، حيث ترجموا العديد من المؤلفات اليونانية ونقلوا عن المشارقة في ميدان الطب والصيدلة وابتكروا الجديد في هذا الميدان بعد أن أجروا تجارب تطبيقية حول النباتات والأعشاب، مما أسهم في نقل المعرفة الطبية إلى أوروبا **(يخلف، 2017، ص24؛ بوكرابيلة، 2021، ص421)**، كانت مكتبات قرطبة وإشبيلية مراكز رئيسية لتدريس الطب حيث احتوت على آلاف المخطوطات الطبية ووثّقت المصادر وجود دورات تدريبية مكثفة للأطباء، تشمل محاضرات نظرية وتدريبات عملية في البيمارستانات، كما شمل التعليم الطبي دراسة الأخلاق الطبية حيث كان يُطلب من الأطباء الالتزام بالصدق والأمانة، واحترام خصوصية المرضى **(فيلالي، 2010، ص88)** كما ساهم الأطباء من الأقليات الدينية مثل المسيحيين واليهود، في تطوير النظام الصحي، فقد كان الأطباء اليهود كموسى بن ميمون(ت600هـ)، الذي عاش فترة في الأندلس، يتمتعون بسمعة ممتازة في الطب وساهموا في ترجمة النصوص الطبية إلى اللاتينية، مما عزز تأثير الأندلس على أوروبا، ووثّقت وثائق الحسبة تعاون الأطباء من خلفيات دينية مختلفة في البيمارستانات مما يعكس التعددية الثقافية في المجتمع الأندلسي **(فيلالي، ص58-59)**.

ولتعميق الفهم حول خصوصية التجربة الأندلسية، نقارن هنا بين الأوضاع الصحية وطرق مواجهة الأوبئة في الأندلس من جهة، وبين ما عرفته مراكز حضارية أخرى مثل بغداد في المشرق الإسلامي وأوروبا في العصور الوسطى وذلك لإبراز أوجه التشابه والاختلاف، وتحديد ما ميّز الأندلس في تعاملها مع الجوائح، فقد كانت الأندلس وبغداد مركزين رئيسيين للطب الإسلامي، لكنهما اختلفا في بعض الجوانب ففي بغداد كان بيمارستان

العضدي (القرن العاشر الميلادي) نموذجاً للرعاية الصحية المجانية حيث رتب فيه عضد الدولة الأطباء ونقل إليه من الأدوية والعقاقير الشيء الكثير، وفي الأندلس كانت البيمارستانات أكثر تنوعاً في خدماتها، حيث شملت علاج مختلف الأمراض، وهي ميزة لم تكن شائعة في بغداد، كما كانت الأندلس أكثر انفتاحاً على التفاعل الثقافي مع المسيحيين واليهود مما عزز ترجمة النصوص الطبية **(عيسى، 2012، ص119، 188)**؛ بينما لم تكن أوروبا كما باقي دول العالم مستعدة لمواجهة الوباء القاتل (الطاعون) حيث ساد في بادئ الأمر اعتقاد بأن الطاعون هو غضب سلطه الله عليهم، فقد اعتمدت المستشفيات في العصور الوسطى على الدين مع التركيز على الرعاية الروحية أكثر من العلاج الطبيعي، أما في الأندلس فقد كان النظام الصحي أكثر تقدماً والتعليم الطبي منظم، مع وجود إجراءات وقائية مثل الحجر الصحي الذي أُعتبر من أهم الوسائل للحد من انتشار الأمراض الوبائية، وعُد من أهم الإجراءات الوقائية في الأندلس **(قدار، 2020، ص129)**.

ثالثاً/ أسباب انتشار الأمراض والأوبئة في الأندلس:

تندرج الأمراض والأوبئة التي انتشرت في المجتمع الأندلسي ضمن الآفات السماوية التي ليس للإنسان فيها يد بل هي مقدرة من الخالق، غير أن المؤلفات التي كتبت عن الطب النبوي قد رصدت لنا عدة أسباب طبيعية وأخرى بشرية.

أطنبت المصادر الأندلسية والمغربية في ذكر الوباء مُشيرة إلى أسبابه البشرية والمناخية وأيضاً السياسية، وذكرت لنا آثاره وطرق الوقاية منه، وأُلفت فيه الكثير من المؤلفات والأرجوزات الطبية **(المراكشي، س4، ص25)**، فقد ألّف ابن خاتمة الأنصاري في الطاعون وشرح انتقال عدوى الوباء وتأثيره على الإنسان **(ابن خاتمة ت770هـ، 1988، ص173)**، وقد تعددت قنوات انتشار الأمراض والأوبئة وارتبطت أكثر بحركة المجموعات السكانية مثل المهاجرين والحجاج والتجار، والجيوش، ويرجع البعض أسباب الوباء إلى المناخ، حيث يشار إلى أن له سبب أقصى وهو الأمور الفلكية، وأدنى وهو فساد الهواء بكثرة العمران، وقد برزت الآفات الاجتماعية، وتدهورت الأوضاع بتدني المستوى المعيشي والحرفي ونقص التعاملات التجارية نتيجة الخوف من انتشار العدوى **(ابن خلدون ت808هـ، 2005، ص43، 499)**، كما اضطربت الأحوال الأمنية في مملكة النصارى بفعل انتشار الثورات الداخلية والفتن وتزايد وتيرة الاسترداد النصراني، كما أضحت بعض الثغور الساحلية موطناً لإيواء قراصنة البحر **(سالم، 1984، ص104)**.

ومن أهم أسباب انتشار الأمراض والأوبئة قنوات التواصل كالحروب والتجارة والرحلات والهجرة فالتجارة وخاصة عن طريق السفن البحرية كانت أبرز العوامل لذلك، حيث كانت المرية من أكثر المدن الأندلسية ضرراً من جراء هذا، ففي سنة 749هـ فتك المرض بأعداد كثيرة خاصة في الأحياء الفقيرة **(ابن خاتمة، ص43)**.

كان للعامل التجاري دور بارز في انتشار الأمراض والأوبئة التي اكتسحت بلدان حوض المتوسط في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، فقد اعتبرت السفن التجارية التي كانت تتردد على الموانئ الآسيوية سبباً مباشراً في نقل الأمراض والأوبئة المختلفة إلى القارة الأوروبية ومنها إلى بلاد الأندلس والمغرب، فقد الموانئ واحدة من العوامل التي تسببت في نقل الأوبئة فقد لوحظ أن أكثر الأمراض التي عرفتها بلاد الأندلس أتت عن طريق البحر بسبب تدفق السفن التجارية على الموانئ الساحلية **(بلعربي، 2009، ص21)**، كما ساهمت الرحلات العلمية كذلك في انتقال الأمراض الوبائية من موطنها الأصلي إلى المناطق الخالية من الأوبئة، أما على الصعيد الداخلي فيمكن القول أن أحد العوامل الرئيسية التي أسهمت في تفشي الأوبئة الوافدة هو الدور البارز الذي لعبته المسارات التجارية وطرق قوافل الحج الموسمية **(فاليريون، 1998، ص310-312)**؛ **(بلعربي، 2009، ص21)**.

إذا انتقلنا إلى الأسباب الطبيعية نلاحظ إن حدوث الجفاف والفيضانات واضطراب المناخ وتغير فصول السنة يتسبب أيضاً بحدوث الأوبئة والأمراض المختلفة، كأن يكون فصل الربيع بارداً يابساً والخريف يكون على طبيعة الربيع والشتاء على طبيعة الصيف **(ابن خاتمة ت770هـ، ص170)**، كذلك تسبب المياه الفاسدة، أيضاً حدوث الكثير من الأمراض والأوبئة والحميات الدقيقة والأورام الطاعونية والجرب، وكذلك الحصى في الكلى والمثانة، خاصة منها المياه الراكدة والمتغيرة حتى النتانة **(ابن زهر ت525هـ، 1983، ص454-458)**.

كما يسبب فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء يعد السبب الأول في حدوث الأوبئة لأن جميع الناس يشتركون في استنشاقه وعليه ففساد الهواء يعني هلاك أغلبهم **(ابن زهر ت525هـ، 1998، ص143)** ويحدث فساد الهواء بسبب الحرارة والرطوبة الزائدين وكثرة التعفن **(الأنطاكي ت1008هـ، ص333)**، ومخالطة الهواء للأبخرة الحارة المتعفنة، ويفسد الهواء أيضاً إذا خالط أبخرة أجساد الموتى المتعفنة خاصة إذا كانت كثيرة وكان الهواء راكداً، كذلك يفسد الهواء بفعل مخالطته لأبخرة السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق وأكداس الأزبال وغيرها **(ابن زهر، ص144-145)**، **(ابن خاتمة ت770هـ، 1988، ص171)** كما يحدث فساد الهواء من وجهة نظر ابن خلدون نتيجة كثرة العمران وما ينتج عنه من التعفن والرطوبات الفاسدة **(ابن خلدون ت808هـ، 2005، ص282)**.

إضافة إلى ذلك كانت المجاعات وغلاء الأسعار تلعب دورها في وقوع الكثير من الأمراض حيث كانت المجاعات تفرض على الناس نمطاً غذائياً معيناً يكون في أغلبه غير خاضع لشروط الصحة لأن همهم الوحيد هو أن يسدوا رمقهم من الجوع، فيقتصر غذائهم آنذاك على الحبوب المتعفنة والفاسدة من طول الاختزان واللحوم الرديئة لمختلف الحيوانات **(ابن زهر ت525هـ، 1983، ص183)**، **(ابن خاتمة ت770هـ، ص171)** ويضيف ابن الخطيب (ت776هـ) أن حدوث الأوبئة قد ينتج لأسباب فلكية وروحانية كاجتماع

الكواكب واتصالها مع بعضها البعض، مشيراً إلى ذلك بقوله: "سبب أقصى وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم حسب ما يزعمه أرباب صناعة النجوم ويأخذه الطبيب مسلماً عنهم" **(مقنعة السائل، ص38)**.

رابعاً/ أبرز الأمراض والأوبئة في الأندلس:

تعرضت الأندلس إلى الأوبئة والمجاعات وموجات الجفاف والجراد، إلى جانب الغزوات المتكررة من الجيوش النصرانية عبر تاريخها الطويل، فقد نال أهل الأندلس من ذلك البلاء الكثير مما ترتب عليه سوء أحوال الناس الأمر الذي أدى بهم إلى أكل مواد غذائية رديئة وهو ما أدى بالتالي إلى انتشار الأمراض والأوبئة التي سجلها التاريخ الإسلامي.

- **الطاعون:** هو مرض قاتل في أغلب الأحيان تعود مسبباته إلى فساد الهواء بفعل جثث الموتى وركود الهواء وكثرة المستنقعات والمياه القذرة **(بوكرابيلة، 2021، ص420)**، لقد تعرضت الأندلس لوباء الطاعون القاتل لفترات متعاقبة وكانت الوفيات كثيرة جراء هذا الوباء **(الخطابي، 1988، ص208، 209)**، كان الطاعون الأسود (1348-1350م) من أكثر الأوبئة فتكاً في تاريخ الأندلس، حيث تسبب في وفاة أعداد كثيرة من سكان المدن الكبرى مثل قرطبة، إشبيلية وغرناطة وقد وثّق ابن الخطيب في كتابه مقنعة السائل عن مرض الوباء أعراض الطاعون، مثل الحمى الشديدة، وآلام شديدة في منطقة الصدر والقيء وبصق الدم والتورم في الغدد الليمفاوية والنزيف الداخلي، مشيراً إلى أن الوباء ينتشر عبر العدوى وهو اكتشاف علمي سابق لعصره، أثر الطاعون على التجارة مع المغرب وأوروبا، حيث تسبب في انخفاض الصادرات الزراعية من إشبيلية بنسبة كبيرة هناك، ساهمت عدة عوامل ساهمت في انتشار الطاعون، منها الكثافة السكانية العالية في المدن وضعف الصرف الصحي في بعض المناطق خلال الحروب، ونشاط التجارة البحرية عبر موانئ إشبيلية ومالقة وقد وثّقت المصادر أن الطاعون انتشر عبر السفن التجارية القادمة من مناطق عدة خارج الأندلس **(العدوي، 2021، ص128)**، لم يخلص أطباء الأندلس للتشخيص العلمي لوباء الطاعون وكيفية علاجه لكنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل بذلوا كل السبل من أجل إيجاد الحلول المختلفة للحيلولة دون تفشي هذا المرض فقدموا الحلول الدوائية المختلفة **(آل محمود، 2021، ص190)**.

خّلف الطاعون تبعات اقتصادية واجتماعية كبيرة حيث تسبب في انهيار الأسواق وانخفاض الإنتاج الزراعي حيث تركت الأراضي الزراعية مهجورة بسبب موت الفلاحين أو هروبهم مما أدى إلى نقص الأيدي العاملة فاختفت آلاف المزارع وإهمال البنى التحتية، وأدى كذلك إلى إغلاق الموانئ مما أثّر على التجارة النهرية والبحرية، في أوروبا كان الطاعون الأسود مدمراً بنفس القدر لكن إدارته كانت أقل تنظيماً بسبب غياب أنظمة الحجر الصحي، أما في المشرق الإسلامي مثل بغداد كانت هناك إجراءات وقائية مشابهة للأندلس **(حمودي،**

2021، ص75، 76)، لكن الأندلس تميزت بتطبيق الحجر الصحي بشكل أكثر صرامة **(قدار، 2020، ص137)**.

– **الجدري:** انتشر الجدري بشكل متكرر في الأندلس خاصة بين الأطفال، وكان يُعرف بأعراضه المميزة مثل الطفح الجلدي والحمى الشديدة، وقد أجرى الأطباء الأندلسيون محاولات لعلاجه باستخدام الأعشاب مثل النعناع والزعتر، وتبريد الجسم بالماء البارد لتخفيف الحمى، كما قاموا بتوجيه الناس إلى تناول أقراص الصندل والكافور لزيادة المناعة، وكانت الوقاية من الجدري تشمل عزل المرضى في غرف منفصلة داخل البيمارستانات أو المنازل، مما ساعد في تقليل الانتشار وقد ذكرت المصادر أن نسبة الوفيات بين الأطفال مرتفعة مقارنة بالبالغين الذين طوروا مناعة طبيعية **(بن الذيب، 2024، ص793 800)**، بذل الأطباء والصيادلة مجهودات كبيرة لاكتشاف ما يمكن اكتشافه من الأدوية، واستخدموا خلطات عشبية للانتفاع بها للوقاية والعلاج زمن الأوبئة والأمراض، من ذلك أن شرب الخل يزيل البلغم ويعالج العفونة، وشراب الرمان كان يمنع أخلاط الجسم من التعفن، كما استخدم مغلي النعناع مع العسل لتخفيف الحمى، بينما كانت الأعشاب المطهرة مثل الزعتر تُستخدم لتنظيف الجروح الناتجة عن الطفح الجلدي، كما شملت العلاجات استخدام الكمادات الباردة لتقليل الالتهابات الجلدية **(ابن زهر ت525هـ 1998، ص64، 73، 75)**.

يُعتبر الجدري من أكثر الأمراض التي تنتشر بين الأطفال في الأندلس، حيث تسبب في إعاقات دائمة مثل التشوهات الجلدية أو فقدان البصر في بعض الحالات، وهو ما شكل تحدياً صحياً في تاريخ الأندلس، وقد أظهر الأطباء تلك الفترة براعة كبيرة في التعامل مع هذا الوباء، حيث قاموا بصناعة أدوية فعالة لعلاج المصابين بالمرض، وإذا قارنا الوضع مع ما كان عليه في أوروبا المسيحية، نجد أن الجدري كان يُعالج بطرق بدائية مثل نزيف الدم، وهي ممارسة كانت شائعة ولكنها غير فعالة، أمخا في المشرق الإسلامي فقد كانت هناك ممارسات مشابهة للأندلس مثل استخدام الأعشاب لكن الأندلس تميزت بدقة تسجيل الأعراض وتطوير وصفات عشبية معقدة **(بن الذيب، ص793، 800)**.

– **الجذام والأمراض الأخرى:** شملت الأمراض الأخرى التي انتشرت في بلاد الأندلس **الجذام** وهو داء يصيب جلد وأطراف الإنسان ويؤدي إلى تآكلها وتقرحها، ولقد شبهه الأطباء بالسرطان، وذلك لما يصاحبه من تقرحات وألام شديدة لمن يصاب به، ويعد من الأمراض المعدية التي قد تنتقل بالتوارث أيضاً **(ابن رشد ت595هـ، 1986، ص230)**، وكذلك **الحمى، السل، والأمراض المعوية**، وكانت الحمى الموسمية المرتبطة بالمناخ الرطب شائعة في المناطق الساحلية مثل إشبيلية ومالقة، وقد وثّقت المصادر أن الأمراض المعوية كانت ناتجة عن تلوث المياه في بعض المناطق خصوصاً خلال فترات الحصار والحروب **(ابن الخطيب ت776هـ، ص42–45)**، وقد ساهمت عدة عوامل في انتشار الأمراض المعوية، منها نقص المياه النظيفة خلال الحروب تراكم النفايات في الأحياء المكتظة، والتلوث الناتج عن الفيضانات الموسمية، وقد دعا الحكام إلى ضرورة

تنظيف الأسواق، ويشار إلى أن الأطباء الأندلسيون قد استخدموا الأعشاب المطهرة مثل الخل والعسل لعلاج الأمراض المعوية، كما شملت العلاجات إعادة ترطيب الجسم باستخدام محاليل مكونة من الماء والملح، وهي ممارسة تُظهر فهماً مبكراً لعلاج الجفاف وقد وثّقت المصادر استخدام مغلي البابونج لتخفيف الالتهابات المعوية **(ابن زهر ت525هـ، ص86)**.

خامساً/ الوقاية وطرق العلاج من الأمراض والأوبئة:

إن حدة الأمراض والأوبئة التي اجتاحت المجتمع الأندلسي في ذلك الزمن وتضخمها قد ساهم في تطور الطب الوقائي عن طريق اتباع طرق التغذية السليمة، وهو الأمر الذي دفع الأطباء في فترة انتشار الأمراض والأوبئة إلى وضع حمية غذائية مضادة للداء.

- **الطب الشعبي:** اعتمدت الطبقات الشعبية في الأندلس على العلاجات التقليدية، مثل الأعشاب (النعناع، الزعتر البابونج) التعاويذ ومياه الحمامات لعلاج بعض أمراضهم، خاصة في المناطق الريفية حيث كانت الخدمات الطبية محدودة، وكانت هذه الممارسات مزيجاً من التقاليد الأيبيرية المحلية، البربرية والإسلامية، مما أدى إلى تنوع كبير في العلاجات الشعبية، على سبيل المثال كانت الأمهات يستخدمن مغلي النعناع مع العسل لعلاج الحمى عند الأطفال، بينما كانت التعاويذ تُستخدم لدرء "العين الشريرة" التي كان يُعتقد أنها تسبب الأمراض، كما كانت النساء خاصة القابلات والمعالجات التقليديات يلعبن دوراً محورياً في الطب الشعبي، ويذكر أن النساء في المناطق الريفية كن يمتلكن معرفة واسعة بالأعشاب الطبية، وكن ينقلن هذه المعرفة عبر الأجيال فعلى سبيل المثال كانت النساء في جبال الأندلس يستخدمن نبات الزعتر لعلاج التهابات الجهاز التنفسي، بينما كانت القابلات في المدن يستخدمن خلطات عشبية لتخفيف آلام الولادة **(بن عسلون، 2020، ص37-41)**.

لعبت الحمامات والينابيع الطبية دوراً في علاج العديد من الأمراض التي عرفها الأندلسيين، فقد أسهم إنشائها في توفير النظافة وتنقية الأبدان والتقليل من الأمراض كونها كانت مراكز للطهارة وحفظ الصحة **(الخطابي، 1987، ع4، ص108)**، ويعتقد الكثير من أهل الأندلس بأهمية مياه العيون والينابيع في تطهير الأبدان، واختلفت هذه العيون من حيث درجة حرارتها وطعمها، حيث كان أهل الأندلس يتباركون بمياهها من أجل الاستشفاء، وتسكين الأوجاع ومداواة الأمراض المزمنة كالفالج والخدر **(ابن رشد ت595هـ 1986، ص350)**.

- **الطب العلمي:** شهد الطب وعلومه ازدهاراً ملفتاً ودليل ذلك المؤلفات الطبية الكثيرة، فقد مرت الأندلس عبر تاريخها الطويل بكثير من الأزمات التي أدت إلى تفاقم الأوضاع الصحية وانتشار الأمراض والأوبئة، وقد صرح الأطباء في كثير من المواضع في مؤلفاتهم بألّا يمارس هذه الصنعة إلا من أتقنها وهو ما جعل الطب العلمي في الأندلس متقدماً بشكل كبير، حيث استند إلى التجارب العملية والملاحظات السريرية والنصوص الطبية

القديمة، وقد برزت شخصيات طبية رائدة ساهمت في تطوير الطب والصيدلة، وأصبحت أعمالهم مراجع أساسية في أوروبا لقرون (**آل محمود، 2021، ص132، 139**).

- **الزهراوي (ت404هـ/1013م):** ألف أبو القاسم الزهراوي كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو موسوعة طبية مكونة من 30 مجلداً، غطت الجراحة، التشخيص، والعلاج، وقد أبدع الزهراوي طرقاً جديداً وصنع آلات في الصيدلة والطب وخاصة في مجال الجراحة، ووثق الزهراوي تقنيات جراحية مبتكرة مثل استخدام أدوات الكي لوقف النزيف، وأدوات الخياطة لإغلاق الجروح، وهي ممارسات أثرت على الجراحة الحديثة، كما وصف أكثر من 200 أداة جراحية، مصورة بدقة في مخطوطاته مما جعل كتابه مرجعاً أساسياً في أوروبا حتى القرن السابع عشر، وقد ذكر الزهري في كتابه أنه يجب أن تكون أدوات الجراحة حادة ونظيفة لتجنب العدوى، ويجب على الجراح أن يكون سريعاً وحذراً في عمله (**قطب، 2022، ص64، 65**).

- **ابن زهر (ت557ه/1162م):** ركز ابن زهر جل اهتمامه على الأمراض واكتشاف علاج لها، وساهم ابن زهر في تطوير التشخيص السريري حيث ركز على الملاحظة الدقيقة لأعراض المرض وتسجيلها بشكل دقيق ورفض ابن زهر الاعتماد على النظريات الطبية القديمة دون دليل وفضّل التجارب العملية مما جعله رائداً في الطب التجريبي، ولم يتردد ابن زهر في التجول في بلاد المغرب والأندلس وغيرها من البلاد من أجل الحصول على علاجات للأمراض، مستخدماً خلطات عشبية عديدة، وقد مكنته هذه المجهودات من انتاج أدوية جديدة ساهمت في علاج كثير من الأمراض (**فيلالي، 2010، ص21؛ بو كرابيلة، ص422**).

- **ابن البيطار (ت616هـ/1248م):** أعظم عالم نباتي أخصائي في العقاقير، ألف ضياء الدين بن البيطار كتاب جامع مفردات الأدوية والأغذية، وهو موسوعة طبية وثّقت خصائص أكثر من 1400 نوع من الأدوية، ما بين نبات، معدن، ومادة حيوانية ذات خصائص طبية، مع ذكر طرق تحضيرها والأمراض التي يمكن علاجها بها، وركز ابن البيطار على تصنيف المواد الطبية حسب الخصائص العلاجية لكل منها، مثل المطهرات، المسكنات، والمضادات للالتهابات، وكان كتابه مرجعاً أساسياً في الصيدلة الأوروبية، حيث تُرجم إلى اللغة اللاتينية واسُتخدم في الجامعات الأوروبية، وقد أثبت ابن البيطار أن لنبات الزعتر خصائص مطهرة ومضادة للالتهابات، ويُستخدم لعلاج التهابات الجهاز التنفسي (**قـــطـــب، 2022، ص64؛ زناتي، 2017، ص 1824**)، ففي أوروبا كان الطب العلمي محدوداً بسبب الاعتماد على النصوص القديمة دون تجارب عملية أما في المشرق الإسلامي فقد كان الطب العلمي متقدماً خاصة في أعمال الرازي وابن سينا، لكن الأندلس تميزت بالجمع بين التجارب العملية والتفاعل الثقافي مما أدى إلى تطوير تقنيات جديدة في الجراحة والصيدلة (**بيتور، 2021، ص15**).

- **إسهامات ابن الخطيب:**

كان ابن الخطيب رائداً في علم الأوبئة حيث قدم تحليلاً منهجياً لانتشار الطاعون مستنداً إلى الملاحظات الميدانية ورفض ابن الخطيب التفسيرات الخرافية للأوبئة، مثل عزوها إلى غضب إلهي وفضّل التفسيرات العلمية القائمة على العدوى، كما دعا إلى تطبيق إجراءات وقائية صارمة، مثل عزل المرضى وتنظيف الدور والمساكن والطرقات والأماكن العامة، أثرت أفكار ابن الخطيب على العلوم الطبية في أوروبا حيث تُرجمت كتاباته إلى اللاتينية واسُتخدمت في دراسة الأوبئة كما ساهمت الإجراءات الوقائية الأندلسية، مثل العزل الصحي في وضع أسس لإدارة الأوبئة في العصر الحديث **(آل محمود، 2021، ص124)**.

يُلاحظ أنه خلال موجات الأمراض والأوبئة قد تواجه الأندلس تحديات كبيرة في دفن الموتى بسبب الأعداد الكبيرة من الوفيات، مما اضطر العلماء في بعض الأحيان لإصدار فتاوى تسهل إجراءات الدفن في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد، فقد أفتى بعض العلماء بجواز دفن أكثر من ميت في قبر واحد عند الضرورة مع مراعاة الضوابط الشرعية، وأن يكون الدفن خارج المدن لتجنب التلوث ويُذكر أن العلماء شجعوا على تقليل التجمعات في الجنائز، حيث كان يُطلب من الأهالي أداء صلاة الجنازة في مجموعات صغيرة، في غرناطة أُنشئت مقابر مؤقتة في المناطق الجبلية لاستيعاب أعداد الموتى خلال الطاعون **(الخضير، 2022، ص226)**، وقد قدم العلماء إرشادات لتهدئة السكان وتعزيز الصبر والتضامن، يُذكر أن العلماء كانوا يلقون خطباً في المساجد تحث على الالتزام بالنظافة والتعاون مع السلطات، مشيرين إلى أن النظافة من الإيمان، كما شجعوا على الصدقات لدعم الفقراء مما عزز التكافل الاجتماعي، كذلك ساهمت المؤسسات الدينية في تخفيف الذعر الجماعي من خلال تنظيم جلسات تلاوة القرآن والأدعية في المساجد في قرطبة، وذكُر أن العلماء نظموا جلسات دعاء جماعية خلال الطاعون لتعزيز الأمل وتخفيف القلق **(آل محمود، ص162-166)**، لم تكن كثير من الدول المجاورة للأندلس في تلك الفترة مستعدة لمواجهة وباء قاتل كالطاعون الأسود، فلم تكن البنية الصحية ولا الاقتصادية ولا العلمية قادرة على استيعاب خطورة الوباء ومخلفاته، حيث ساد اعتقاد بأن هذا الوباء هو غضب من الله سلطه عليهم، أما في المشرق الإسلامي مثل بغداد، فكانت هناك إجراءات مشابهة للأندلس مثل الحجر الصحي، لكن الأندلس تميزت بسرعة استجابتها وتنظيمها الإداري أما في الصين فقد كانت الإجراءات الحكومية تركز على توزيع الأعشاب الطبية لكنها افتقرت إلى أنظمة العزل الصحي المنظمة **(قدار، 2010، ص139)**.

- **العلاجات الطبيعية:** اعتمد الأطباء الأندلسيون على العلاجات الطبيعية مثل الأعشاب، المعادن والزيوت، في تحضير الأدوية، وكان العسل والخل من أكثر المواد شيوعاً كمطهرات طبيعية، حيث استُخدما لعلاج الجروح والتهابات الجهاز الهضمي، وطورت الصيدليات الأندلسية خلطات معقدة بناء على وصفات ابن

البيطار، مثل خلطات تحتوي على النعناع، البابونج، والزعتر لعلاج الحمى والالتهابات، وفيما يلي نذكر أمثلة على العلاجات الطبيعية:

1.مغلي النعناع والعسل: يُستخدم لتخفيف الحمى وتهدئة الجهاز الهضمي، وكان يُحضر بغلي أوراق النعناع الطازجة مع إضافة ملعقة من العسل.

2.زيت الزعتر: يُستخدم كمطهر للجروح والالتهابات الجلدية، وكان يُحضر بنقع أوراق الزعتر في زيت الزيتون.

3.مغلي البابونج: يُستخدم لعلاج اضطرابات المعدة والتهابات الجهاز الهضمي، وكان يُحضر بغلي أزهار البابونج الجافة.

4.الرواند: يُستخدم كملين طبيعي لعلاج الإمساك، وكان يُحضر بغلي جذور الرواند مع الماء **(بو كرابيلة ص422-424)**.

سادساً/ الإجراءات الوقائية:

شملت الإجراءات الوقائية في الأندلس فرض الحجر الصحي، تحسين الصرف الصحي وإصدار تعليمات صحية عامة وثّق ابن الخطيب في *مقنعة* السائل أهمية عزل المرضى المصابين بالأمراض المعدية، مثل الطاعون، في أماكن منفصلة لمنع انتقال العدوى، كما شملت الإجراءات تنظيف الأسواق وتوزيع المياه النظيفة، وإزالة النفايات من الأحياء السكنية، ونظافة الشوارع والساحات العمومية واجتناب المياه الراكدة التي تغيرت رائحتها، لأن الهواء الفاسد هو مصدر للأوبئة **(بلجة، 2020، ص158)**.

1. العزل الصحي:

يعتبر العزل الصحي من أهم الوسائل للحد من انتشار الأمراض الوبائية، وعُد من أهم الإجراءات الوقائية في الأندلس حيث كان يُفرض على أي شخص عدم دخول المناطق الموبؤة والاختلاط بأهلها كما يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها سواء أكان الشخص معافاً أم مصاباً بالوباء، كما يفرض على المصابين بالطاعون أو الجدري البقاء في البيمارستانات أو منازلهم حتى يتعافوا **(عبد الكريم، 2021 ص129)** ولا يُعرف على وجه الدقة متى بدأت عملية عزل المرضى المصابين بالأمراض المعدية في الأندلس، لكن بعض النصوص التاريخية تشير إلى أن قرطبة كانت أولى المدن الأندلسية التي عملت على توفير حارة خاصة خارج المدينة للمرضى الذين استعصى علاجهم، حيث تقوم جماعات متطوعة بالإشراف على هذه الحارات **(عبد الغني، 2020، ص8)**.

ويذكر أن الحكام كانوا يعينون حراساً لمراقبة المناطق المعزولة، مما ساعد في تقليل انتشار الأمراض، كما كان يُطلب من السفن التجارية القادمة من المناطق الموبوءة البقاء في الموانئ لفترة محددة قبل السماح لها

بالرسو فالتبادل التجاري عبر الموانئ يعتبر من العوامل الرئيسية في انتشار عدوى هذه الأمراض **(بلجة، 2020، ص155)**.

لم يدخر بعض الحكام والميسورين من أهل الأندلس جهداً لأجل توفير العلاج والعناية الصحية لأفراد المجتمع الأندلسي، في أوقات الكوارث الطبيعية وخاصة الأمراض والأوبئة، إضافة إلى ما به الفقهاء والقضاة وبقية أفراد المجتمع الأندلسي من جهود ذاتية من أجل تخفيف المعاناة وتسكين الأوجاع والاستشفاء من الأمراض المختلفة التي أصابتهم ولم تتدخل في أغلب الأوقات من أجل تخفيف عن العامة. كما صدرت التعليمات بتجنب التجمعات الكبيرة خلال الأوبئة وارتداء الملابس النظيفة وغسل اليدين قبل الأكل، حيث كانت هناك حملات توعية في أماكن متعددة لتثقيف السكان حول النظافة والوقاية من الأمراض والأوبئة.

2. تطور علم الأوبئة:

تحدث الأوبئة نتيجة المجاعات وغلاء الأسعار، ففي أوقات المجاعات تفرض على الناس نمطاً غذائياً جديداً في أغلبه غير خاضع لشروط الصحة، ويكون همهم الوحيد هو أن يسدوا رمقهم من الجوع فيقتصر غذائهم آنذاك على أكل أي حبوب حتى المتعفنة والفاسدة من طول الاختزان، وأكلهم اللحوم الرديئة **(عبد الغني، 2020، ص6)**، وقدم ابن الخطيب في مقنعة السائل مفهوم العدوى مشيراً إلى أن الأمراض المعدية تنتقل عبر المخالطة، الملابس والأنفاس وهو اكتشاف علمي استبق النظريات الأوروبية بقرون وقد وثق ابن الخطيب أن الأوبئة تنتشر بشكل أسرع في المناطق المكتظة مما دفع الحكام إلى تطبيق العزل الصحي، كما ركز الأطباء الأندلسيون على تسجيل أعراض الأمراض بدقة مما ساعد في فهم أنماط انتشارها، وسعى الأطباء إلى نشر ثقافة الوقاية الصحية لدى عموم المجتمع الأندلسي **(آل محمود، 2021، ص128)**.

***3.* تطور الصناعة الصيدلانية:**

كانت الصيدليات في الأندلس مراكز متقدمة لتحضير الأدوية حيث كان الصيادلة يعتمدون على وصفات ابن البيطار وابن زهر لخلط الأعشاب والمعادن، وقد خضعت الصيدليات لمراقبة وتفتيش دوري لضمان جودة الأدوية، وكان يُطلب من الصيادلة تسجيل مكونات كل وصفة بدقة وقد ساهمت التجارة مع المشرق والمغرب في توفير المواد الطبية النادرة، مثل الزعفران والمسك، التي استُخدمت في تحضير الأدوية الفاخرة للطبقات الغنية، وإذا ما قارنا العلاجات الطبيعية في الأندلس مع المناطق الأخرى نلاحظ العلاجات الطبيعية في أوروبا كانت محدودة بسبب نقص المعرفة بالأعشاب الطبية أما في المشرق الإسلامي فقد كانت العلاجات الطبيعية مشابهة للأندلس، لكن الأندلس تميزت بتنوع مصادر الأعشاب بسبب بيئة الأندلس الجغرافية التي كانت حافزاً في نشأة وتطور علم الأعشاب والصيدلة بفضل تنوع طبيعتها وقراء بيئتها بكل أنواع العقاقير الطبية **(الدرويش، 1980، ص6)**.

4. الإجراءات الحكومية:

لعبت الحكومة والمؤسسات الدينية في الأندلس دوراً حاسماً في إدارة الأزمات الصحية، حيث نفذت إجراءات وقائية وعلاجية للحد من انتشار الأوبئة، وأصدر الحكام الأمويون، ولاحقاً ملوك الطوائف وبنو الأحمر في غرناطة تشريعات لتنظيم الرعاية الصحية وتوزيع المساعدات، وفرض الحجر الصحي كما ساهم العلماء في تقديم إرشادات دينية لتنظيم الجنائز والتعامل مع الموتى، وقد كان الحجر الصحي من أبرز الإجراءات الحكومية، حيث أصدر الحكام أوامر بعزل المرضى المصابين بالطاعون أو الجدري أو الجذام في البيمارستانات أو المنازل وحارات خاصة بالمصابين، وسجلت وثائق الحسبة أن المحتسبين كانوا يراقبون تنفيذ الحجر الصحي في الأحياء الموبوءة، ويمنعون السكان من الخروج أو الدخول إلى هذه المناطق، ففي إشبيلية أُنشئت مناطق عزل مؤقتة خارج المدينة لاستيعاب المرضى مما ساعد في تقليل انتشار الطاعون **(عبد الغني، 2020، ص9)**، كما خصص الحكام ميزانيات لتوزيع المواد الغذائية والأدوية على الفقراء في قرطبة وقد سجلت لنا المصادر أن عبد الرحمن الناصر أمر بتوزيع الحبوب والزيتون على الأحياء الفقيرة خلال الأوبئة الموسمية كما دعمت الأوقاف الإسلامية تمويل البيمارستانات مما ساعد في توفير الرعاية المجانية.

وأصدر المحتسبون تعليمات صارمة لتنظيف الأسواق وإزالة النفايات، ومنع بيع الأطعمة الفاسدة في إشبيلية ودونت لنا وثائق الحسبة أن المحتسبين كانوا يقومون بجولات يومية لتفتيش الأسواق خلال الطاعون ويفرضون غرامات على التجار الذين يبيعون مواد غذائية غير صالحة، كما أمر أصحاب الحمامات العامة بتعقيم المرافق بانتظام لمنع انتشار الأمراض هذه الإجراءات عكست فهماً متقدماً لدور النظافة في الوقاية من الأمراض **(بو لقدام، 2024، ص37–39)**.

سابعاً/ تأثير الأمراض والأوبئة على جوانب الحياة المختلفة في الأندلس:

أثّرت الأمراض والأوبئة على كافة مناحي الحياة العامة في الأندلس سواءً السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية، فقد خلفت الأمراض والأوبئة عدد كبير من الضحايا يصعب فيه تقديم إحصائية دقيقة عن أعدادهم بسبب الافتقار إلى مادة وثائقية في المصادر الأولية، والتي تورد عبارات مقتضبة مثل" حتى كاد الخلق ينقرضوا" **(ابن عذاري 712هـ، ج1، 1982، ص37)** و"وهلك فيها كثير من الناس" **(ابن الأثير ت630هـ، 2004، ج3، ص290)**، مما أثر على الهيكلية الديموغرافية للمجتمع، وترك عواقب خطيرة على مظاهر الحياة الاقتصادية والثقافية **(الرصاع، 2007، ص51)**، وأدى إلى تدهور الأحياء الحضرية وهجرة العديد من السكان إلى الريف بحثاً عن بيئة أكثر أماناً ويُذكر أن الطاعون اجتاح قرطبة في سنة 749هـ/1348م فخلت الأسواق وصمتت الشوارع، وهاجر الناس إلى القرى فراراً من الموت **(فرحات، 1993، ص113)**، فقد أدى هذا الوباء إلى موت أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء، يخبرنا ابن حيان قائلاً: "وعاث

الموتان في هذه الأزمنة فأودى بخلق من وجوه قرطبة وعلمائهم وخيارهم، قصر المؤرخون بيانهم لكثرتهم إلى من مات من أشكالهم ببلاد الأندلس البعيدة" **(ابن حيان، 1979، ص110)** ويذكر لنا ابن خلدون (ت808هـ) عدداً من أسماء العلماء والفقهاء الذين هلكوا في وباء 749هـ/1348م، منهم أبيه **(العبر، ج7، 1997، ص248، 295–298)**، وهو ما أثّر سلباً على الحياة العلمية والفكرية.

كانت الطبقات الفقيرة الأكثر تأثراً بالأمراض والأوبئة بسبب سوء التغذية، وظروف السكن في الأحياء الفقيرة ومحدودية الوصول إلى الرعاية الصحية، حيث تسبب الطاعون في وفاة نسبة كبيرة من السكان قدروا بالمئات في اليوم الواحد، في المقابل كانت الطبقات الغنية قادرة على تحمل تكاليف العلاجات الطبية، حيث كان الأثرياء يستأجرون أطباء خاصين أو يرسلون مرضاهم إلى بيمارستانات مجهزة **(فرحات، 1993، ص113)**.

تسببت الأوبئة في موجات هجرة داخلية وخارجية، حيث هاجر العديد من سكان الأندلس إلى مدن الشمال الأفريقي، ولم تقتصر هذه الهجرات على المهاجرين المسلمين فقط بل حتى ملل أخرى، كما غادر العديد من سكان المدن إلى المناطق الريفية مما أدى إلى تدهور الأحياء الحضرية وزيادة الضغط على الموارد الريفية، فغرناطة التي كانت أقل تأثراً بسبب موقعها الجبلي شهدت تدفقاً للمهاجرين من المدن الأندلسية الكبيرة، مما أدى إلى زيادة الكثافة السكانية وظهور تحديات جديدة، مثل نقص المساكن، وقد أدت هذه الهجرة إلى تغييرات في الهيكلية الاجتماعية حيث تضاءل نفوذ بعض العائلات الثرية بسبب فقدان أفرادها، بينما برزت عائلات جديدة في الريف **(كركار، 2013، ص659)**.

أثرت الأوبئة على النسيج الاجتماعي من خلال تعزيز التضامن بين السكان في بعض الحالات حيث تكاتف المسلمون والمسيحيون واليهود لمواجهة الأزمات ويذكر أن عدد من الحكام والأثرياء تبرعوا بأموال لتمويل البيمارستانات وتوزيع المساعدات الغذائية في المقابل، أدت الخسائر البشرية إلى انهيار بعض المؤسسات الاجتماعية، مثل الأسواق والمدارس، مما أثر على التعليم والتجارة، ويمكننا أن نقارن هذا الوضع مع مناطق أخرى ففي أوروبا المسيحية أدى الطاعون الأسود إلى انخفاض مماثل في عدد السكان، لكن غياب التنظيم الاجتماعي تسبب في تفاقم الفوضى وانتشار العنف ضد الأقليات، أما في المشرق الإسلامي مثل بغداد والقاهرة كانت هناك هجرة داخلية مشابهة، لكن الأندلس تميزت بتطبيق إجراءات العزل الصحي، مما قلل من الهجرة العشوائية مقارنة بمناطق أخرى **(عبد الحميد، 2002 ص155)**.

لم تقتصر الآثار الجسيمة التي خلفتها الأوبئة على مر العصور على الجانب الصحي فقط، بل شملت الجوانب السياسية والاقتصادية، والعلاقات الدولية والاجتماعية، اعتبرت تجربة الأندلس في العصور الوسطى مثالاً على تعامل المجتمعات الإسلامية مع هذه الأمراض والأوبئة.

الخاتمة:

إن دراسة الأمراض والأوبئة في أي مجتمع يكشف عن جوانب كثيرة من أنماط الحياة المختلفة في أي عصر من العصور، فقد أظهرت هذه الدراسة أن الأوبئة مثل الطاعون والجدري كان لها بالغ الأثر على المجتمع الأندلسي، ليس فقط على مستوى تراجع عدد السكان وإنما أيضاً أدى إلى اضطراب النظم الاقتصادية وتغيير البنية العمرانية، فضلاً عن ذلك كشف تعامل الأطباء الأندلسيون مع هذه الجوائح عن مستوى متقدم من الوعي الصحي.

تُظهر دراسة الأمراض والأوبئة في الأندلس تفوقها في إدارة الأزمات الصحية، حيث جمعت بين العلم والتنظيم الاجتماعي، والقيم الدينية لمواجهة تحديات الأوبئة من خلال بيمارستاناتها المتقدمة وأطبائها المبدعين وإجراءاتها الوقائية فقد قدمت الأندلس نموذجًا يُحتذى به للمجتمعات التاريخية والحديثة.

يُبرز هذا البحث أهمية دراسة التاريخ الطبي لاستخلاص دروس تعزز الصمود في مواجهة الأزمات الصحية، في عالم يواجه تحديات صحية متجددة، تظل التجربة الأندلسية مصدر إلهام للجمع بين العلم، التضامن، والمرونة في بناء مجتمعات أكثر أمانًا وعدالة.

توسع الأطباء الأندلسيون في مجال الأدوية وخصوصاً النباتية منها وقد شجعهم على هذا التوسع طبيعة بلادهم الجغرافية وثراء بيئتهم، فاهتموا بالنباتات من الناحيتين الطبيعية واللغوية، ذلك أن عدداً من العلماء الذين ألفوا في الأدوية المفردة لم يكونوا أطباء أو صيادلة فقط، بل كان لهم إلمام واسع باللغة ودقائقها.

ألقى هذا البحث الضوء على كيفية تفاعل الأندلسيين وتعاملهم مع هذه الأوبئة، وذلك من خلال رصد ردود الأطباء والفقهاء والسلطات الحاكمة، مما يعطينا نموذجاً يمكن الاستفادة منه في قراءة الأزمات الصحية المعاصرة.

لقد كانت الأمراض والأوبئة من الأزمات الخطيرة التي هددت حياة السكان في الأندلس، حيث حصدت الكثير من الأرواح، وقد تنوعت أسباب حدوث هذه الأمراض منها ما هو ناتج عن الحروب والفتن الداخلية، ومنها ما هو طبيعي يرجع إلى المناخ وكثرة الزلازل والسيول، وكانت هذه الأمراض والأوبئة دافعاً للأطباء لإيجاد العلاج المناسب لها.

التوصيات:

– توثيق موجات الأوبئة بطريقة تاريخية ومنهجية بحيث نحصل على أرشيف عربي يكون مرجع للباحثين وأصحاب القرار لمواجهة أوبئة المستقبل.

– حتى نصل إلى فهم أعمق للأوبئة كظاهرة شاملة لابد من تشجيع الدراسات متعددة التخصص التي تجمع بين علوم التاريخ والطب والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.

– الاستفادة من تجارب الأندلس والأمم السابقة ككل في كيفية إدارة الأزمات الصحية خصوصاً فيما يتعلق بتنظيم العزل الصحي والرعاية المنزلية والتوعية المجتمعية.

– اقتراح تضمين الأبعاد التاريخية لمثل هذه الظواهر والموجات الصحية في مناهج كليات الطب والصحة العامة، نظراً لما تمثله من دور بارز في تعزيز فهم الأطباء لأهمية العامل الاجتماعي والثقافي في الأوبئة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، أبي الحسن علي (2004)، ***الكامل في التاريخ***، *تحقيق: عمر عبد السلام تدمري* بيروت، دار الكتاب العربي.
2. ابن حيان، أبو مروان بن يخلف (1979)، ***المقتبس في أخبار بلد الأندلس***، مدريد– الرباط المعهد الإسباني العربي للثقافة.
3. ابن خاتمة، أحمد بن علي (1988)، ***تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد***، بيروت دار الغرب الإسلامي.
4. ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد (2015)، ***مقنعة السائل عن المرض الهائل***، *تحقيق: حياة قارة* الرباط، مطبعة الكرامة.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (2005)، ***المقدمة***، *تحقيق: عبد السلام الشدادي*، الدار البيضاء، المركز الوطني للبحث العلمي والتقني.
6. ـــــــــــــ،(د.ت) ***تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر***، دمشق، دار الفكر.
7. ابن رشد، محمد بن أحمد (1986)، ***الكليات في الطب***، *تحقيق: أحمد المزيدي*، بيروت، دار الكتب العلمية.
8. ابن زهر، أبو مروان بن أبي علاء (1998)، ***كتاب الأغذية***، بيروت، دار الكتب العلمية.
9. ـــــــــــــ، (1983)، ***كتاب التيسير في المداوة والتدبير***، *تحقيق: ميشيل الخوري*، دمشق دار الفكر العربي.
10. ابن سينا، الحسين علي (1999)، ***القانون في الطب***، بيروت، دار الكتب العلمية.
11. ابن عذاري، محمد (1982)، ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب***، *تحقيق: كولان، ليفي بروفنسال*، ، بيروت، دار الثقافة.
12. ابن منظور، جمال الدين محمد (د.ت)، ***لسان العرب***، بيروت، دار صادر.
13. الأنطاكي، داود بن عمر (1995)، ***بغية المحتاج في المجرب من العلاج***، بيروت، دار الفكر.
14. البستاني، بطرس (1987)، ***محيط المحيط***، بيروت، مكتبة بيروت.
15. الجوهري، إسماعيل (د.ت)، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، الطبعة الرابعة، *تحقيق: أحمد عبد الغفار*، بيروت، دار العلم للملايين.
16. الرصاع، محمد (2007)، ***الأجوبة التونسية عن المسائل الغرناطية***، *تحقيق: محمد حسن* بيروت، دار المدار الإسلامي.
17. العسقلاني، أحمد (1990)، ***بذل الماعون في فضل الطاعون***، *تحقيق: أحمد الكاتب*، الرياض دار العاصمة.

18. آل محمود، مها (2021)، ***"جهود الأطباء في الوقاية من العدوى ومكافحة الأوبئة في الأندلس منذ القرن السادس حتى نهاية الثامن الهجريين/الثاني عشر حتى الرابع عشر الميلاديين"***، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد السادس والستون، 2021.
19. بلجة، عبد القادر (2020)، ***"مملكة غرناطة النصرية في مواجهة الطاعون في القرن 8هـ/14م"*** الجزائر، جامعة ابن خلدون، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد الثالث العدد الثاني، سبتمبر.
20. بلعربي، خالد (2009)، ***المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698-845هـ/ 1299-1442م)***، القاهرة، مجلة كان التاريخية، العدد الرابع.
21. بن الذيب، فيروز؛ أوكيل، مصطفى (2024)، ***"وباء الجدري في الأندلس من ق 5- 8هـ/ إلى ق 11- 14م"***، جامعة البويرة، الجزائر، مجلة معارف، المجلد19، العدد الأول.
22. بن عسلون، زهرة؛ بلهزيل جهاد (2020)، ***المرض والوباء من خلال المؤلفات الطبية بالغرب الإسلامي القرنين(4-8هـ/ 10-14م)***، الجزائر، جامعة ابن خلدون.
23. بو حجرة، عثمان (2015)، ***الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 "مقاربة اجتماعية"***، الجزائر، جامعة وهران.
24. بو لقدام، ناصرية؛ كيحل، عومرية (2024)، ***المنظومة الصحية في الغرب الإسلامي ما بين القرنين 2-4هـ/ 8-10م***، الجزائر، جامعة ابن خلدون.
25. بوكرابيلة، زهرة؛ مطهري، فطيمة (2021)، ***"الأمراض والأوبئة في الأندلس وطرق علاجها خلال القرنين 6-7هـ/ 12-13م"***، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الجزائر جامعة غليزان، المجلد السابع، العدد الثاني.
26. بيتور، فاطمة (2021)، ***تاريخ الصيدلة والصيادلة في الأندلس 238هـ/853م***، الجزائر جامعة غرداية.
27. حسين، ورود (2018)، ***الصيدلاني في العصر المملوكي(كوهين العطار نموذجاً)***، العراق جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد21.
28. حمودي، شيرين (2021)، ***الحياة الطبية في العصر العباسي الأول 132-232هـ/750-847م***، اللاذقية، سوريا، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد43، العدد5.
29. الخضير، محمد (2022)، ***"من نوازل الجنائز"المسائل المتعلقة بالمتوفي بجائحة كورونا" دراسة فقهية مقارنة"***، القاهرة، جامعة الأزهر مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد24.
30. الخطابي، محمد (1987)، ***ابن الخطيب وكتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول***، الرباط انتقاء أكاديمية المملكة المغربية، العدد4.
31. الخطابي، محمد (1988)، ***الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية دراسة تراجم ونصوص*** بيروت، دار الغرب الإسلامي.
32. الدرويش ثاني(1980)، ***علم العقاقير الطبية***، بغداد، مطبعة الثقافة العالمية.
33. راشد، ريم (2021)، ***"الأمراض والأوبئة وأثرهما على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن 7هـ/13م"***، ليبيا، جامعة عمر المختار، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، العدد التاسع والثلاثون، 2021.
34. زرهوني، نور الدين (2006)، ***الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن 6هـ/12م*** وهران، مؤسسة شباب الجامعة.

35. زناتي، أنور (2017)، *"الإنجازات العلمية لطب الأسنان في الأندلس وأثره على التطور العلمي والأدبي منذ عصر الخلافة وحتى نهاية دولة الموحدين 316-640هـ/ 928-1244م"* مصر-جامعة المنيا، كلية دار العلوم، مجلة الدراسات العربية.

36. سالم، السيد (1984)، ***تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس***، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة.

37. عبد الحميد، يوسف (2002)، *"سلوكيات الدول والمجتمعات في مواجهة الأوبئة دولتي المرابطين والموحدين في الأندلس 484-668هـ/1092-1269م أنموذجاً"* ، القاهرة، مجلة المؤرخ العربي العدد30، المجلد2.

38. عبد الغني، أحمد (2020)، *"دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين"*، مصر، جامعة المنوفية، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد31، العدد 123.

39. عبد الكريم، خديجة (2021)، *"الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً"* الجزائر، جامعة الأغواط، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد الثالث، العدد الثاني.

40. العدوي، أحمد (2018)، ***الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية***، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

41. عيسى، أحمد (2012)، ***تاريخ البيمارستانات في الإسلام***، القاهرة، مؤسسة هنداوي.

42. فرحات، يوسف (1993)، ***غرناطة في ظل بني الأحمر***، بيروت، دار الجيل.

43. فيلالي، عبد العزيز (2010)، *"الطب والصيدلة في الأندلس في القرن السادس الهجري/12م: أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي نموذجاً"*، الجزائر، جامعة الأمير عبد القادر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد11.

44. قدار، المحجوب (2020)، ***طاعون الموت الأسود وجهود أوروبا في مواجهته ق14-17م*** الجزائر، جامعة ابن خلدون، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد الثالث، العدد الثاني، سبتمبر.

45. قطب، خالد (2022)، "**التأسيس المعرفي لنظرية العدوى عند ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي**" القاهرة، مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية، المجلد6، العدد1.

46. كركار، عبد القادر (2023)، *"الهجرة الأندلسية إلى الجزائر وأثرها في الحفاظ على التوازن الديموغرافي في العصر الحديث"* ، الجزائر، جامعة حمّه لخضر، مجلة قبس للدراسات والإنسانية والاجتماعية، المجلد7، العدد2.

47. يخلف، إيمان (2017)، ***المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن 2-8هـ/ 8-14م***، الجزائر، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 232-241, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/pc3wy617

Research Article

Open Access

العتبات النصية في رواية (اختفاء) لهشام مطر

أحلام مولود علي الكلامي[1]*

الباحث الأول*[1]:
قسم اللغة العربية، جامعة الزاوية، ليبيا

المستخلص: يتناول هذا البحث العتبات النصية في رواية **(اختفاء)** للروائي الليبي هشام مطر بوصفها عناصر موازية تسهم في بناء الدلالة وتوجيه تلقي القارئ. ويركّز على تحليل العنوان، والمقدمة، والغلاف، والمقتطفات النصية بوصفها مداخل أولية تصوغ أفق التوقع وتحدد الأبعاد الدلالية للنص. وتُظهر الدراسة أن الكاتب يوظف هذه العتبات بوعي فني؛ فالعنوان يفتح أفقًا تأويليًا حول فعل "الاختفاء" ودلالاته الشخصية والسياسية والثقافية، بينما تعكس المقدمة وترتيب الفصول البعد الذاتي والوجداني المرتبطين بتجربة الفقد والحنين. كما ينسجم تصميم الغلاف ولونيّاته مع مناخ الرواية القاتم والغامض، مع ملاحظة اختلاف الأغلفة بين الطبعات. وتخلص الدراسة إلى أن العتبات امتداد دلالي لبنية السرد، وتكشف عن دور الشكل في دعم المحتوى وإعداد النص لعملية التلقي.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية، اختفاء، هشام مطر.

[1]***Corresponding author:**
Ahlam M. Al-Kalami
ahlamklamy@gmail.com
Department of Arabic Language, University of Zawiya, Libya

Received:
17-01-2026

Accepted:
03-02-2026

Publish online:
30-04-2026

Paratextual Thresholds in Hisham Matar's *Disappearance*

Abstract: This study examines the paratextual thresholds in Hisham Matar's Libyan novel *Ikhtifā'* (*Disappearance*) as accompanying elements that shape meaning and guide reader reception. It analyzes the title, preface, cover, and selected textual epigraphs/excerpts as initial entry points that construct the horizon of expectation and outline the text's semantic scope. The study argues that Matar deploys these thresholds with clear artistic intent: the title serves as an interpretive gateway, raising questions about "disappearance" and its personal, political, and cultural implications. The preface and the ordering of chapters foreground the novel's subjective and affective dimensions, particularly experiences of loss and longing. The cover's design and color palette reinforce an atmosphere of gloom and ambiguity, while also varying across editions. The study concludes that these paratexts extend the narrative architecture and demonstrate how formal design supports content and prepares the text for reception.

Keywords: Para text, disappearance, Hisham Matar.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة

تمثل العتبات النصية جزءًا أساسيًّا من بنية النص الأدبي، فهي عنصر أساس يسبق تلك البنية المُسماة بالنص، ويسهم في توجيه القارئ نحو فهم محدد لمحتواه ، ويمكن أن تشمل العتبات النصية العنوان، الإهداء، المقدمة، الهوامش، حتى الحواشي التي تكون جزءًا من النصوص الأدبية أو العلمية، وتؤدي هذه العتبات دورًا مهمًّا في تكوين العلاقة بين النص والقارئ، إذ تقدم له إشارات أولية عن مضمون النص واتجاهاته وتوجهه، كما تعدّ العتبات النصية فضاءً مهمًّا لتحليل العلاقة بين الكاتب والنص، إذ غالبًا ما تحتوي على مؤشرات تكشف عن نوايا الكاتب، وأفكاره، وتوجهاته.

في هذا البحث، سنقوم بدراسة مفهوم العتبات النصية وأهميتها في تشكيل فهم القارئ للنص، مع التركيز على أنواعها المختلفة ودورها في تعزيز تجربة القراءة أو توجيهها، وسيُسلِّط هذا البحث الضوء على بعض الأمثلة الأدبية التي تظهر دور العتبات في بناء المعنى، فضلًا عن تحليل الأساليب المختلفة التي يستخدمها الكتاب في توظيف هذه العناصر النصية.

سبب اختيار الموضـــوع: لم تكن العتبات تُثير اهتمام النقاد من حيث الدراسة المنهجية المختلفة، قبل توسع مفهوم النص، ولم يتوسع مفهوم النص إلا بعد التعرف على أجزائه وتفاصيله، ولم يقتصر على مضمونه فقط بل تعدى إلى الغلاف والصورة والعتبات؛ لتكون داخلةً في مضمار البحث العلمي، ومن هذا المنطلق تناولت هذه الدراسة بالتحليل إحدى عتبات الكاتب الليبي هشام مطر[1] الموسومة بـ(اختفاء) لاسيما أن هذه الرواية– حسب ما توصلت إليه عند البحث عن دراسة سابقة لغلافها ومضمونها– لم تحظ بدراسة علمية مستقلة سبقت هذه الدراسة القائمة على تحليل العتبات النصية فيها.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على النتاج السردي الليبي المُترجم من لُغات غير العربية، ومدى مواكبته لمناهج النقد الحديث، عبر قراءة في عتبات هذه الرواية (اختفاء) للكاتب الليبي هشام مطر؛ لمحاولة فك بعض شفرات العتبات المُنتشرة على جسد النص وربطها بالنسيج الداخلي.

الأهداف: الهدف من هذه الدراسة قراءة العتبات وتحليل عناصرها ومكوناتها، بحثًا عن الرابط الدلالي والأيقوني فيها، ومدى تواشج تلك العتبات بكامل النص.

المنهج: سارت هذه الدراسة وفق المنهج السيميائي، الذي لا يمكن إدراك المعنى الخفي والمسكوت عنه إلا من خلاله، ورصد آليات تواصل العنوان في النص بوصفه مؤشرًا على الموضوع الذي يُحيل إليه.

الدراسات السابقة: عند البحث عن دراسات سابقة لهذه الرواية (اختفاء) لم أعثر على دراسة أكاديمية مستقلة على هيأة رسالة ماجستير أو أُطروحة دكتوراه، أو بحث أكاديمي مستقل، إلا ما وجدته على الشبكة العنكبوتية من مقالات منثورة في عدد من المواقع الأدبية والثقافية، منها هذا المقال على سبيل الذكر لا الحصر، "رواية اختفاء هيمنة الذاكرة وعنف الواقع"، للكاتب هيثم حسين، القاهرة عن موقع الجزيرة نت بتاريخ 23/5/2013 "وبعض العناوين الأخرى المنتشرة على المواقع منها (حِبر، القدس العربي، مجلة رُمان الإلكترونية) وغيرها.

المطلب الأول: إشارة عتبات الغلاف (المناص التأليفي)

القصد من إشارة العتبات في المناص التأليفي هنا تلك العناصر المحيطة بالنص الرئيس والتي تؤدي دورًا مهمًّا في توجيه القارئ نحو فهم أعمق للنص، وتشمل هذه العتبات عنوان الرواية، والعناوين الفرعية، متمثلة في الغلاف، المقدمة، الإهداء، وغيرها من العناصر التي قد تبدو ثانوية ولكنها تؤدي وظيفة محورية في بناء المعنى وتشكيل العلاقة بين الكاتب والنص والقارئ الذي يملك آلية اشتغال هذه العناصر وحركتها في فضاء النص.

تُشتق لفظة العتبة في لسان العرب من مادة "عَتَبَ، العَتَبَةُ: أُسكفة الباب التي تُوطأُ، وقيل: العَتبةُ العُليا، والخشبة التي فوق الأعلى الحاجبُ؛ والأُسكفَّةُ السُّفلى؛ والعارضتان: العُضاداتانِ، والجمع: عَتَبٌ وعتباتٌ"[2].

أما دلالة مصطلح العتبة عند جيرار جنيت في المناص التأليفي فهي "كل ما يجعل من النص كتابًا يقترح نفسه على قرائه أو بصفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة، نقصد به هنا تلك العتبة، بتعبير (بورخيس)البَهو الذي يسمح لكل منا دخوله أو الرجوع منه"[3].

البَهو هنا هو الفضاء الذي نلجه لنتماهى مع النص وننسجم فيه.

من هذا المنطلق يمكن أن يُعد العنوان (اختفاء) نفسه جزءًا من العتبات وهامشًا تأويليًّا لها، فهو يثير في ذهن المتلقي الكثير من الفضول والتساؤل حول ما يختفي؟ ومن يختفي؟ وما هو داعي الاختفاء؟ وهل هو اختفاء بإرادة أو اختفاء قسري؟ أو ربما هو اختفاء فكري عن العالم بأسره؟ تضعنا هذه الأسئلة على محك النقاش حول فقدان الأب وظروفه الغامضة التي تشكل المحور الرئيس للرواية، كما أن الغلاف يحمل رموزًا وإشارات بصرية تعكس موضوعات مُتعددة كالفقدان، الغموض، والبحث، وهو ما يساعد في توجيه قراءة النص ووضع معانٍ أخرى متعددة له لم تكن في حُسبان الكاتب، لتؤدي هذه العناصر دورًا في تقديم النص بطريقة تؤثر على توقعات القارئ وتؤطر كيفية استقباله للسرد، وهو ما يندرج ضمن ما يسميه جيرار جينيت (المناص)، حيث لا ينفصل النص الأدبي عن السياقات والعناصر الخارجية التي تحيط به وتوجه فهمه، وهذا ما ستحاول الدراسة الأخذ به اتجاه هذا النص(اختفاء).

-أولًا: العنوان هامشًا تأويليًا:(مُجازفات المعنى)

يؤسس العنوان في الخطاب الروائي موقعه الخاص والمتميز، فهو يُعلن عن وجوده بوصفه نصًّا مصغرًا ومُولدًا لكم من الدلالات والتأويلات، حتى ارتقى إلى مستوى أكثر تخصصًا "في نطاق ما صار يدعى لاحقًا بـ"علم العَنونَة""[4].

يبدأ السارد في هذا الغلاف بوضع علامات تواصلية تكاد تتواشج مع جسد النص ككل، فالغلاف يتميز بتصميمه البسيط والمعبّر في الوقت نفسه، يُظهر صورة لشخص يقف بظهره أمام باب مفتوح على شاطئ البحر، وكأنه يطل من الباب نحو الأفق البعيد، كما يوحي هذا التصميم بالشعور بالغموض والترقب وكأنه يبحث عن شيء مفقود أو مختفٍ، كما يعبر عن حالة من التأمل والوحدة.

يبدو أن فكرة (الاختفاء) ليست فقط عن الغياب الجسدي، بل تتجاوز إلى العمق النفسي والفلسفي، وألوان الغلاف الهادئة والمائلة إلى الظلال الرمادية والزرقاء تتماشى مع طابع الغموض والحزن الذي قد يحمله محتوى هذه الرواية.

العتبة التي يبدأ منها الاتصال العلاماتي هي القاعدة التي يتشظى منها المعنى الدلالي ليُنير أركان النص ومُحيطه، ومن هنا يمكننا القول بأن "العنوان يخلق أدوارًا خطيرة في عملية الاتصال بين المرسِل والمرسَل إليه، فبينما يُشفر المرسل رسالتهُ يتولى المرسل إليه تفكيك هذه الرسالة المشفرة منطلقًا من "العنوان" بوصفه المفتاح الأول في فك طلاسم الشيفرة الذي يرسله المرسل مع الرسالة"[5].

والعتبة القاعدة هنا هي العنوان الذي وُسم به جنس هذا النص الروائي، فقد جاء موقعه مُختلفًا وعلى غير العادة، إذ وقع أخيرًا وأعقبه باسم دار النشر، وما اعتلى الغلاف هو اسم الكاتب، ليبرز علامةً أدبيةً معروفةً أولًا، ويساعد في جذب القراء الذين يعرفون أعماله السابقة ثانيًا، أما العنوان، "اختفاء" فهو اسم، والاسم يُعرب في العنوان بحسب المقدّر المحذوف الذي يتمم معنى الجملة، وقد جاء الاسم هنا نكرة، وهذا يرجّح أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: هذا اختفاء.

وهناك احتمال آخر أن يكون مبتدأ والمحذوف خبر تقديره اختفاءٌ هنا، وقد يكون مسوّغ الابتداء بالنكرة في هذا العنوان دلالة النكرة على التهويل؛ فالاختفاء يحمل دلالة سلبية غالبًا وقد لا تُحمد عقباه.

-ثانيًا: العناوين الداخلية (علامات سردية)

يتميز البناء السردي لهذه الرواية بالتعقيد، إذ تتداخل فيها الأزمنة والأمكنة، وتتشابك فيها العلاقات الإنسانية، وتؤدي العتبات والعنونات الداخلية دورًا مهمًّا في توجيه القارئ وفهم أبعاد الرواية، وكأن الكاتب يضع أبوابًا متعددة داخل معماره الواحد.

يمكن تلخيص فكرة العنونات الداخلية والتي قسمها الكاتب لسبعة وثلاثين فصلًا، وهي بؤر أيقونية مُتصلة بالعتبة القاعدة وهو العنوان، ومن هذه الفصول على سبيل المثال لا الحصر، تحمل علامة تعدد

الأصوات الذي أسهم في تفتيت السرد إلى مقاطع صغيرة، وسمح السارد من خلالها للقارئ بالانتقال بين وجهات نظر مختلفة، لفهم الأحداث من زوايا متعددة.

يقول السارد في الفصل الأول من الرواية "أكادُ أتخيل كيف سيكون الحال عند التعامل معه بوصفه ندًّا، أو صديقًا، ولو إلى حدّ ما"(6).

صوت السارد هُنا متكلم بضمير "أنا" يتضح ذلك من خلال استخدامه لعبارة "أكاد أتخيل"، وكأنه يتحدث عن أفكاره ومشاعره الشخصية؛ لأن من خصائص الراوي المتكلم هي الذاتية والتعبير عن وجهة النظر الشخصية وتخيلاتها، وكذلك التأمل في طبيعة العلاقة مع شخص آخر، والتردد وعدم يقينه بشأن تخيلاته.

كما يُمكننا أيضًا أن نستنتج أن الراوي هنا مشارك في الأحداث، أو على الأقل على علاقة بالشخص الذي يتحدث عنه، هذا الاستنتاج مبني على حقيقة أنه يتخيل كيف سيكون الحال عند التعامل معه.

أما في الفصل الثاني فيقول السارد: "التقينا يُمنى في "ماجدة مارينا"؛ فندق صغير على شاطئ العجمي بالإسكندرية، وعلى الرغم من قرب البحر، لم نذهب للسباحة فيه كما أنني لم أطلب أبدًا أن أبني بيوت الرمل"(7).

صوت السارد هنا ذاتيٌّ داخليٌّ، يروي فيه تجربته الشخصية، يتميز هذا الصوت بالذاتية؛ لأن السارد يركز على مشاعره وأفكاره الخاصة، واستدعى الوصف لتحديد المكان "ماجدة مارينا"؛ فندق صغير على شاطئ العجمي بالإسكندرية، مع تركيزه الأكثر على الحالة النفسية بالتلميح إلى التناقض بين قرب البحر وعدم الذهاب للسباحة، وعدم بناء بيوت الرمل، ما يوحي بوجود توتر أو فتور في العلاقة بينه وبين مُنى التي تمثل حضورًا غائبًا، فهي موجودة في المكان، ولكن لا يصفها أو يتحدث عنها بشكل مباشر.

وفي الفصل العاشر يقول السارد: "بدا أن خالي فاضل لم يأتِ إلا ليُرافق رجلًا يُمثل خطورةً أكبر عليه بأن يتم التنكيل به لزيارته أقاربه "الرجعيين، الخونة". كان مرتبكًا ومُحرجًا بطريقة غريبة، ويجلس أغلب الوقت ليدخن"(8).

صوت السارد هنا مشارك، أي إنه شخصية داخل الأحداث يروي ما يراه ويشعر به، ويتحدث الراوي بصوت ذاتي، جزء من الأحداث، يصف خاله فاضل وتصرفاته باستخدام ضمائر المتكلم "خالي"، وهو ما يؤكد حضوره في القصة.

وهكذا يستمر السارد في تنقله بين العتبات الداخلية، ببانوراما من التنوع التي تتماهى والسرد في النص.

كما تعكس العتبات الداخلية في هذا النص حالة التشظي التي تعاني منها ذاكرة الشخصيات، وخاصة شخصية نوري، البطل، الذي يحاول تجميع شظايا الذاكرة المبعثرة، وفهم الماضي لاستكشاف الهوية المفقودة التي يبحث عنها.

كما تعكس بعض العنونات الداخلية رحلة نوري في البحث عن والده المختفي، وتنقله بين فلوات الزمن والمكان لخلق فضاء سردي متعدد الأبعاد، يجمع بين الماضي والحاضر، ومكونات الأمكنة المختلفة.

ففي الفصل الحادي والعشرين، يقول السارد: "استغرق الطريق إلى "بيرن بالسيارة ساعة ونصفًا، بقينا جميعًا صامتين أغلب الطريق، كما لو أن كلًا منا يحاول أن يريح صمامًا منهكًا في رأسه، حين دخلنا مدينة "بيرن"، مال "هاس" قليلًا نحو مُنى وقال لها بصوت يقارب الهمس: "كما قلت لك الوزير مشغول ولكننا سنقابل مساعدته وصديقي عضو البرلمان" ثم أضاف خاطرًا تاليًا: "إنه مبنى مُذهل"(9).

دمج السارد في هذه العتبة عدة عناصر لإنشاء صورة حية في ذهن القارئ منها الزمان، وذلك بتحديد المدة الزمنية للرحلة بوضوح "استغرق الطريق إلى 'بيرن' بالسيارة ساعة ونصفًا". هذه الدقة الزمنية تضع القارئ في إطار زمني محدد، ما يجعله يشعر وكأنه جزء من الرحلة، ليدل صمت الركاب على طوال الطريق على حالة نفسية مشتركة، ليضعهم في طقس زمني مشترك ليُضفي على الرحلة طابعًا زمنيًا خاصًا، إذ لا يصبح الوقت مجرد مدة، بل حالة نفسية.

فالرحلة انطلقت من مكان غير محدد إلى مدينة (بيرن) ووصف الرحلة بالسيارة، ثم ينتقل إلى وصف دخول المدينة، وأخيرًا إلى وصف مبنى محدد داخل المدينة، "مبنى مذهل" وكأنه يشير إلى معلم مكاني بارز، ما يُعطي القارئ فكرة عن أهمية هذا المكان.

كما ذكر السارد اسم المدينة "بيرن" ليحدد مكان الأحداث بشكل دقيق، ليرسم صورة واضحة للمكان في ذهن القارئ.

فكأن السارد استخدم الحوار لنقل معلومات مهمة حول اللقاء المنتظر، للكشف عن طبيعة العلاقة بين الشخصيات وطبيعة المكان، التي تُشير إلى وجود شخصيات ذات نفوذ في المكان كالوزير وعضو البرلمان، كما استخدم السارد أيضًا تقنيات سردية أسهمت في إنشاء صورة حية للرحلة وللمكان في ذهن القارئ.

إن العتبات الداخلية في هذا النص لا تعمل فواصل بين الأجزاء فقط، بل هي جزء أساسي من النسيج السردي له، وهي تعمل أدوات سردية فعالة، تسهم في بناء عالم روائي معقد ومتشابك، وتعكس حالة الضياع والبحث التي يعيشها أبطال الرواية.

المطلب الثاني: مظاهر التعالق (تواصلية العتبة)

تواصلية العتبة هي مجموعة من العناصر التي تسبق العمل الإبداعي (مثل الكتاب واللوحة الدالة على الغلاف والاقتباس الموجود على ظهر الغلاف) التي تعمل على تهيئة المتلقي وتوجيهه نحو فهم العمل وتفسيره، من وظائف هذه العناصر التوجيه والتأطير، الإغراء والإقناع، التواصل والتفاعل، التأثير والتأويل، وتع العتبة التواصلية جزءًا أساسيًا من عملية التواصل الإبداعي، وتؤدي دورًا مهمًّا في تشكيل تجربة المتلقي وتفاعله مع النص.

قبل البدء في ربط تواشج العتبة بمكونات معمارها علينا التعرف على مداخل قنوات التواصل العلاماتية الرابطة بين الغلاف وما تحويه باقي العتبات، فالاختفاء هو العلامة البارزة والمسيطرة على أرجاء النص، ونُذكر

هنا أن لهذه الرواية غلافًا آخر يختلف عن هذا الغلاف الذي استأثرت به الدراسة ، والذي كان الطبعة الأولى 2012، والطبعة الثالثة 2023، تظهر فيه امرأة جالسة وهي تقرأ كتابًا، لتضيف بُعدًا بصريًّا للعنوان، وكأن القراءة نفسها تصبح وسيلة لاكتشاف المفقود أو الغائب، وربما السارد يطمح لانتشار أعماله عربيًّا وعالميًّا ، واللون الأحادي لتلك الصورة الموجودة على الغلاف يوحي بالزمن الماضي، ما قد يربط الاختفاء بالسياق التاريخي أو السياسي، وكأن السارد هنا يُمارس الخطاب الإشهاري الذي يملك "سمة اختزالية أساسية لعدة اعتبارات، كالإثارة ولفت الانتباه وجودة البلاغ وتوجيه المتلقي نحو الهدف والتركيز على الكلمات المفتاحية، وقد يتعدى الأمر قضايا التبليغ إلى الجانب التجاري أو المادي، باعتبار أن التكلفة المالية تفرض ذلك في سياسات إعلامية"[10]

صدام الرؤى: بين الهوية البصرية والتعبير الأدبي للغلاف

في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن هناك صدامًا في الرؤى بين مُصممي لوحات رواية اختفاء، فاللوحة التي تحوي هذه الطبعة العربية الأولى (2012) من تصميم "أحمد مُراد" في حين أن اللوحة التي حوت الطبعة الثالثة (2023) هي من تصميم "عمر الكفراوي" رُبما يرجع لأسباب تتعلق برؤية كل منهما للفكرة البصرية التي يجب أن تعبر عن الرواية.

1-رؤية المؤلف مقابل رؤية المصمم أحمد مُراد، كونه مؤلف الرواية، لديه تصور معين عن الغلاف يعكس جوهر القصة وأجوائها، قد يكون لديه رؤية بصرية محددة يريد أن تظهر في الغلاف، أما عمر الكفراوي، مصممًا، فقد تكون لديه رؤية فنية مختلفة تتناسب مع أسلوبه الشخصي وخبرته في التصميم.

2-البعد التسويقي والتجاري فالمؤلف أحيانًا، يركز على الجانب الرمزي أو الفني للغلاف، بينما المصمم وغالبًا دار النشر قد يميلان إلى تصميم يجذب القارئ بصريًا ويساعد في تسويق الرواية بشكل أفضل.

3-أسلوب التصميم والخط الفني، أحمد مراد معروف بأسلوبه البصري الواضح، خصوصًا في أغلفة رواياته السابقة مثل "الفيل الأزرق" و "تراب الماس"، وقد يكون له توجه خاص يفضل الالتزام به، أما عمر الكفراوي، فقد يكون لديه أسلوب تصميمي مختلف يرى أنه الأنسب للتعبير عن الرواية.

4-التحكم في التفاصيل والإبداع الفني، فبعض الكتاب يفضلون أن يكون لهم تحكم أكبر في تصميم أغلفة كتبهم، بينما بعض المصممين يفضلون حرية أكبر في تنفيذ الأفكار دون تدخل المؤلف.

أخيرًا مثل هذه الاختلافات طبيعية في عالم النشر، إذ يتداخل الأدب مع التصميم والتسويق، وينتج عنها أحيانًا تصاميم مختلفة حتى يتم التوصل إلى الغلاف النهائي.

العتبة الخلفية: تفكيك الدلالات واستكشاف الأبعاد السردية

وتُعد العتبة الخلفية لأي عمل أدبي مدخلًا استرشاديًّا لفهم بنيته السردية وأبعاده الدلالية، إذ تُشكل مساحة تواصل بين القارئ والنص قبل الولوج إلى متنه، وفي هذا النص، نجد أن العتبة الخلفية لا تقتصر على تقديم

لمحة عن الأحداث، بل تنسج شبكة من المفاهيم المتداخلة مثل الغياب، والبحث عن الذات، والهوية، ما يثير تساؤلات عميقة لدى المتلقي.

وللبحث في الأبعاد السردية وفك العلامات التواصلية بين غلاف الواجهة والغلاف الخلفي الذي يُعد عتبة أيضًا، يستلزم فك البنية اللغوية والنصوص المتداخلة للكشف عن تناقضاتها وإعادة قراءتها من زوايا متعددة، وتحليل للعناصر الأساسية فيها وهي:

1. **التناقض بين الحضور والغياب:**

النص الخلفي يركز على شخصية "نوري" الذي يسعى للبحث عن والده المختفي، فيعكس التناقض بين الحضور والغياب. فاختفاء الأب يخلق فراغًا هائلًا، ليس فقط على مستوى الحبكة، ولكن أيضًا في هوية نوري، فيصبح البحث عن الأب بحثًا عن الذات، وهنا يظهر نوع من التوتر النصي بين فعل الاختفاء وما يترتب عليه من ظهور جوانب خفية في الشخصية، "إن الحضور إذن، هو أساس المعرفة الحقيقة التي تمتلكها الذات، واللغة هي التي تسمح لهذه الذات بالتعبير عن هذه المعرفة اتجاه العالم الخارجي إن هذه الثقة في الحضور وفي اللغة"[(11)].

2. **الازدواجية بين الحقيقة والوهم:**

تذكر العتبة أن "نوري" لم يكن يتخيل الفراغ الذي خلفه والده، وهو ما يطرح تساؤلات حول إدراك الحقيقة مقابل بنائها في الذهن، وهل الحقيقة تكمن في البحث، أم أن الحقيقة غير موجودة إلا في تصورات نوري؟ من هذا المُنطلق يمكن اعتبار أن البحث عن الأب هو بحث عن سردية غير موجودة أصلًا، بل هي مجرد محاولة لإعادة بناء واقع غير يقيني ومُتخيل.

3. **اللغة بوصفها بناءً زائفًا للمعنى:**

العتبة الخلفية تشير إلى أن الرواية تُكتب بلغة "سلسة وجذابة"، لكن من منظور تعدد القراءة التفكيكي. إن هذه اللغة قد تكون مجرد أداة تُخفي التعقيد الحقيقي خلف النص، أي إن السلاسة الظاهرية تخفي التناقضات الداخلية للنص، ما يفتح المجال لإعادة قراءته من زوايا متعددة قد تهدم هذا الوهم السلس والسهل، فكم من قراءات رفعت من شأن نصوص ليست بذات المستوى اللائق بأن تكون نصًّا أدبيًّا.

4. **المفارقة بين الاستقرار والاضطراب:**

على الرغم من أن نوري يعيش حياته بعد غياب والده، فإن الرواية تستدعي سؤالًا رئيسًا: "كيف نواصل الحياة رغم اختفاء أحبائنا؟" هذا السؤال يحمل تناقضًا داخليًا، فالحياة والاستمرار يصبحان مشروطين بالغياب، لا بالحضور، يمكن أن يعد هذا نوعًا من التناقض التأسيسي، إذ يُبنى المعنى استمرار الحياة على نقيضه (الاختفاء/الموت).

5. الهوية المتشظية بين الشرق والغرب:

الجزء الخاص بسيرة السارد هشام مطر، يعكس نوعًا من التشظي الثقافي، فقد وُلد في نيويورك لأبوين ليبيين، ثم انتقل إلى القاهرة، ويعيش الآن بين لندن ونيويورك، هذه الهويات المتعددة تكشف عن مفارقة وجودية: إلى أين تنتمي الذات؟ وما معنى الهوية عندما تتوزع عبر أماكن مختلفة؟ هذه الإشكالية يمكن قراءتها في ضوء البحث عن الأب كمجاز أوسع للبحث عن جذور الهوية المفقودة.

أخيرًا العتبة الخلفية لرواية اختفاء تُخفي اختفاء داخله شبكة من التناقضات الحضور مقابل الغياب، البحث عن الحقيقة مقابل وهم المعرفة، اللغة السلسة مقابل المعنى الملتبس، الاستقرار مقابل الاضطراب، والهوية المتعددة مقابل فقدان الجذور، هذه التوترات تجعل العتبة الخلفية نصًا مفتوحًا، يفسح المجال لقراءات متعددة أخرى يمكن أن تكشف زيف الاستقرار الظاهري لمعمار النص، وتعيد بناءه وفق احتمالات متعددة.

الخاتمة:

بعد قراءة وتمعن في العتبات النصية المُنتشرة على أركان رواية (اختفاء) ومحاولة تسليط الضوء على دورها في تشكيل أفق التلقي وتوجيه القارئ نحو فهم أعمق للنص، توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1-أسهمت العناصر البصرية والعناوين في إثارة التساؤلات حول مضمون الرواية، ما يعزز من جاذبيتها ويخلق مدخلًا أوليًا لفهم طبيعتها السردية.

2-أدَّت العتبات دورًا جوهريًا في بناء النص الروائي وتفاعله مع القارئ، فعملت جسرًا رابطًا بين النص ومتلقيه.

3-أظهر متن الرواية أثر العتبات الداخلية، المُتمثلة في العناوين والفصول والمقدمات في تقديم مفاتيح دلالية تمهد للمعاني الأعمق، ما أسهم في فك البنية السردية واستكشاف أبعاد النص الخفية.

4- هناك صِدام في الرؤى بين مصممي أغلفة رواية اختفاء، ما يعكس اختلافًا في التأويل البصري للنص الأدبي.

5-جاء الغلاف الخلفي مساحة تواصلية توجز بعض ملامح العمل، موجهة القارئ نحو زاوية معينة من التلقي، سواء عبر الملخص أو الاقتباسات أو حتى صورة الكاتب.

الحواشي:

(1) هشام مطر وُلد في نيويورك لأبوين ليبيين، وأمضى طفولته في طرابلس ثم القاهرة، صدرت روايته الأولى (في بلد الرجال) عام 2006 واختيرت في القائمة القصيرة لكل من جائزة "مان بوكر" وجائزة" الجارديان للكتاب الأول" في بريطانيا، وجائزة "حلقة نُقاد الكتاب الوطني" في أمريكا، وقد نالت العديد من الجوائز الأدبية الدولية، من بينها جائزة كُتَّاب الكومونولث الخاصة بأوروبا وجنوب أسيا، وقد تُرجمت إلى ثمانٍ وعشرين لُغة، يعيش هشام مطر في لندن ونيويورك، ويعمل أُستاذًا مندوبًا في كلية بارنارد، جامعة كولومبيا.

(2) لسان العرب لابن منظور، ج 4 مادة ع ت ب طبعة جديدة محققة دار المعارف مصر.

(3) عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008، ص44.

[4] العنوان في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2011 ص16.

[5] في نظرية العنوان مُغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق الحلبوني، بدون طبعة سنة 2007، ص84.

[6] رواية اختفاء، هشام مطر، ترجمة: محمد عبد النبي، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012، ص5.

[7] اختفاء، ص 8.

[8] اختفاء، ص59.

[9] اختفاء، ص136.

[10] علامات سردية، سعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، 2019، ص205.

[11] مُطاردة العلامات، بحث في سيميائيات شارل ساندرس بورس التأويلية (الإنتاج والتلقي)، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2016، ص156.

قائمة المصادر والمراجع

1. رواية اختفاء، هشام مطر، ترجمة: محمد عبد النبي، دار الشروق، الطبعة الأولى 2012.
2. عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بالعابد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008.
3. علامات سردية، سعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، 2019.
4. العنوان في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2011.
5. في نظرية العنوان مُغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، خالد حسين حسين، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق الحلبوني، بدون طبعة سنة 2007.
6. لسان العرب لابن منظور، ج 4 مادة ع ت ب طبعة جديدة محققة دار المعارف مصر.
7. مُطاردة العلامات، بحث في سيميائيات شارل ساندرس بورس التأويلية (الإنتاج والتلقي)، عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2016.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 242-278, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/3rypyf53

Research Article

Open Access

متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين (دراسة ميدانية بمصلحة التفتيش والتوجيه التربوي الجبل الأخضر)

حسن عياد على أرجيعة[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم التخطيط والإدارة التربوية، جامعة عمر المختار

المستخلص: هدفت الدراسة إلى التعرف على متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين، والكشف عن اختلاف هذه المتطلبات تبعًا لمتغيرات الدراسة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكوّن مجتمعها من جميع الموجهين التربويين في نطاق مصلحة التفتيش والتوجيه التربوي بالجبل الأخضر وعددهم (158)، بينما بلغت العينة العشوائية (78) موجّهًا. جُمعت البيانات باستخدام الاستبانة. أظهرت النتائج أن درجة توافر متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني جاءت متوسطة. كما لم تُسجَّل فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات: النوع، التدريب على التوجيه الإلكتروني، المؤهل العلمي، والخبرة في التوجيه التربوي. في المقابل، وُجدت فروق دالة في مجال المتطلبات التقنية تعزى لمتغير سنوات الخبرة. وأوصت الدراسة بتشكيل فريق إداري لوضع إجراءات وتشريعات داعمة للتطبيق، مع تنفيذ برامج تدريب للموجهين والمعلمين على آليات التوجيه التربوي الإلكتروني.

الكلمات المفتاحية: التوجيه التربوي الإلكتروني، المتطلبات التقنية، الموجهون التربويون، المؤسسات التعليمية

[1]*Corresponding author:
Hassan A. Argia,
hsan.Argia@omu.edu.ly
Department of Educational Planning and Administration, University Omar Al-Mukhtar, Libya.

Received:
25-03-2026

Accepted:
10-04-2026

Published online:
30-04-2026

The Requirements of implementing Electronic Educational Supervision in the Educational Institutions from Supervisors Point of View (A field study at the Educational Inspection and supervision Department, Al Jabal Al Akhdar)

Abstract: The study aimed to identify the requirements for implementing electronic educational supervision in educational institutions from the perspective of educational supervisors and to examine differences in views according to study variables. A descriptive-analytical method was used. The population included all supervisors in the Green Mountain Educational Inspection and Supervision Authority (158), and a random sample of 78 supervisors participated. Data were collected using a questionnaire. Results showed that the availability of requirements for implementing electronic educational supervision was rated at a moderate level. No statistically significant differences were found in participants' ratings attributable to gender, training in electronic supervision, academic qualification, or experience in educational supervision. However, significant differences appeared in the technical requirements domain due to years of experience. Based on the findings, the study recommended forming an administrative team to develop supportive administrative and legislative procedures to ensure effective implementation, and providing training for supervisors and teachers on the mechanisms and tools of electronic educational supervision.

Keywords: Electronic educational supervision, technical requirements, educational supervisors, educational institutions

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

اولاً: منهجية الدراسة:

1. المقدمة

نظراً للتطورات المتسارعة التي يشهدها ميدان التربية والتعليم الناجمة عن التقدم العلمي والتكنولوجي فقد تطور دور الموجة التربوي وتعددت مهامه، وتنوعت مجالات عملة، لتشمل جميع جوانب العملية التعليمية ومساعدة المعلمين على التنمية المهنية، والعمل على متابعتهم في المواقف التعليمية المختلفة، واستخدام مهارات التواصل معهم لتوفير بيئة داعمة تمكنهم من الثقة به ومساعدتهم على تحسين تعلم تلاميذهم، ومستوى أدائهم ومساعدتهم في حل المشكلات التي تواجههم وتزويدهم بالخبرات اللازمة وكذلك اكتشاف قدرات المعلمين ومواهبهم وتهيئة الفرص المناسبة لإظهار تلك القدرات والمواهب التي يتمتعون بها في مختلف المجالات وتوظيفها للرقى بمستوى العملية التربوية والتعليمية، (الكلبانى،2016).

وبما أن العملية التعليمية والتوجيهية تسيران جنبا إلى جنب فما يحدث للتعليم من تحديث يجب أن يواكبه تطوير وتحديث في التوجيه التربوي، فظهور التعليم الإلكتروني فرض على الموجهين التربويين أن يطوروا ممارساتهم وأساليبهم في تقديم الخدمة التوجيهية للمعلمين. لذا فإن حاجة الموجة التربوي والمعلم لمعلومات غنية متعددة المصادر للبحث والتطوير الذاتي في ظل التطور والتقدم التقني أصبحت ضرورة ملحة لاستخدام التوجيه التربوي الإلكتروني الذي يعتمد على توظيف الوسائل الحديثة كالحاسب الآلي والشبكة العنكبوتية ووسائطها المتعددة والتي تعتبر من أفضل الوسائل لتوفير بيئة تعليمية ثرية، وتحقق تعلماً أفضل وذلك لمواجهة التغيرات التي تواجه المجتمع وتحقق طموحاته، وتعمق التواصل مع المعلمين ومتابعتهم من أجل تحسين مكونات العملية التعليمية، والانظمة التي يشوبها القصور.

وقد أدت هذه التغيرات إلى الاهتمام بالتعلم الإلكتروني الذى أصبح مطلباً أساسياً في عصرنا هذا وبدأت بتبنية مؤسسات التعليم في العالم لما له من أهمية كبيرة حيث أنه يعتمد على توظيف التقنيات (القاسم،2013)، من خلال العمل على حل مشكلة التوجيه التقليدية المتمثلة بصعوبات الحركة، والتنقل، وزيادة أعداد المعلمين، وصعوبة الاتصال المباشر معهم، بالإضافة إلى أنه يوفر الوقت والجهد، والتكلفة لكل من الموجة والمعلم، ويحقق سرعة تبادل المعلومات والخبرات بين أطراف العملية التعليمية حيث يرتبط الموجة التربوي بزملائه الموجهين، وكذلك بالمعلمين عن طريق الشبكة الإلكترونية (هزايمة،2019).

فالتوجيه الإلكتروني يسعي من خلال تفعيل الزيارة التوجيهية الإلكترونية إلى تحسين أداء سير المنظومة التربوية والتوجيهية في جميع مجالاتها (المدخلات، العمليات، المخرجات) فهو يعتبر نقلة نوعية في أساليب التوجيه التربوي الحديثة من إشراف تقليدي يعتمد على الزيارات التوجيهية الصفية وجها لوجه بين الموجهين التربويين والمعلمين إلى زيارات إشرافية إلكترونية مبنية على روح التعاون والثقة والتفاهم مستخدمين وسائل التقنية الحديثة

للتواصل فيما بينهم ومعززين لدور التكنولوجيا والاتصالات من جهة والمشاركة الإيجابية في تبادل المعلومات وتقديم التغذية الراجعة المباشرة من جهة أخرى (النعماني واخرون،2022).

إن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في القرن الحادي والعشرين أصبح من اساسيات التعليم والتعلم واستخدامها في كل مدرسة أصبح ضرورة تربوية بل أصبح امتلاك الإداريين والمعلمين لمهارات الإنترنت والحاسوب شرطاً للتعيين والترقية ولممارسة مهنة التعليم والإدارة في معظم النظم التربوية في الدول المتقدمة، والتوجيه التربوي لم يكن بعيداً عن هذه التطورات فأصبح يعتمد على التقنيات الحديثة من حاسوب وإنترنت للنهوض بالعملية التربوية لتحقيق تعليم وتعلم أكثر فاعلية. وبذلك دخل التوجيه التربوي في مرحلة جديدة يطلق عليها التوجيه الإلكتروني والذي يعد أسلوباً إشرافياً يمكن من خلاله تقديم البرامج التدريبية والأساليب التوجيهية للمعلمين عبر وسائط إلكترونية متنوعة من خلال الحاسب الآلي والإنترنت بأسلوب متزامن أو غير متزامن (أبوعيادة&عباينة،2016).

2. مشكلة الدراسة:

إن استخدام الوسائط الإلكترونية وتقنياتها الحديثة في عمليتي التعليم والتعلم لم تعد ترفاً بل ضرورة فرضها التقدم التكنولوجي الهائل، وهذا بدوره انعكس على دور المعلم والمتعلم، بأن أصبحت مهاراتهم المطلوبة في التعليم التقليدي غير كافية في التعليم الإلكتروني، والكتاب الإلكتروني، والمرشد الافتراضي، والمدرسة الافتراضية، والتوجيه التربوي الإلكتروني، وجميعها تعمل في إطار التعليم الإلكتروني لعمليتي التعليم والتعلم (بخيت،2021). اذ يشير الأدب التربوي إلى أن التوجيه التربوي التقليدي يواجه العديد من التحديات الإدارية والمالية والفنية بنسب متفاوتة في استخدام التقنية، مثل: (قلة الأجهزة وضعف التجهيزات اللازمة، والبنية التحتية لشبكة الأنترنت، وقلة الوعي بأهمية التقنية في مجال التوجيه لدى بعض المسؤولين) (الكندى،2018). كما أظهرت نتائج الكثير من الدراسات السابقة وتوصياتها إلى وجود عدة سلبيات وأوجه قصور في ممارسة أنماط التوجيه التربوي في المؤسسات التعليمية تحد من فاعليته ومن تحقيق الأهداف التربوية المنشودة، منها عدم تطوير الأساليب التوجيهية وضعف الكفاءة المهنية لبعض الموجهين التربويين (ابوجاسر،2012 & العلوية، 2014). ومن ناحية اخرى اشار (القطيش،2015) أن زيارات الموجة التربوي القصيرة والمتباعدة لا تساعد المعلم على النمو المهني، إنما هي على أفضل الأحوال قد تبين جوانب القصور لدية، نتيجة قيام الموجة التربوي بزيارة أو زيارتين للمعلم في العام الدراسي، ولكى يسهم الموجة التربوي في تنفيذ العديد من الأساليب التوجيهية فهو بحاجة إلى زيارات إشرافية متكررة ومتنوعة في أساليبها وهذا لا يتأتى له بسهولة نظراً للصعوبات التي قد تواجهه، منها اتساع الرقعة الجغرافية التي توجد بها المؤسسات التعليمية، وبعد بعض المدارس فيها، ومن هنا برزت الحاجة إلى بدائل ومعينات جديدة منها استخدام الانترنت في العملية التوجيهية للمساهمة في حل العديد

من مشكلات التوجيه التربوي وتبادل البيانات والمعلومات إلكترونياً بين المؤسسات التعليمية وبين مكاتب التوجيه التربوي وبالعكس.

وباعتبار أن التوجيه التربوي هو المعنى بمتابعة العملية التعليمية التعلمية، إذ يرجع إليه الجز الأكبر في استخدام التقنية التي تساعده في تجاوز الأدوار التقليدية وتحويلة إلى بيئة أكثر ملائمة لتحديات الحاضر (الكندى،2018)، إن فاعلية مكاتب التوجيه التربوي في المؤسسات التعليمية لا يمكن أن تكتمل صورتها إلا بعد معرفة المشكلات الإدارية والفنية التي تواجهها، والعمل على إيجاد الحلول لتلك المشكلات، حيث أنه من غير المنطقي الاعتماد فقط على الزيارات التوجيهية التقليدية في ظل تطور وسائل الاتصال الحديثة، وبناءً على ما سبق رأى الباحث الحاجة إلى إجراء هذه الدراسة للتعرف على **متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية.** وبناء عليه فإن مشكلة الدراسة الحالية تكمن في الإجابة على ما يأتي:

- ما الإطار المفاهيمي للتوجيه التربوي الإلكتروني؟
- ما متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين؟
- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تعزى للمتغيرات الآتية: (النوع، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة في مجال التوجيه التربوي، التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني).

3. أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق عدة أهداف هي:

- التعرف على متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين.
- تقديم التوصيات للقيادات الإدارية والتربوية لدعم مفهوم التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية ومتطلبات تطبيقه بما يضمن تحقيق الكفاءة والفاعلية في العملية التربوية والتعليمية.
- إلقاء الضوء على مفهوم التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية ومتطلبات تطبيقه وأهميته كأسلوب إداري حديث يسهم في تحقيق الفاعلية الإدارية في المؤسسات التعليمية.
- معرفة العلاقة بين المتغيرات الشخصية للمبحوثين ومتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني.

4. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في النقاط الاتية:

- ❖ تأتي أهميتها من الأهمية التي يؤديها التوجيه التربوي الإلكتروني ودورة المهم في تطوير العملية التعليمية وعلى مواكبة المستجدات التربوية في ظل التطور المعرفي والتقدم التكنولوجي والجهود المبذولة نحو تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني وتقليل الاعتماد على التوجيه التقليدي الذي يعتمد على الزيارة الحسية وجهاً لوجه.
- ❖ إن أهمية هذا الدراسة تنبع من كونها الدراسة الأولى – في حدود علم الباحث – التي تتناول موضوع متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية الليبية (التعليم الأساسي، والمتوسط)، فضلاً عن توفر قاعدة بيانات مهمة لمساعدة الباحثين والدارسين وتشجعهم لإجراء مزيد من الأبحاث في هذا المجال كونه أحد الجوانب الأساسية لنجاح المؤسسات التعليمية
- ❖ تحاول الدراسة أن تقدم مساهمة لوزارة التربية والتعليم ولمصلحة التفتيش والتوجيه التربوي ولمراقبات التربية والتعليم في ليبيا، من حيث تبيان أهمية التوجيه التربوي الإلكتروني للموجهين التربويين من خلال تدريبهم وتنمية قدراتهم وتحفيزهم وحل مشاكلهم، للوصول إلى مستوى عال من الأداء حتى تضمن المؤسسات التعليمية أن تحصل على أفضل قدرات للعاملين لديها.

5. حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة الحالية على معرفة متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وتتضمن: (المتطلبات البشرية، المتطلبات المادية، المتطلبات التنظيمية، المتطلبات التقنية).
- الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة الحالية على الموجهين التربويين بمرحلتي التعليم الأساسي والمتوسط بمصلحة التفتيش والتوجيه التربوي بالجبل الأخضر.
- الحدود المكانية: تم إجراء الدراسة الميدانية بفرع مصلحة التفتيش والتوجيه التربوي بالجبل الأخضر ويشمل: (وحدة التفتيش والتوجيه التربوي شحات، وحدة التفتيش والتوجيه التربوي البيضاء)، بمراقبات التربية والتعليم بالبلديات الآتية: (شحات، سوسة، البيضاء، الساحل، عمر المختار، وردامه) خلال العام الدراسي (2026/2025م).

6. مصطلحات الدراسة:

الموجة التربوي: هو شخص متخصص ميولاً ووظيفة للقيام بمهام التوجيه التربوي وملاحظة وتقويم واقع المؤسسة التعليمية، وتحديد مواطن قوتها ومواطن ضعفها البشرية والسلوكية، والمهنية، والنفسية والمادية، تمهيداً لتنميته مهنياً بالتوجيه والتطوير إلى مستوى أكثر كفاءة وفاعلية (مصلح،10،2011).

التوجيه التربوي: هو مجموعة من الجهود المنظمة والمخططة والموجهة نحو مدخلات العملية التعليمية البشرية والمادية بهدف تحسين مستوى العملية التعليمية وتطويرها، وذلك عن طريق تحسين ممارسات المعلم التدريسية، وتنمية قدراته وكفاياته التعليمية مما يساعده في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة (الأغا، 2008،149).

التوجيه الإلكتروني: اسلوب إشراف يعتمد على التقنيات الحديثة في الاتصال (الأنترنت) لتفعيل الأساليب التوجيهية المختلفة لتطوير آدا المعلمين وتنميتهم مهنياً ومساعدة الموجهين التربويين لتخطى الحواجز الزمنية والمكانية (القطيش،2015، 173).

ويعرف اجرائياً بأنه: نمط للإشراف باستخدام آليات الاتصال الحديثة وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات ولآليات بحث ومكتبات إلكترونية سواء عن بعد أو في مراقبات التربية والتعليم، أوفي المدراس أوفي الفصول الدراسية وهو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال وتبادل المعلومات والخبرات سواء بين المعلم والموجة التربوي أوبين الموجة والمؤسسة التعليمية بأقصر وقت وأقل جهد وتكلفة وأكبر فائدة (الكلبانى،2016).

متطلبات تطبيق التوجيه الإلكتروني: بأنها كل العناصر التقنية والبشرية والمادية وما يرتبط بها من جوانب تنظيمية تتفاعل تكاملياً ضمن مناخ عام يتيح فرصاً مناسبة لتنفيذ العملية التوجيهية ضمن منظومة العمل التعليمي لوزارة التربية والتعليم بالبلديات بأساليب تكنولوجية حديثة تسهم في انجاح العمل التوجيهي وتحقيق تواصل تربوي فعال والتي يمكن قياسها من خلال أداة الدراسة (حمدان، 2015).

ثانياً: الدراسات السابقة

1. **السوالمه، سالم معيوف، حسين مشوح القطيش** (2015): استهدفت الدراسة التعرف على درجة استخدام الموجهين التربويين للأنترنت في التوجيه الالكتروني في مديريات التربية والتعليم في محافظة المفرق وعلاقته بمتغيرات الجنس والخبرة، وتكونت عينة الدارسة من (45) مشرفاً ومشرفةً. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة استخدام الموجهين التربويين للأنترنت كانت بدرجة قليلة، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام الموجهين التربويين للأنترنت تعزى للجنس ولصالح الذكور، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استخدام الموجهين التربويين للأنترنت تعزى لمتغيري الخبرة.

2. **أبو عيادة، هبة توفيق، وصالح أحمد عبابنة** (2016) هدفت الدراسة التعرف على درجة فاعلية توظيف تقنيات الإنترنت في التوجيه التربوي في المدارس الخاصة في عمان من وجهة نظر المعلمين والموجهين التربويين. ولتحقيق هدف الدراسة تم بناء استبانة تكونت من (58) فقرة، تم توزيعها إلى عينة الدراسة التي تكونت من (535) معلما ومشرفًا تربويا، وكان من أهم نتائج الدراسة أن درجة فاعلية توظيف تقنيات الإنترنت في

التوجيه التربوي في المدارس الخاصة في عمان كانت كبيرة لجميع المجالات وللأداة ككل، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لمتغيري الجنس وتقنية الإنترنت المستخدمة في التوجيه التربوي.

3. سلامة، كايد، زينب محمد أبو غزلة (2020)**:** هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة إمكانية تطبيق التوجيه الإلكتروني من وجهة نظر مديري المدارس والمعلمين في محافظة جرش والتعرف على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة إمكانية تطبيق التوجيه الإلكتروني تعزى لاختلاف متغيرات (الجنس، وعدد سنوات الخدمة، والمؤهل العلمي). تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والاستعانة بالاستبانة كأداة للدراسة، وقد طبقت على (50) مديراً ومديرة و(700) معلماً ومعلمة بالطريقة العشوائية، وكان من أهم النتائج: أن الدرجة الكلية للأداة جاءت بدرجة متوسطة، حيث جاء مجال القوانين والتشريعات الخاصة بالتوجيه الإلكتروني بالمرتبة الأولى، بينما جاء مجال الإمكانات التكنولوجية الحديثة والمادية بالمرتبة الأخيرة وكذلك عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات: (الجنس، وسنوات الخدمة، والمؤهل العلمي). توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها: توفير الدعم المالي اللازم للبنية التحتية الخاصة بالتوجيه الإلكتروني.

4. النعماني، وآخرون (2022)**:** هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر الزيارة التوجيهية الإلكترونية في درجة قبول المعلمين للتكنولوجيا في العملية التوجيهية باستخدام التقنيات الحديثة المرئية والمسموعة. اتبعت الدراسة المنهج شبه التجريبي، واختيرت عينة الدراسة بالطريقة القصدية، وبلغ عدد أفرادها (23) معلما. وتوصلت الدراسة إلى النتائج عدة نتائج اهمها وجود فروق بين التطبيقين القبلي والبعدي للمقياس على أفراد المجموعة التجريبية لصالح التطبيق البعدي في درجة قبولهم للتكنولوجيا في العملية التوجيهية، بالإضافة إلى وجود حجم مناسب ودال إحصائيا للأثر الذي تركته الزيارة التوجيهية الإلكترونية في أفراد المجموعة التجريبية في التطبيق البعدي في درجة قبولهم للتكنولوجيا في العملية التوجيهية.

5. Pathummart, K, Chookiat, W, & Worasit R (2024)

هدف البحث إلى دراسة فعالية التوجيه التعليمي الرقمي الذي يقدمه المشرفون التربويون التابعون لمكتب منطقة التعليم الابتدائي الشمالي الشرقي. وتطوير نموذج للتوجيه التعليمي الرقمي الذي يقدمه المشرفون التربويون التابعون لمكتب منطقة خدمة التعليم الابتدائي الشمالي الشرقي. وتقييم جدوى وفوائد النموذج المقترح. وكشفت نتائج البحث عن التوجيه التعليمي الرقمي الفعال للمشرفين التربويين يتكون من أربع عمليات رئيسية: تحليل السياق، وضع خطط التوجيه التعليمي، مراقبة ممارسات التدريس، التفكير في النتائج. وتضمنت كل عملية تحليل المشكلات، وتحديد الاحتياجات، والتخطيط التعاوني، والاستخدام المنهجي للأدوات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية بما يتماشى مع عملية التوجيه التعليمي.

6. Marwa AlAddam (2025)

هدفت هذه الدراسة إلى فهم ثورة الإشراف التربوي الإلكتروني التي بدأت تُطبق في الدول المتقدمة. ثورة الذكاء الاصطناعي حتمية، ولا مفر منها. يحقق الإشراف التربوي الإلكتروني العدالة التي طالما حلم بها المعلمون، مستخدمًا الإحصائيات والأرقام فقط لدمج قراراته. تشرح هذه الدراسة مفهوم ملفات الأداء الأكاديمي الإلكترونية باستخدام نظريتي الاحتمالات والألعاب. سيصبح جوهر نظام الإشراف التربوي الإلكتروني الديناميكي، والذي سيحدد السياسة التعليمية في البلد بأكمله في المستقبل. كيف تطور، وما الذي يحاول المعلمون والمبرمجون القيام به لإحيائه؟ يهدف البحث إلى تطوير خوارزمية وخارطة طريق لإنشاء إشراف إلكتروني لتطوير التعليم بأكمله.

7. Lawahiz Genedy (2025)

هدفت الدراسة إلى تحديد واقع الإشراف التربوي الإلكتروني في مدارس التعليم العام بالمملكة المتحدة وإمكانية تطبيقه في مصر. اعتمدت الدراسة على منهج البحث المقارن، وتمثلت مشكلة الدراسة في: كيف يمكن الاستفادة من تجربة المملكة المتحدة في تطبيق الإشراف التربوي الإلكتروني في التعليم العام بمصر؟ اتبعت الدراسة عدة خطوات: تحديد الإطار العام للدراسة، بما في ذلك المقدمة، ومنهجية البحث، والإطار النظري للإشراف التربوي الإلكتروني، بما في ذلك مفهومه وأهميته وأهدافه ومجالاته وأنواعه ومتطلباته كما حددتها الأدبيات المعاصرة، والتعرف على ملامح جهود الدولة المصرية لتحفيز الإشراف التربوي الإلكتروني في التعليم العام، وتحديد تجربة المملكة المتحدة في تطبيق الإشراف التربوي الإلكتروني في التعليم العام، والتوصل إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات لتفعيل الإشراف التربوي الإلكتروني في التعليم العام بمصر لتحسين جودته استنادًا إلى تجربة المملكة المتحدة. أشارت نتائج الدراسة إلى ضعف البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ونقص أجهزة الحاسوب في جميع المدارس، وعدم ملاءمة بعض المباني المدرسية لاستخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة كالحاسوب، وافتقار غالبية المشرفين التربويين للمهارات اللازمة لاستخدام برامج الحاسوب. وبناءً على هذه النتائج، أوصت الدراسة بضرورة قيام المشرفين التربويين بتطوير مهاراتهم وممارساتهم الإشرافية بما يتوافق مع متطلبات التعلم الإلكتروني، وتبني برامج تدريبية لتدريب المشرفين التربويين والمعلمين على التعامل الاحترافي مع الحاسوب والإنترنت ووسائطه المتعددة.

8. Abu Znaid W., & Jondi N. (2025)

هدفت الدراسة إلى تحديد التحديات التي تواجه تطبيق الإشراف التربوي الإلكتروني من وجهة نظر المشرفين التربويين في دولة فلسطين، وسبل معالجتها في ضوء بعض المتغيرات. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي من خلال أداتين نوعية وكمية، هما المقابلة والاستبيان. وتم الاعتماد على المنهج الكمي لقياس التحديات التي تواجه الإشراف الإلكتروني. تم تطبيق الاستبانة على عينة عشوائية بسيطة قوامها (45) مشرفًا ومشرفة، وأظهرت النتائج أن التحديات التي تواجه الإشراف التربوي في المجالات الأربعة جاءت بدرجة كبيرة، وتم ترتيبها حسب: (التحديات الفنية، والتحديات المادية، والتحديات التنظيمية، والتحديات البشرية)، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق من

وجهة نظر المشرفين التربويين تبعًا لمتغيرات (الجنس، والمؤهل العلمي، والمرحلة الدراسية المشرف عليها، وسنوات الخبرة الإشرافية).

ثالثاُ: الإطار النظري

أولاُ: مفهوم التوجيه الإلكتروني

تعددت التعريفات لمصطلح التوجيه الإلكتروني، لارتباطه بتكنولوجيا التعليم التي تتطور بسرعة كبيره يوماً بعد يوم، لذا يمكن ذكر بعض منها: عرف عبيدات وأبو السميد (2007) التوجيه التربوي الإلكتروني بأنه: ممارسة إشرافية تعتمد على التقنيات الحديثة في الاتصال لدعم المعلمين وتنميتهم مهنياً، ولتطوير العملية التربوية، باستخدام مختلف الأساليب التوجيهية الحالية، من اجتماعات، ووسائل، ودروس تطبيقية. وأشار خلف الله (2014) إلى أن التوجيه الإلكتروني هو: نمط إشرافي يقدم أعمال التوجيه التربوي ومهامه عبر الوسائط المتعددة على الحاسب الآلي وشبكاته للمعلمين والمدارس، على نحو يتيح لهم إمكانية التفاعل النشط مع الموجهين التربويين أو مع أقرانهم سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أم غير متزامنة، مع إمكانية إتمام هذه العمليات في الوقت والمكان وبالسرعة التي تناسب ظروف الموجهين التربويين، فضلا عن إمكانية إدارة هذه العمليات عن طريق تلك الوسائط (القرينية واخرون،2021).

ثانياً: مميزات التوجيه الإلكتروني

1. يساعد في تدريب المعلمين في مقار أعمالهم وتأهيلهم باستمرار دون الحاجة إلى ترك أعمالهم أو إيجاد بديل يساعد على تنمية قدرات المعلمين على مهارات التواصل مع بعضهم أو مع أقرانهم.
2. يساعد في حل مشكلة ازدحام قاعات التدريب أو عدم توفرها إذا ما استخدم بطريقة الأشراف عن بعد.
3. يساعد الموجهين والمعلمين على ملاحقة التغيرات والتطورات المتسارعة في المعارف والمعلومات.
4. يساعد الموجهين في التواصل مع المدرسة والحصول على المعلومة بيسر وسهولة ودقة. يساعد في التغلب على ضعف أداء أو تأهيل بعض الموجهين التربويين.
5. يساعد في الحد من ميل بعض الموجهين للممارسات التفتيشية. يسهم التوجيه التربوي الإلكتروني في تحقيق الجودة في التعليم.
6. يساعد التربوي الإلكتروني المعلم على النمو المهني في أي وقت وفي أي مكان (بخيت،2021).

ثالثاً: انواع التوجيه الإلكتروني:

1. التوجيه المعتمد على الحاسب الآلي: وهو التوجيه الذي يتم بواسطة الحاسب الآلي وبرمجياته ويقدم من خلال وسائط التخزين (الأقراص المدمجة، أسطوانات الفيديو، الأقراص الصلبة)، وهذا النوع يتيح للمعلمين التفاعل مع ما يقدم لهم دون التفاعل مع الموجة التربوي أو مع الأقران.

2. التوجيه المعتمد على الشبكات: وهو التوجيه الذي يتم من خلال إحدى شبكات الاتصال المحلية أو الإنترنت ويتيح هذا النوع فرصة التفاعل النشط بين المعلمين والموجهين التربويين من جهة وبين المعلمين والأقران من جهة أخرى.

3. التوجيه الرقمي: وهو التوجيه الذي يتم من خلال وسائط تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية (الحاسب الآلي وشبكاته، شبكة الكابلات التلفزيونية، أقمار البث الفضائي).

4. التوجيه عن بعد: وهو التوجيه الذي يتم من خلال كافة الوسائط سواء التقليدية (المواد المطبوعة، أشرطة التسجيل، الراديو، التلفزيون) أو الحديثة (الحاسب الآلي، وبرمجياته وشبكاته، القنوات الفضائية، الهاتف المحمول) ويكون فيه المعلمون بعيدين مكانياً أو زمانياً أو الاثنين معاً عن الموجة التربوي (أبو غزالة وكايد،2020). وفيما يلى تلخيص لأهم الاختلافات بين التوجيه التقليدي والتوجيه التربوي الإلكتروني.

جدول (1) يوضح الجدول التالي الفرق بين التوجيه التقليدي والتوجيه التربوي الإلكتروني

التوجيه التقليدي	التوجيه التربوي الإلكتروني
يطبق في المدارس أو مراكز التوجيه التربوي في أوقات العمل الرسمي.	يتم عن طريق الحاسب الآلي وشبكاته ومنها الإنترنت في أي مكان وفي أي وقت.
يتم بطريقة مباشرة من خلال اللقاءات الفردية والجماعية فتظهر المشاعر والانفعالات والحركات التي تجعل منه عملية انسانية.	يتم بطريقة غير مباشرة كاللقاءات عبر الشبكة من خلال المحادثة ومؤتمرات الفيديو والبريد الإلكتروني.
يعد الموجة التربوي المصدر الرئيس للمعلومة والمرجع الأساسي الذى يعتمد عليه المعلمين.	تتنوع مصادر المعلومات من خلال التواصل مع الموجة والأقران والمواقع المتخصصة.
تتم متابعة المعلمين من خلال الزيارات واللقاءات داخل المدرسة مما يشكل عبئاً على الموجة، وقد لا يستطيع الوفاء بذلك مع جميع المعلمين.	تتم متابعة المعلمين باستخدام أساليب تقنية متقدمة مثل البث المباشر من داخل الفصول الدراسية أو من قاعة الاجتماعات، أو من خلال العروض المسجلة.
يستغرق انجاز البرنامج والأساليب التوجيهية التي يعدها الموجة التربوي وقتاً طويلاً.	يمكن انجاز الكثير من البرامج والأساليب في وقت قصير وبجودة أفضل وتأثير أقوى.
يتمركز تقييم الأداء الوظيفي حول رؤية الموجة التربوي ومدير المدرسة لأداء المعلمين خلال الزيارات الصفية والعناصر المرتبطة بها.	يعتمد تقويم الأداء الوظيفي على التقويم الذاتي الحاسوبي، ومن خلال التفاعل المستمر مع متطلبات عمل التوجيه الإلكتروني.

المصدر: (رشاء القاسم، 58،2013)

رابعاً: متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني:

إن عملية الانتقال من التوجيه التقليدي إلى التوجيه التربوي الإلكتروني يستوجب اتخاذ عدد من الخطوات الإجرائية التي يمكن أن تساعد في عملية الانتقال بطريقة موضوعية وسهلة، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1. تشكيل لجنة لتطوير التوجيه التربوي على مستوى وزارة التربية والتعليم والمراقبات بالبلديات بحيث يكون اعضائها من الموجهين والموجهات ليتم التعاون الجاد والمثمر في عملية التطوير.
2. دراسة الواقع في المؤسسات التعليمية وحصر اجهزة الحاسوب المتوفرة والصالحة للعمل والتي يمكن استخدامها في تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني.
3. تهيئة المدارس ومكاتب التوجيه التربوي وتطوير بنيتها الاساسية، وذلك بتزويدها بحواسيب وخطوط إنترنت، إلى جانب تدعيم معامل الحاسوب الموجودة حالياً في المدارس بأجهزة عالية الجودة في الإرسال والاستقبال.
4. وضع خطة استراتيجية للتدريب المستمر للمشرفيين التربويين والمعلمين الذين ليس لديهم خبرة أو إلمام باستخدام اجهزة الحاسوب.
5. إنشاء قسم خاص بالتوجيه التربوي الإلكتروني في الإدارة العامة للإشراف التربوي في وزارة التربية والتعليم وتزويده بأجهزة حاسبات آلية وعمل التمديدات اللازمة للإنترنت وتشغيل البريد وشبكة الإنترنت بصورة دائمة اثناء استخدامها لمنع الصعوبات التي يمكن أن يتعرض لها كقطع البريد الإلكتروني.
6. لابد أن يكون فريق الدعم الفني مكون من فنى مسؤول عن إدارة الشبكات وفنى مسؤول عن صيانة الشبكات إلى جانب مشرفون يقومون على استفسارات المعلمون وكذلك منسقين للتنسيق بين خدمات الإنترنت(حمدان،2015).

خامساً: معوقات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني:

إن العوائق الفنية والمالية ليست هي السبب الرئيس لعدم استخدام التوجيه التربوي الإلكتروني بل أن العنصر البشري له دور اساسي في ذلك، فأكبر عائق يواجه تطبيق التقنية في مراقبات التربية والتعليم ومكاتب التوجيه التربوي هو عزوف الكثير من الموجهين التربويين والمديرين والمعلمين عن استخدام التوجيه التربوي الإلكتروني في العملية التعليمية لعدم الوعى بأهميته لاسيما بكيفية استخدام الحاسب الآلي على وجهه العموم أولاً وباستخدام الإنترنت على وجه الخصوص ثانياً وعن كيفية استخدام هذه التقنية في عمليتي التعليم والتعلم وخصوصاً تطبيقات التوجيه الإلكتروني في مجال الإدارة والتوجيه التربوي (أبو حسين، 2021).

كما يمكن ذكر (أبودلاخ،2022) عدة معوقات أخرى هي:

1. ضعف البنية التحتية لهذا النمط التوجيهي من حيث تأمين الأجهزة والشبكات وأساليب الاتصالات الحديثة وغيرها.
2. ضعف مهارات التعامل مع الحاسب اللآلئ وشبكة الإنترنت لدى نسبة كبيرة من الموجهين التربويين والمعلمين.
3. عدم كفاية الكوادر البشرية المؤهلة تأهيلاً عالياً لإنجاح هذا النمط سواء الكوادر الفنية (مصممي البرامج، الإداريين) أو الكوادر التعليمية (الموجهين والمعلمين، المديرين).

4. صعوبة تخلى الموظفين في (مراقبات التربية والتعليم والمدارس) عن النظرة التقليدية للإشراف التربوي التي تراه محصور في الزيارة وإملاء التوجيهات وتقويم الاداء المهني للمعلمين.
5. ارتفاع التكلفة المادية لتطبيق هذا النمط الإشرافي سواء من حيث الاجهزة والبرمجيات أو الاتصال بشبكة الإنترنت.
6. المقاومة المحتملة من الموجهين التربويين والمديرين والمعلمين للإشراف التربوي الإلكتروني.

رابعاً: اجراءات الدراسة الميدانية

– **منهج الدراسة:** تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الأكثر مناسبة لتحقيق أهداف الدراسة الحالية.

– **مجتمع وعينة الدراسة:** تكون مجتمع الدراسة من جميع الموجهين التربويين بفرع مصلحة التفتيش والتوجيه التربوي بالجبل الأخضر وعددهم (158) موجهاً خلال العام الدراسي 2026/2025م، وقد تم استخدام أسلوب العينة العشوائية لاختيار عينة حجمها (90) فردا، وتم توزيعها على عينة الدراسة، وكان عدد الاستبانات المستردة (83) استبانة، وعدد الاستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي (78) استبانة.

– **أداة الدراسة:** تم تطوير استبانة لخدمة أغراض الدارسة، لمعرفة متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من خلال الرجوع إلى الأدب النظري والدارسات السابقة مكونة من جزئين الأول خاص بالمتغيرات الأولية والثاني لمعرفة متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين وطبقت الأداة على عينة الدراسة خلال العام الدراسي 2026/2025م. وقد تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) حسب الدرجات (5, 4, 3, 2, 1) على التوالي.

– **ثبات وصدق اداة الدراسة:** تم التحقّق من صلاحية أداة الدراسة للتطبيق الميداني من خلال قياس الصدق الظاهري (صدق المحكمين)، وذلك بعرض الاستبانة على مجموعة من المحكّمين المتخصصين لإبداء آرائهم حول وضوح الفقرات وملاءمتها لأهداف الدراسة. وللتأكد من الاتساق الداخلي لبنود الاستبانة، تم حساب معامل الثبات باستخدام معامل ألفا كرونباخ .(Cronbach’s Alpha) كما جرى تقدير الصدق الإحصائي للأداة باستخراج الجذر التربيعي لقيم معامل ألفا كرونباخ. كما هو موضح في الجدول رقم (1).

جدول (1) يبين قيم معاملات الثبات والصدق لأبعاد استبانة متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية، وللاستبانة ككل

البعد	عدد الفقرات	معامل الثبات	مقياس الصدق
المتطلبات التقنية	12	0.96	0.98
المتطلبات المادية	12	0.96	0.98
المتطلبات البشرية	12	0.96	0.98
المتطلبات التنظيمية	16	0.97	0.98
الثبات الكلي للاستبانة	52	0.98	0.99

يبين جدول (1) أن معاملات الثبات، المقاسة باستخدام معامل ألفا كرونباخ، جاءت مرتفعة جدًا لجميع الأبعاد، إذ تراوحت بين (0.96–0.97)، بينما بلغ معامل الثبات الكلي للاستبانة (0.98)، وهي قيم تفوق الحد الأدنى المقبول للثبات إحصائيًا، مما يدل على تمتع الاستبانة بدرجة عالية من الاتساق الداخلي بين فقراتها.

كما تشير قيم الصدق الذاتي، المستخرجة من خلال أخذ الجذر التربيعي لمعامل الثبات، إلى مستويات مرتفعة جدًا من الصدق، حيث تراوحت بين (0.98–0.99)، الأمر الذي يعكس قدرة فقرات الاستبانة على قياس متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بدقة وموضوعية. ويؤكد ذلك صلاحية الأداة للتطبيق الميداني، وإمكانية الاعتماد على نتائجها في تحليل البيانات واستخلاص الاستنتاجات العلمية المرتبطة بأهداف الدراسة.

- **وصف عينة الدراسة**

الجدول (2) وصف عينة الدراسة حسب الجنس

ت	الجنس	العدد (التكرار)	النسبة المئوية %
1	ذكـــــر	37	% 47.4
2	أنثـــــى	41	%52.6
	المجموع	78	%100

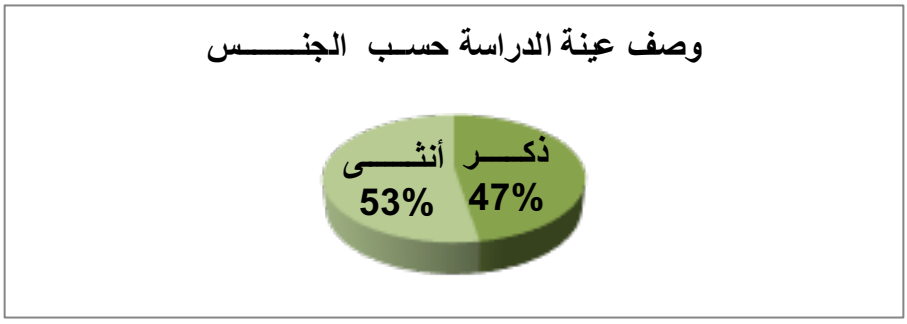

الشكل (1) يبين التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب الجنس

يبين الجدول (2) أن عدد الذكور (37) مشاركًا بنسبة مئوية قدرها (47.4%)، في حين بلغ عدد الإناث (41) مشاركة بنسبة مئوية بلغت (52.6%)، ليصل إجمالي أفراد العينة إلى (78) مشاركًا بنسبة (100%).

ويلاحظ من النتائج وجود تقارب واضح بين نسب الذكور والإناث في عينة الدراسة، مع تفوق طفيف للإناث، وهو ما يعكس تمثيلًا متوازنًا نسبيًا لكلا الجنسين. ويسهم هذا التوزيع في تعزيز موضوعية النتائج ودقتها، ويحدّ من احتمالية التحيز المرتبط بالجنس، كما يتيح إمكانية تحليل آراء واستجابات المشاركين من الجنسين بصورة عادلة عند دراسة متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني.

الجدول (3) وصف عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	النسبة المئوية
معهد متوسط	19	24.4%
معهد عالي	12	15.4%
ليسانس	27	34.6%
بكالوريوس	20	25.6%
المجموع	**78**	**100%**

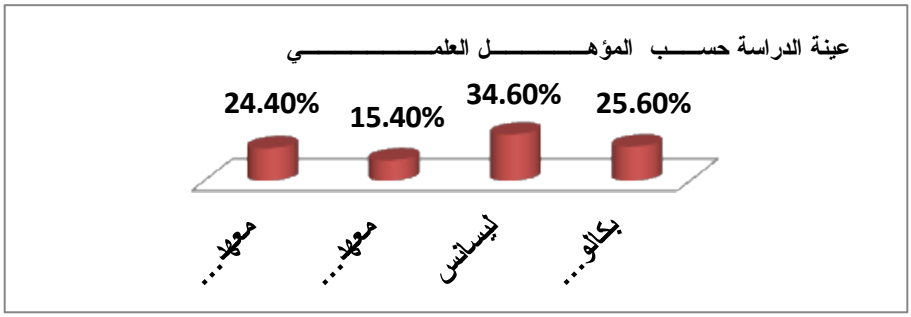

الشكل (2) يبين التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

يبين جدول (3) أن هناك تباين في مستويات التعليم بين المشاركين، إذ كانت أعلى نسبة من العينة لحملة **الليسانس** بنسبة 34.6%، تليها حملة **البكالوريوس** بنسبة 25.6%، ثم حملة **المعهد المتوسط** بنسبة 24.4%، وأخيرًا حملة **المعهد العالي** بنسبة 15.4%، ليصبح المجموع الكلي 78 مشاركًا بنسبة 100%. يعكس هذا التوزيع تنوع الخلفيات التعليمية للموجهين التربويين المشاركين في الدراسة، مما يتيح للباحث تحليل تأثير المؤهل العلمي على تقديرات المتطلبات المختلفة لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بطريقة موضوعية ودقيقة، ويعزز صلاحية النتائج لتعميمها على مجتمع الدراسة.

الجدول (4) وصف عينة الدراسة حسب التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني

التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني	العدد	النسبة المئوية
نعم	29	37.2%
لا	49	62.8%
المجموع	**78**	**100%**

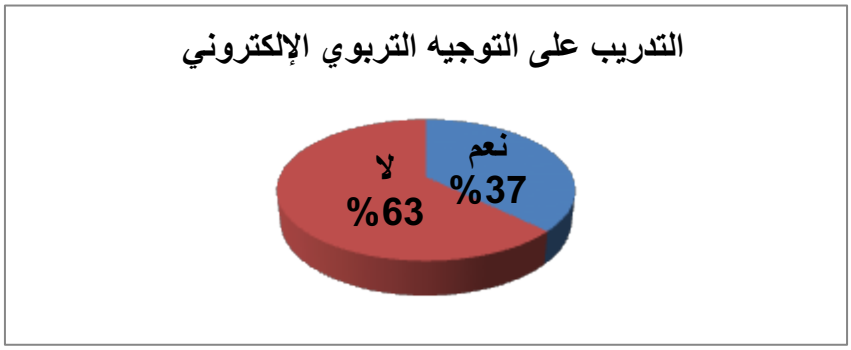

الشكل (3) التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب التدريب على التوجيه الإلكتروني

يبين الجدول (4) أن عدد المشاركين الذين سبق لهم الحصول على تدريب في مجال التوجيه التربوي الإلكتروني بلغ (29) مشاركًا بنسبة مئوية قدرها (37.2%)، في حين بلغ عدد المشاركين الذين لم يحصلوا على أي تدريب في هذا المجال (49) مشاركًا بنسبة مئوية بلغت (62.8%)، من إجمالي عينة الدراسة البالغ عددها (78) مشاركًا بنسبة (100%).وتعكس هذه النتائج وجود انخفاض ملحوظ في نسبة المشاركين الذين تلقوا تدريبًا متخصصًا في التوجيه التربوي الإلكتروني، مقابل ارتفاع نسبة غير المتدربين، وهو ما يشير إلى قصور في برامج التدريب والتأهيل المتعلقة بهذا المجال. وقد يكون لهذا القصور أثر مباشر في مستوى الجاهزية المهنية والتقنية للموجهين التربويين لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بكفاءة. كما تبرز هذه النتيجة الحاجة الملحة إلى التخطيط لبرامج تدريبية منظمة ومستمرة تسهم في رفع كفاءة الكوادر التربوية، ودعم التحول نحو أنماط الإشراف والتوجيه الإلكتروني داخل المؤسسات التعليمية.

الجدول (5) وصف عينة الدراسة حسب الخبرة في مجال التوجيه التربوي

ت	الخبرة في مجال التوجيه التربوي	العدد	النسبة المئوية %
1	أقل من (5) سنوات	24	30.8%
2	من(5) سنوات الى (10) سنوات	45	57.7%
3	من (10) فأكثر	9	11.5%
	المجموع	78	%100

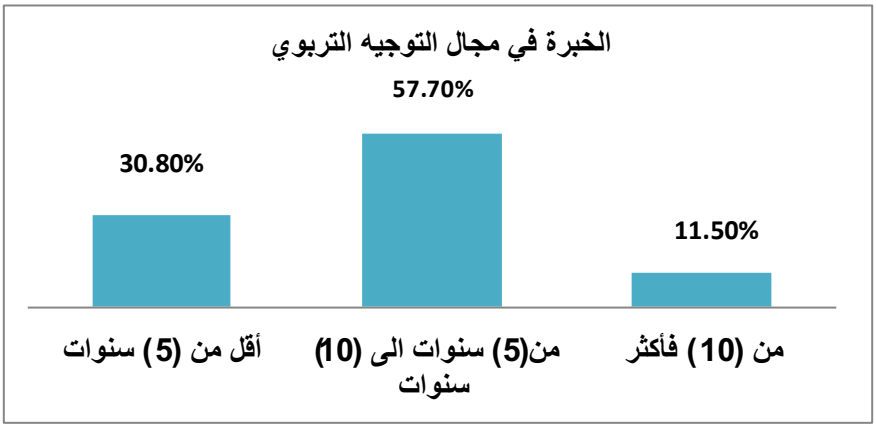

الشكل (4) التوزيع النسبي لأفراد عينة الدراسة حسب الخبرة في مجال التوجيه التربوي

يبين الجدول (5) أن غالبية أفراد العينة يمتلكون خبرة تتراوح بين (5) سنوات إلى أقل من (10) سنوات، إذ بلغ عددهم (45) مشاركًا بنسبة مئوية قدرها (57.7%)، في حين بلغ عدد المشاركين ذوي الخبرة الأقل من (5) سنوات (24) مشاركًا بنسبة مئوية بلغت (30.8%). أما المشاركون الذين تزيد خبرتهم عن (10) سنوات، فقد بلغ عددهم (9) مشاركين بنسبة مئوية قدرها (11.5%). وتشير هذه النتائج إلى أن عينة الدراسة تضم نسبة مرتفعة من الموجهين التربويين ذوي الخبرة المتوسطة، وهو ما يعكس امتلاك غالبية المشاركين رصيدًا عمليًا مناسبًا في مجال التوجيه التربوي، يؤهلهم لإبداء آراء واقعية حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني. كما أن انخفاض نسبة ذوي الخبرة الطويلة نسبيًا قد يعكس حداثة بعض الكوادر أو طبيعة التغيرات التنظيمية في مجال التوجيه التربوي، الأمر الذي يعزز أهمية التدريب المستمر ودعم الخبرات المهنية لمواكبة متطلبات التحول نحو التوجيه التربوي الإلكتروني.

ويبين الجدول (5) وصف عينة الدراسة حسب **الخبرة في مجال التوجيه التربوي**، حيث أظهرت النتائج أن غالبية أفراد العينة يمتلكون خبرة تتراوح بين (5) سنوات إلى أقل من (10) سنوات، إذ بلغ عددهم (45) مشاركًا بنسبة مئوية قدرها (57.7%). في حين بلغ عدد المشاركين ذوي الخبرة الأقل من (5) سنوات (24) مشاركًا بنسبة مئوية بلغت (30.8%). أما المشاركون الذين تزيد خبرتهم عن (10) سنوات، فقد بلغ عددهم (9) مشاركين بنسبة مئوية قدرها (% 11.5). وتشير هذه النتائج إلى أن عينة الدراسة تضم نسبة مرتفعة من الموجهين التربويين ذوي الخبرة المتوسطة، وهو ما يعكس امتلاك غالبية المشاركين رصيدًا عمليًا مناسبًا في مجال التوجيه التربوي، يؤهلهم لإبداء آراء واقعية حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني. كما أن انخفاض نسبة ذوي الخبرة الطويلة نسبيًا قد يعكس حداثة بعض الكوادر أو طبيعة التغيرات التنظيمية في مجال التوجيه التربوي، الأمر الذي يعزز أهمية التدريب المستمر ودعم الخبرات المهنية لمواكبة متطلبات التحول نحو التوجيه التربوي الإلكتروني.

خامساً : نتائج الدراسة ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الأول والذى ينص على ما متطلبات تطبيق التوجيه الإلكتروني في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الموجهين التربويين ولمعرفة ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية بين استجابات افراد الدراسة حول متطلبات تطبيق التوجيه الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وذلك كما يتضح من الجدول رقم (6)

الجدول (6): المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعياريّة لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وفق المتطلبات التقنية

ت	الفقرات		بدرجة كبيرة جدا	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة قليلة	بدرجة قليلة جدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	وجود قاعدة بيانات إلكترونية ميسرة لتنفيذ المهام الإشرافية	تكرار	17	28	11	13	9	3.397	1.312
		%	%21.8	%35.9	%14.1	%16.7	%11.5		
2	توفير برمجيات إلكترونية مناسبة للعمل الإشرافي الإلكتروني	تكرار	27	21	6	14	10	3.526	1.448
		%	%34.6	%26.9	%7.7	%17.9	%12.8		
3	حوسبة المقررات الدراسية للمباحث المختلفة بشكل تفاعلي	تكرار	28	20	8	11	11	3.551	1.456
		%	%35.9	%25.6	%10.3	%14.1	%14.1		
4	توفر برامج تفاعلية تتيح فرص التواصل المتزامن وغير المتزامن	تكرار	27	24	6	9	12	3.577	1.455
		%	34.6%	%30.8	%7.7	%11.5	%15.4		
5	توفر مدونات إلكترونية موجهة لخدمة العملية الإشراقية والتعليمية	تكرار	23	23	13	5	14	3.462	1.439
		%	%29.5	%29.5	%16.7	%6.4	%17.9		
6	وجود مواقع لإلكترونية متخصصة بالمواد الإثرائية والدروس النموذجية	تكرار	21	24	13	8	12	3.436	1.392
		%	%26.9	%30.8	%16.7	%10.3	%15.4		
7	وجود موقع إلكتروني مركزي خاص بخدمات الإشراف التربوي	تكرار	21	23	12	8	14	3.372	1.442
		%	%26.9	%29.5	%15.4	%10.3	%17.9		
8	توفر المراجع والكتب الإلكترونية التي تخدم القراءة الموجهة	تكرار	25	22	7	10	14	3.436	1.499
		%	%32.1	%28.2	%9	%12.8	%17.9		
9	جودة الخوادم المستخدمة وملاءمة سعتها التخزينية	تكرار	27	16	11	8	16	3.385	1.548
		%	%34.6	%20.5	%14.1	%10.3	%20.5		
10	ارتباط المدارس بإدارات التعليم ووزارة التعليم بشبكة إلكترونية آمنة	تكرار	20	26	9	7	16	3.346	1.476
		%	%25.6	%33.3	%11.5	%9	%20.5		
11	إتاحة برامج وتطبيقات الهواتف الذكية بما يسهل التواصل الإلكتروني	تكرار	24	23	11	7	13	3.487	1.439
		%	%30.8	%29.9	%14.1	%9	%16.7		
12	تحويل الوثائق والملفات الورقية إلى ملفات إلكترونية	تكرار	24	14	19	10	11	3.384	1.407
		%	%30.8	%17.9	%24.4	%12.8	%14.1		

يتبين من الجدول (6) أن المشاركين يقدّرون بشكل عام أهمية العناصر التقنية في تيسير وتحسين جودة التوجيه الإلكتروني، مع تفاوت نسبي في وجهات النظر حول بعض البنود. **وجود قاعدة بيانات إلكترونية ميسرة لتنفيذ المهام الإشرافية** سجل هذا البند متوسطًا قدره 3.397 وانحرافًا معياريًا 1.313، حيث أشار 35.9% من المشاركين إلى تقديرها بدرجة كبيرة، بينما 11.5% قيموها بدرجة قليلة جدًا، مما يعكس تقديرًا متوسطًا لأهمية قواعد البيانات في تسهيل تتبع الأداء الإشرافي وتنظيم المعلومات، مع تفاوت نسبي في الخبرات أو توفر هذه القاعدة في المؤسسات المختلفة. **توفير برمجيات إلكترونية مناسبة للعمل الإشرافي الإلكتروني** حصل على متوسط 3.526 وانحراف معياري 1.448، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة جدًا (34.6%)، في حين كانت أقل نسبة (7.7%) عند التقدير بدرجة متوسطة، مما يدل على تقدير مرتفع نسبيًا لأهمية البرمجيات الإشرافية في دعم التوجيه عن بعد وتحسين فعالية المتابعة والتقويم. **حوسبة المقررات الدراسية للمباحث المختلفة بشكل تفاعلي** سجل متوسطًا 3.551 وانحرافًا معياريًا 1.456، حيث اختار 35.9% تقديرًا بدرجة كبيرة جدًا، بينما 14.1% اختاروا تقديرًا بدرجة قليلة جدًا، ما يعكس وعي الموجهين بأهمية تحويل المقررات الدراسية إلى شكل رقمي تفاعلي لتعزيز فعالية التعلم ومرونة متابعة الطلاب والمعلمين. **توفر برامج تفاعلية تتيح فرص التواصل المتزامن وغير المتزامن** كان المتوسط 3.577 وهو الأعلى بين البنود، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة (30.8%) وأدنى نسبة (11.5%) بدرجة قليلة، مما يعكس إدراك الموجهين لأهمية التواصل الإلكتروني الفعال، ويدعم التفاعل اللحظي وتبادل الخبرات بشكل مستمر، ويظهر كعنصر رئيسي في نجاح التوجيه الإلكتروني. **توفر مدونات إلكترونية موجهة لخدمة العملية الإشرافية والتعليمية** سجل متوسطًا 3.462 مع انحراف معياري 1.439، حيث اختار 29.5% تقديرًا بدرجة كبيرة جدًا وأقل نسبة 6.4% بدرجة قليلة، وهو يعكس تقديرًا متوسطًا لأهمية المدونات الإلكترونية في نشر المعلومات التعليمية والإشرافية، مع تفاوت بين الموجهين حول استخدامها أو فعاليتها العملية. **وجود مواقع إلكترونية متخصصة بالمواد الإثرائية والدروس النموذجية** حصل على متوسط 3.436، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة (30.8%) وأدنى نسبة (10.3%) بدرجة قليلة، ما يعكس اعتراف الموجهين بأهمية المحتوى الداعم للتوجيه الإلكتروني، لكنه يشير إلى حاجة أكبر لتطوير هذه المواقع وزيادة فعاليتها وربطها مباشرة بالمتطلبات الإشرافية. **وجود موقع إلكتروني مركزي خاص بخدمات الإشراف التربوي** جاء متوسطة 3.372، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة (29.5%) وأدنى نسبة (10.3%) بدرجة قليلة، وهو من أقل المتوسطات، ما يشير إلى قصور في البنية التحتية المركزية للشبكة الإشراقية ويعوق توحيد الإجراءات وتسهيل الوصول للموارد بين الموجهين والمؤسسات التعليمية المختلفة. **توفر المراجع والكتب الإلكترونية التي تخدم القراءة الموجهة** سجل متوسط 3.436، حيث كانت أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة جدًا 32.1%، وأدنى نسبة 12.8% بدرجة قليلة، مما يعكس تقديرًا معتدلاً لأهمية المحتوى الرقمي، مع الحاجة إلى زيادة التوافر والتحديث المستمر للمواد الرقمية. **جودة الخوادم**

المستخدمة وملاءمة سعتها التخزينية حصل على متوسط 3.385 وانحراف معياري 1.548، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة جدًا 34.6% وأدنى نسبة 10.3% بدرجة قليلة، ما يعكس تفاوتًا واضحًا في آراء الموجهين حول كفاءة الخوادم، ويشير إلى ضرورة تحسين البنية التحتية لضمان سرعة الوصول واستقرار النظام.**ارتباط المدارس بإدارات التعليم ووزارة التعليم بشبكة إلكترونية آمنة** سجل متوسط 3.346، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة (33.3%) وأدنى نسبة 9% بدرجة قليلة، وهو أدنى متوسط بين البنود، ما يدل على ضعف الربط الآمن بين المدارس والإدارات العليا، مما قد يحد من فعالية التوجيه الإلكتروني ويؤثر على نقل البيانات بشكل موثوق. **إتاحة برامج وتطبيقات الهواتف الذكية بما يسهل التواصل الإلكتروني** سجل متوسط 3.487، حيث كانت أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة جدًا 30.8% وأدنى نسبة 9% بدرجة قليلة، ما يعكس تقديرًا نسبيًا لأهمية تطبيقات الهواتف الذكية لتسهيل التواصل السريع والمرن بين الموجه والمعلمين. **تحويل الوثائق والملفات الورقية إلى ملفات إلكترونية** سجل متوسط 3.384، مع أعلى نسبة تقدير بدرجة كبيرة جدًا 30.8% وأدنى نسبة 12.8% بدرجة قليلة، مما يدل على تقدير متوسط لأهمية الرقمنة، مع وجود بعض التحديات المتعلقة بالوقت والموارد المطلوبة لإتمام هذه العملية. تشير النتائج بشكل عام إلى أن الموجهين يقدّرون بشكل واضح **البرمجيات التفاعلية، حوسبة المقررات، وبرامج التواصل المتزامن وغير المتزامن** كأهم العناصر التقنية لدعم التوجيه الإلكتروني. في المقابل، هناك نقاط ضعف تتعلق بـ **البنية التحتية المركزية للشبكات والمواقع الإلكترونية، جودة الخوادم، وربط المدارس بالإدارات العليا بشكل آمن**، ما يعكس حاجة المؤسسات التعليمية إلى دعم تقني أكبر لضمان فعالية التوجيه الإلكتروني.

الجدول رقم (7): المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعياريّة لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وفق المتطلبات المادية

ت	الفقرات		بدرجة كبيرة جدا	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة قليلة	بدرجة قليلة جدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	تطوير شبكة إنترنت بسرعة مناسبة فى البيئة التعليمية	تكرار	20	19	12	12	15	3.2179	1.47399
		%	%25.6	%24.4	%15.4	%15.4	%19.2		
2	توفر أجهزة حاسوب بمواصفات تلائم عمل المشرفيين التربويين	تكرار	20	16	12	16	14	3.1538	1.46896
		%	%25.6	%20.5	%15.4	%20.5	%17.9		
3	مناسبة عدد أجهزة الحاسوب فى المدارس لتطبيق الإشراف الإلكتروني	تكرار	18	18	14	18	10	3.2051	1.37093
		%	%23.1	%23.1	%17.9	%23.1	%12.8		
4	انتظام التيار الكهربائي ومصادرة البديلة بما يضمن تنفيذ المهام الإشرافية	تكرار	13	21	22	17	5	3.2564	1.16704
		%	%16.7	%26.9	%28.2	%21.8	%6.4		
5	امتلاك المشرفيين التربويين أجهزة الهواتف الذكية بمواصفات مناسبة	تكرار	18	18	18	14	10	3.2564	1.34296
		%	%23.1	%23.1	%23.1	%17.9	%12.8		
6	تقديم دعم مادى لمساعدة المشرف على امتلاك الوسائل اللازمة للإشراف الإلكتروني	تكرار	21	16	8	17	16	3.1154	1.52878
		%	%26.9	%20.5	%10.3	%21.8	%20.5		

7	تهيئة قاعات دراسية مجهزة بالمستحدثات التكنولوجية	تكرار	22	12	8	21	15	3.0641	1.53182
		%	%28.2	%15.4	%10.3	%26.9	%19.2		
8	توفر قاعات تدريبية خاصة مجهزة للتدريب الإلكتروني بإدارات التربية والتعليم	تكرار	21	12	13	16	16	3.0769	1.50987
		%	%26.9	%15.4	%16.7	%20.5	%20.5		
9	تخصيص اشتراكات في المواقع الإلكترونية المتخصصة مدفوعة الأجر	تكرار	21	14	11	7	25	2.9872	1.63162
		%	%26.9	%17.9	%14.1	%9	%32.1		
10	تخصيص حوافز مالية للاستعانة بمدربين خبراء في مجال الإشراف الإلكتروني	تكرار	24	13	5	12	24	3.0128	1.67869
		%	%30.8	%16.7	%6.4	%15.4	%30.8		
11	توفر القطع اللازمة لصيانة الاجهزة الإلكترونية	تكرار	21	18	8	11	20	3.1154	1.57893
		%	%26.9	%23.1	%10.3	%14.1	%25.6		
12	تصميم برمجيات متخصصة لإدارة منظومة الإشراف الإلكتروني	تكرار	19	23	8	10	18	3.1923	1.52092
		%	%24.4	%29.5	%10.3	%12.8	%23.1		

يتبين من الجدول (7) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (2.9872) و(3.2564)، وهو ما يشير إلى **مستوى متوسط** من توافر هذه المتطلبات من وجهة نظر المشاركين، مع تباين ملحوظ في نسب الاستجابات. فيما يتعلق بـ **تطوير شبكة إنترنت بسرعة مناسبة في البيئة التعليمية**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2179) بانحراف معياري (1.47399)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (25.6%)، في حين كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة وقليلة (15.4% لكل منهما)، مما يعكس إدراكًا نسبيًا لأهمية سرعة الإنترنت، مقابل وجود تحديات فعلية في استقرار الشبكات داخل المؤسسات التعليمية. أما **توفر أجهزة حاسوب بمواصفات تلائم عمل المشرفين التربويين** فقد سجل متوسطًا حسابيًا (3.1538) وانحرافًا معياريًا (1.46896)، إذ بلغت أعلى نسبة للتقدير بدرجة كبيرة جدًا (25.6%)، بينما كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (15.4%)، وهو ما يشير إلى توافر نسبي للأجهزة، لكنه غير كافٍ لتلبية متطلبات الإشراف الإلكتروني بشكل متكامل. وبخصوص **مناسبة عدد أجهزة الحاسوب في المدارس لتطبيق الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2051) بانحراف معياري (1.37093)، حيث تساوت أعلى نسبة استجابة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة كبيرة وبدرجة قليلة (23.1% لكل منها)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (12.8%)، مما يدل على تباين واضح في جاهزية المدارس من حيث عدد الأجهزة. كما أظهرت نتائج بند **انتظام التيار الكهربائي ومصادره البديلة بما يضمن تنفيذ المهام الإشراقية** متوسطًا حسابيًا (3.2564) وانحرافًا معياريًا (1.16704)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (28.2%)، وأدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (6.4%)، وهو ما يعكس اعتمادًا نسبيًا على التيار الكهربائي مع وجود مشكلات متقطعة في الاستمرارية. وفيما يخص **امتلاك المشرفين التربويين أجهزة الهواتف الذكية بمواصفات مناسبة**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2564) بانحراف معياري (1.34296)، حيث تساوت أعلى نسبة استجابة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة كبيرة وبدرجة متوسطة (23.1% لكل منها)،

في حين كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (12.8%)، مما يدل على انتشار الهواتف الذكية مع تفاوت في كفاءتها التقنية. أما **تقديم دعم مادي لمساعدة المشرف على امتلاك الوسائل اللازمة للإشراف الإلكتروني** فقد سجل متوسطًا حسابيًا (3.1154) وانحرافًا معياريًا (1.52878)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (26.9%)، بينما سجلت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (10.3%)، وهو ما يشير إلى شعور المشرفين بالحاجة إلى دعم مالي أكبر لتعزيز ممارسات الإشراف الإلكتروني. وبالنسبة إلى **تهيئة قاعات دراسية مجهزة بالمستحدثات التكنولوجية**، بلغ المتوسط الحسابي (3.0641) بانحراف معياري (1.53182)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (28.2%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (10.3%)، مما يعكس قصورًا نسبيًا في تجهيز القاعات الدراسية بالتقنيات الحديثة. كما سجل بند **توفر قاعات تدريبية خاصة مجهزة للتدريب الإلكتروني بإدارات التربية والتعليم** متوسطًا حسابيًا (3.0769) وانحرافًا معياريًا (1.50987)، حيث بلغت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (26.9%)، بينما كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (15.4%)، وهو ما يشير إلى محدودية القاعات التدريبية المتخصصة مقارنة بحجم الحاجة الفعلية.

وفيما يتعلق بـ **تخصيص اشتراكات في المواقع الإلكترونية المتخصصة مدفوعة الأجر**، فقد سجل هذا البند أدنى متوسط حسابي (2.9872) بانحراف معياري مرتفع نسبيًا (1.63162)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (32.1%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة (9%)، مما يدل على ضعف واضح في توفير الاشتراكات المدفوعة الداعمة للإشراف الإلكتروني. أما **تخصيص حوافز مالية للاستعانة بمدربين خبراء في مجال الإشراف الإلكتروني**، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.0128) وانحرافه المعياري (1.67869)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة قليلة جدًا (30.8% لكل منهما)، في حين كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (6.4%)، وهو ما يعكس انقسامًا واضحًا في آراء المشاركين حول مدى توافر الحوافز المالية. وفي بند **توفر القطع اللازمة لصيانة الأجهزة الإلكترونية**، بلغ المتوسط الحسابي (3.1154) بانحراف معياري (1.57893)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (26.9%)، وأدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (10.3%)، مما يشير إلى وجود احتياج مستمر لتحسين خدمات الصيانة والدعم الفني.وأخيرًا، سجل بند **تصميم برمجيات متخصصة لإدارة منظومة الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا (3.1923) وانحرافًا معياريًا (1.52092)، حيث بلغت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (29.5%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (10.3%)، مما يعكس إدراكًا واضحًا لأهمية البرمجيات المتخصصة مع الحاجة إلى تطويرها وتعميم استخدامها .تشير نتائج الجدول إلى أن المتطلبات المادية لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني متوافرة بدرجة **متوسطة** من وجهة نظر المبحوثين، مع بروز نقاط قوة نسبية في توفر الإنترنت والأجهزة الذكية، في مقابل ضعف واضح في الجوانب المتعلقة

بالاشتراكات المدفوعة، الحوافز المالية، وتجهيز القاعات التدريبية. ويؤكد ذلك الحاجة إلى تعزيز الدعم المادي وتطوير البنية التحتية التقنية بما يسهم في إنجاح تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني وتحقيق أهدافه بكفاءة أعلى.

الجدول (8): المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعياريّة لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وفق المتطلبات البشرية

ت	الفقرات		بدرجة كبيرة جدا	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة قليلة	بدرجة قليلة جدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	وجود فنيين متخصصين لمتابعة أعملا الصيانة للأجهزة الإلكترونية	تكرار	20	20	6	13	19	3.1154	1.562
		%	%25.6	%25.6	%7.7	16.7 %	%24.4		
2	توفر عدد كاف من المبرمجين ومدخلي البيانات	تكرار	17	25	6	19	11	3.2308	1.404
		%	%21.8	%32.1	%7.7	24.4 %	%14.1		
3	حرص المشرفين على النمو المهني وتطوير لأساليبهم بما يتوافق مع الإشراف الإلكتروني	تكرار	16	20	19	15	8	3.2692	1.276
		%	%20.5	%25.6	%24.4	19.2 %	%10.3		
4	امتلاك المشرفيين التربويين اتجاهات إيجابية نحو الإشراف الإلكترون ي	تكرار	11	23	22	11	11	3.1538	1.249
		%	%14.1	%29.5	%28.2	14.1 %	%14.1		
5	وجود عدد كاف من المشرفيين التربويين للعمل بنظام الإشراف الإلكتروني	تكرار	13	14	25	18	8	3.0769	1.225
		%	%16.7	%17.9	%32.1	23.1 %	%10.3		
6	تعاون المعلمين والمديرين مع المشرفيين التربويين في تطبيق الإشراف الإلكتروني	تكرار	14	13	22	18	11	3.012	1.304
		%	%17.9	%16.7	%28.2	23.1 %	%14.1		
7	امتلاك المشرفيين التربويين قدراً كافياً من اللغة الإنجليزية الخاصة بالمستحدثات التكنولوجية	تكرار	20	15	10	16	17	3.064	1.523
		%	%25.6	%19.2	%12.8	20.5 %	%21.8		
8	ثقة المشرفيين التربويين بأنفسهم وقدراتهم في ظل الإشراف الإلكتروني	تكرار	17	23	11	14	13	3.218	1.411
		%	%21.8	%29.5	%14.1	17.9 %	%16.7		
9	انسجام الكادر البشرى في الإدارة التربوية مع توجهات التحول إلى الإشراف الإلكتروني	تكرار	13	17	21	15	12	3.0513	1.308
		%	%16.7	%21.8	%26.9	19.2 %	%15.4		
10	تطوير عناصر العملية الإشرافية) مشرف، مدير، معلم (للمهارات الإلكترونية اللازمة)	تكرار	16	18	12	21	11	3.0897	1.379
		%	%20.5	%23.1	%15.4	%6.9	%14.1		

11	امتلاك عناصر العملية الإشراقية لمهارات الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب	تكرار	19	20	11	14	14	3.2051	1.454
		%	%24.4	%25.6	%14.1	%17.9	17.9 %		
12	وعى عناصر العملية الإشرافية بأهمية استخدام التقنيات الحديثة في العمل الإشرافي	تكرار	14	22	13	16	13	3.1026	1.373
		%	%17.9	%28.2	%16.7	20.5 %	%16.7		

يتبين من الجدول (8) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.012) و(3.2692)، وهي قيم تعكس مستوى **متوسطًا** من توافر المتطلبات البشرية اللازمة لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني، مع وجود تباين نسبي في آراء المشاركين. أظهرت نتائج بند **وجود فنيين متخصصين لمتابعة أعمال الصيانة للأجهزة الإلكترونية** متوسطًا حسابيًا بلغ (3.1154) بانحراف معياري (1.562)، حيث سجلت أعلى نسبة استجابة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة كبيرة (25.6% لكل منهما)، في حين جاءت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (7.7%)، مما يشير إلى إدراك أهمية الدعم الفني مقابل قصور في توافره المنتظم. وفيما يتعلق بـ **توفر عدد كافٍ من المبرمجين ومدخلي البيانات**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2308) وانحرافه المعياري (1.404)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (32.1%)، بينما سجلت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (7.7%)، وهو ما يعكس حاجة المؤسسات التعليمية إلى تعزيز الكوادر التقنية المتخصصة لدعم منظومة الإشراف الإلكتروني. أما بند **حرص المشرفين على النمو المهني وتطوير أساليبهم بما يتوافق مع الإشراف الإلكتروني** فقد سجل أعلى متوسط حسابي بين البنود (3.2692) بانحراف معياري (1.276)، حيث بلغت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (25.6%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (10.3%)، مما يدل على وعي ملحوظ لدى المشرفين بأهمية التطوير المهني المستمر لمواكبة متطلبات التحول الرقمي. وبخصوص **امتلاك المشرفين التربويين اتجاهات إيجابية نحو الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.1538) بانحراف معياري (1.249)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (29.5%)، في حين تساوت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة قليلة وبدرجة قليلة جدًا (14.1% لكل منها)، وهو ما يشير إلى تباين الاتجاهات النفسية والمهنية نحو تبني الإشراف الإلكتروني. وفيما يخص **وجود عدد كافٍ من المشرفين التربويين للعمل بنظام الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.0769) وانحرافه المعياري (1.225)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (32.1%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة جدًا (10.3%)، مما يعكس شعورًا عامًا بعدم كفاية أعداد المشرفين مقارنة بمتطلبات

الإشراف الإلكتروني. كما أظهرت نتائج بند **تعاون المعلمين والمديرين مع المشرفين التربويين في تطبيق الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا (3.012) بانحراف معياري (1.304)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (28.2%)، وأدنى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (16.7%)، وهو ما يشير إلى أن مستوى التعاون لا يزال في الإطار المتوسط ويحتاج إلى تعزيز ثقافة العمل التشاركي. أما **امتلاك المشرفين التربويين قدرًا كافيًا من اللغة الإنجليزية الخاصة بالمستحدثات التكنولوجية**، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.064) بانحراف معياري مرتفع نسبيًا (1.523)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (25.6%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (12.8%)، مما يعكس تفاوتًا واضحًا في الكفاءة اللغوية المرتبطة بالتقنيات الحديثة.

وفيما يتعلق بـ**ثقة المشرفين التربويين بأنفسهم وقدراتهم في ظل الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.218) وانحرافه المعياري (1.411)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (29.5%)، وأدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (14.1%)، وهو ما يدل على مستوى جيد نسبيًا من الثقة المهنية، مع الحاجة إلى دعم مستمر لتعزيز الكفاءة الذاتية. كما سجل بند **انسجام الكادر البشري في الإدارة التربوية مع توجهات التحول إلى الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا (3.0513) بانحراف معياري (1.308)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (26.9%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (16.7%)، مما يشير إلى أن الانسجام المؤسسي لا يزال في مرحلة الانتقال ويحتاج إلى سياسات تنظيمية داعمة. وبالنسبة إلى **تطوير عناصر العملية الإشرافية (مشرف، مدير، معلم) للمهارات الإلكترونية اللازمة للتعامل مع برمجيات العمل الإشرافي**، بلغ المتوسط الحسابي (3.0897) بانحراف معياري (1.379)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة (26.9%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (15.4%)، وهو ما يعكس وجود فجوة تدريبية في تنمية المهارات الإلكترونية المطلوبة. أما **امتلاك عناصر العملية الإشرافية لمهارات الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب**، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.2051) بانحراف معياري (1.454)، حيث تساوت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (25.6%) وبدرجة كبيرة جدًا (24.4%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (14.1%)، مما يدل على توافر نسبي للمهارات الأساسية مع الحاجة إلى تطويرها.

بشكل عام تشير النتائج إلى أن المتطلبات البشرية لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني متوافرة **بدرجة متوسطة**، مع بروز نقاط قوة تتعلق بالاتجاهات الإيجابية، النمو المهني، والثقة بالقدرات الذاتية، في مقابل نقاط ضعف تتمثل في نقص الكوادر المتخصصة، والحاجة إلى تدريب مهاري وتقني أعمق، وتعزيز التعاون المؤسسي.

وتؤكد هذه النتائج ضرورة الاستثمار في التنمية البشرية بوصفها ركيزة أساسية لنجاح تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني.

الجدول (9): المتوسّطات الحسابية والانحرافات المعياريّة لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المؤسسات التعليمية وفق المتطلبات التنظيمية

ت	الفقرات		بدرجة كبيرة جدا	بدرجة كبيرة	بدرجة متوسطة	بدرجة قليلة	بدرجة قليلة جدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	اعتماد التعليمات واللوائح والتوجيهات الإدارية الداعمة للإشراف الإلكتروني	تكرار	15	24	14	10	15	3.1795	1.40263
		%	%19.2	%30.8	%17.9	%12.8	%19.2		
2	تبنى مبدأ التواصل الإلكتروني بين عناصر المنظومة الإشرافية	تكرار	13	20	15	15	15	3.0128	1.38164
		%	16.7	%25.6	19.2%	19.2%	19.2%		
3	تعامل الإدارة العامة بمرونة مع الخطط الإجرائية للمشرف التربوي	تكرار	21	17	11	12	17	3.1667	1.52398
		%	%26.9	%21.8	%14.1	%15.4	%21.8		
4	اتاحة مساحة مناسبة للمشرفيين التربويين في كيفية التعامل مع المعلمين بما ينسجم مع الإشراف الإلكتروني	تكرار	13	24	10	14	17	3.0256	1.43223
		%	%16.7	%30.8	%12.8	%17.9	%21.8		
5	تنظيم البيانات المدرسية اللازمة للإشراف الإلكتروني	تكرار	18	22	11	14	13	3.2308	1.42267
		%	%23.1	%28.2	%14.1	%17.9	%16.7		
6	التنسيق مع المؤسسات ذات العلاقة لتحسين ظروف تنفيذ الإشراف الإلكتروني	تكرار	16	22	11	14	15	3.1282	1.43571
		%	%20.5	%28.2	%14.1	%17.9	%19.2		
7	وضع استراتيجيات مناسبة لتنمية كفايات عناصر الإشراف الإلكتروني	تكرار	18	23	12	11	14	3.2564	1.4273
		%	%23.1	%29.5	%15.4	%14.1	%17.9		
8	تهيئة الظروف الميسرة لتواصل المعلمين مع مشرفيهم إلكترونياً	تكرار	18	20	13	9	18	3.1410	1.49218
		%	%23.1	%25.6	%16.7	%11.5	%23.1		
9	مواءمة أساليب تقويم الأداء بما يتناسب مع خصوصية الإشراف الإلكتروني	تكرار	17	31	4	11	15	3.3077	1.45323
		%	%21.8	%39.7	%5.1	%14.1	%19.2		
10	المتابعة المستمرة لتطوير الإشراف الإلكتروني وتحديث أدواته	تكرار	19	25	4	16	14	3.2436	1.47873
		%	%24.4	%32.1	%5.1	%20.5	%19.7		
11	تحفيز المشرفيين التربويين وتشجيعهم معنوياً على استخدم الإشراف الإلكتروني	تكرار	20	22	5	13	18	3.1667	1.54933
		%	%25.6	%28.2	%6.4	%16.7	%23.1		
12	وضع خطط لبرامج التدريب والتأهيل للمشرفين التربويين لتطبيق الإشراف الإلكتروني	تكرار	20	26	3	16	13	3.3077	1.47100
		%	%25.6	%33.3	%3.8	%20.5	%16.7		
13	صياغة رؤية شاملة متكاملة للانتقال إلى الإشراف الإلكتروني	تكرار	20	27	2	11	18	3.2564	1.54949
		%	%25.6	%34.6	%2.6	%14.1	%23.1		
14	تقنين المهام والاعباء الإدارية الملقاة على عاتق المشرف التربوي والمعلم	تكرار	19	23	8	11	17	3.2051	1.50634
		%	%24.4	%29.5	%10.3	%14.1	%21.8		

15	أن تتضمن شروط التعيين على امتلاك المشرف والمعلم للمهارات الإلكترونية	تكرار	21	22	7	11	17	3.2436	1.53052
		%	%26.9	%28.2	%9	%14.1	%21.8		
16	وضوح دور قسم التعليم الإلكتروني فى الوزارة بما يخدم الإشراف الإلكتروني	تكرار	23	22	7	8	18	3.3077	1.55678
		%	%29.5	%28.2	%9	%10.3	%23.1		

يتبين من الجدول (9) أن المتوسطات الحسابية تراوحت بين (3.0128) و(3.3077)، وهي قيم تشير بوجه عام إلى **مستوى متوسط يميل إلى الارتفاع** في توافر المتطلبات التنظيمية الداعمة لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني، مع وجود تباين نسبي في تقديرات المشاركين. أظهرت نتائج بند **اعتماد التعليمات واللوائح والتوجيهات الإدارية الداعمة للإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا بلغ (3.1795) وانحرافًا معياريًا (1.40263)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (30.8%)، في حين تساوت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة قليلة جدًا (19.2% لكل منهما)، مما يشير إلى وجود دعم تنظيمي مقبول، لكنه غير مكتمل أو غير مطبق بصورة متجانسة. وفيما يتعلق بـ **تبني مبدأ التواصل الإلكتروني بين عناصر المنظومة الإشرافية**، بلغ المتوسط الحسابي (3.0128) بانحراف معياري (1.38164)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (25.6%)، بينما توزعت أدنى النسب بالتساوي عند التقديرات بدرجة متوسطة وبدرجة قليلة وبدرجة قليلة جدًا (19.2% لكل منها)، وهو ما يعكس محدودية واضحة في ترسيخ ثقافة التواصل الإلكتروني المؤسسي. أما بند **تعامل الإدارة العامة بمرونة مع الخطط الإجرائية للمشرف التربوي** فقد سجل متوسطًا حسابيًا (3.1667) وانحرافًا معياريًا (1.52398)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (26.9%)، في حين سجلت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (14.1%)، مما يدل على وجود مرونة إدارية نسبية، إلا أنها تختلف من إدارة إلى أخرى. وبخصوص **إتاحة مساحة مناسبة للمشرفين التربويين في كيفية التعامل مع المعلمين بما ينسجم مع الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.0256) بانحراف معياري (1.43223)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (30.8%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (12.8%)، وهو ما يشير إلى أن الصلاحيات الممنوحة للمشرفين ما زالت بحاجة إلى تنظيم أوضح يتلاءم مع متطلبات الإشراف الإلكتروني. وفيما يخص **تنظيم البيانات المدرسية اللازمة للإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2308) بانحراف معياري (1.42267)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (28.2%)، وأدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (14.1%)، مما يعكس إدراكًا جيدًا لأهمية تنظيم البيانات، مع الحاجة إلى تطوير آليات أكثر كفاءة في إدارتها. كما أظهرت نتائج بند **التنسيق مع المؤسسات ذات العلاقة لتحسين ظروف تنفيذ الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا (3.1282) وانحرافًا معياريًا (1.43571)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (28.2%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (14.1%)، وهو ما يدل على أن التنسيق المؤسسي لا يزال في مستوى متوسط ويحتاج إلى تعزيز الشراكات الرسمية. أما **وضع استراتيجيات مناسبة لتنمية**

كفايات عناصر الإشراف الإلكتروني فقد سجل متوسطًا حسابيًا (3.2564) بانحراف معياري (1.4273)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (29.5%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة (14.1%)، مما يعكس اهتمامًا ملحوظًا بوضع استراتيجيات تنموية، إلا أن تطبيقها قد يواجه بعض التحديات. وفيما يتعلق بـ **تهيئة الظروف الميسرة لتواصل المعلمين مع مشرفيهم إلكترونيًا**، بلغ المتوسط الحسابي (3.1410) بانحراف معياري (1.49218)، حيث تساوت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا وبدرجة قليلة جدًا (23.1% لكل منهما)، في حين كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة قليلة (11.5%)، وهو ما يشير إلى تفاوت واضح في تهيئة البيئة التنظيمية الداعمة للتواصل الإلكتروني. أما بند **مواءمة أساليب تقويم الأداء بما يتناسب مع خصوصية الإشراف الإلكتروني** فقد سجل أحد أعلى المتوسطات الحسابية (3.3077) بانحراف معياري (1.45323)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (39.7%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (5.1%)، مما يعكس إدراكًا قويًا لأهمية تطوير آليات التقويم بما يتلاءم مع التحول الإلكتروني. وبخصوص **المتابعة المستمرة لتطوير الإشراف الإلكتروني وتحديث أدواته**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2436) بانحراف معياري (1.47873)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (32.1%)، في حين كانت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (5.1%)، وهو ما يشير إلى قناعة واضحة بأهمية التحديث المستمر، رغم تفاوت مستوى التطبيق. كما سجل بند **تحفيز المشرفين التربويين وتشجيعهم معنويًا على استخدام الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا (3.1667) وانحرافًا معياريًا مرتفعًا نسبيًا (1.54933)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (28.2%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (6.4%)، مما يدل على ضعف نسبي في أنظمة الحوافز المعنوية. وفيما يخص **وضع خطط لبرامج التدريب والتأهيل للمشرفين التربويين لتطبيق الإشراف الإلكتروني**، بلغ المتوسط الحسابي (3.3077) بانحراف معياري (1.47100)، حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (33.3%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (3.8%)، وهو ما يعكس توافقًا واضحًا حول أهمية التدريب المنظم والمخطط. أما **صياغة رؤية شاملة متكاملة للانتقال إلى الإشراف الإلكتروني** فقد سجل متوسطًا حسابيًا (3.2564) بانحراف معياري (1.54949)، حيث كانت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (34.6%)، في حين سجلت أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (2.6%)، مما يدل على الحاجة إلى بلورة رؤية استراتيجية واضحة ومعلنة. وبخصوص **تقنين المهام والأعباء الإدارية الملقاة على عاتق المشرف التربوي والمعلم**، بلغ المتوسط الحسابي (3.2051) بانحراف معياري (1.50634)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (29.5%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (10.3%)، وهو ما يعكس إدراكًا لأهمية تخفيف الأعباء الإدارية لدعم الإشراف الإلكتروني. وأخيرًا، أظهر بند **أن تتضمن شروط التعيين امتلاك المشرف والمعلم للمهارات الإلكترونية** متوسطًا حسابيًا (3.2436) بانحراف معياري (1.53052)،

حيث سجلت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة (28.2%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (9%)، مما يشير إلى وعي متزايد بأهمية الكفايات الرقمية كشرط أساسي للعمل التربوي الحديث.كما سجل بند **وضوح دور قسم التعليم الإلكتروني في الوزارة بما يخدم الإشراف الإلكتروني** متوسطًا حسابيًا مرتفعًا نسبيًا (3.3077) بانحراف معياري (1.55678)، حيث جاءت أعلى نسبة عند التقدير بدرجة كبيرة جدًا (29.5%)، مقابل أدنى نسبة عند التقدير بدرجة متوسطة (9%)، وهو ما يعكس الحاجة إلى تحديد الأدوار التنظيمية بشكل أكثر وضوحًا.تشير نتائج هذا المحور إلى أن المتطلبات التنظيمية لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني متوافرة بدرجة **متوسطة تميل إلى الارتفاع**، مع بروز عناصر قوة تتعلق بتطوير التقويم، التدريب، والرؤية الاستراتيجية، في مقابل جوانب قصور مرتبطة بالتواصل الإلكتروني المؤسسي، الحوافز، والمرونة التنظيمية. وتؤكد هذه النتائج أن نجاح التوجيه التربوي الإلكتروني يتطلب إطارًا تنظيميًا متكاملًا وواضحًا يدعم التحول الرقمي ويضمن استدامته.

النتائج المتعلقة بالإجابة على السؤال الثاني والذى ينص على هل هناك فروق ذات دلالة احصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة حول متطلبات تطبيق التوجيه الإلكتروني في المؤسسات التعليمية تعزى إلى (النوع، المؤهل العلمي، الخبرة في مجال الإشراف التربوي الإلكتروني، التدريب على الإشراف الإلكتروني)؟

أولاً: الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لاختبار (T) لعينتين مستقلتين وفقا لمتغيري (الجنس والتدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني) على محاور الدراسة (المتطلبات التقنية، المتطلبات المادية، المتطلبات البشرية، المتطلبات التنظيمية).

الجدول (10) الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لاختبار (T) لعينتين مستقلتين وفقا لمتغيري (الجنس والتدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني) بمجال المتطلبات التقنية

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبة	درجة الحريةdf	الدالة الاحصائية
الجنـــــــــــــــس						
ذكر	37	3.3266	1.34376	-0.815	69.836	0.418
انثى	41	3.5549	1.10265			
التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني						
نعم	29	3.3994	1.14724	-.268	63.860	0.790
لا	49	3.4745	1.27228			

يوضح الجدول (10) النتائج المتعلقة بمتغير **الجنس** إلى أن المتوسط الحسابي لتقديرات الإناث بلغ (3.5549) بانحراف معياري (1.10265)، وهو أعلى قليلًا من المتوسط الحسابي لتقديرات الذكور الذي بلغ (3.3266)

بانحراف معياري (1.34376). إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية المصاحبة لاختبار (T) بلغت(Sig.=0.418) وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد (0.05)، مما يدل على **عدم وجود فـــروق ذات دلالـــة إحصـــائية** بين الذكور والإناث في تقديراتهم للمتطلبات التقنية لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني. كما توضح النتائج الخاصة بمتغير **التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني** أن المتوسط الحسابي لتقديرات الموجهين الذين تلقوا تدريبًا بلـغ (3.3994) بـانحراف معيـاري (1.14724)، فـي حـين بلـغ المتوسـط الحسـابي لتقـديرات غيـر المتـدربين (3.4745) بانحراف معياري (1.27228). ورغم هذا التقارب في المتوسطات، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية بلغت(Sig.=0.790) ، وهي أيضًا أكبر من (0.05)، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصـــائية** تُعزى لمتغير التدريب في محور المتطلبات التقنية. وبناءً على ما سبق، يمكن الاستنتاج أن تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من الناحية التقنية جاءت **متقاربـــة ومتجانســـة** بغض النظر عن اختلاف الجنس أو تلقي التدريب، وهو ما يعكس إدراكًا مشتركًا لأهمية المتطلبات التقنية ودرجة توفرها، ويشير إلى أن هذا المحور لا يتأثر بالخصائص الديموغرافية المدروسة بقدر تأثره بطبيعة البيئة التقنية العامة في المؤسسات التعليمية.

الجدول (11) الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لاختبار (T) لعينتين مستقلتين وفقا لمتغيري (الجنس و التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني) بمجال المتطلبات المادية

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبة	درجة الحرية df	الدالة الاحصائية
الجنـــــــــــــــس						
ذكر	37	3.1779	1.28608	0.272	76	0.787
انثى	41	3.1016	1.19512			
التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني						
نعم	29	3.0661	1.15950	-.404	63.722	0.688
لا	49	3.1803	1.28215			

يوضح الجدول (11) النتائج المتعلقة بمتغير **الجنس** إلى أن المتوسط الحسابي لتقديرات الذكور بلغ (3.1779) بانحراف معياري (1.28608)، بينما بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات الإناث (3.1016) بانحراف معياري (1.19512). وعلى الرغم من وجود فرق طفيف في المتوسطات لصالح الذكور، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية المصاحبة لاختبار (T) بلغت(Sig.=0.787) ، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد (0.05)، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين الذكور والإناث في تقديراتهم للمتطلبات المادية لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني. كما تُظهر النتائج الخاصة بمتغير **التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني** أن المتوسط الحسابي لتقديرات الموجهين الذين تلقوا تدريبًا بلغ (3.0661) بانحراف معياري (1.15950)، في حين بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات غير المتدربين (3.1803) بانحراف معياري (1.28215). ورغم هذا التباين

البسيط، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية بلغت(Sig.=0.688) ، وهي أكبر من (0.05)، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** تُعزى لمتغير التدريب في محور المتطلبات المادية. وتعكس هذه النتائج أن تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من الناحية المادية جاءت **متقاربة إلى حد كبير** بغض النظر عن اختلاف الجنس أو تلقي التدريب، وهو ما يشير إلى إدراك مشترك لطبيعة الإمكانات المادية المتاحة وحدودها، ويعزز فرضية أن المتطلبات المادية تُعد من القضايا العامة التي لا تتأثر بشكل جوهري بالخصائص الديموغرافية المدروسة.

الجدول (12) الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لاختبار (T) لعينتين مستقلتين ووفقاً لمتغيري (الجنس والتدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني) بمجال المتطلبات البشرية

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبة	درجة الحريةdf	الدالة الاحصائية
الجنـــــــــــــــس						
ذكر	37	3.0608	1.17616	-.526	73.930	0.600
انثى	41	3.1972	1.10362			
التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني						
نعم	29	3.0517	.98107	0.612	69.048	0.612
لا	49	3.1803	1.22159			

يبين الجدول (12) النتائج المتعلقة بمتغير **الجنس** إلى أن المتوسط الحسابي لتقديرات الذكور بلغ (3.0608) بانحراف معياري (1.17616)، في حين بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات الإناث (3.1972) بانحراف معياري (1.10362). ورغم ارتفاع المتوسط الحسابي لدى الإناث مقارنة بالذكور، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية المصاحبة لاختبار (T) بلغت(Sig.=0.600) ، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد (0.05)، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين الذكور والإناث في تقديراتهم لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في محور المتطلبات البشرية. كما تُظهر النتائج الخاصة بمتغير **التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني** أن المتوسط الحسابي لتقديرات الموجهين الذين تلقوا تدريبًا بلغ (3.0517) بانحراف معياري (0.98107)، بينما بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات غير المتدربين (3.1803) بانحراف معياري (1.22159). وعلى الرغم من وجود فرق بسيط في المتوسطات لصالح غير المتدربين، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية بلغت (Sig.=0.612)، وهي قيمة أكبر من (0.05)، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** تُعزى لمتغير التدريب في محور المتطلبات البشرية. وتدل هذه النتائج على أن تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من حيث الجوانب البشرية جاءت **متقاربة** بغض النظر عن اختلاف الجنس أو الحصول على تدريب، مما يعكس وعيًا مشتركًا لدى أفراد العينة بأهمية المتطلبات البشرية ودورها في نجاح

تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني، ويؤكد أن هذه المتطلبات تُعد من القضايا العامة التي لا تتأثر بدرجة كبيرة بالخصائص الديموغرافية المدروسة.

الجدول (13) يبين الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لاختبار (T) لعينتين مستقلتين وفقا لمتغيري (الجنس والتدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني) بمجال المتطلبات التنظيمية

المتغيرات	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبة	درجة الحريةdf	الدالة الاحصائية
الجنـــــــــــــــس						
ذكر	37	2.9814	1.37972	−1.448	69.145	0.152
انثى	41	3.3948	1.11089			
التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني						
نعم	29	3.1767	1.10827	−.124	67.958	0.901
لا	49	3.2117	1.34477			

يبين الجدول (13) النتائج المتعلقة بمتغير **الجنس** إلى أن المتوسط الحسابي لتقديرات الذكور بلغ (2.9814) بانحراف معياري (1.37972)، في حين بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات الإناث (3.3948) بانحراف معياري (1.11089). وعلى الرغم من ارتفاع المتوسط الحسابي لدى الإناث مقارنة بالذكور، إلا أن قيمة الدلالة الإحصائية المصاحبة لاختبار (T) بلغت(Sig.=0.152) ، وهي أكبر من مستوى الدلالة المعتمد (0.05)، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين الذكور والإناث في تقديراتهم لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في محور المتطلبات التنظيمية. كما تُظهر النتائج الخاصة بمتغير **التدريب على التوجيه التربوي الإلكتروني** أن المتوسط الحسابي لتقديرات الموجهين الذين تلقوا تدريبًا بلغ (3.1767) بانحراف معياري (1.10827)، بينما بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات غير المتدربين (3.2117) بانحراف معياري (1.34477). ورغم تقارب المتوسطات الحسابية بين المجموعتين، فإن قيمة الدلالة الإحصائية بلغت (Sig.=0.901)، وهي أكبر من (0.05)، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** تُعزى لمتغير التدريب في محور المتطلبات التنظيمية. وتعكس هذه النتائج أن تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من الناحية التنظيمية جاءت **متقاربة** بين أفراد العينة، بغض النظر عن اختلاف الجنس أو الحصول على تدريب مسبق، الأمر الذي يشير إلى وجود إدراك مشترك لأهمية المتطلبات التنظيمية ودورها في دعم تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني، ويؤكد أن هذه المتطلبات تُعد من المتغيرات العامة التي لا تتأثر بصورة جوهرية بالخصائص الديموغرافية المدروسة.

ثانيًا: الفروق ذات الدلالة الإحصائية في تقديرات الموجهين التربويين لمتطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني تبعًا لتحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) ووفقًا لمتغيري (سنوات الخبرة والمؤهل العلمي) على مجالات الدراسة: (المتطلبات التقنية، المتطلبات المادية، المتطلبات البشرية، المتطلبات التنظيمية.

الجدول (14) يبين نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) لقياس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بمجال المتطلبات التقنية، تبعًا لمتغير سنوات الخبرة والمؤهل العلمي

المصدر	مجموع المربعات (Sum of Squares)	درجات الحرية (df)	متوسط المربعات (Mean Square)	F قيمة المحسوبة	مستوى الدلالة (Sig.)
المؤهل العلمي					
بين المجموعات	1.796	3	0.599	0.393	0.759
داخل المجموعات	112.856	74	1.525		
المجموع الكلي	114.652	77			
سنوات الخبرة					
بين المجموعات	11.294	2	5.647	4.098	0.020
داخل المجموعات	103.359	75	1.378		
المجموع الكلي	114.652	77			

يعرض الجدول (14) متغير **المؤهل العلمي**، حيث تبين أن قيمة F المحسوبة بلغت **0.393** عند مستوى دلالة **0.759**، وهو مستوى أعلى من 0.05، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب المؤهل العلمي في محور المتطلبات التقنية. يشير هذا إلى أن الاختلاف في المؤهل العلمي للموجهين لا يؤثر بشكل ملحوظ على تقييمهم للمتطلبات التقنية للتوجيه التربوي الإلكتروني.

أما بالنسبة لمتغير **سنوات الخبرة**، فقد بلغت قيمة F المحسوبة **4.098** عند مستوى دلالة **0.020**، وهو أقل من 0.05، مما يشير إلى **وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب سنوات الخبرة في محور المتطلبات التقنية. هذا يدل على أن الخبرة العملية للموجهين تؤثر بشكل ملموس على تقييمهم للمتطلبات التقنية، حيث من المتوقع أن يكون لدى الموجهين ذوي الخبرة الأكبر تقدير مختلف لمتطلبات التطبيق التقني مقارنة بذوي الخبرة الأقل. توضح النتائج أن **سنوات الخبرة** تشكل عاملًا مؤثرًا في تقييم المتطلبات التقنية للتوجيه التربوي الإلكتروني، بينما **المؤهل العلمي** لا يظهر تأثيرًا ملموسًا. يعكس ذلك أهمية الخبرة العملية والتدريب الميداني في فهم وتقدير المكونات التقنية للبرنامج التوجيهي الإلكتروني.

الجدول (15) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) لقياس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بمجال المتطلبات المادية، تبعًا لمتغير سنوات الخبرة والمؤهل العلمي

المصدر	مجموع المربعات (Sum of Squares)	درجات الحرية (df)	متوسط المربعات (Mean Square)	F قيمة المحسوبة	مستوى الدلالة (Sig.)
المؤهل العلمـــــــي					
بين المجموعات	3.148	3	1.049	0.683	0.565
داخل المجموعات	113.642	74	1.536		
المجموع الكلي	116.789	77			
سنوات الخـــــــبرة					
بين المجموعات	7.316	2	3.658	2.506	0.088
داخل المجموعات	109.473	75	1.460		
المجموع الكلي	116.789	77			

يعرض الجدول (15) متغير **المؤهل العلمي**، حيث تبين أن قيمة F المحسوبة بلغت **0.683**عند مستوى دلالة 0.565، وهو أعلى من 0.05، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب المؤهل العلمي في محور المتطلبات المادية. هذا يعني أن المؤهل العلمي للموجهين لا يؤثر بشكل ملموس على تقييمهم للمتطلبات المادية للتوجيه التربوي الإلكتروني.

أما بالنسبة لمتغير **سنوات الخبرة**، بلغت قيمة F المحسوبة **2.506**عند مستوى دلالة **0.088**، وهو أيضًا أعلى من 0.05، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب سنوات الخبرة في محور المتطلبات المادية. أي أن الخبرة العملية للموجهين لا تظهر تأثيرًا معنويًا على تقديرهم للمتطلبات المادية للتوجيه التربوي الإلكتروني. تشير النتائج إلى أن كلاً من **المؤهل العلمي** و**سنوات الخبرة** لا يشكلان عوامل مؤثرة بشكل كبير على تقييم المتطلبات المادية للتوجيه التربوي الإلكتروني، مما يعكس توافقًا عامًا في تقييم الموجهين لهذه المتطلبات بغض النظر عن خبرتهم أو مؤهلهم العلمي.

الجدول (16) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) لقياس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بمجال المتطلبات البشرية، تبعًا لمتغير سنوات الخبرة والمؤهل العلمي

المصدر	مجموع المربعات (Sum of Squares)	درجات الحرية (df)	متوسط المربعات (Mean Square)	F قيمة المحسوبة	مستوى الدلالة (Sig.)
المؤهل العلمي					
بين المجموعات	0.699	3	0.233	0.176	0.913
داخل المجموعات	98.182	74	1.327		
المجموع الكلي	98.881	77			
سنوات الخبرة					
بين المجموعات	4.598	2	2.299	1.829	0.168
داخل المجموعات	94.283	75	1.257		
المجموع الكلي	98.881	77			

يعرض الجدول (16) متغير **المؤهل العلمي**، حيث بلغت قيمة F المحسوبة **0.176**عند مستوى دلالة **0.913**، وهو أعلى من 0.05، مما يشير إلى **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب المؤهل العلمي في محور المتطلبات البشرية. هذا يعني أن المؤهل العلمي للموجهين لا يؤثر على تقييمهم للمتطلبات البشرية للتوجيه التربوي الإلكتروني.

أما بالنسبة لمتغير **سنوات الخبرة**، بلغت قيمة F المحسوبة **1.829**عند مستوى دلالة **0.168**، وهو أيضًا أعلى من 0.05، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب سنوات الخبرة في محور المتطلبات البشرية. أي أن خبرة الموجهين العملية لا تظهر تأثيرًا معنويًا على تقديرهم للمتطلبات البشرية للتوجيه التربوي الإلكتروني. تشير النتائج إلى أن كلاً من **المؤهل العلمي** و**سنوات الخبرة** لا يشكلان عوامل مؤثرة على تقييم المتطلبات البشرية للتوجيه التربوي الإلكتروني، مما يعكس توافقًا عامًا في تقديرات الموجهين لهذه المتطلبات بغض النظر عن خبرتهم أو مؤهلهم العلمي، ويشير إلى اتساق الرؤية تجاه العنصر البشري في التطبيق.

الجدول (17) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) لقياس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة حول متطلبات تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني بمجال المتطلبات التنظيمية، تبعًا لمتغير سنوات الخبرة والمؤهل العلمي

المصدر	مجموع المربعات (Sum of Squares)	درجات الحرية (df)	متوسط المربعات (Mean Square)	F قيمة المحسوبة	مستوى الدلالة (Sig.)
المؤهل العلمي					
بين المجموعات	2.929	3	0.976	0.611	0.610
داخل المجموعات	118.288	74	1.598		
المجموع الكلي	121.217	77			
سنوات الخبرة					
بين المجموعات	7.240	2	3.620	2.382	0.099
داخل المجموعات	113.976	75	1.520		
المجموع الكلي	121.217	77			

يعرض الجدول (17) متغير **المؤهـــل العلمـــي**، حيث بلغت قيمة F المحسوبة **0.611** عند مستوى دلالة **0.610**، وهو أعلى من 0.05، مما يشير إلى **عدم وجـــود فـــروق ذات دلالـــة إحصـــائية** بين متوسطات استجابات الموجهين حسب المؤهل العلمي في محور المتطلبات التنظيمية. هذا يدل على أن المؤهل العلمي لا يؤثر على تقييم الموجهين للمتطلبات التنظيمية للتوجيه التربوي الإلكتروني.

أما بالنسبة لمتغير **سنوات الخبـــرة**، بلغت قيمة F المحسوبة **2.382**عند مستوى دلالة **0.099**، وهو أيضًا أعلى من 0.05، مما يدل على **عدم وجود فروق ذات دلالـــة إحصـــائية** بين متوسطات استجابات الموجهين

حسب سنوات الخبرة في محور المتطلبات التنظيمية. أي أن الخبرة العملية للموجهين لا تؤثر بشكل معنوي على تقديرهم للمتطلبات التنظيمية للتوجيه التربوي الإلكتروني. تشير النتائج إلى أن **المؤهل العلمي** و**سنوات الخبرة** ليس لهما تأثير معنوي على تقديرات الموجهين في محور المتطلبات التنظيمية، مما يعكس اتساقًا في الرؤى تجاه التنظيم والمتطلبات الإدارية للتوجيه التربوي الإلكتروني لدى جميع أفراد العينة بغض النظر عن خلفياتهم العلمية أو خبراتهم العملية.

سادساً التوصيات: في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها يوصي بما يأتي:

– وضع خطة استراتيجية بموازنات مالية كافية من قبل وزارة التربية والتعليم، تتضمن صياغة رؤية متكاملة وواضحة المعالم تهدف لتطوير عملية التوجيه التربوي من النمط التقليدي إلى النمط الإلكتروني في المؤسسات التعليمية، وتزويد المدارس بتشريعات ولوائح واضحة، وبدليل إجرائي يوضح آلية العمل بالتوجيه الإلكتروني.

– اتخاذ السياسات والإجراءات التي تزيد من مستوى الوعي لدي المسؤولين على مراقبات التربية والتعليم ووحدات التوجيه التربوي والإدارات المدرسية بأهمية التوجيه التربوي الإلكتروني بإتاحة فرص تدريبية لترسيخ مفهوم التوجيه التربوي الإلكتروني نظرياً وعملياً في المجالات الإدارية والتربوية.

– ضرورة مراعاة مستجدات التعليم ومتطلبات متغيرات الواقع الذي يؤكد أهمية التوجه نحو تطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني كأحد الخيارات الاستراتيجية في الممارسات الإشراقية لتوفير بيئة تعليمية أكثر شمولية وأكثر تحفيزا وجاذبية للمتعلمين، وهذا يتأتى بالدمج بين الأساليب التوجيهية التقليدية والإلكترونية واستخدامهما بشكل تبادلي، بحسب طبيعة المدرسة والمعلمين والموقف التعليمي.

– ضرورة قيام وزارة التربية والتعليم بتطوير البنية التحتية الإلكترونية في المؤسسات التعليمية لتكون قاعدة لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني من خلال ربط المدارس ومراقبات التعليم بالبلديات بوزارة التعليم بشبكة الإنترنت وتوفير أجهزة حواسيب لكافة الموجهين والمعلمين وتفعيل معامل الحاسوب في المدارس.

قائمة المراجع

أولاً: المرجع العربية

- ابو جاسر، محمد حسين (2012) دور الموجة التربوي في تنمية كفايات تكنولوجيا المعلومات لمعلمي المرحلة الثانوية بفلسطين وفق المعايير الدولية. رسالة ماجستير، جامعة الازهر، غزة.
- أبو عيادة، هبة توفيق& صالح أحمد عباية (2016) فاعلية توظيف تقنيات الإنترنت في التوجيه التربوي في المدارس الخاصة في عمان، المجلة الاردنية في العلوم التربوية، مج 12، ع 1.

- أبو حسين، فاطمة ابراهيم (2021) معوقات ممارسة التوجيه الإلكتروني من وجهة نظر الموجهين في مدينة أبها الحضرية، مجلة الدراسات والبحوث التربوية، مج 1، ع 1.
- أبودلاخ، سماح فتحي (2022) اتجاهات الموجة التربوي لتطبيق التوجيه التربوي الإلكتروني في المرحلة الثانوية بمحافظة غزة وتحديات تطبيقه من وجهة نظر الموجهين التربويين، الجامعة الاسلامية غزة.
- السوالمه، سالم معيوف، حسين مشوح القطيش (2015) استخدام الموجهين التربويين للأنترنت في التوجيه الالكتروني في مديريات التربية والتعليم في محافظة المفرق، دراسات، العلوم التربوية، مج 42، ع1.
- القطيش، حسين مشوح (2015) استخدام الموجهين التربويين الانترنت في التوجيه الإلكتروني في مديريات التربية والتعليم في محافظة المفرق، دارسات العلوم التربوية، مج 42، ع 1، ص 172.
- الكندى، أفلح بن أحمد (2018) صعوبات المتابعة التوجيهية الإلكترونية وسبل تطويرها من وجهة نظر الموجهين التربويين بسلطنة عمان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج،26، ع 2.
- النعماني، سالم، عائشة الحارثية، خالد السعدي وعلي كاظم (2022) أثر الزيارة التوجيهية الإلكترونية في درجة قبول المعلمين للتكنولوجيا في العملية التوجيهية في سلطنة عمان، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مج 18، ع 3.
- الكلبانى، يونس بن حمد (2016) مدى ممارسة الموجهين التربويين لبعض أنماط التوجيه التربوي في مدارس التعليم الأساسي بمحافظة الوسطى بسلطنة عمان، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، ص 3.
- الأغا، صهيب كمال (2008) التوجيه التربوي ودورة في فاعلية المعلم في مرحلة التعليم الاساسي بمدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة، مجلة الأزهر، مج 10، ع 4، ص149.
- العلوية، منى بنت خميس بن راشد (2014) تصور مقترح لتفعيل التوجيه التربوي بمدارس التعليم ما بعد الأساسي بمحافظة مسقط في ضوء نموذج التوجيه المتنوع، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، سلطنة عمان.
- بخيت، وفاء أحمد (2021) واقع تطبيق التوجيه الإلكتروني في المدارس الحكومية خلال فترة جانحة كرونا من وجهة نظر الموجهين التربويين في إقليم الشمال بالأردن، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج 5، ع 30.
- حمدان، محمد حسين (2015) درجة توافر متطلبات تطبيق التوجيه الإلكتروني في المدراس الحكومية بمحافظات غزة وسبل تطويرها، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- راتب، رشا القاسم (2013) واقع استخدام التوجيه الإلكتروني في المدارس الحكومية من وجهة نظر الموجهين التربويين في شمال الضفة الغربية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، غزة.
- سلامة، كايد، زينب محمد أبو غزلة (2020) درجة إمكانية تطبيق التوجيه الإلكتروني من وجهة نظر مديري المدارس والمعلمين في محافظة جرش، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج (28)، ع (4).
- على عبد الكريم هزايمة، من وجهة نظر الموجهين التربويين مدى توافر التوجيه الإلكتروني في محافظات شمال الأردن، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، مج،10، ع 1، ص 119.

- القرينية، لهية بنت حمد، نسرين صالح محمد، محمد عبد الحميد لاشين، محمد عيد عمار (2021) التوجيه التطويري الإلكتروني وأثره في اتجاهات المعلمين وتحسين أدائهم التدريسي بمدارس التعليم الأساسي في سلطنة عمان، كلية التربية، جامعة قطر، مجلة العلوم التربوية، العدد 18.
- مصلح، ايمان على (2011) تطوير معايير اختيار الموجهين التربويين في ضوء تجارب الدول، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Abu Znaid W., & Jondi N. (2025). Challenges Facing Electronic Educational Supervision As Seen By Educational Supervisors In The State of Palestine And Ways To Address Them In Light of Some Variables. Journal of Educational & Psychological Studies, 19(1), 88-110. https://doi.org/10.53543/2521-7046.1004.
- Esteban Vázquez Cano M.ª Luisa Sevillano García (2013) Act Strategies And Tools For The Improvement of Instructional Supervision**,** The Virtual Supervision. ***The Turkish Online Journal of Educational Technology*** – January 2013, volume 12 Issue 1.
- Lawahiz Genedy **(2025)** Electronic Educational Supervision in General Education in the United Kingdom and the possibility of its utilization in Egypt, **International *Journal of Instructional Technology and Educational Studies* (IJITES) ISSN** (Print): 2682-3918 - ISSN (online): 2682- 3 926 Volume6 / Issue2, April**:,** PhD in Comparative Education and Educational Expert at The Egyptian Ministry of Education.
- Marwa AlAddam (2025) Electronic Educational Supervision: A Conceptual Framework for Promoting Equity and Effectiveness in Education in Palestine, PhD in Education, and university Lecturer from Gaza, Palestine, ***Contemporary Studies Journal in Education and Psychology*** Vol, 1, Issue 1.
- Pathummart Kaomaroeng1, Chookiat Wisetsena1 & Worasit Rattanavaraha1(2024) Digital Teaching Supervision Model of Educational Supervisors under the Office of Primary Educational Service Area in Northeastern Region, ***Journal of Education and Learning***; Vol. 13, No. 6; Canadian Center of Science and Education.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 279-292, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/v1j8tf93

Research Article

Open Access

Man-Nature Physical Connection in the Poetry of Maggie O' Sullivan and Gary Snyder: A Material-Ecocriticism Reading

Mohamed Kamel Abdel-Daem[1*]

[1]***Corresponding author:**
mabdeldaem999@gmail.com
Department of English, Port Said University, Egypt.

Abstract: This paper seeks to prove the effectiveness and convenience of material ecocriticism to look at the environmentalist work of both the green Anglo-Irish poet, Maggie O' Sullivan and the nomadist American poet, Gary Snyder. It attempts to spotlight the importance of corporeal, rather than affective, interaction between people and the earth: the loss or lack of that substantial man-nature coexistence of premodernity and preindustialism might have led to the human negligence and belittling of the planet, and hence the ecological predicament. Snyder's call to return back to primitive lifestyles and O'Sullivan's unfamiliar out-of-lexicon diction – that might represent the language of the earth's elements –hint at the inevitability of human-ecology bodily contact and field work in order to be able to comprehend the 'storied' history related by the planet, and thus deal with environmentalist issues more positively. Would we be able to perceive the earth's plight when we are "shod", to quote G.M. Hopkins' term in "God's Grandeur"?

Keywords: physical connection, Snyder, O'Sullivan, material ecocriticism, storied matter, primitiveness, earth's language

التواصل الحسي بين الإنسان والطبيعة في أشعار ماجي أو سوليفان وجاري سنيدار: قراءة من منظور النقد الإيكولوجي المادي

الباحث الاول[1]*:
محمد كامل عبد الدائم، قسم اللغة الانجليزية، جامعة بورسعيد، مصر

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى توظيف فرضيات النقد الايكولوجي المادي من أجل إلقاء الضوء على مظاهر التواصل الحسي أو الجسدي بين الإنسان والطبيعة بكل عناصرها الحية وغير الحية, وذلك من خلال تحليل مجموعة من القصائد الشعرية لكل من الشاعرة الأيرلندية البريطانية ماجي أو سوليفان والشاعر الأمريكي جاري سنيدار, وتخلص الدراسة أن الشاعرة أو سوليفان قد استطاعت من خلا قصائدها المرئية فهم لغة الأرض والطبيعة وهي لغة تعتمد على أشياء مادية حسية لا يفهمها من البشر سوى من يعيش دوما ملامسا للبيئة الطبيعية و على دراية بتاريخها المادي , أما الشاعر سنيدار فهو دوما ما يدعوا القارئ إلى العودة إلى الحياة البدائية حيث يلتحم البشر مع جميع عناصر الطبيعة ويتفاعلون معها جسديا و بطريقة فعالة. وتخلص الدراسة إلى أن فقدان هذا التواصل الحسي بين الانسان والطبيعة نتيجة ظهور التصنيع والحداثة بكل ما فيها من ميكنة وبيئة مشيدة قد عزلت الانسان عن التجاوب مع قضايا البيئة ومشكلات الكوكب بصورة عملية وفعالة, حيث أن التعاطف الوجداني لن يكفي لإيجاد حلول للمشكلات المناخية والبيئية الخطيرة التي يواجهها كوكب الأرض.

الكلمات المفتاحية: الارتباط المادي، سنايدر، أو. سليفان، النقد البيئي المادي، المادة السردية، البدائية، لغة الأرض

Received:
2025-12-03

Accepted:
2026-04-13

Published online:
2026-04-30

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

1. INTRODUCTION

1.1. Material ecocriticism

Material ecocriticism questions the idea that man is the only creature that can form creative understanding of the world, and that only man has the ability to determine the earth's natural history. Material ecocriticism posits that, endowed with meanings and thick with stories, matter is a site of creative becomings and dynamic expressions. This expressiveness is the defining property of all matter. Whether organic or not, matter in every form is a meaning-producing embodiment of the world, the world of storied matter manifesting itself in the form of ontologically hybrid of forms of expressions, assemblages, and collectives or as narrative agencies (Oppermann, 2016, p. 89).

By these narrative agencies, people become able to grasp concrete histories of communal and force links, ecosystems' equilibrium and change, and the tangible forging of ecospheres, lands, living and nonliving worlds. If such histories crystallize in bodily shapes, we can get 'narrative agencies' positively making forms of easy-to-interpret articulations which fuse with human cognition and existence, the nonhuman items, as well as the whole corporeal lives and interactions, in different extents of combining liaisons, naturally interwoven in this living planet.

Being a newly born mode (in about 2012), material ecocriticism is based upon the recent philosophical studies of matter's agency that could be independent from people's "intentionality, will, and intelligence" (Oppermann, 2016, p. 90). It has been built on different theories such as: "process philosophy, ecological postmodernism, object-oriented ontologies, thing theory, speculative realisms, biosemiotics, and actor-network theory" (Oppermann, 2016, p. 91). The notion of agency, matter, social relations, ecology and culture can be "linked to material networks creating interconnections between bodies, natures and the environment and generating physical movements across human corporality and nonhuman nature, " which may be named "trans-corporeality" (Alaimo, 2010, p. 2). Material ecocriticism eliminates the nature/culture dualism and wisely places mankind within a nature-culture circle "to achieve more democratic and environmentally just ways of living" (Gaard, 2012, p.16-17). It also subverts the gendered dualisms in favor of the concept of 'material feminism' or 'embodied gender'; human culture's sexism is no longer considered a basis for communal categorization that isolates people from other natural elements on the planet, so the notions of "animalized woman" and "feminized animal" are refuted by a material ecocritic (Gaard, 2012, p. 18), and "bodily natures" (Alaimo,2010, p. 5) replace the gendered nature items. So, any transformative green action could be the result of "hybrid crossfertilizations and generative encounters with … nonhuman others" (Braidotti 243). In a material ecocritic's view, the cosmos lacks any separating barriers, in which physical actors; man's and nature's matter; sociopolitical and environmental agents; financial activities; natural features; animals, plants; environmental dangers; and geochemical and biological actions seem to be centrally interlaced.

The human-nonhuman interactions or 'intra-actions' can tell the story or history of the planet, which necessitates that we try to understand the language of the earth, which does not resemble human language, but rather "every life-form and every biogeochemical force on this planet demonstrates creative expressions as an inherent potential" (Oppermann, 2016, p. 97). Such Man-nature somatic link makes up "storied matter" in which the unreal and the real intertwine to open the door of innovativeness for nature's history to be obvious for people's understanding. Such stories told by the planet's elements – natural history, in other words – do "not necessarily depend upon language"; men "emerge through 'material agencies' that leave their traces in lives as well as stories (Cohen, 2015, p. 36). To be able to grasp the story of matter around us, we need to be alert to the sounds and utterances conveyed by the planet's elements. Such stories are found in every corner of the cosmos: in the oxygen we inhale, the nourishment we feed on, the objects and entities of this globe; inside and outside mankind's world.

1.1. Earlier bodily contact with the land

Before the advent of industrialism, the British countrymen, and the Europeans in general, were much more attached to the land through their use of traditional ways of grazing and land cultivation. The farming labourers used spades to plough the fields and used sickles to manually harvest the crop and to mow the grass and clover, and used rakes to dispense the wheat grain from the straw. Women bred livestock, milked the cows and sheep, cleaned the barns, shaved the sheep and span the wool to make hand-made blankets and clothes, and used the animal manure as a sustainable source of fire making. Women collected the eggs from the barn grounds and looked after the lambs and chicks and calves. The peasants walked to, and toiled in, their fields on their bare feet, and often rode horses or donkeys or mares and walked following their ploughs pulled by cattle or horse or donkey. The farmers also used manual levers to lift the water from deep wells or springs to irrigate their plants. They used sickles to weed their fields and harvest the pasture grasses such as rye, clover, grass, sainfoin and lucerne Woodland trees and nut trees were utilized to make simple cottages, houses and furniture. They made linen, canvas and rope from flax and hemp; oil from coleseed; drink from hops, finishing cloth from teasels, dye from weld, saffron and woad; textiles from madder; medicines from herbs such as rhubarb and licorice.

There was a gradual increase in agricultural productivity during the 14th-16th century feudal system. The labourers and farmers worked, as serfs, only for the good of the landlords. The 1381's Rural Revolt accelerated the changes in the agricultural sector, and thus, business troupes and societies founded the municipal economic system. But the great advancement in farming was shown with the coming of the late 16th and 17th century fashion of enclosures, wherein the master-serf relationship was displaced by an employer-paid one. This did turn agriculture into an industry in as much as land livestock products were doubled. The biggest winners were the landlords and some farmers, while a big number of poor landless peasants were compelled to leave for the city. This enclosure trend encouraged the land owners to try new methods of cultivation and change the traditional system of agriculture. Farmers did better the method of crop rotation, thus introduced a four-field system where legumes, such as clover, or root crops such as turnips, would be grown following a cereal crop. Thus the soil was both nitrogenized and organically fertilized by the livestock manure.

There occurred a big innovative change in cultivation methods during the eighteenth and early nineteenth century. Metropolisization, the increasing wages and the rising number of community all contributed to this agricultural breakthrough. Machinery, yet, did have the slightest impact on British agriculture by the mid-nineteenth century; cereal threshing was significantly mechanized in a few parts of the country.

The replacement of the conventional open-field method to the enclosure mode accelerated the transformation in agriculture. Open fields, customarily, had been divided up into small pieces where various peasants cultivated their own yields adjacently. This method was incompetent as each tiller's narrow pieces of land were sparse. Industrious peasants were under control of the languorous ones whose tiny farms pullulated weeds. The unconfined shared-by-all pasturage in the countryside was available to be utilized by every peasant, for timber collecting, and the feeding of cattle, swine, bovine and poultry.

The mid-eighteenth-century general tendency towards financial advancement characterized the termination of a preceding phase of bettering the methods of cultivation, which distinguished a transformation of effort from legislative intermediation and informal exuberance to the subtler activities of the arising category of experienced farmers (Barrell, 1972, p.64). Reformist lairds lessened the enterprise of their landholding and established untraditional exemplary fields, whereas the owners of exclusively panoptic property utilized the excavation capacity of their manor farms. The venture of the noblemen, on the other hand, was barely prodigious. Inclusively, the shifting ecology of Jac-

obean England seemed to be the outcome of the provincial enterprises of leaseholders, bailees and husbandmen. In Mercian champaigns, learned agronomists with their private property started to try growing pasture plants brought from Netherlands, applying the novel quartet-round sequence method of cultivation. In less-dense turfs, grazing areas were changed to tillage that gave valuable produce of cereal, while thicker mud-covered grounds were changed to meadow-land.

1.2. Poetic renderings of human-ecology tactile interaction

In their quest for a verse mode that can efficiently communicate the fresh empirical and intellectual outlook of seventeenth- and early-eighteenth-century rational method, British bards set out to create new instructive poetry following ancient decorum, and tackling issues such as harvesting, poaching and apiculture (Dwight, 1935, p.5-6). The *Georgics* represented the most broadly used of the Graeco-Roman patterns, which has been marked by versatility of the verse's stance on societal and royal enactments, as well as the beguilement of its moral on manufacture and circumspection (Fairer, 2003, pp.79-80). The *Georgics* formed an elaborate catalogue of counsel for English men of art who were interested in agrarian development, whose visual imagery had been outright conveyable from classical times to the setting of post-Renaissance England. In Dryden's English version of Virgil's work, recurrent denotations to the periodicity of time allow uniform opportunities in a shifting countryside, and the yearly almanac could be perceived as an unchanging locus wherein toil is achieved in as much as it grows essential and feasible:

> The Peasant, innocent of all these Ills,
> With crooked Ploughs, the fertile Fallows tills,
> And the round Year with daily Labour fills.

Labour prevails over the encompassing landscape via perceptible and recurrent practices, wherein typical knowledge is bestowed with an inevitable aspect of pluralism (Frair, 2006, p.164). The codifying idiosyncrasies of toil's tempos do not let the classical georgic just be a description of inestimably wearisome labour. Like many other seventeenth and eighteenth-century poems, the *Georgics* draws up focalizing rotaries, being aligned within a set of momentanousness in which minute details of a sodbuster's daily travail regularly recur. The harmonious excitements of the village's agricultural system change hard work to a developed, and developing, assessment of the variability of rural environment. Through such "georgic of the human body," ecopoetics could depict a human tenaciousness towards eliminating any contrived barriers separating persons from ecology.

John Clare's *The Shepherd's Calendar* (1827) displays detailed descriptions of countryside practices of agricultural dynamicity: timber chopping, threshing corn gathering, milking, sickling, beekeeping, and grazing:

> The milkmaid singing leaves her bed
> ……
> Her cows around the closes stray
> Nor lingering wait the foddering boy
> ……
> Ploughmen go whistling to their toils
> And yoke again the rested plough
> And mingling oer the mellow soils
> …….
> The shepherd now is often seen
> By warm banks oer his work to bend
> ……..

Each morning now the weeders meet
To cut the thistle from the wheat

The poem is interwoven with scenes of agricultural development at the time when people looked at the enclosure movement as the beginning of the migration of large influxes of labourers to the city, signifying the start of industrialization. Clare bombards the lines with pictures of agrarian practices juxtaposed with a collective determination on building up a neat system of peasantry production. The dreamy, indolent shepherds of the Renaissance and the Middle Ages are sustainably replaced by the interactive, environmentally-serving agricultural workers of the seventeenth and early eighteenth century. The verse written on bucolic life's jobs characteristically categorizes agrarian community into the landowners and the farmers, and so successfully stabilizes long-seated norms of rural society, showing the village's inhabitants as both having wealth, i.e. farm and peasantry work. As David Fairer puts it 'ecogeorgic' (2011) has been accompanied by "notions of growth, development, variety, digression, and mixture, and had a natural tendency to absorb the old into the new, and find fresh directions" (2003, p. 80). Most of the agrarian jobs in the poem present images of county peasants who work by hand, using simple tools, which would prove more ecofriendly and sustainable than machinery of postindustrialism eras.

The poetry that describes manual work can be traced back to the eighth-century BC's *Works and Days* by Hesiod, and the *Georgics* by Virgil. Other works that depicts agricultural labor are: Thomas Gray's *Elegy Written in a Country Churchyard*, James Thomson's *The Seasons*, John Philip's *Cyder*, John Dyer's *The Fleece*. Early eighteenth-century poets like Andrew Marvell, John Wilmot, John Gay and Alexander Pope wrote some georgic poems. A number of Victorian poems also, such as Christina Rossetti's *Goblin Market*, show empirical expertise in botany. Thomas Hardy's descriptions of rural sites and Robert Frost's visits to wild areas exemplify a modernist interest in coming close to the land. Contemporary poems too display personas who physically indulge in nature; examples on this are the works by poets such as: Seamus Heaney, Peter Fallon, Zoe Skoulding, Ian Davidson, Kathleen Jamie, Ron Silliman, and Lavinia Greenlaw.

2. DISCUSSION

2.1. Maggie O' Sullivan's Corporeal eco-accounts

It seems that while inditing her verses, Maggie O'Sullivan (1951 -) bears in her mind that her work is to be performed or heard rather than read on a page, so she makes the poem strange-looking on the sheet of paper. She experiments with seemingly irrational forms: hard-to-decode portmanteaus or neologisms, out-of-place punctuation tokens, abnormal syntactic chunks, queer morphology and semantics, irregular-colored shapes, unintelligible drawings, visual eccentricities, wrong orthography and spelling, biro-effaced words or phrases, pinched or torn pages, utterances form ancient tongues or other dialects, onomatopoeic interjections (Middleton, 2010). Accompanied by music, these performances or songs might remind us of the ritual ceremonies done by the prehistoric races whose usual and actual encounters with living things and tactile experimentation with nonliving things helped them translate what nature told them, and apprehend the earth's language. Laid on the page, Maggie's poems might remind us of the carved paintings or drawings made by the ancient cavemen who tried to turn the sounds of natural elements into written or pictorial material.

The work of Maggie O' Sullivan shows an infatuation with the realistic description of the down-to-earth dealing with the worlds of nature, as well as the use of verses and expression to depict how promulgation could be utilized as a signifier of communal sense. O' Sullivan's poetry is impacted by what she labels as her robust "sense of the ancestral self" (Brown, 2004, p. 156), the Irish legacy of her family. The recurrent explorations of physically-related scenes of being in ecology seem to be based upon a larger venture to renew a muted heritage, to which she refers to in her biographical

conversations: “I was born in 1951 in England of southern Irish agricultural poor parents and it is their oral culture, the struggle for voice despite centuries of repression which I feel has a lot to do with my poetics” (Rothenberg et. al, 1998, p.835). For example, in “Of Mutability”, *In the House of the Shaman* (1993), Maggie’s environmental tendency explores the idea, generally embedded in corporality practices, of an ecology which is close to humans and actively touched by people’s bodies:

SHADE
skidded Skull’s metal
teething –
Crag stresses, Root sicknesses –
they are one to the body

These lines seem to connotatively show the importance of the subject-object bodily interaction; Her verse implicitly introduces intricate cross physical facets of environmental links and instrumental powers, and this is done through poetic technique and linguistic effects. In this above part, named “Kinship with Animals”, the poet pinpoints and expresses a desire to investigate environmental bonds and mechanisms of changeability (O’Sullivan, 2011, p.247). Bearing the speaker’s cross corporal attitude towards ecology, the poem swings between scenes of fauna, flora and topographical change and in-between interactions that are all equally touched by the human physique. The poet displays an image of this physique which seems to be a cross bodily being, a structure featuring certain characteristics, active mechanisms, and several, perhaps vying powers. The feeling of arduousness devised in much of O’ Sullivan’s poetry is somewhat fulfilled via the absence of a domineering poetic speaker and repeated changes within topical stances, a bewilderment that is embellished by performed sound tools. Toil and doubt are likewise developed through her verse’s ironic shifts and the tautness it produces in terms of awareness of ethno-cultural orientations. The differences between contradictory cognitions turns out to be a kind of doubting the quest for a genuine life attitude, as well as its related stream of tradition. Still, within the attempt of appreciating it, the varieties of tone in Maggie’s verse likewise appear to incorporate the sense of a georgic tendency, implicitly expressing both her and the reader’s passion for it. The message of her written and performed poems concerning this enables to protect her verse from a shallowness or consumerism of common heritage via emphasizing the assimilation of hard-to-grasp aspects in the circle of transcultural interaction. Visual abstruseness then seems to be a means of resisting the quest for reliability.

The poems of the *Murmur* sequence (2011) suggest the superiority of relatedness to reference, of implication to explication, and shows an inclination towards realistic description rather than cerebralness (Sheppard, 2005, p.239). This tendency towards appreciating the process of empirical recording rather than decisive statement reveals her verse’s interest in forces of change, in the flow of what O’Sullivan names “a trans-somatic environment” (Olsen, 2004). The obliteration of syntactic and syllabic limits in a lot of her unusual vocabularies appears central to her poetry’s broader pondering over the corporeal and transcendental delineations of the intellect’s horizons, the man-nature joining process:

desertiondictivity states
perfusedrousable no-thing s
dis-accretion stitching / ed
flayed black surgical gesture
goarse collision leak listening

Maggie envisions her agrarian background not as au unchangeable, lasting "counterpoint to the disruptive energy and change of human societies" (Garrard, 2012, p.56), being exemplary of conventional idyllic perspectives, yet with regard to a specific feeling of reciprocal being beside living and non-living things, and this stimulates an observance of lively circumstance, unbalance, and sometimes trouble and sudden alterations. Through using strangely-formed, ambiguous terms, and aesthetically extending the potentials of diction in its attempts with environmental bonds, the poem structurally unsettles the rule of metabolic equilibrium in a certain ecosystem; the poem, in other words, openly revolves around the mechanisms of alteration and regeneration via man-nature tangible connection. The situation of curiousness seems to be dependent on a convergence of the realistic exposure to natural items with their autonomy, evidently taking their own path in the ecosystem; so, to speak in a certain way, perhaps not needfully in a deliberate manner, influencing and uncapricious, and consequently natural in the true sense of the term, not to mention being fatally overwhelmed as a non-arbitrary thing controlled by mankind's experience and forcefulness. Through this method, the act of murmuring or O'Sullivan's verbal coinage of silent moments, emphasizes the physicality of man-nature relationship, just as its sense, so is Maggie's poetry too, with its unusual morphology and syntax seems to be beyond our ability to understand. Her poems are often based upon a strategy of 'open field', which probes bodily bonds with broad communal and corporeal environments, being "an imperative about poetry's unfettered exploration of image, sound, and logos and a stance toward the organic unfolding of biological and social life" (Davidson, 2012, p. xv). Maggie's unlimited sphere of ambiguous linguistic formations excites sound, place and meaning interactions which spur environmental mechanisms and conditions of mutual affiliation.

O'Sullivan's poems display speakers whose palpable encounters with nature elements yield a strange diction, one that is unlike people's communication, a language mingled with sound effects and music, a language with unusual morphology and syntax, sometimes based on ancient tongues such as Celtic or Gaelic or Anglo-Saxon. Collaged and archaic forms, for example, are employed in "Theoretical Economies" (*Palace of Reptiles*, 2003), which epitomizes a verse that can be performed or visualized rather than written in order to convey the voice and silence of the earth's biotic and abiotic items:

(whatll wattle wambs
Wha
White
Whe
Who)

The use of atypical punctuation marks might represent the human spoiling of the earth's landscape; it employs slashes, random capitalization, italicization and periodization rather than syntactic blanks. The recurring lingual forms on the twofold, facing pages includes omission points as well as long dashes. Visual effects also help interpret the language of the earthly flora, fauna and nonliving things when handled by men; she uses green, crimson and blue outline, featuring colored rectangles or squares, vivid, scattered paintings, and colored slashes. Maggie mixes ecological visualization with bodily relations, local emblems with extraordinary word formations, obsolete coinages with modernly innovated terms. The poem involves a disconnected structure of irrational categories: ecological and artificial things are portrayed in connection with matter components, and modes of mobility are utilized as a way to rearrange the locational, metaphoric and non-gendered liaison between man and ecology as forms of matter. While "the whole body is engaged in the act of writing" (O'Sullivan, 2011), the poet seems to censure authoritative usage of articulation which the influence of nature's diction with all its rhythms, pauses, murmurs and bangs. The use of disrupted

terms or word divisions may refer to the conflict between the sense of the entire utterance and the sense of its constituent chunks, shifting content, highlighting principles of grasping nature, and imitating its acoustic messages. O'Sullivan's verse diction produces tangible operations of the interaction between earth's articulations and the human physique, enforcing a tactile closeness of ecological beings. The performing of materially hard modes of articulation in most of her poems is linked with a larger plan to recall and express mute moments in her own life as well as unread pages in the natural history of an inflicted planet that witnessed environmental crises.

2.2. Primeval palpability in Gary Snyder's ecopoems

Living in the virgin wild has been a cardinal motif for Gary Snyder (1930 -) who spent most of his early life in the American countryside, and he is also interested in Zen principles that value hand toil. He tries to make a sense out of crude wanderings in the labyrinths of the wild places, which enables a person to deal positively with the natural world. For Snyder, the tangible practicality of the prehistoric communities seems to be better than the metaphysical, philosophical thought (Almon, 1979, pp.7-13). He hypothesizes that our real experiencing and understanding of nomadic lifestyles could teach us live within ecology without violating it (Lyon, 1972, pp. 120-22). Snyder's ecopoetry has been inspired by his hand work in natural sites where he has enjoyed moments of solitary meditation while actively touching the wild; of the crafts he did are a sailor, a lumberjack, a forest fire watcher, a wood weight counter and a park worker. Based upon the pot's experience of working as a tanker sailor and watcher on a mountain top, The *Riprap* (1959) poems include various scenes of silviculture and marine labor. In a poem with the same title, Snyder likens the making of verse to the building of the foundation of a traditional cottage, wherein pieces of rock are laid haphazardly upon each other inside ditches dug manually with a spade to make the base:

Lay down these words
Before you like rocks,
Placed solid, by hands
……
Solidity of bark, leaf, or wall
Riprap of things

Through the description of the scene of establishing, then, the speaker strengthens the act of placing with one's hands which seems to be an objective correlative to the process of poetic creativity, in which a poet's sensibility tries hard to put the words and expressions on a page. The Riprap poems have been produced "under the influence of the Sierra Nevada and the daily trail-true work of picking up and placing granite stones in tight cobble pattern on hard slab (Snyder, 1959, pp. 420-21). The reveries of tranquility and Zen meditation after hard toil seem to be one benefit of manual labor, wherein the speaker becomes aware of the significance of nature in human existence. The poet depicts scenes of sitting alone in the mountains following his records of the acts of holding mowed grass or poising stones to pave mountain paths, let alone his portrayal of manual work in "Hay for the Horses", where the speaker and his co-laborer sit for lunch under a black oak tree in a livestock barn, and wish they could preserve pasturage for their sheep and for wild deer as well. The narrator, a footpath-team laborer, notices spots of arrow points all over the surrounding area, which signifies that other people toiled and poached a distant time ago. Likewise, the antelopes which visited the area to find pasturage made footpaths. Mankind's bygone and current days seem to be skillfully interplayed inside the eternal world of the wild. The poet eventually reechoes and reflects upon the image that adeptly presents people in a situation of sustainability, much less transformation, for they already know that scenes such as laboring and grazing persisted for ages in Sierra Nevada.

Through evocation and the superiority of tangible descriptions over representation, the poet is divorced from the romantic mode of speculation and introspection.
In "Water" (*Riprap*), Snyder displays the lifestyle enjoyed by a savage who mingles with the wild, endowed with an expertise on every natural detail and process nearby; he exists in a magnificent concord with green environment, complying with his own laws imposed by such thorough nature expertise. The speaker bounds fast in the hugs of nature to jump into the brook, reflecting the freedom of the jungle animals:

> I leaped, laughing for little boulder-color coil –
> Pounded by heat raced down the slabs to the creek
> Deep tumbling under arching walls and stuck
> Whole head and shoulders in the water

This primordial creature seems to behave instinctually when touched by the scorching fieriness of sunrays. The naturalness of this savage person's behavior is based upon the togetherness of his self and the ecosystem where he resides. The heights, the streams, the flora and fauna are the fellow comrades who he allocates a feeling of consistency with. His sprinting and hurdling freely imitates the movements made by fauna in their natural habitat; likewise his nature knowledge enables him to meticulously trace a rattlesnake and watch the quick flipping of its very small tongue. Having reached the brook and been immersed in water, the son of the wild enjoys a naive and undeliberate astonishment just as a Buddhist disciple attempts to grasp the real nature of ecomechanisms, and this illuminates a person's sensibility and makes one more caring about environment.
That man could grasp the true value of nature by a somatic contact is evident in the three main parts of *Myths and Texts* (1960); the " Logging" part warns people against covetousness while utilizing natural resources, the "Hunting" part displays one different attitude to environment; the aboriginal peoples' feeling of sanctification and conservational lifestyle, based on Zen rules, the "Burning" part postulates that a true treatment with nature necessitates a sense of perceptiveness rather than egoism. Myths and Texts, holistically speaking, tackle the issue of the twentieth-century's technologized community's devastating effect upon wildlife. "Logging" is mainly about "the destruction of the forest and the mind responsible for it" (Yao-Fu, 1975, p. 372). Presented in sarcastic tone this section portrays the catastrophic process of deforestation, based upon the poet's own experience as a lumberjack in the metropolitan and Portland woods. The irony is directed against the moneymakers and Orthodox believers' abstraction of ecology as a lifeless entity:

> But it's hard to farm
> Between the stumps:
> The cows get thin, the milk tastes funny,
> ……
> Rocks the same blue as sky
> Only icefields, a mile up.

The poet thinks that the failure of people's liaison with environment seems to be a profound modern age's ethical blemish, particularly in the Western world that in the past had millions of fauna species, lands and lands full of wild cattle, limitless acres jungle and savannah as well as decontaminated resources of water (Nelson, 2014). Developed countries, in consequence, lose their environmental equilibrium as unsustainable economic systems exploit natural resources mercilessly. The readers of Logging may, now and then, feel the poet's sense of outrage at the collapse of the green system at the hand of the orthodox modernity which is driven up by voracious materialism. His anger is logically evoked by the victimization of arbor and flora that most humans lack awareness of

their significance in the natural circle. Indigenous ethnities, on the other hand, habitually and adeptly develop positive, but non-exploitative, interaction with ecology and its powers. It took the poet years and years to learn about the civilization, custom and lifestyle of the Red Indians, the nomadic groups who settled in the northwestern region of the United States. Under the impact of such race's knowledge and worldview, Snyder never thinks of flora and fauna as just representation media of our mood or thought, yet as independent lives in his verse. In case people get more somatically divorced from nature, its forces will inevitably "revolt against us by submitting us its non-negotiable demands about our stay on the Earth. Nowadays we are beginning to get non-negotiable demands from the air, the water and the soil" (Nelson, 2014, p.216). Man's bodily contact with the planet will not only help stop more damage to the commons but it will help unfold our ecoawareness and awaken our ecocompunction.

As the name " Hunting" insinuates, the second part of *Myths and Texts* aims to scrutinize modes of possibilities of setting up links between humans and ecology; it studies the potentials of hunting that may aid people to get physically and thus cerebrally nearer to the land so as to totally perceive it; in "This Poem is for Bear", a girl-bear marital relationship refutes the idea of a female-gendered nature harassed by a male-dominating mankind. "The Making of the Horn Spoon", for example, show the aboriginal tribe's esteem of the wild, and how they manually utilize or recycle natural elements in a way that enhances a sustainable lifestyle:

> Shave down smooth. Split two cedar sticks
> When water boils plunge the horn,
> Tie mouth between sticks in the spoon shape
> Rub with dried dogfish skin.
> It will be black and smooth,

The Red Indians, as local residents, are presented in their North American environment, while they try to forge a spoon by using the horn of a heights' antelope. This animal which stands for an embodiment of nature's spirit mingles with the nomads and leaves an impact on their sensibility; when the prey becomes part of the poacher's life and way of thinking ", the wilderness prevails" his behavior (Yao-Fo, 1975, p. 380), so he never resorts to over-hunting which distorts ecological balance. Through creating benevolent feelings so that they can subdue their evil ones, people can get their mental or psychological equilibrium more sustained. The moment men reach a piece of thought that is free from evil feelings, they get an opportunity to join a human-environment communication. The activity of primitive hunting itself creates a real connection between hunter and prey, which displays humanitarian affection and compassion that springs from men's interaction and mingling with the life of fauna. A poacher, otherwise stated, has to relate his way of thinking and living to that of the wild creatures, then his sensibility could experience the nomadic mood. Snyder thinks that the activity of poaching seems to be very linked to Zen practice, let alone an exercise of spiritual insight and rumination. The hunter's essential qualifications of individuality, inspiration and changelessness "make it seem as though shamanism, yoga and meditation may have their roots" in the poacher's prerequisites (Yao-Fo, 1975, p. 376). In this respect, the poet, for instance, presents a bear-girl marriage liaison in one of the poems of the "Hunting" section to show that a person might reach his or her self-identification through a true bodily contact with wildlife. Liberated in the forest as they seem, these wild creatures show themselves as the natural elements that help man get into an emotional state of wild self-determination.

In the "Burning" part of the collection, Snyder shows his audience the path that they should follow so that they may be aided to have stable sensibilities and balanced perceptiveness purged of any evil motives. By doing this, men could be able to assimilate environment in their sensibilities. People's

ethical contemplation can surely help them to be aware of the devastating aftermath that their evil feelings may lead to while dealing with ecology. In case humans lack the ability to grasp the nature of each of their mischievous sentiments, it can be hard to get these sentiments rationalized so that they may possess well-directed sapience. To own such talent signifies that a person with a primitive lifestyle becomes endowed with the capacity of annulling any harmful action forcefully driven by evil sentiments such as wrath or avarice. Living in or near wilderness can help this person to cease to be overwhelmed by his or her feeling of wrath or avarice that damages both his tranquility and environmental equilibrium. In the "Myth", for example, the poet explores the mechanism of how a close-to-nature individual cognizes savageness within his or her thinking or psyche:

The storms of the Milky way
Buddha incense in an empty world
…….
Flame tongue of dragon
Licks the sun

Through mingling his thinking and feeling with wilderness and perceiving its positive merits within, people not only utilize their logical intellect but they also get insight's power while handling the elements of nature. Thus terminates their twofold realization of a man-versus-wildlife world and they adapt in the wild as one of its elements. Then, since man's perceptiveness becomes congruent inside ecology, the "mountains are our mind again" (Yao-Fo, 1975, p.381). In other words, we obtain a global, eco-thinking when we get rid of our wicked drives that form the biggest hindrance against the promotion of our good traits such as mercifulness, permissiveness and longanimity that directs a person's global eco-thinking. It is man-planet material linking that assists us to promote both the goodness principles within our own selves and the notion of our reciprocity with the universe. When people keep physically in touch with the earth, they become capable of grasping the merits of ecology in their sensibilities, and so their subjective thinking retreats through opening a paved way to the superiorization of human global eco-sensibility that led people to realize the notion that all the elements in every ecosystem need to spare their eco-predicament and gain blithesomeness.

The poems of *Turtle Island* (1974) are mostly inspired by Snyder's adherence to residing in the hugs of the Yankee commons; he has been in touch with the topography, land, rocks, plants, animals and cultural heritage of the American countryside. He is greatly interested in expressing his component primitiveness, via depicting it enthusiastically or via lampooning the capitalists endangering wildlife. In "Anasazi", for example, the poet sings for the native ancestors, the Red Indians, who settled the virgin lands, with close connection with forest powers. The modern white cowboy, unluckily, pays no attention to natural life in order to foolishly chase the creatural preys along the grassland paths. Snyder decides to quit the metropolitan life of modernity and go back to the land of hand labour, not the states the white men have built on the remains of the swept commons, but to the Turtle Island, the old title of America. In "What Happened Here Before" (*Turtle Island*), Snyder suggests that due to their bodily contact to the lands, the ancient natives have been endowed with a deep knowledge of the nature of the wilderness, which the European immigrants lacked due to their industrialist backgrounds. Simply, the natives conserved the commons while the invaders burned it down:

Then came the white man, tossed up and
boulders with big hoses,
going after that old gravel and the gold.
…..……
pistol-shooting, churches, county-jail.

The indigenous locals have resided for thousands of years in certain regions of the American continents which they had been adeptly aware of. Because of their great knowledge developed by thousands of years of living in a particular environment, those local men have been naturally informed of the grasslands, the fields, the farms, the fauna and flora. They, consequently, had been able to promote careful, environmentally-friendly methods of preserving their homeland, considering themselves elemental constituents of the surrounding ecology. On reaching the Yankee lands, the European newcomers usurped the habitats previously cared for by the natives. However, because they lacked any experience of the nature of the lands, the whites could barely think of protecting the planet. The poem opens by recording the piecemeal creation of the planet's landscape as well as flourishing of wildlife. The local races, then, lived on the country tens of centuries ago. Yet about a century and half ago, a gross transformation took place with the coming of the European settlers. To the majority of the aboriginal races such had been a disastrous arrival. Disregarding the locals' ancient civilization and property right, the coming immigrants took their lands over and vandalized them to dig up precious metals, resources that may bring them financial gains. They did not care about, or even be aware of, farming the lands or establishing any nature-based activity such as grazing, woodcutting or fishing. Their nineteenth-century metropolitan lifestyles, which were just imaginatively nature-related, have imposed on them an adoption of moneymaking industrial practices rather than ecofriendly and sustainable custom. The poet eventually wonders who could properly and justly adapt to living on the New World's surface: "the recently arrived white man who flies his machines of destruction, quickly burning up the last of the fossil fuels that have come to sustain his life" or the aboriginal race that conserved and sustained the continent (Folsom, 1994, p. 228). In order to look at the wild in a fresh perspective, it is essential both to esteem its long existence and to be informed of its ecological richness that necessitates maintenance of its resources.

3. CONCLUSION

Would we be able to sense the planet's quandary while we are "shod", to use G.M. Hopkins' word in "God's Grandeur"? Simply, this paper has proposed that people's somatic – rather than their emotive communication – relationship with ecology would appear effective in making them really care about, conserve, and preserve ecosystems, and act seriously to solve the environmental problems. Based upon the hypotheses of material ecocritique which overthrows the nature/culture and gender dualism in favor of 'natureculture', nongendered cosmos' bodies, the study has shown man as a physique that should be affected by, and simultaneously affects, other biotic and abiotic bodies within the ecosphere. Both Gary Snyder and Maggie O'Sullivan imply that we have to get rid of our anthropocentric attitude towards nature, which has been a byproduct of postindustrialist times when townsmen lost the stance that nature is part of our lives and that we are part of it; we have to stop thinking of nature as something stored in our imagination, which we could resort to when we need relaxation or a source of our symbolic references. To add to the environmentalist effort, Snyder poetically invites us to return to the wilderness' way of living to combat our false, arrogant sense of separation from an imagined nature, and O'Sullivan attempts to encode a beyond-modern-understanding language of the prehistoric – or the preindustrialist – people whose physical indulgence in ecology made them the best graspers and shielders.

4. REFERENCES

- Alaimo, Stacy. 2010. *Bodily Natures: Science, Environment and the Material Self*. Bloomington Indiana U. P.
- Almon, Bert. 1979. *Gary Snyder*. Boise, Idaho: Boise State University.
- Barrell, John. 1972. *The Idea of Landscape and the Sense of Place, 1730-1840*. Cambridge.
- Bloomfield, Mandy. 2011. "Maggie O'Sullivan's Material Poetics of Salvaging in *Red Shits & Murmur*". *The Salt Companion to Maggie O'Sullivan*. Ed. Chris Emery. Salt Publishing. 26-27.
- Braidotti, Rosi. 2010. "Feminist Philosophy: Coming of Age." *The History of Continental Philosophy*. Vol.7. Ed. RosiBraidotti. 221-245. Durham, NC: Acumen.
- Brown. Andy. 2004. "In Conversation with Maggie O'Sullivan". *Binary Myths 1&2. Conversations With Poets and Poet*-Editors. Exeter: Stride. 155-160.
- Cohen Jeffrey & J. Stone. 2015. *An Ecology of the Inhuman*. Minneapolis: U. of Minnesota P.
- Davidson, Michael. 2012. "Forward". *Robert Duncan: The Ambassador from Venus, A Biography*. Ed. Lisa Jarnot. xiii-xx. Berkley: U of California P.
- Dwight, L. Durling. 1935. *Georgic Tradition in English Poetry*. New York. 5-14.
- Fairer, David. 2003. *English Poetry of the Eighteenth Century 1700-1789*. Longman.
- Fairer, David. 2006. "The Year Runs Round: The Poetry of Work in Eighteenth-Century England". *Ritual, Routine, and Regime: Repetition in Early Modern British & European Cultures*. Toronto.
- Fairer, David. 2011. "Where Fuming Trees Refresh Thirsty Air: The World of Eco-Georgic". *Studies in Eighteenth Century Culture*. No.40.201-218.
- Flosom, Ed. 1994. "Gary Snyder's Descent to Turtle Island: Searching for Fossil Love". *Earthly Words: Essays on Contemporary American Nature and Environmental Writers*. Ed. John Cooley. Ann Arbor: U. of Michigan P. 217-36.
- Gaard, Greta. 2012. "Feminist Animal Studies in the U.S: Bodies Matter."*DEP: Deputrtate, Esulie Profughe*. 20.14-21.
- Iovino, Serenella & Serpil Oppermann (eds). 2014. *Material Ecocriticism*. Bloomington: Indiana University Press.
- Lyon, Thomas. 1972. *John Muir. Western Writers Series*. No.3. Boise, Idaho: Boise State College, Middleton, Peter. 2010. "Ear Loads: Neologisms and Sound Poetry in Maggie O'Sullivan's *Palace of Reptiles*." *Journal of British and Irish Innovative Poetry*. Vol.2. No.1.
- Nelson, Rudolph. L. 1974. "Riprap on the Slick Rock of Metaphysics: Religious Dimensions in the Poetry of Gary Snyder". *Soundings: An Interdisciplinary Journal*. 57. 206-21.
- Olsen, Dell. 2004. "Interview with Maggie O'Sullivan". *How 2*. Vol.2. No. 2. /www.ssc.rutgers.edu./however/v2.2.2004/current/workbook/writing/shtm/
- Oppermann, Serpil.2016. "Material Ecocriticism". *Gender/Nature: Macmillan Interdisciliarry Handbooks*. Ed. Iris van der Tuin. 89-102.
- O'Sullivan, Maggie.1993. *In the House of the Shaman*. London: Reality Street.
- O'Sullivan, Maggie. 2003. *Palace of Reptiles*. Ontario: The Gig.
- O'Sullivan, Maggie. 2011. *Murmur: Tasks of Mourning*. London: Veer Books.
- O'Sullivan, Maggie. 2011. "An Interview with Penn Students". Transcribed by Michael Nardone.
- Perloff, Marjorie. 2004. "The Saturated Language of Red: Maggie O'Sullivan and the Artist's Book". *A Journal of the Arts*. Issue 3. 191-204.
- Rothenberg, Jerome & Pierre Joris, eds. 1998. *Poems for the Millennium: The University of California Book of Modern and Postmodern Poetry*. Vol.2. U. of California P.

- Sheppard, Robert. 2005. *The Poetry of Saying: British Poetry and its Discontents, 1950-2000*. Liverpool UP.
- Snyder, Gary. 1959. *Riprap*. Ashland: Origin Press.
- Snyder, Gary. 1960. *Myths and Texts*. New York: Totem Press.
- Snyder, Gary. 1974. *Turtle Island*. New York: New Directions.
- Snyder, Gary. 1992. *No Nature: New and Selected Poems*. Pantheon Books, 206-61.
- Suzuki. D.T. 1965. *Zen Buddhism*. N.Y: Doubleday,
- Upton, Lawrence. 1998. "Regarding Maggie O'Sullivan's Poetry". *Pages*. Ed. Robert Sheppard. Liverpool.
- Whitley, David. 2000. *The Art of the Shaman*. Salt Lake City: U. of Utah P.
- Yamazato, Katsunori. 1990. "How to Be in this Crisis: Gary Snyder's Cross Cultural Vision in Turtle Island". *Critical Essays on Gary Snyder*. Ed. Patrick D. Murphy. Boston: Hall, 230-47.
- Yao-Fo, Lin.1975/67. "The Mountains are Your Mind: Orientalism in the Poetry of Gary Snyder". *Tamkang Review*. 6.2/7.1. 357-392.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 293-309, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/xz4t5s13

Research Article Open Access

Soviet Diplomacy in Libya: Strategic Motives and Challenges during the Cold War, 1955-56.

Attia Suleiman Attia Abu Malouma

[1]*Corresponding author:
Zzzxom33@gmail.com
Independent Academic Researcher, Libya

Abstract: This research examines a critical juncture in the history of Libyan-Soviet relations during the mid-1950s, a period when the Libyan Kingdom navigated the pressures of the Cold War. In 1955, countering British efforts to include Libya in the Baghdad Pact, Prime Minister Mustafa Ben Halim pursued an independent foreign policy by strengthening ties with the Soviet Union. His objectives were twofold: asserting sovereign decision-making and securing Soviet support for Libya's admission to the United Nations. The establishment of diplomatic relations with Moscow provoked the United States and Britain, leading to significant pressure to politically isolate Ben Halim. The study highlights how Libya leveraged regional dynamics, particularly coordination with Nasser's Egypt, to bolster its standing. It also details Western counter-measures, such as reinforced military presence, to curb Soviet expansion. Ultimately, the research reveals that Libya's foreign policy was not merely reactive, but an active, independent process designed to safeguard national interests within a polarized international environment.

Keywords: Libya, Cold War, Soviet Union, Baghdad Pact, Mustafa Ben Halim.

الدبلوماسية السوفيتية في ليبيا: الدوافع الإستراتيجية والتحديات إبان الحرب الباردة، 1955-1956

الباحث الاول[1]*:
عطية سليمان عطية باحث أكاديمي مستقل.

المستخلص: تستقصي هذه الدراسة منعطفاً حاسماً في العلاقات الليبية السوفيتية منتصف الخمسينيات، حيث واجهت المملكة ضغوط "حلف بغداد" الغربية. وبرزت عبقرية رئيس الوزراء "مصطفى بن حليم" في هندسة تقارب براغماتي مع موسكو، لانتزاع سيادة القرار وتأمين عضوية ليبيا الأممية. أثار هذا التوجه حفيظة المحور الأنجلو–أمريكي، الذي ردّ بمحاولات عزل بن حليم وتعزيز الوجود العسكري. وتبرز الدراسة كيف وظفت ليبيا التنسيق مع مصر الناصرية لتدعيم موقفها، مؤكدةً أن سياستها الخارجية لم تكن مجرد رد فعل، بل استراتيجية استقلالية واعية حمت المصالح الوطنية وسط استقطاب دولي حاد.

الكلمات المفتاحية: ليبيا، الحرب الباردة، الاتحاد السوفيتي، حلف بغداد، مصطفى بن حليم.

Received:
2026-01-30

Accepted:
2026-03-16

Publish online:
2026-04-30

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

Introduction

During the mid-twentieth century, international relations underwent radical shifts fueled by the escalating conflict between the Eastern and Western blocs during the Cold War. In this context, the Middle East emerged as a vital arena for strategic competition between the superpowers. While the United States and its allies sought to contain Soviet expansionism, the Soviet Union worked to bolster its influence by supporting national liberation movements and anti-Western regimes. Amidst this complex environment, Libya emerged as a newly independent state (1951), striving to define its political and diplomatic trajectory away from absolute dependency on either bloc.

This study analyzes the strategic shift in Libyan foreign policy in early 1955, when the Libyan government, headed by Mustafa Ben Halim, adopted a more independent policy by establishing diplomatic relations with the Soviet Union. This move was made despite intense Western pressure, particularly from Britain and the United States, who viewed the rapprochement as a threat to their interests in the region. Furthermore, the study examines the motives behind this engagement—which coincided with Libya's bid to join the United Nations—and its repercussions on relations with Western allies, especially in light of the rising tide of Arab nationalism led by Gamal Abdel Nasser.

The central problem of this study is framed as follows:

"How was Libyan foreign policy, during the premiership of Mustafa Ben Halim, able to maneuver between the pressures of Western powers and the aspirations of the Soviet Union, while maintaining the independence of national decision-making and leveraging international competition to achieve its objectives, foremost of which was joining the United Nations?"

From this central problem, several questions arise to guide the research:

- What were the international and regional backgrounds that prompted Libya to establish diplomatic relations with the Soviet Union in 1955?
- What were the positions of the United States and Britain regarding this rapprochement, and what means did they employ to pressure the Libyan government?
- To what extent was Libya able to balance its relations with the West and its opening toward the Soviets without losing its political autonomy?

This study relies on sources and references that reveal the nature of the Anglo-American stance toward the Libyan-Soviet rapprochement and how the Libyan regime navigated these pressures, through both official discourse and political maneuvering. It also addresses the impact of this shift on regional and international politics, including Western reactions that ranged from diplomatic protests to attempts at isolation, and Libya's insistence on its right to pursue an independent foreign policy.

This paper aims to highlight the complexities of Libyan politics during this era—a stage that represented an attempt to balance external pressures with national interests. It reveals the dynamism of Libyan decision-making during a period characterized by political fragility and global geopolitical competition. To investigate this subject, the **historical method** is employed, involving the collection of scientific material from primary and secondary sources, verifying their authenticity, and then examining, comparing, and analyzing the data.

I. Libya in Soviet Strategy: Foreign Trends and Western Reactions (1945–1952)

In the framework of international political analysis, Winston Churchill famously asserted that the relations between nations are governed by interests rather than permanent alliances. A study of history reveals that geopolitical systems shift in accordance with changes in the balance of power and interests. This was clearly evidenced following World War II, when the Western-Soviet alliance collapsed as soon as the common threat was eliminated, giving rise to a new conflict rooted in ideological and strategic divergences. Thus, historical facts confirm that foreign policy is built upon calculated interests rather than fixed principles.

In the aftermath of World War II, the "Libyan Question" represented one of the most complex and sensitive international files in the contemporary geopolitical context, due to its multi-leveled strategic dimensions. Libya, with its unique geostatistical position at the crossroads of continents, constitutes a geopolitical center of gravity. Control over its vital triangle (**Cyrenaica – Tripolitania – Fezzan**) grants regional and international influence extending from the Mediterranean basin into the African heartland. The significance of this influence is not limited to mere spatial hegemony; rather, it serves as a pivotal factor in shaping geopolitical balances and redefining the dynamics of international interactions. This rendered Libya a central arena for superpower competition within the context of their strategic conflicts and cooperation[1].

On this basis, the Libyan Question became a focal point of international rivalry, particularly with the emergence of the Soviet Union as a formidable competitor to the Western bloc. This resulted in a strategic shift in the structure of the international system and a redistribution of spheres of influence in the post-World War II era:[2]. These contradictions became apparent early on during the **Potsdam Conference** (July 1945), where disagreements among the Great Powers surfaced despite an outward agreement on the principles of maintaining global peace. It was during these proceedings that **Joseph Stalin** raised the issue of trusteeship over former Italian colonies, including Libya[3].

However, the British response came firmly from Sir Winston Churchill, who expressed the British position with clear pragmatism, stating: "I can say with all force—and under exceptional circumstances—that it was British forces that occupied these colonies." This statement highlighted the principle of "effective occupation" as a basis for legitimacy in the post-war era—a principle that manifested as one of the primary axes of colonial competition among the Great Powers[4].

Confronted with this Soviet retort, which utilized the same line of reasoning, Churchill asserted that Britain sought no new territorial gains despite its heavy losses in the war; he then pointedly asked Stalin about the specific demands of the Soviet Union.[5] Stalin responded that he wished to know whether the meeting would discuss the fate of the Italian colonies and to which state their trusteeship would be granted. He added that if the matter were deemed premature, it could be postponed until a mutual understanding was reached.[6] As soon as the Soviet leader finished speaking, his Foreign Minister, Molotov, submitted a memorandum containing a proposal to place Libya under the individual trusteeship of the Soviet Union. However, this proposal was met with a categorical rejection from both the British government and the United States of America.[7]

In that critical historical context, relations between the key parties were marked by escalating tensions, as positions diverged between British hesitation to confront Soviet demands and Soviet firmness aimed at reaching a radical solution for the issue of the former Italian colonies within the conference's framework. Recognizing the necessity of achieving a consensus, the American President took the initiative, acting as an effective mediator between these opposing powers. These efforts

culminated in a tripartite agreement, which tasked the Foreign Ministers of the Big Four (following France's inclusion) with drafting the detailed provisions of the peace treaty with Italy, including recommendations concerning its former colonies.

The Council of Foreign Ministers held in London in September 1945 revealed fundamental disagreements among the victorious Allies regarding the fate of the former Italian colonies, particularly Libya. These disagreements were the result of clashing strategic interests and divergent political visions that had intensified since the Potsdam Conference. While Britain, France, and the United States sought to consolidate their influence in Libyan territories, the Soviet Union demanded a share in their administration as part of post-war reparations[8].

Amidst these developments, the debate over Libya's political status intensified, as the Western position fluctuated between adopting an idealistic discourse calling for the right to self-determination and geopolitical fears of expanding Soviet influence in the Mediterranean region[9]. Soviet Foreign Minister Molotov exploited this Western hesitation by submitting an explicit claim for the administration of Tripolitania[10], justifying it by his country's ability to establish cooperative relations with colonized peoples [11]and denying any expansionist intentions that would threaten British interests in the region. However, his proposal was met with a categorical rejection from the Western powers, leading to a paralysis of negotiations and a complete deadlock[12] Following the failure of these negotiations, the conference decided on February, 1946, to postpone the decision on the fate of the Italian colonies, including Libya, and referred the matter to the second session of the Council of Foreign Ministers scheduled to be held in Paris, where hopes remained for reaching a consensual solution satisfying the disputing parties[13] .

In a charged political atmosphere, the Council of Foreign Ministers in Paris witnessed a shift in the Soviet Union's position toward Libya[14] .The Soviets abandoned the idea of individual trusteeship over Tripolitania and proposed a collective trusteeship instead. In April 1946, Molotov submitted a proposal to place Libya under a joint trusteeship between an Allied power and Italy, accompanied by an advisory council composed of representatives from the Great Powers and local members. He further suggested sharing the trusteeship of Cyrenaica between the United States or Britain and Italy, while Tripolitania would fall under a joint Italian-Soviet trusteeship[15].

The Soviet proposal emerged as an ambiguous challenge for British policymakers. This initiative, appearing in a highly sensitive political context, became a source of profound concern for the British government. It was widely interpreted within British political circles as a calculated attempt to destabilize Western cohesion and sow divisions within the alliance, especially following France's overt endorsement of the proposal. This potential scenario placed Britain in an exceedingly complex position, as it found itself compelled to balance the strategic ambiguity surrounding Soviet intentions with the urgent necessity of responding to this political maneuver[16]. In an effort to alleviate the mounting pressures, the British Foreign Secretary sought to overcome this impasse by introducing a counter-initiative emphasizing the necessity of unifying Libya and granting it immediate independence, hoping this would provide a solution to the risks of becoming entangled in a multifaceted diplomatic crisis[17].

However, subsequent developments took a different turn. On May 10, 1946, the Soviet Foreign Minister announced that his country had abandoned the proposal for joint trusteeship over Libya, affirming instead his support for the imposition of an Italian trusteeship over the country[18] This move revealed the pragmatism of Soviet policy and its ability to reshape strategic balances to serve

its interests, particularly as it aligned with the French position, thereby intensifying the challenges faced by British diplomacy[19]

A turning point in the settlement of the Libyan question came with the signing of the Peace Treaty with Italy on February 10, 1947. Under Article 23, Italy renounced its African colonies, though their administration remained temporary. Their fate was to be decided later by the Great Powers, and the treaty was enacted following its ratification in September 1947[20].

In September 1948, discussions regarding the Libyan issue witnessed a clear divergence in visions and objectives among the concerned parties. This period was characterized by escalating latent tensions between the superpowers, as the proposed initiatives conflicted and contradicted one another in substance[21]. Given the inability to reach a consensus, the conference participants were left with a single option: referring the file to the United Nations General Assembly for a decisive resolution. This approach crystallized during the Council of Foreign Ministers held in Paris on September 15, 1948, at a time when political horizons were narrowing, replaced by a state of ambiguity and uncertainty regarding the future [22]

When the Libyan question was first discussed within the halls of the UN General Assembly in April 1949, the international platform transformed into an arena for strategic competition between the Great Powers, as the concerned parties vied to present political initiatives reflecting their geopolitical interests and ideological affiliations. In a historic turning point, the UN General Assembly issued a fateful resolution on November 21, 1949, stipulating that Libya be granted full sovereignty no later than January 1, 1952[23].

Thus, it can be said that the series of international conferences following World War II represented a decisive stage in the geopolitical struggle between international powers. The Soviet Union emerged as a primary actor seeking to bolster its influence by gaining control over Tripolitania, thereby pursuing its ambitions to access "warm waters." Conversely, Western nations—led by Britain and the United States—realized the risks associated with the expansion of Soviet influence in Libya, particularly if a trusteeship over Tripoli were imposed. Consequently, these nations sought to maintain the balance of power in their favor, transforming Libya into a strategic military base within their regional interests. However, this raises questions regarding the extent to which Moscow truly abandoned its geopolitical ambitions in the region, as well as the nature of its strategy toward Libya in the post-independence era. These questions remain an open subject for debate, necessitating further analysis in light of subsequent political and military developments

II. Diplomatic Relations Between Libya and the Soviet Union.

At the beginning of 1955, relations between Libya and Western nations underwent a strategic shift. Western leaders realized that relying solely on economic and military aid was no longer sufficient to counter the growing Soviet expansion in the region. In response, the United States and Britain adopted an active foreign policy manifested in concrete measures, most notably the establishment of the **Baghdad Pact** (1953–1955)*. This alliance, which included Turkey, Iran, Iraq, Pakistan, and the United Kingdom, aimed to create a regional coalition serving as a strategic buffer against Soviet expansion in the Middle East, thereby curbing its escalating influence in the area [24]

Given that the Kingdom of Libya was aligned with the Western axis during that era, it faced intense political pressure from Britain following the announcement of the Baghdad Pact[25]. The United Kingdom resorted to all available means to push Libya toward adopting its strategic project aimed at isolating the Soviet Union and curbing its influence in the Middle East. However, shifts in Liby-

an foreign policy did not align with British expectations. British attempts to bring Libya into the Baghdad Pact coincided with a comprehensive reassessment of Libya's policy toward the Soviet Union. Following Mustafa Ben Halim's appointment as Prime Minister, he moved swiftly to establish diplomatic relations with the Soviet Union, seeking Soviet support for Libya's bid to join the United Nations[26]. This move also aimed to assert the Kingdom's foreign policy independence[27], which had been subject to sharp criticism from some Arab nations, including Egypt[28] which accused Libya of solely aligning with the West without considering other options. Consequently, the Libyan government resisted British pressure, demonstrating its independence and adherence to a foreign policy consistent with its national interests and aspirations **[29]**

Based on the above, it can be stated that the period following Libya's independence represents a highly complex stage in its political history. This era witnessed a dynamic interaction between the influence of the Great Powers—represented by the Western bloc led by Britain—and the national aspirations of the nascent state. Through the Baghdad Pact, Britain sought to consolidate its regional influence as part of a strategy to counter Soviet expansion in the Middle East. However, this vision clashed with unforeseen shifts in Libyan foreign policy, particularly after Mustafa Ben Halim assumed the premiership, as Libya began to adopt a more independent course that defied international expectations. The historical significance of this phase lies in Libya’s ability to maneuver between external pressures and national interests, as evidenced by the Ben Halim government’s pursuit of diplomatic relations with the Soviet Union. This move was not merely a spontaneous reaction to British pressure, but rather an expression of political pragmatism aimed at enhancing Libya's international standing, especially in the context of its bid for United Nations membership.

Furthermore, it should be noted that the independence of Libyan policy was not limited to liberation from Western hegemony; it also included a refusal to automatically join regional alliances. Libyan-Egyptian relations were characterized by tension due to differing political visions, confirming that Libyan foreign policy was driven by independent national calculations rather than a mere response to regional or international pressures. Thus, this period can be interpreted as a qualitative shift in Libyan foreign policy, wherein the modern state succeeded in asserting itself as an independent actor capable of making strategic decisions that reflected its self-interest, despite the challenges of the international context at the time. This analysis highlights the interactive and dynamic nature of Libyan foreign policy, which transcended the logic of dependency toward the logic of national interest and sovereign decision-making.

In general, this change in the Kingdom of Libya’s foreign policy coincided with a similar shift in Soviet policy toward the Middle East. Shortly after the death of Joseph Stalin and Nikita Khrushchev's rise to power, the Soviet vision for the region changed radically[30] . The ideological dimension no longer occupied the prominent position it held during the Stalin era; instead, the new policy adopted a more liberal and flexible approach, distanced from the constraints of Communist dogma[31], with the aim of strengthening ties with various Middle Eastern regimes[32]. Within this framework, Soviet Foreign Ministry documents refer to secret contacts established between Cairo and Moscow during the implementation of the Czech arms deal with Egypt[33]. These contacts aimed to enlist Egypt’s support for Soviet efforts to bolster relations with Arab countries. Among these efforts was the decision by the Office for Support of Field Operations at the Soviet Foreign Ministry to establish diplomatic relations with the Kingdom of Libya as part of a comprehensive strategy to enhance the Soviet presence in the region[34].

In this context, it should be emphasized that Gamal Abdel Nasser was not merely a passive disciple imitating Communist practices; rather, he possessed a superior ability to mobilize and energize

masses that were newly awakened to political consciousness. However, this does not define him as a Communist in the strict ideological sense, as his political thought contained specific points of intersection with Communist principles.

Nasserist nationalism and Communism stood on common ground characterized by the adoption of socialist ideas, opposition to Western capitalist hegemony, and support for national liberation movements worldwide. This degree of ideological convergence led the Soviet leadership to view the Nasserist project—which stood like a skyscraper on the shifting sands of the Arab desert—as a strategic opportunity to undermine Western influence in the region and disrupt Western attempts to encircle the Soviet Union.

The features of this reasoning become clear in Mustafa Ben Halim's visit to Egypt, which served as the initial step in the diplomatic relations between Libya and the Soviet Union. During the visit, Ben Halim held several meetings with President Nasser in Cairo and Alexandria regarding the policies of Egypt and the Kingdom of Libya toward Western nations, particularly concerning the creation of a form of competition between the East and the West* .

Furthermore, they coordinated a secret plan to exchange diplomatic representation between the Kingdom of Libya and the Soviet Union. After considerable effort, the Libyan government, led by Ben Halim in early 1955 and through its ambassador in Cairo at the time, Khalil al-Qallal, succeeded in conducting highly confidential talks with the Soviet Chargé d'Affaires in Cairo, which ultimately resulted in the establishment of diplomatic relations between the two countries[35] .

Thus, in September 1955, the Libyan government officially announced the establishment of diplomatic relations with the Soviet state[36] . This paved the way for Libya's admission in December of the same year as part of the group of 16 new countries that joined the United Nations [37]Amidst this development, the first Soviet ambassador arrived in Tripoli in January 1956[38] The question remains: what was the position of the Anglo-American alliance regarding the Kingdom of Libya's announcement of diplomatic relations with the Soviet Union**?**

III. The Anglo-American Position on Diplomatic Relations Between Libya and the Soviet Union

Following the Libyan government’s announcement of diplomatic relations with the Soviet Union, reactions in Washington and London converged swiftly and clearly, trending more toward anger and denunciation than calm diplomatic engagement [39]

In a telegram sent by Acting Secretary of State Herbert Hoover Jr. to Secretary of Defense Wilson, he expressed profound concern, asserting that the Soviet Union was expanding its influence across the Near East and North Africa. He noted that Libya’s exchange of diplomatic missions with the USSR was a troubling step, particularly given the potential Egyptian influence on Libyan decision-making. He emphasized the necessity of establishing barriers to thwart Soviet expansionist tactics and warned of the dangers of Libya negotiating with the Russians at the expense of Western interests in the region[40] .

As for the United Kingdom, its position mirrored that of the United States. The diplomatic exchange provoked a negative reaction among the veteran colonial class entrenched in the Foreign Office in London and the British Embassy in Tripoli. They portrayed Libya’s new policy as complete submission to Nasser’s influence, an orbit within the Egyptian sphere, and an acceptance of the spread of Nasserist nationalism and anti-British Communism throughout Libya. They dissemi-

nated this narrative within sensitive circles of the Royal Diwan, the Libyan provinces, and in their communications with King Idris al-Senussi.

In a letter from Sir Alec Kirkbride, the British Ambassador to Libya, to the Foreign Office, he stated: "As for my assessment, Mustafa Ben Halim may indeed harbor emotional leanings toward Egypt due to his background and childhood. Furthermore, it has been rumored that he is accumulating significant funds in Egypt obtained in Cyrenaica through unknown means; I have also seen reports suggesting the Egyptians have deposited funds into his account in an Egyptian bank... His actions reflect a keenness to reconcile his leanings toward Egypt with the policy of King Idris, who cannot be considered to have Egyptian leanings"[41] . Kirkbride added: "I do not believe Ben Halim harbors any special affection for us or for any other Western power"[42] .

A notable aspect of the innovative horizons Ben Halim established in Libyan foreign policy was their tight link to Nasserist nationalism, which was steadily advancing across the Arab world. Libya, like other Arab nations, was naturally susceptible to Nasserist influence—whether through religion, language, or shared Arab national identity. Moreover, the Arab world, influenced by Nasserist policy, could only fulfill its responsibilities toward Libya if certain conditions were met, chief among them the withdrawal of the Kingdom of Libya from the Western orbit. Crucially, regardless of Ben Halim's political orientation or his balancing act between East and West, his central objective appeared to be aligning with the nationalist current that had permeated the fabric of Libyan society across all social and political strata.

Amidst this high state of tension and denunciation within Western circles, the American and British ambassadors moved to express absolute resentment. They conveyed their indignation toward the policies of Prime Minister Mustafa Ben Halim. The American Ambassador went as far as delivering an urgent message from the U.S. administration expressing deep regret over the establishment of relations with the Soviets, voicing astonishment that such a fateful decision was made without prior consultation with Washington. The British Ambassador's stance was equally firm, insisting on the importance of the Treaty of Friendship and Alliance and reminding Ben Halim of the consultation clauses intended to ensure regional stability and security[43] .

The U.S. Embassy, on the other hand, addressed Libya's initiative to exchange diplomatic representation with the Soviet Union with comprehensive detail, outlining its motives and repercussions on Libyan-American relations. The embassy clarified that this step was not intended to strengthen economic ties or seek friendship with the Communists, but was rather aimed at "refuting allegations that Libya was subject to Western influence"[44] . Additionally, the embassy provided an analysis of the impact of Soviet policy in West and North Africa, pointing to the possibility of Libya turning into a conduit for directing and supporting Communist insurgents in Tunisia and neighboring regions. The embassy did not fail to mention the French government's concern regarding Libya's support for anti-French "terrorists." It concluded by emphasizing its inability to fully assess Soviet intervention in Libya, declaring the necessity for the government to review the situation and take appropriate measures to counter Soviet movements, especially as they exploited the chaos in the region[45] .

In light of the above, U.S. Embassy reports reveal a complex web of diplomatic interactions characterized by deep Western anxiety—led by the United States and France—toward any potential Libyan pivot toward the Soviet Union. The embassy treated this file with profound insight, noting that Libya's pursuit of ties with Moscow was less about economic gain or ideological alignment and more of a political reaction to persistent accusations of Western hegemony. This was not a superfi-

cial analysis but a deep dive into the international scene; the embassy closely monitored Soviet expansion in North and West Africa, keeping a vigilant eye on the possibility of Libya being utilized as a transit point for supporting armed Communist movements in Tunisia and beyond. Simultaneously, France voiced its alarm, fearing Libya would become a launchpad for those it described as "rebels" challenging its regional influence. The embassy's conclusion reflected a deep-seated suspicion regarding the extent of Soviet influence in Libya, calling for preemptive steps and a meticulous review before the circle of chaos expanded in favor of Soviet maneuvers. This vision embodied the Western obsession with Libya transforming into a new arena for ideological conflict and geopolitical competition between East and West at a time when the world was on the brink of widespread turmoil.

Based on this perspective, the American command at Wheelus Air Base intensified security measures around the base for fear of potential Soviet espionage. Strict surveillance was imposed on Libyan employees working there[46] . In addition to these measures, the United States considered expanding its strategic influence in Libya by building military bases in Cyrenaica, adjacent to the Egyptian border. These, combined with British bases, were intended to form a barrier preventing the seepage of Soviet influence and Nasserist nationalism. Following this idea, the American Ambassador, John Tappin, met with King Idris in Tobruk on April 15, 1956, in the presence of Prime Minister Mustafa Ben Halim. During this meeting, Tappin informed the King of the U.S. intention to establish a new base in Cyrenaica. For his part, the King emphasized the importance of this base as a means to facilitate the distribution of labor and goods between Cyrenaica and Tripolitania. Tappin's report on the meeting noted the King's happiness with this announcement; the King confirmed he had previously proposed this to the Americans, believing that any potential threat to Libya would come from the East, especially given the Soviet presence in Egypt [47]

The matter did not end there; at the beginning of 1956, the British Ambassador began consultations with Ambassador John Tappin and commanders of British and American forces. These consultations resulted in a joint agreement to submit a strongly worded protest to Prime Minister Ben Halim, sternly warning him against resorting to any cooperation or aid from the Soviet Union or granting it any facilities on Libyan soil. It was also agreed that Ambassador Tappin would meet King Idris to explain the dangerous implications of Ben Halim's conduct and how his silence allowed Soviet influence to deepen in Libya, in hopes of convincing the King of the necessity of dismissing Ben Halim from the premiership[48] .

In conclusion, this section reveals that the Anglo-American stance on Libyan-Soviet relations was not merely a fleeting rejection but a reaction reflecting deep strategic fears. Both the United States and Britain viewed Libya's rapprochement with the Soviet Union as a direct threat to their interests in the Middle East and North Africa, especially amidst the rise of Arab nationalism and Soviet expansion during the Cold War. Diplomatic documents show that Western concerns transcended politics into the security dimension, as the two powers feared Libya would turn into a platform for Soviet influence or a support base for movements hostile to Western interests. This prompted American and British diplomats and military officials to take swift actions to contain the situation, ranging from political pressure via formal protests to bolstering their military presence. The question that imposes itself here is: What was the position of the King and the Libyan government regarding all of this?

IV. Libyan Policy Regarding the Anglo-American Stance on Libyan-Soviet Rapprochement

As previously mentioned, by the mid-1950s, Libya found itself at a decisive crossroads between the pressures of the Western bloc, represented by Britain, and its aspirations toward independent

political decision-making. While Britain sought to pull Libya into the Baghdad Pact to counter Soviet influence, Libya—under the leadership of Mustafa Ben Halim—exhibited remarkable pragmatism by strengthening ties with the Soviet Union as a means to bolster its international standing and secure its admission to the United Nations.

This shift was not merely a reaction to pressure but an expression of a dynamic foreign policy seeking to reconcile national interests with the balance between Great Powers. Libya realized at this stage the importance of adopting a more independent approach that ensured it did not fully align with either bloc. This was reflected in diplomatic strategies aimed at building a network of international relations that allowed it to secure national interests amidst rapid global changes.

Regionally, this shift coincided with the rise of Nasserist nationalism led by Gamal Abdel Nasser, which cast a shadow over the Middle East and North Africa. This period also witnessed a change in Soviet strategy, as the Middle East became a primary target for attracting allies and expanding influence, providing Libya with an opportunity to diversify its political and economic options.

Internally, the ruling authorities faced a dual challenge: maintaining a balance between competing international powers and enhancing internal stability, which required achieving a consensus among various political and social forces. The question remains: how did the ruling authorities interact with this shift? Were they able to manage this delicate balance successfully without allowing external pressures to compromise national sovereignty?

On January 21, 1956, Prime Minister Ben Halim announced before the House of Representatives the establishment of diplomatic relations with the Soviet Union. This announcement came within the framework of a new direction in Libyan foreign policy, as the country sought to diversify its international partnerships. The announcement was met with widespread welcome and overwhelming acceptance from the majority of members, who saw this step as an opportunity to open new horizons for cooperation with a global superpower. The hall shook with warm applause, reflecting a rare consensus on the importance of this historic step[49] .

It appears that the members viewed the future of Libyan-Soviet relations with optimism, seeing this partnership as a strategic opportunity to support the country's economic and social development. These expectations reflected a long-term vision to reduce dependence on Western powers. From the parliament's perspective, this relationship was a pivotal step toward multi-dimensional cooperation, including vital sectors such as agriculture, industry, and education, with a focus on utilizing Soviet expertise to modernize infrastructure and enhance military capabilities.

Thus, it can be said that this orientation was not merely a tactical choice but came in the context of Libya's aspirations to strengthen its political and economic independence. This step represented an ambitious and bold effort reflecting the will of the leadership and the people to build a more balanced future, free from external hegemony.

On February 11, 1956, Dar al-Salam Palace in Tobruk served as the stage for a pivotal strategic meeting between King Idris and the American Ambassador, John Tappin. Amidst an atmosphere reflecting global complexities, the Ambassador expressed deep concern over the "cunning methods" employed by the Soviet Union to achieve its interests, warning that these moves posed a direct threat to the shared interests of the United States and the Kingdom of Libya. In response, King Idris demonstrated a conscious awareness of the Soviet danger, affirming his keenness to keep the Kingdom beyond their influence. He wisely explained that the Kingdom had not initiated relations, but

rather it was the Soviets who pursued them, cleverly questioning whether this pursuit was driven by the hidden incitement of other parties. In an attempt to plant seeds of doubt, the Ambassador criticized certain members of the Libyan government, suggesting they might lack full awareness of the dangers of tempting Soviet offers. However, King Idris faced these remarks with firm clarity, stating confidently: "We know our friends through their past actions; we do not know the Russians yet. Therefore, it is wise to seek aid from those who have proven worthy of our trust, rather than risking cooperation with those whose intentions are shrouded in mystery" [50].

In an attempt to soothe angry Western reactions, Ben Halim wrote to the United States on April 20, 1956, clearly defining the Libyan position. The government affirmed its unwillingness to take any measures that would endanger Western interests in Libya. Ben Halim reassured the U.S. government regarding the Soviet diplomatic mission, stating its role would be limited to routine diplomatic activities and that Libya would not accept any Soviet interference. Furthermore, he noted that "all these measures will also apply to countries orbiting within the Soviet Union's sphere"[51] .

It appears from this letter that Ben Halim found himself caught between a rock and a hard place; although he was the direct driver of the crisis, he did not wish to provoke Western powers, yet he could not ignore the resentment of Arab and local forces toward a pro-Western policy. Thus, he attempted to mitigate Western anxiety through this correspondence.

Ultimately, Libya succeeded through carefully measured diplomatic steps in navigating the fine line between deepening international cooperation and safeguarding core interests. The establishment of relations with the USSR was a manifestation of a conscious strategy to diversify partners and enhance sovereignty. While the government adopted a pragmatic approach in responding to parliamentary aspirations toward the East, King Idris remained the guardian of the strategic balance, recalling the importance of historical ties with the West. This stage was a true test of the Libyan state's ability to sail through the storms of the Cold War without losing its national compass

Conclusion

This research concludes that Libya's geopolitical position in the post-World War II period and leading up to the mid-1950s was a direct reflection of the strategic struggle between the Great Powers, as the country transformed into an arena for competition between the Western and Soviet blocs. Through the Potsdam Conference and subsequent Councils of Foreign Ministers, the Soviet Union sought to impose trusteeship over Libyan territories, exploiting the political vacuum left by the collapse of Italian colonialism. Conversely, Britain and the United States worked to keep Libya within their sphere of influence, whether through de facto control or international diplomacy, which eventually culminated in the United Nations resolution granting Libya independence in 1951.

However, Libyan independence did not end international competition over the country; rather, it entered a new phase characterized by efforts from each superpower to win the loyalty of the nascent state. While Britain attempted to include Libya in the Baghdad Pact (1955) as a buffer against Soviet expansion, the Libyan government, under the leadership of Mustafa Ben Halim, moved toward establishing diplomatic relations with Moscow in 1955. This step provoked the ire of Western allies but revealed the Libyan government’s pragmatism in leveraging international rivalry to serve its national interests, particularly its quest for admission to the United Nations.

Although Libya succeeded in maintaining a balanced distance between the two blocs, this equilibrium was not without challenges. King Idris’s position, which remained cautious not to provoke the

West, clashed with the aspirations of certain domestic political circles that viewed rapprochement with the Soviets as an opportunity to break the Western monopoly. Furthermore, Western reactions—manifested in diplomatic protests and the fortification of military presence at American and British bases—underscored the sensitivity of Libya's location within global strategies.

In conclusion, this study reveals that Libya, despite its limited capabilities as an emerging state, managed to evolve from a mere battlefield into an actor practicing a form of "Realpolitik," benefiting from the contradictions of the Cold War. Yet, this relative success did not erase the long-term consequences of this conflict, which later manifested in the shaping of Libyan policy in the following decades. The question regarding the persistence of this rivalry in Libya's international relations—especially following the discovery of oil and its transformation into a regional player—remains a subject requiring further research in the context of subsequent developments.

Endnotes:

[1] Ali Abdullatif Ahmida, *Beyond Orientalism: Critical Reviews of Maghribi Social and Cultural History*, Lebanon, Center for Arab Unity Studies, 2007, p. 124.
[2] Al-Mukhtar Al-Tahir Al-Kervah, *A Study in the History of International Relations: Libya in the Foreign Policy of Russia - The Soviet Union 1911–1951*, Libya, Seventh of April University Press, 2007, p. 126**.**
[3] James F. Byrnes, *Speaking Frankly*, New York and London: Harper & Brothers Publishers, 1947, p. 76.
[4] Harry S. Truman, *Year of Decisions: Memoirs*, Vol. 1, New York: New Word City LLC, 2014, p. 413.; Al-Mukhtar Al-Tahir Al-Kervah, *Op. Cit.*, p. 128.
[5] Ibid., p. 128.
[6] Roi Yaacovi, *From Encroachment to Involvement: A Documentary Study of Soviet Policy in the Middle East, 1945-1973*, Israel: The Shiloah Center for Middle Eastern and African Studies, Tel Aviv University, 1974, p. 9.
[7] DDI, *Documenti Diplomatici Italiani*, Serie X (1943-1948), Roma: Libreria dello Stato, Vol. 4, 1994, p. 850.
[8]Al-Mukhtar Al-Tahir Al-Kervah, *Op. Cit.*, pp. 129–130.
[9] Wm. Roger Louis, *The British Empire in the Middle East: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism*, New York: Clarendon Press, Oxford, 1998, p. 265.
[10] Gianluigi Rossi, *L'Africa Italiana Verso l'Indipendenza 1941–1949*, Milano: Giuffrè, 1980, p. 117.
[11] Joseph Wechberg, "Letter From Libya," *The New Yorker*, November 2, 1951.
[12] Carol Anderson, "Rethinking Radicalism: African Americans and the Liberation Struggles in Somalia, Libya, and Eritrea, 1945-1949," *The Journal of The Historical Society*, UK, Vol. XI, No. 4, December 2011, p. 395.
[13]H.L. Matthews, "The House of Representatives Conference," *The New York Times*, January 25th, 1946.
[14] John Kent, *British Imperial Strategy and the Origins of the Cold War, 1944-1949*, Leicester, UK: Leicester University Press, 1993, p. 102.
[15] French Ministry of Foreign Affairs, *Reports of the Council of Foreign Ministers - Soviet Proposal on Collective Trusteeship at the Fourth Session*, April 29, 1946, Vols 1-4, France: National Printing Office, 1946, p. 16.
[16] Wm. Roger Louis, *Op. Cit.*, p. 278.
[17] "Transformation of the USSR in Tripoli – Bevin Suggests Liberating Libya Now," *The New York Times*, April 30th, 1946.
[18] *Note sur les anciennes colonies italiennes*, 1949, MAE, Série Nations Unies et Organisations Internationales 1944–1959, Sous-Série Secrétariat des Conférences, Dossier n° 124.: Nevill Barbour, *Southwest Africa*, New York, n.p., 1962, p. 354. : Sergei Mazov, "The USSR and the Former Italian Colonies, 1945–1950," *Cold War History*, London: Routledge, Taylor & Francis Group, Vol. 3, No. 3, 2003, p. 62.
[19] Al-Mukhtar Al-Tahir Al-Kervah, *Op. Cit.*, p. 137.: Muhammad Fuad Shukri, *The Birth of the Modern State of Libya: Documents of its Liberation and Independence*, Vol. 1, Cairo: Dar al-Thaqafa al-Diniyya, 2015, p. 245.: Helen Chapin Metz, *Libya: A Historical and Cultural Overview*, Washington D.C.: Library of Congress, 1987, p. 30.

[20] Muhammad al-Hadi Abu Ajila, *The Struggle of the Libyan People for Independence 1939–1963*, Vol. 1, Libya: Dar wa Maktabat al-Sha'b, 2012, pp. 252–253.: Scott L. Bills, *The Libyan Arena: The United States, Britain, and the Council of Foreign Ministers, 1945-1948*, Kent, OH: Kent State University Press, 1995, p. 151.

[21] Al-Mukhtar Al-Tahir Al-Kervah, *Op. Cit.*, p. 142.

[22] Emanuele Ertola, "Terra Promessa: Migration and Settler Colonialism in Libya, 1911–1970," *Settler Colonial Studies*, University of California, San Diego, 26 March 2016, p. 19.

[23] Emanuele Ertola, Terra Promessa: Migration and Settler Colonialism in Libya, 1911-1970, Settler Colonial Studies, University of California, San Diego, 26 March 2016, P19.

[*] President Nuri al-Said and Turkish Prime Minister Adnan Menderes issued a joint statement in Baghdad regarding the conclusion of a mutual defense agreement. On February 24, Turkey and Iraq signed the agreement known thereafter as the Baghdad Pact. For more details on the Baghdad Pact, see: John C. Campbell, *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*, Revised Edition, New York: Frederick A. Praeger Publishers, 1960, p. 282.

[24] F. Romantsev, *The Development of Policy in the Arab East in 1958–1960 According to the Ruling Circles of the USA and Great Britain*, Moscow: Scientific Editorial Board of the Journal "History," April 2018, p. 104.

[25] Within the context of Britain's comprehensive strategy in the Middle East, Libya's importance increased following the 1954 Anglo-Egyptian Agreement, which resolved the dispute over British forces in Suez. Consequently, Libya became the primary alternative base to support the Baghdad Pact. See: Ali Abdussalam Abdulla Ali ,*Libya and Britain: A Study of the History of British-Libyan Relations 1969-1979* ,PhD Thesis, Nottingham Trent University, 2014, p. 13.:Stephen Blackwell, "Saving the King: Anglo-American Strategy and British Counter-Subversion Operations in Libya 1953-1959 ",*Middle Eastern Studies* ,Vol. 39, No. 1, 2003, p. 3.: V.I. Bartenev, "British Policy Toward Libya (1951-1969 ",(*Moscow University Bulletin* ,No. 4, 2015, p. 124.

[26] The necessity of joining the UN required Libya to show diplomatic flexibility, especially toward the USSR. While PM Mahmoud al-Muntasir submitted an official application on Independence Day in 1951, the USSR initially blocked it, favoring a "package deal" for thirteen other states. See: Idris Muhammad Hussein Abu Bakr ,*The Role of Idris al-Senussi in the National Movement and the Founding of the Libyan Kingdom (1911-1969* ,(PhD Thesis, Ain Shams University, Cairo, 2016, p. 291.: Geoffrey Kemp, "Strategy and Arms Levels, 1945-1967 ",*Proceedings of the Academy of Political Science* ,Vol. 29, No. 3, 1969, p. 22.

[27] Walid Shuaib, "Libyan-Soviet Relations 1955-1963 "*,Journal of Historical and Social Studies* ,University of Nouakchott, Mauritania, No. 24, 2019, pp. 3-4.

[28]Egypt viewed pro-Western pacts as colonial tools. To appease President Nasser and avoid domestic unrest among nationalist youth, Ben Halim made promises regarding Libya's autonomy from Western orbits. See: Sabih Abdullah Ghulam ,*American Hegemony in the Arab Region 1945-2003* ,PhD Thesis, St. Clements University, 2011, p. 39.: Aned George Samaan ,*The Policy of Containment and the Middle East, 1946-1958* ,PhD Thesis, Portland State University, 1972, p. 117.: Charles O. Cecil, "The Determinants of Libyan Foreign Policy ",*Middle East Journal* ,Vol. 10, No. 1, 1956.: Saskia van Genugten ,*Libya in Western Foreign Policies, 1911-2011* ,London: Macmillan Publishers, 2016, p. 66**.**

[29] Majdi Rashad Abdel-Ghani El-Sayed ,*US Policy Toward Libya from the End of WWII to the Eisenhower Doctrine 1945-1957* ,PhD Thesis, Cairo University, 2001, pp. 99-100.

[30] Ali Abdussalam Abdulla Salhab, "Soviet Trends Toward the Arab Region (Egypt – Iraq – Syria – Libya) from 1953 to the late 1970s ",*Sabha University Journal for Humanities* ,Vol. 16, No. 1, 2017, p. 1.

[31]Tareq Y. Ismael ,*International Relations of the Contemporary Middle East: A Study in World Politics* ;Talal Nizameddin ,*Russia and the Middle East: Towards a New Foreign Policy* ,p. 9 .

[32] Jumah F. Dakheel ,*The Impact of the Collapse of the Soviet Union on Libya's Foreign Policy during the Period From 1991 to 2003* ,PhD Thesis, Nottingham Trent University, UK, 2014, p. 115.

[33] On September 27, 1955, Gamal Abdel Nasser announced the Czech arms deal, the first transfer of Soviet weapons to the Middle East after the war. This deal provoked a violent reaction among Western powers. However, the formation of the Baghdad Pact gave Russia the opportunity to penetrate the region dramatically. See: James Phillips, "Libya's Booming Connection with Moscow ",*Heritage Foundation Middle East Report* ,June 1984, p. 5.: Jacob Coleman Hurewitz (ed.), "Soviet-American Rivalry in the Middle East ",*Proceedings of the Academy of Political Science* ,Vol. 29, March 1969, p. 9.: George W. Breslauer et al ,.*Soviet Strategy in the Middle East* ,London: Routledge, 2016, p. 4.

[34] Ministry of Foreign Affairs of the Soviet Union, Alexander N. Yakovlev Fund ,*The Middle East Conflict 1947–1967* . Memorandum from G.T. Zaitsev, Head of the Near and Middle East Department, to Deputy Foreign Minister V.A. Zorin, Moscow, Document No. 186, July 19, 1955, p. 38 .

* It is worth noting that after Arab nationalism spread among the Libyan people, the Libyan state became particularly susceptible to the influence of Egyptian policy. See: E. Shuckburgh ,*Descent to Suez: Foreign Office Diaries 1951-1956* ,London: Norton, 1986, p. 269; H. Trevelyan ,*The Middle East in Revolution* ,London: Macmillan, 1970, p. 58; Douglas Little, "To the Shores of Tripoli: America, Qaddafi, and the Libyan Revolution 1969-1989 ",*The International History Review* ,Routledge, 2012, p. 72.

[35] Walid Shuaib ,*Op. Cit* ,.p. 4.

[36] Ronald Bruce St John, "The Soviet Penetration of Libya ",*The World Today* ,Royal Institute of International Affairs, Vol. 38, No. 4, April 1982, p. 132.

[37] E.A.V. de Candole ,*The Life and Times of King Idris of Libya* ,Manchester: Mohamed Ben Ghalbon, 1990, p. 123.

[38] Richard John Worrall, "The Strategic Limitations of a Middle East Client State by the Mid-1950s: Britain, Libya and the Suez Crisis "*,Journal of Strategic Studies* ,Routledge, 2014, p. 322.

[39] Walid Shuaib ,*Op. Cit* ,.p. 14.

[40] U.S. Department of State, "Letter From the Acting Secretary of State to Secretary of Defense Wilson ",*Foreign Relations of the United States (FRUS), 1955–1957, Africa* ,Vol. XVIII, Washington, D.C., November 12, 1955, No. 184.

[41] In a telegram from the U.S. Embassy to the State Department, the Ambassador mentioned that Ben Halim conspired with the Egyptians to establish relations with the Soviets while concealing it from Western representatives in Libya. See: U.S. Department of State, "Telegram From the Embassy in Libya to the Department of State ",*FRUS, 1955–1957, Africa* ,Tripoli, February 7, 1956, No. 154, Vol. XVIII.

[42] Dhahir Sakr Muhammad al-Hasnawi ,*Libyan-American Relations 1945–1960: A Strategic Vision* ,Syria: Dar al-Sharq for Printing and Publishing, 1st ed., 2012, pp. 191–192.

[43] Walid Shuaib ,*Op. Cit* ,.p. 14.

[44] Dhahir Sakr Muhammad al-Hasnawi ,*Libyan-American Relations 1945–1960: A Strategic Vision* ,p. 193.

[45] U.S. Department of State, "Dispatch From the Embassy in Libya to the Department of State ",*Foreign Relations of the United States (FRUS), 1955–1957, Africa* ,Tripoli, November 30, 1955, Vol. XVIII, Washington, D.C.

[46] Majdi Rashad Abdel-Ghani El-Sayed ,*Op. Cit* ,.p. 103.

[47] Dhahir Sakr Muhammad al-Hasnawi ,*Libyan-American Relations 1945–1960: A Strategic Vision* ,p. 199.

[48] Walid Shuaib ,*Op. Cit* ,.p. 16.

[49]Mohammed Yousef al-Magariaf ,*Libya: Between the Past and the Present – The Birth of the Independence State* ,Oxford, UK: Center for Libyan Studies, 2017, p. 357 .

[50] Mustafa Ben Halim ,*Folded Pages from Libya's Political History* ,Cairo: Al-Ahram Agency for Distribution and Publishing, 1992, p. 207; Mohammed Yousef al-Magariaf ,*Op. Cit* ,.p. 481.

[51] U.S. Department of State, "Letter From Prime Minister Ben Halim to Ambassador Tappin of Libya ",*Foreign Relations of the United States (FRUS), 1955–1957, Africa* ,Tripoli, April 20, 1956, No. 344\A\16, Vol. XVIII, Washington, D.C.

Bibliography: Sources and References

I. Primary Documents

- **"Transformation of the USSR in Tripoli – Bevin Suggests Liberating Libya Now ",***The New York Times* ,April 30, 1946.
- **DDI** ,*Documenti Diplomatici Italiani* ,Serie 10 (1943-1948), Roma: Libreria dello Stato, Vol. 4, 1994.
- **French Ministry of Foreign Affairs** ,*Reports of the Council of Foreign Ministers - Soviet Proposal on Collective Trusteeship at the Fourth Session* ,April 29, 1946, Vols 1-4, France: National Printing Office, 1946.
- **Mattews, H. L**" ,.The House of Representatives Conference ",*The New York Times* ,January 25, 1946.

- **Ministry of Foreign Affairs of the Soviet Union** ,*Alexander N. Yakovlev Fund: The Middle East Conflict 1947–1967* .Memo from G.T. Zaitsev to V.A. Zorin, Moscow, Document No. 186, July 19, 1955.
- **Note sur les anciennes colonies italiennes** ,1949 ,MAE, Série Nations Unies et Organisations Internationales 1944–1959, Sous-Série Secrétariat des Conférences, Dossier n° 124.
- **U.S. Department of State**" ,Dispatch From the Embassy in Libya to the Department of State ", *FRUS, 1955-1957, Africa* ,Vol. XVIII, Tripoli, November 30, 1955.
- **U.S. Department of State**" ,Letter From Prime Minister Ben Halim to Ambassador Tappin of Libya ",*Foreign Relations of the United States (FRUS), 1955-1957, Africa* ,Vol. XVIII, Washington, D.C., April 20, 1956.
- **U.S. Department of State**" ,Letter From the Acting Secretary of State to Secretary of Defense Wilson ",*FRUS, 1955-1957, Africa* ,Vol. XVIII, Washington, D.C., November 12, 1955.
- **U.S. Department of State**" ,Telegram From the Embassy in Libya to the Department of State ", *FRUS, 1955-1957, Africa* ,Vol. XVIII, Tripoli, February 7, 1956.
- **Wechberg, Joseph**" ,Letter From Libya ",*The New Yorker* ,November 2, 1951.

II. Books and References

- **Abu Ajila, Muhammad al-Hadi** ,*The Struggle of the Libyan People for Independence 1939-1963* , Vol. 1, Libya: Dar wa Maktabat al-Sha'b, 2012.
- **Ahmida, Ali Abdullatif** ,*Beyond Orientalism: Critical Reviews in Maghreb Social and Cultural History* ,Lebanon: Center for Arab Unity Studies, 2007.
- **Al-Hasnawi, Dhahir Sakr Muhammad** ,*Libyan-American Relations 1945-1960: A Strategic Vision* ,Syria: Dar al-Sharq, 2012.
- **Al-Kervah, Al-Muntar Al-Tahir** ,*A Study in the History of International Relations: Libya in the Foreign Policy of Russia and the Soviet Union 1911-1951* ,Libya: April 7th University Publications, 2007.
- **Al-Magariaf, Mohammed Yousef** ,*Libya: Between the Past and the Present - The Birth of the Independence State* ,Oxford: Center for Libyan Studies, 2017.
- **Barbour, Nevill** ,*Southwest Africa* ,New York, 1962.
- **Ben Halim, Mustafa** ,*Folded Pages from Libya's Political History* ,Cairo: Al-Ahram Agency, 1992.
- **Bills, Scott L** ,.*The Libyan Arena: The United States, Britain, and the Council of Foreign Ministers, 1945-1948* ,Kent, OH: Kent State University Press, 1995.
- **Breslauer, George W., et al** ,.*Soviet Strategy in the Middle East* ,London: Routledge, 2016.
- **Byrnes, James F** ,.*Speaking Frankly* ,New York: Harper & Brothers Publishers, 1947.
- **Campbell, John C** ,.*Defense of the Middle East: Problems of American Policy* ,Revised Ed., New York: Frederick A. Praeger, 1960.
- **De Candole, E.A.V** ,.*The Life and Times of King Idris of Libya* ,Manchester: Mohamed Ben Ghalbon, 1990.
- **Fatemi, Nasrollah S** ,.*The Big Powers and the Present Crisis in the Middle East* ,Fairleigh Dickinson University Press, 1968.
- **Haqqi, Mamdouh** ,*Arab Libya: As if You Live in It* ,Beirut: Dar al-Nashr lil-Jami'iyin, 1962.
- **Kent, John** ,*British Imperial Strategy and the Origins of the Cold War 1944-1949* ,Leicester, UK: Leicester University Press, 1993.

- **Little, Douglas** ,*To the Shores of Tripoli: America, Qaddafi, and the Libyan Revolution 1969-1989* , London: Routledge, 2012.
- **Louis, Wm. Roger** ,*The British Empire in the Middle East: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism* ,Oxford: Clarendon Press, 1998.
- **Metz, Helen Chapin** ,*Libya: A Historical and Cultural Overview* ,Washington: Library of Congress, 1987.
- **Roi, Yaacov** ,*From Encroachment to Involvement: A Documentary Study of Soviet Policy in the Middle East, 1945-1973* ,Tel Aviv University, 1974.
- **Rossi, Gianluigi** ,*L'Africa Italiana Verso l'Indipendenza 1941–1949* ,Milano: Giuffrè, 1980.
- **Shuckburgh, E** ,**.***Descent to Suez: Foreign Office Diaries 1951-1956* ,London: Norton, 1986.
- **Shukri, Muhammad Fuad** ,*The Birth of the Modern State of Libya: Documents of its Liberation and Independence* ,Vol. 1, Cairo: Dar al-Thaqafa al-Diniyya, 2015.
- **Soutou, Georges-Henri** ,*La Guerre Froide 1943-1990* ,Paris: Pluriel, 2012.
- **Trevelyan, H** ,**.***The Middle East in Revolution* ,London: Macmillan, 1970.
- **Van Genugten, Saskia** ,*Libya in Western Foreign Policies, 1911-2011* ,London: Macmillan, 2016.

III. Articles and Journals

- **Anderson, Carol**" ,Rethinking Radicalism: African Americans and the Liberation Struggles in Somalia, Libya, and Eritrea, 1945-1949 ",*The Journal of The Historical Society* ,December 2011.
- **Bartenev, V. I**" ,**.**British Policy Toward Libya (1951-1969 ",(*Moscow University Bulletin* ,No. 4, 2015.
- **Blackwell, Stephen**" ,Saving the King: Anglo-American Strategy and British Counter-Subversion Operations in Libya 1953-1959 ",*Middle Eastern Studies* ,Vol. 39, No. 1, 2013.
- **Cecil, Charles O**" ,**.**The Determinants of Libyan Foreign Policy ",*Middle East Journal*.1956 ,
- **Ertola, Emanuele**" ,Terra Promessa: Migration and Settler Colonialism in Libya, 1911-1970 ",*Settler Colonial Studies* ,University of California, San Diego, 2016.
- **Hurewitz, Jacob Coleman (ed**" ,**(.**Soviet-American Rivalry in the Middle East ",*Proceedings of the Academy of Political Science*.1969 ,
- **Ismael, Tareq Y** ,**.***International Relations of the Contemporary Middle East* ;**Nizameddin, T** ,**.***Russia and the Middle East*.
- **Kemp, Geoffrey**" ,Strategy and Arms Levels, 1945-1967 ",*Proceedings of the Academy of Political Science*.1969 ,
- **Mazov, Sergei**" ,The USSR and the Former Italian Colonies, 1945–1950 ",*Cold War History* ,Vol. 3, No. 3, 2003.
- **Phillips, James**" ,Libya's Booming Connection in Moscow ",*Heritage Foundation Middle East Report* ,June 1984.
- **Romantsev, F**" ,**.**The Development of Policy in the Arab East 1958-1960 ",*Scientific Editorial Board of the Journal 'History* ,'April 2018.
- **Rossi, Gianluigi**" ,Guerra Fredda E Questione Delle Ex Colonie Italiane nel 1947 ",*Istituto Italiano Per l'Africa e l'Oriente*.1978 ,
- **Salhab, Ali Abdussalam**" ,Soviet Trends Toward the Arab Region (Egypt–Iraq–Syria–Libya) 1953 to late 1970s ",*Sabha University Journal* ,Vol. 16, 2017.
- **Shuaib, Walid**" ,Libyan-Soviet Relations 1955-1963 ",*Journal of Historical and Social Studies* , University of Nouakchott, 2019.

- **St John, Ronald Bruce**" ,The Soviet Penetration of Libya ",*The World Today* ,April 1982.
- **Truman, Harry S** ,.*Year of Decision: Memoirs* ,Vol. 1, New York, 2014.
- **Worrall, Richard John**" ,The Strategic Limitations of a Middle East Client State: Britain, Libya and the Suez Crisis "*,Journal of Strategic Studies*.2014 ,

IV. Theses and Dissertations

- **Abdulla Ali, Ali Abdussalam**" ,Libya and Britain: A Study of the History of British-Libyan Relations 1969-1979," PhD Thesis, Nottingham Trent University, 2014.
- **Abu Bakr, Muhammad Hussein**" ,The Role of Idris al-Senussi in the National Movement and the Foundation of the Libyan Kingdom (1911-1969)," PhD Thesis, Ain Shams University, 2016.
- **Dakheel, Jumah F**" ,.The Impact of the Collapse of the Soviet Union on Libya's Foreign Policy (1991-2003)," PhD Thesis, Nottingham Trent University, 2014.
- **El-Sayed, Majdi Rashad**" ,US Policy Toward Libya from the End of WWII to the Eisenhower Doctrine 1945-1957," PhD Thesis, Cairo University, 2001.
- **Ghulam, Sabih Abdullah**" ,American Hegemony in the Arab Region 1945-2003," PhD Thesis, St. Clements University, 2011
- .**Samaan, Aned George**" ,The Policy of Containment and the Middle East, 1946-1958," PhD Thesis, Portland State University, 1972

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44(1): 310-323, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/d7za9a83

Research Article

Open Access

ظاهرة العدول في الشعر العربي الحديث: قراءة في أسلوبيَّة التَّأويل

محمَّد أحمد محمَّد السنوسي[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم اللغة العربية، جامعة عمر المختار، ليبيا

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة ظاهرة **العــدول** في الشعر العربي الحديث في ضوء **أسلوبية التأويــل**، للكشف عن إسهامها في إنتاج الدلالة من جهة، وتوجيه جماليات التلقي من جهة أخرى. وتنطلق الدراسة من أن العدول إجراءٌ فنيّ يستثمره الشاعر لكسر المألوف وتنشيط انتباه القارئ، بما يدفعه إلى استكشاف المعنى الكامن خلف الانزياح. وتتخذ الدراسة ثلاثة محاور تطبيقية هي :**الالتفات**، و**الحذف**، و**التقديم والتأخير**، مع تحليل نماذج مختارة من الشعر العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: العدول، الشعر الحديث، أسلوبيَّة التأويل.

[1]***Corresponding author:**
Muhammad A. Al-Sanusi,
mohammedahmed@omu.edu.ly
Department of Arabic Language, Omar Al-Mukhtar University

Received:
01-04-2026

Accepted:
15-04-2026

Publish online:
30-04-2026

The Phenomenon of Deviation in Modern Arabic Poetry: A Reading through Interpretive Stylistics

Abstract: This study examines the phenomenon of stylistic deviation in modern Arabic poetry through an interpretive stylistics approach. It explores how deviation contributes to meaning-making and shapes the aesthetics of reception by drawing the reader's attention and prompting interpretive engagement. The analysis focuses on three major devices: shift of address (*iltifāt*), ellipsis (omission), and fronting and postponement (*taqdīm wa-ta'khīr*), using selected poetic examples from modern Arabic poetry.

Keywords: Deviation, Modern Poetry, Stylistics of Interpretation.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدّمة:

الشعر –في جوهره وحقيقته– تجربة لغويَّة ترقى وق التجربة اللغويَّة النَّثريَّة من ناحية، وفوق التجربة اللُّغويَّة التي تُلبي حاجات المتخاطبين في تعبيرهمُ البسيط من ناحية أخرى، ولذلك "فإنَّ شعريَّة اللغة تقتضي خروجها عن العرف النَّثريِّ المعتاد، وكسر قواعد الأداء المألوفة لابتداع وسائلها الخاصَّة في التعبير عمَّا لا يستطيع الشعر تحقيقه من قيمٍ جماليَّة".[1]

والشَّاعر عندما يسعى لبناء عالم خالص لتجربته الشعريَّة، فإنَّه يُعيد صياغة الواقع ويقدم قراءة متفردة له، لذلك نجده كثير التأمُّل في اللغة من أجل إعداد هذه القراءة، "فليس هناك شعر ما لم يكن هناك تأمُّلٌ في اللغة، وفي كل خطوة إعادة خلقٍ لهذه اللغة، وهو ما يتضمن تحطيم الأطر الثَّابتة اللغة وقواعد النحو وقوانين المقال".[2] على أنَّ مجاوزة الشاعر لقواعد اللغة لا تتم بشكلٍ عشوائيٍّ، ولكن هذه المجاوزة منتظمة تلفت انتباه المتلقي، والشعر لا يتخذ من هذه المجاوزة مقصدًا وهدفًا له، ولكنه يُعيد بناء اللغة مرَّة أخرى وفقًا لقوانين جديدة مبتكرة، فالشَّاعر يهدمُ ليبني، ويكسرُ ليجمع من جديد ما كسره، ويعيدُ تركيبه بطريقةٍ أخرى. ونحن عندما نستقبلُ الشعر ونتلقاه نكون مهيئين –بحاسة التذوق– لعمليَّة الهدم والبناء الجديد".[3]

وقبل البدء في الدّراسة لا بد من طرح عدَّة أسئلة منها؛ ما تمثُّلات العدول في الخطاب الشعري الحديث؟ وكيف يُسهمُ الالتفات والحذفُ والتقديم والتأخيرُ في توليد الدلالة وتوجيه التلقي؟ وإلى أيِّ حدٍّ يُتيحُ منظور أسلوبيَّةُ التأويل الكشف عن الوظائف الجماليَّة لهذه الظَّاهرة داخل السياق النَّصِّي؟

يدور البحث حول دراسة أسلوبيَّة التأويل لظاهرة العدول في الشعر الحديث، الذي أصبح أحد الإجراءات الإبداعيَّة التي يحرص عليها المبدعون بوصفها نوعاً من التّواصل مع القارئ أو المتلقي، ولقد تمّ الاعتماد على أداة من أدوات النقد وهي "أسلوبيَّة التأويل"؛ لقدرته على كشف منظور الإبداع، والسّياقات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة التي شكّلتْ ذلك المنظور، وبذلك يُصبحُ أداة مساعدة لوضع النّصّ في سياقه الذي أنتجه، فلا يُنظرُ إلى العدول بوصفه زينة شكليَّة، بل بوصفه إجراءً دلاليًّا يُسهمُ في بناء المعنى. وأسلوبيَّة التأويل صورة جديدة من العودة إلى ربط النّصّ بمحيطه الذي نشأ منه. والمميَّز في هذا المنهج أنَّه ليس مدرسة محدّدة المعالم، بل يُمكنُ أن يتبدَّل بتبدُّلِ شخصيَّة النَّاقد وثقافته وتوجُّهاته. فهو مفتوح على التّأويل وعلى مناهج السّيميائيَّات وتحليل الخطاب، ومختلف العلوم الإنسانيَّة المحيطة بالأدب؛ لذلك تمّ اختيار نماذج مختارة من الشعر الحداثي الذي اتخذ من ظاهرة العدول دروبًا لخلق الدلالة، وإشراك القارئ في إنتاج المعنى.

وقد قسَّمتُ البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ ألقيتُ الضَّوء في المقدمة على أهميَّة الموضوع وأسباب اختياره، والتصور العام لإطار البحث وخطَّته، والمنهج المتبَّع فيه.

جاء المبحث الأول بعنوان: الالتفات بوصفه عدولا ظمائريًّا/ خطابيًّا، ويُعنى المبحث الثَّاني بالحذف وأثرهُ الإيحائي، ويتناول المبحث الثَّالث التقديم والتأخير بوصفه عدولًا تركيبيًّا.

ثمَّ جاءت خاتمة البحث لتوجز أهم النتائج التي توصَّلت إليها من خلال الدراسة، يليها المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

ولقد آثرنا في هذه الدّراسة استخدام منهج أسلوبيَّة التأويل المعتمد على الوصف والتحليل إضافة إلى بعض المناهج التي قد تلجئنا إليها طبيعة الدراسة.

استهلال تنظيري:

إنَّ المتتبع لمباحث الأسلوبيَّة يُدرك أنَّ من أهم هذه المباحث ما يتمثلُ في رصد انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف، أو كما يقول "ج. كوهن": (الانتهاك) الذي يحدثُ في الصياغة والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب، بل وربما كان هذا الانتهاك هو الأسلوب ذاته، وما ذلك إلا لأنَّ الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين: الأول: مستواها المثالي في الأداء العادي، والآخر: مستواها الإبداعي الذي يعتمدُ على اختراق هذه المثاليَّة وانتهاكها.[4]

وإذا كان النُّحاةُ واللُّغويُّون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي، فإنَّ البلاغيين ساروا في اتجاهٍ آخر حيثُ أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثاليَّة والعدول عنها في الأداء الفنِّي.

وليس معنى هذا إنكار البلاغيين للمستوى المثالي الذي أقامه النُّحاة واللغويُّون، بل إنَّ ذلك يؤكد إدراكهم لتحققه، بحيثُ جعلوه الخلفيَّة الوهميَّة وراء الصياغة الفنيَّة التي يُمكنُ أن يقيسوا إليها عمليَّة العدول في هذه الصياغة.[5]

ومن هذا المنطلق ستتناول الدراسة الأسلوبيَّة التأويليَّة لظاهرة العدول في الشعر العربي الحديث حتى نستطيع الكشف عند مدى مساهمتها في إبداع الدلالة من ناحية، وفي جماليات التلقي من ناحية أخرى، ومن أبرز هذه الظواهر: الالتفات، والحذف، والتقديم والتأخير.

المبحث الأول: الالتفات بوصفه عدولًا ظمائريًّا/ خطابيًّا

يُعدُّ الالتفات لونًا من إمكانات التركيب اللغوي الذي يستغلُّه الشعراء استغلالاً فنّيًّا في تلوين الأداء الذي يبثُّون من خلاله خطابهمُ الشعري، حيث "تتحوَّرُ اللفظة في موضعها تحوُّرًا غير مألوفٍ يُفرز دلالة فيها كثير ممَّا لا يتوقعهُ المتلقي".[6]

ومفهوم الالتفات –عند البلاغيين– يعني الانتقال من ضميرٍ إلى ضميرٍ آخر، أو "العدول من أسلوبٍ في الكلام إلى أسلوبٍ آخر مخالفٍ للأول"[7]، يقول "ابن الأثير":– "وحقيقته مأخوذةٌ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبلُ بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكونُ هذا النَّوعُ من الكلام خاصَّة لأنَّهُ ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطابٍ حاضرٍ إلى غائبٍ، أو من خطابٍ غائبٍ إلى حاضرٍ، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبلٍ، أو من مستقبلٍ إلى ماضٍ أو غير ذلك".[8]

ويُدخل "السكاكي" في الالتفات ظاهرة التجريد على أساس أنَّ "المتكلم عندما يُجردُ من نفسه شخصًا آخر ويخاطبهُ يخرجُ عن المألوف والمتوقع، فيحدثُ بذلك تحولٌ في الصياغة من التكلّم –الذي تهيَّأت له نفس المتلقي– إلى الخطاب أو الغيبة، وذلك كقول "ربيعة بن مقروم":

بانت سعاد فأمسى القلب معمودًا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا
فالتفتَ كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني".[9]

وبالنَّظر إلى ظاهرة الالتفات في ضوء علاقة المبدع بالمتلقي نرى أنَّ الأخير يكون الهدف الأول من تحقق هذه الظَّاهرة، يعمدُ إليها الشَّاعر كي يحرص على دوام الاتصال به، والقدرة على التأثير عليه، وهو ما أشار إليه "العلوي" حيثُ يحدد وظيفة الالتفات بما قاله "الزَّمخشري": "وحاصلُ مقالته (الزَّمخشري) هو أنَّ ورود الالتفات في الكلام إنَّما يكونُ إيقاظًا للسامع من الغفلة، وتطريبًا له بنقله من خطاب إلى خطابٍ آخر، فإنَّ السَّامع ربَّما ملَّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطًا له في الاستماع، واستمالة له في الإصغاء إلى ما يقوله".[10]

ومثالُ ذلك قول الشَّاعر "حسن فتح الباب" في قصيدته "وداعًا .. امرأ القيس":

أحبك .. كل الذين أتوا بعدنا
.. والذيم مضوا قبلنا
قد أحبُّوا وعادوا من التيه خلف الغيوم
فماذا غيابك عنِّي وقد كنتَ مني الحنايا
وكنتِ الصباح على العالمين
وكنت النُّجوم
فأصبحت تنأين مثل السماء ومثل الجحيم
وتستمطرين عليك دموع الضحايا؟
وكيف ألاقيك إن عدت يومًا
ووجهك مهوى السنابك في غير حرب
.. وأرض الخطايا؟
وكيف تعود إليك ثمود

تعود السبايا
يعود العبيد؟
ويمضي امرؤ القيس فوق جواد الغيوم
وحيداً .. وتبكيه .. تبكيك كل النُّجوم
وتنأى السماوات عنه وينأى الجحيم
لماذا نغني
وقد نفذ السهم في مهجتي
أيهذا الأمير النبيل
وأنت الشهيد؟[11]

استدعى الشاعر "امرأ القيس" في عنوان قصيدته، وامرؤُ القيس قيمة سيميوطيقيَّة تُعدُّ نموذجًا للاغتراب بكافة صورة وألوانه؛ إذ طرده أبوه الملك "حُجْر" وهو في سنٍّ مبكرة لمجونه وقوله الشعر في ابنة عمِّه "فاطمة"، فخاض صراعًا نفسيًّا عميقًا بين حبِّه لقول الشعر وبين البُعد عن الأهل والديار، كما احترق بلهيبِ الاغتراب عن العشيرة عندما حمل لواء الدعوة إلى الثَّأر لوالده فخذلتْهُ القبائل وتنكَّرت له[12].

ولقد أراد الشاعر عبر توظيفه لهذا العلم عنوانًا لقصيدته أن يعبر عمَّا يعصفُ بداخله من مشاعر الاغتراب الروحي في الوطن، وقد أشار هذا العنوان من خلال أسلوب النداء المحذوف الأداة ممَّا يُوحي بالانفصال والقرب في آنٍ واحد؛ فالنداء يُوحي بالطَّابع التَّخاطبي من قبل الشَّاعر؛ أي- الانفصال عن الشَّخصيَّة التُّراثيَّة، وحذف أداة النّداء (يا) فيه إشعار بالقرب والحميميَّة التي تربط بينهما، وبذلك يُشيرُ العنوان إلى جدليَّة القرب والانفصال التي قام عليها البناء النَّصّيّ للقصيدة، حيث "يعتمدُ التَّشابه بين الشَّاعر والعلم على كونه منطلقًا واستلهامًا لرمزيَّة العلم المحمَّلة بتاريخها الطَّويل، بينما يحدثُ الاختلاف بوصفه قيمة مائزة أو فارقة تميّز تجربة الشَّاعر المعاصر وتصنعُ لها خصوصيَّتها وتفرّدها الرَّمزيّ"[(13)].

ثمَّ استهلَّ الشاعر القصيدة بمخاطبة المحبوبة –الوطن- من خلال توظيف شخصيَّة امرئ القيس، (فأنا) المتحدث في هذا النَّص ليس (أنا الشاعر) بل (أنا الشخصيَّة التراثيَّة)؛ أي: (أنا الوسيط) الحامل لصوت الشاعر، فالخطاب الشعري المتميز "يضمر أكثر ممَّا يصرح، يُوحي، يأبى أن يفصح عن طاهره أو حقيقته للوهلة الأولى، بل تراهُ يمعن في التخفي والتكتم وراء شعريَّة الكلمات"[14]، حيث وجد الشاعر في شخصيَّة امرئ القيس متنفسًا يبثُّ من خلالها آهات حزنه وغربته، فتحدثت الشخصيَّة التراثيَّة بلسان الشَّاعر المعاصر دون أن يتحدَّث هو بلسانها، فجاء الخطاب محمَّلًا باليأس واللوم، يدور في مجمله حول إدانة المخاطبة –الوطن- لاستشراء الفساد بها، الأمر الذي يباعد بينهما، فاستهلَّ خطابه بكلمة (أحبك) وهي كلمة شديدة الإيحاء تُعلنُ عن إصراره الأبدي على حبه للمحبوبة –الوطن- في الوقت الذي تُعلنُ هي رفضها وتنكرها له، وقد أسهم الشكل الطباعي في تعميق هذه الدلالة، حيث وضع نقاطًا متتالية (..) بعد هذه الكلمة ممَّا يُوحي بالإغراق في حبها

وغيابها هي عنه في آنٍ واحد، ثمَّ يبثُّ شكواه في جملٍ سريعة متدفقةٍ ساعد على انسيابها وسرعتها (التدوير) في الأسطر الأربعة الأولى ممَّا يُناسب هذا الموقف المضطرم، فيُقارن بين ما كانت عليه في الماضي، وما أصبحت عليه الآن بأسلوبٍ إنشائيٍّ يعكس استنكاره لهذه الأوضاع.

ثمَّ نجدُ الشاعر ينتقلُ من ضمير الخطاب إلى ضمير الحكي والرواية؛ أي: ضمير الغائب "يمضي- تبكيه- عنه"، وهذا الانتقال يؤكدُ صحَّة فهمنا للسياق من أنَّ الصَّوت الذي عبر الشَّاعر به لم يكن صوته، بل صوت الشخصيَّة التراثيَّة المستعار؛ أي: صوت (امرئ القيس).

وقدِ اكتفى هذا الصوت الخارجي بوصفِ رحيل امرئ القيس، كما كرَّر جملة "فأصبحتِ تنأين مثل السماء ومثل الجحيم" –الواردة على لسان امرئ القيس في السطر الثَّامن- مع تعديلٍ في صياغتها حيث صاغها بصيغة الغائب لتعميق الحسِّ الدرامي، فقال: "وتنأى السماوات عنه وينأى الجحيم"، ثمَّ يتوجَّهُ هذا الصوت من الحكي والرواية إلى خطاب امرئ القيس عبر أسلوب النداء المحذوف الأداة الذي يعكسُ النَّبرة الحزينة الحانية، وبذلك يقوم الالتفات بدورٍ بارزٍ في تشكيل السياق النَّصي لهذه القصيدة، حيثُ "يُحرره من هيمنة الصَّوت الواحد تشكيلًا ودلالة، الأمر الذي يجعل الانتقال بين الضَّمائر ليس مجرَّد تحولاتٍ سياقيَّة، بل خصائص دراميَّة تتحاورُ فيها الأصوات".[15]

وكما هو واضحٌ من التَّحليل السابق غدتِ الشخصيَّة التراثيَّة خلفيَّة رمزيَّة معبرة عن مأساة اغتراب الشَّاعر، فالضَّمائر الثلاثة (المخاطب- والغائب- والمتكلم) جميعها تُشيرُ إلى شخصٍ واحدٍ هو الشَّاعر نفسه.

ويشكل الالتفات ظاهرة أسلوبيَّة بارزة في قصيدة "اعترافات العمر الخائب" للشَّاعر "فاروق شوشة":

ها أنا..
في دورة الإعصار أرتدُّ عنيفًا
خائب المسعى أسيفًا،
وانهمار العمر من حولي
خطى مبهورة الأنفاس،
فقاعات لغو زائف
صارت على الوجه أخاديد، وفي القلب حروقًا
سكتت همتك الشمطاء يا نفس،
عرفت الأمر، جربت الذي كان،
تخطَّيت الزوايا والصُّفوفا
والمصلين –وراء الهيكل البالي- وُقوفًا
هذا أوان الفصل،
بوحي، اعترفي،
لا تدعي بعد عزوفًا

واهتكي عنك ستار الرّغبة الحبلى،
قناع الأسفِ الكاذبِ، ذاك المضحك المبكي،
ما عاد يُفيدُ الصَّمت،
كوشفت،
وأترعت من اليأس صنُوفًا
كم تطامنت
وأسرعتِ الخطى عدواً،
وجاوزت حدود الوهم،
شارفت على الأُفُقِ ظلالًا قابعات وطيوفًا
.....
وصحونا حين طار العمر،
نقتات الحصاد المر،
نهتزُّ لمرأى الغد، إذ يفجؤنا عارين،
ننهارُ جراحًا ونزيفًا[16]

ففي بداية المقطع السابق يستخدمُ الشاعر ضمير المفرد المتكلم في حالة من التَّصريح والإفضاء الذاتي، حيث نرى الارتداد قد أخذ طابعًا عارمًا عنيفًا "ها أنا.. في دورة الإعصار أرتدُّ عنيفًا"، ولكنَّنا لا نلبثُ أن نكتشف أنَّ هذا العنف عنفٌ ظاهري، باطنه –بالنسبة للشاعر– السلبيَّة والخمود، فالشاعر عنصرٌ سلبيٌّ في هذه الحركة العارمة التي مصدرها الإعصار الذي يرتدُّ به في دورانه على غير هواه "خائب المسعى أسيفًا"، وإن كنَّا لا ندري على وجه اليقين اتجاه هذا الارتداد، وهل هو صورة من صور العودة إلى الماضي، أم أنه ارتدادٌ من الماضي الذي عاد إليه الشَّاعر في المقطع الأول من القصيدة؟ على أيَّة حال لا يبدو التمييز هنا مهمًّا، فقدِ امتزج الماضي بالحاضر، ووحَّد بينهما الشعور بالخيبة والإحباط.

ولكن هذه الحيويَّة الظَّاهرة التي كست خطَّ "العودة" تمتدُّ إلى بعض الخيوط الأخرى في النَّص، حيث نرى السُّقوط بدوره يأخذ طابعًا أكثر عرامة وهو "الانهمار"، والذي ينهمرُ هنا هو "العمر"، ويؤكد الشَّاعر هذا الطَّابع العارم لتساقط العمر من حوله، حيث يُجسد هذا التَّساقط في صورة الخطى "الخطى المبهورة الأنفاس"، وتستمرُّ الخيوط في التلاحم والتشابك والتفاعل، وتنمو خيوط جديدة تزيد من ثراء النَّص، فخيطُ "العودة" أو الارتداد يمتزجُ بخيط "تساقط" العمر أو انهماره الذي يمتزجُ بدوره بخيط "الخواء"، فانهمار العمر الذي تجسد في "الخطى المبهورة الأنفاس" يساوي في رؤية الشَّاعر "قفاعات لغو زائف"، وتمتزجُ هذه الخيوط بخيط الشيخوخة، فهذه الخطى الفقاعات "صارت على الوجه أخاديد". ولنلاحظ ما في هذه الصور من مفارقاتٍ أليمة بين عرامة الفعل وسلبيَّة حصيلته، فالارتداد العنيف، وانهمار العمر، والخطى المبهورة الأنفاس، كلُّ هذه الصور التي تفيض قوة وعرامة تُعادلُ في النهاية "قفاعات لغو زائف"، و"أخاديد على الوجه".

ثمَّ يلجأ الشاعر إلى التستر وراء ضمرٍ جديدٍ فينتقلُ من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير المخاطبة المفردة "همتك- عرفت- جربت- تخطيت- بوحي- اعترفي- لا تدعي- اهتكي- عنكِ- كوشفتِ- أترعتِ- تطامنتِ- أسرعتِ- جاوزتِ- شارفتِ)، والضمير يعود إلى نفس الشاعر التي يواجهها في موقف مكاشفةٍ صريحةٍ، فالشاعر في هذا الموقف ينكص عن الاعتراف الصريح ويطلبُ من نفسه أن تحمل عنه هذا العبء، ونجدُ خيطيِ "الخمود" و"الشيخوخة" يمتزجان من جديد من خلال الفعل "سكن" المسند إلى "همتك"، والوصفُ "الشمطاء" الذي جعله الشاعر نعتًا للهمَّة، وبالرَّغم من هذا الخمود فإنَّنا نبرة المواجهة تحتدُّ تدريجيًّا حتى تبلغ حدًّا واضحًا من العلو، الأمر الذي يعكس وجود مقاومة خفيَّة ضدَّ الاعتراف بهذه الحقيقة الأليمة، حقيقة الخيبة والإحباط. ونجد نبرة الأسلوب تتردد ما بين النغمة التقريريَّة الجازمة في "سكنت همتك الشمطاء يا نفس/ عرفت الأمر/ جربت الذي كان/ تخطيت الزوايا والصفوفا"، وبين نغمة الأمر والنهي الحاسمة في "بوحي، اعترفي/ لا تدعي بعد عزوفًا/ واهتكي عنك ستار الرغبة الحبلى"، حيث تبلغ المواجهة ذروة حدتها وارتفاعها لتأخذ بعد ذلك في الهبوط التدريجي عبر مجموعة من الجمل الخبريَّة التقريريَّة الحزينة، فالشاعر يُدركُ أنه وإنِ انسلخ عن نفسه وحاول أن يُواجهها، فإنَّ الأمر لا يعدو أن يكون حيلة يهربُ بها من ثقل الاعتراف المباشر، ولذلك فإنَّنا نجدهُ يلتحمُ بذاته من جديد، فيعدلُ عن ضمير المخاطبة المفرد إلى ضمير جماعة المتكلمين، وبذلك يتبدَّى نوع آخر من أنواع الالتفات في هذه البنية عن طريق الانتقال فجأة من الحديث بصيغة المفرد إلى الجمع، وهكذا نغدو مع أسلوبيْنِ لا أسلوبٍ واحدٍ، حيثُ يقرر في أسىً فاجع:- "وصحونا حين طار العمر، نقتات الحصاد المر/ نهتزُّ لمرأى الغد إذ يفجؤنا عارين/ ننهارُ جراحًا ونزيفًا"، فهل يريد أن يتستَّرَ من جديد وراء هذا الضمير فرارًا من الاعتراف الحاسم بإحباطه الخاص الذي قد يشعرُ به استخدام ضمير المتكلم المفرد، أم أنَّهُ يريد أن يجعل الخيبة والإحباط قدر الجيل كلِّه؟!! إنَّ السياق يحتملُ التأويلينِ، ولا يوجد في هذا المقطع أو القصيدة ما يرجح أحدهما على الآخر.[17]

المبحث الثَّاني: الحذف وأثرهُ الإيحائي

إنَّ الإيحاء الذي يهدفُ إليه بناء القصيدة الحديثة يتطلبُ من الشَّاعر ألاَّ يُصرح بكل شيءٍ، بل إنَّه يلجأ أحيانًا إلى إسقاط بعض عناصر البناء اللغوي ممَّا يثري الإيحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي لتأويل هذه الجوانب المضمرة من ناحيةٍ أخرى، وبهذا يحقق الحذف هذا الهدف المزدوج[18]، هذا فضلًا عن فلسفته الكامنة في خلافيَّة الحضور والغياب أو النطق والصمت، فالمباينة بين كلا الطرفين تعمل على استدعاء الغائب للحاضر، كما يستدعي الحاضر الغائب[19]. ولقد كان الحذفُ من الوسائل الإيحائيَّة التي اهتمَّ بها شعرنا العربي القديم ونقدنا العربي على السواء، ووصل نقادنا إلى آراءٍ ذات شأنٍ في هذا المجال، وفطنوا إلى قيمته الإيحائيَّة، وكيف أنه كثيرًا ما يكون أبلغ من الذكر والإفصاح، حتى قال عنه النَّاقد والبلاغيُّ الكبير "عبد القاهر الجرجاني" إنَّهُ: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من

الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"[20]، وعقد له فصلًا طويلًا في كتابه دلائل الإعجاز.

ومن ثمَّ كان طبيعيًّا أن يحتلَّ أسلوب الحذف دوره البارز بين أدوات الإيحاء الشعريَّة في القصيدة العربيَّة الحديثة، بحيثُ لا تكاد قصيدة حديثة تخلو من استخدام هذا الأسلوب على نحوٍ أو آخر.

ومن النماذج الشعريَّة التي استغلَّت القيمة الإيحائيَّة للحذف قصيدة "عاصفة" للشاعرة "ملك عبد العزيز":

يغرقُ الليل في البحر
تنطفئ الأنجم الساهرات
تكبلها السحب الداكنات
وينطفئ الحلم والأغنية
***
يغرق الليل في البحر،
ينهشه الموت
ترتعدُ السحب،
تهدر بالرعب،
في الرجفة العاصفة
وحشة الليل
تبسط سهل الخواء
صحاري الرماد ترامت
سوادًا سوادًا
يلف الصَّوى
والرؤى الراعفة
يصعد الموج للسحب
تلتحم السحب بالموج
يلتهمُ الموج قلب السحاب
تتساقط السحب في البحر
عند التقاء الأفق[21]

واضحٌ أنَّ العالم الذي تعيشه الشاعرة عالم غير منطقي، يستمدُّ أوصاله وروابطه من الواقع النَّفسي للشاعرة، عالم فيه يغرق الليل في البحر، وتبسط وحشة الليل سهل الخواء، والسحب الداكنة تكبل الأنجم الساهرة، وتلتحم بالموج الذي يلتحمُ قلبها ثمَّ تتساقطُ في البحر، وينطفئُ الحلم والأغنية ... إلخ. عالم بعلاقاته

هذه لا يمكن أن يتمَّ إلَّا في الحلم الذي يوازي بحالته هذه العاصفة التي لا تهدر إلَّا في مثل هذه الحالة من حالات الرعب الإنساني.

ولقد رأت الشَّاعرة –محاكاة– لهذه الحالة من التفكك أن تحذف أدوات الرَّبط بين جمل النَّص، فالعالم الذي تشكله في اللغة عالم باطني تتوالى عناصرهُ في توالي الأفعال المضارعة، وتتداخل في تداخلِ جمله.[22]

وفي بعض الأحيان تفرض التجربة على الشاعر أن يحذف جزءًا من عبارته للإيحاء بدلالة معيَّنة، حيث يقول الشَّاعر "أمل دنقل" في قصيدته "سفر الخروج" مصورًا المواجهة بين طرفين: الجنود بأسلحتهم، والمتظاهرين الذين لا يملكون إلاَّ الهتافات:

يرفعون الأناشيد في أوجه الحرس المقترب
يشبكون أيديهم الغضَّة البائسة
لتصير سياجًا يصدُّ الرَّصاص!
الرَّصاص..
الرَّصاص..
وآه..
يغنون "نحنُ فداؤك يا مصر"
"نحنُ فداؤ..."
وتسقط حنجرة مخرسة[23]

لقد أسقط "أمل دنقل" جزءًا من عباراته إلاَّ أنه يمكن للقارئ تحديده وبخاصَّة أن الجزء المبتور ورد ذكره في القصيدة، والشاعر يكرره مبتورًا للإشارة إلى أنَّ الهتاف الثاني لم يستكمل؛ لأنَّ الرَّصاص أخرس الألسنة، وهذه هي الدلالة التي أراد الشَّاعر الإيحاء بها دون أن يؤثر حذف الحرف الأخير من كلمة فداؤك على موسيقى السطر الشعري، فقد تمَّتِ التَّفعيلة (فعْلن) من بحر المتدارك مع انقطاع بنية الكلمة المذكورة، وواكبت –في الوقت نفسه– تأثير الرَّصاص في إخراس الألسنة.

فالحذفُ إذن علامة دالة في بنية النَّص الشعري تحمل مدلولاً يتخيَّله المتلقي من خلال فهمه للتجربة الشعريَّة، وبها يُصبح المتلقي مشاركًا في النَّص، يقرأ فيه ما لم يقرأ، أو يقول ما لم يكن ممكنًا قوله، وعندها تغدو القراءة فعلًا معرفيًّا لا يخلو من الابتكار والتَّجديد.[24]

المبحث الثالث: التقديم والتأخير بوصفه عدولًا تركيبيًّا

لقد حظيَ التقديم والتأخير بعناية كبيرة من قبل النحاة والبلاغيين على حدٍّ سواء، وإنِ اختلفتِ الغاية التي انطلق منها كلُّ فريق، فالنُّحاة يعتنون به للكشف عن الرُّتب المحفوظة الثَّابتة والرُّتَبِ المتغيِّرة في الجملة، وما يجوز أن يتقدَّم على غيره وما لا يجوز، أمَّا البلاغيُّون والأسلوبيُّون فغايتهمُ الكشف عن قيمته الدلاليَّة والفنيَّة في

العمل الأدبي انطلاقًا من مبدأ أساسي هو أنه لا يحدثُ تقديم أو تأخير إلا لغرضٍ بلاغي مقصود، وهو ما عبَّرَ عنه "باسكال" بقوله: "إنَّ الكلمات المختلفة الترتيب يكون لها معنى مختلف، وأنَّ المعاني المختلفة الترتيب يكون لها تأثيرات مختلفة".[25]

ونظرًا لما يمكن أن يُحدثه التقديم والتأخير من ارتباكٍ في ذهن المتلقي، فإنَّه يشترطُ فيه ألا يؤدي تحريك الكلمة أفقيًّا إلى اختلالٍ في التركيب أو غموضٍ في فهم الدلالة، وكي نقترب من عمليَّة التَّقديم والتأخير في التركيب النحوي لا بدَّ أن ننظر إلى "عنصريْنِ قائميْنِ في الصياغة، هما: الثابت والمتغير، ويتمثل الثابت في تواجد أطراف الإسناد وما يتصلُ بها من متعلقات، أمَّا المتغير فيتمثَّلُ في تحريك بعض هذه الأطراف من أماكنها الأصليَّة التي اكتسبتها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة ليست لها في الأصل"[26]، فَتَنَقُّلُ الكلمة داخل إطار الجملة لا يؤثر في وظيفتها النَّحْويَّة كالفاعليَّة أو المفعوليَّة أو الإضافيَّة، وإنَّما يؤثرُ في علاقتها الدلاليَّة وقيمتها التأثيريَّة.

ومثالُ ذلك قول "فاروق شوشة" في مفتتح قصيدة بعنوان "تشكيل":

شاخصٌ كالدمى، عالق بالجدار
ظله المرتدي غبطة زائفة
والجبين الذي تقلعُ العاصفة
من ثنايا تجاعيده الزاحفة
ناحل في اصفرار
دمدمت فوقه لحظة كاشفة
فهوى قلبه قشة واجفة
واستدار النهار
لائذًا بالفرار![27]

إنَّ تأخر الفاعل "لحظة" عن فعله "دمدمت" بتوسط الظرف "فوقه" بينهما يعكس –على مستوى التركيب اللفظي– حصارًا حادًّا لذلك الضمير العائد على الجبين ونحوله إلى وضعه في الصياغة بين الفعل "دمدم" –دالًّا على الإطباق– ولحظة الكشف التي تقع فاعلًا على المستوى النحوي والدلالي والتي تدلُّ على الحقيقة التي لا يصمد أمامها زيف.

ومن نماذجه أيضًا قول "لك عبد العزيز" في قصيدتها "مرفأ":

وأذبنا مع النّهر
أشواقنا
ووهبنا البحار الصوادي
سدىً

عذبنا
وامتزجنا بترب الثرى
وبماء المطر
بالسواقي البواكي
بنور القمر
ورقصنا مع الأنجم الدائرة[28]

تُعلق الشاعرة أهميَّة على العنصر المقدَّم، وترغب في إبراز وتأكيد الدلالة التي يحملها، ولذلك فقد قدَّمت الجار والمجرور "مع النَّهر" على المفعول به "أشواقنا" لتبيِّن أنَّ الحبَّ الذي تدعو إليه هو ذلك الحب الشامل الكوني الذي يرحب ليشمل الوجود بكل عناصره وكائناته، وليس ذلك الحب الفردي الأناني، ومن ثمَّ فإنَّ الحبَّ بهذا المفهوم يُصبحُ لونًا من التواصل الحميم بين كل الكائنات، ووسيلة من وسائل الامتزاج والتوحد بين عناصر الوجود، ولذلك فإنها تغدق حبَّها الدافئ الغامر على كل عناصر الوجود، تغدقه على البشر كما تغدقهُ على النهر وكل مظاهر الطبيعة، حتى مع يقينها بأنَّ هذا الحبَّ المعطاء يصادفُ أرضًا خصبة.

الحواشي:

[1]. صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبيَّة، قراءة في الشعر والقص والمسرح، مؤسسة مختار للنَّشر والتوزيع، القاهرة، 1987م، ص82.
[2]. جان كوهن، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم د. أحمد درويش، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص21.
[3]. محمَّد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص22.
[4]. محمَّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبيَّة، ط1، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر، لونجمان، القاهرة، 1994م، ص268.
[5]. محمَّد عبد المطلب، المصد السابق، ص269.
[6]. محمَّد عبد المطلب، جدليَّة الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ط1، الشركة المصريَّة العالميَّة للنَّشر– لوجمان القاهرة، 1995م، ص188.
[7]. يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1914م، 132/2.
[8]. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي وأولاده، القاهرة، 1939م، 4/2.
[9]. السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1990م، ص112.
[10]. يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 2/ 123.
[11]. حسن فتح الباب، الأعمال الشعريَّة الكاملة، ديوان "وردة كنت في النيل خبأتها"، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 1998م، 1/ 602، 603.
[12]. أبا الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، 1936م، 77/9.
[13]. عبدالنَّاصر حسن، سيميوطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النَّهضة العربيَّة، القاهرة، 2002م، ص51، 52.
[14]. رضا بن حميد، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول، القاهرة، ع2، 1996م، ص96.
[15]. محمَّد فكري الجزَّار، لسانيَّات الاختلاف، الهيأة العامَّة لقصورِ الثَّقافة، القاهرة، 1995م، ص119.
[16]. فاروق شوشة، الأعمال الشعريَّة الكاملة، ديوان "في انتظار ما لا يجيء"، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2002م، 347/1– 349.
[17]. علي عشري زايد، قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 172، 173.
[18]. علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربيَّة الحديثة، ص55.
[19]. مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبيَّة في لغة الشعر الحديث، منشأة المعارف، الإسكندريَّة، 1987م، ص139.
[20]. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمَّد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م، ص146.
[21]. ملك عبد العزيز، الأعمال الشعريَّة الكاملة، ديوان "أغنيات الليل"، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص 465، 466.

[22]. مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبيَّة في لغة الشعر الحديث، ص202، 203.

[23]. أمل دنقل، الأعمال الشعريَّة الكاملة، ديوان "العهد الآتي"، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005م، ص294، 295.

[24]. سامح الرواشدة، إشكاليَّة التلقي والتأويل– دراسة في الشعر العربي المعاصر، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م، ص109.

[25]. عبد الحكيم راضي، نظريَّة اللغة في النَّقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص213.

[26]. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبيَّة، ص333.

[27]. فاروق شوشة، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان "هئت لك"، 2/ 158.

[28]. ملك عبد العزيز، الأعمال الشعريَّة الكاملة، ديوان "أغنيات الليل"، ص432.

مصادر ومراجع البحث

أولًا- المصادر:

1- أمل دنقل، الأعمال الشعريَّة الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005م.

2- حسن فتح الباب، الأعمال الشعريَّة الكاملة، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 1998م.

3- فاروق شوشة، الأعمال الشعريَّة الكاملة، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2008م.

4- ملك عبد العزيز، الأعمال الشعريَّة الكاملة، الهيأة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2010م.

ثانيًا- المراجع:

أ- المراجع العربيَّة:

1- أبا الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، 1936م.

2- سامح الرواشدة، إشكاليَّة التلقي والتأويل– دراسة في الشعر العربي المعاصر، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2001م.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، 1990م.

4- صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبيَّة، قراءة في الشعر والقص والمسرح، مؤسسة مختار للنَّشر والتوزيع، القاهرة، 1987م.

5- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي وأولاده، القاهرة، 1939م.

6- عبد الحكيم راضي، نظريَّة اللغة في النَّقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

7- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمَّد شاكر، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.

8- عن بناء القصيدة العربيَّة الحديثة، ط5، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م.

9- علي عشري زايد، قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

10- عبدالنَّاصر حسن محمد، سيميوطيقيا العنوان في شعر عبدالوهَّاب البياتي، دار النهضة العربيَّة، القاهرة، 2002م.

11- محمد عبدالمطّلب: البلاغة والأسلوبيَّة، ط1، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر، لونجمان، القاهرة، 1994م.

– جدليَّة الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ط1، الشركة المصريَّة العالميَّة للنَّشر– لوجمان القاهرة، 1995م.

12- محمَّد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف، الهيأة العامَّة لقصورِ الثَّقافة، القاهرة، 1995م.

13- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبيَّة في لغة الشعر الحديث، منشأة المعارف، الإسكندريَّة، 1987م.

14- يحيى العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1914م،

ب- المراجع المترجمة:

1- جان كوهن، بناء لغة الشعر، ترجمة وتقديم د. أحمد درويش، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

ثالثًا: الدَّوريَّات:

1- رضا بن حميد، الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري، مجلة فصول، القاهرة، ع2، 1996م.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44(1): 324-332, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/7hqcrh75

Research Article

Open Access

دراسة رأس تمثال روماني لصبي صغير من متحف شحات

جميلة سالم عبد الله طاهر[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم الآثار، جامعة عمر المختار، ليبيا

المستخلص: يتناول هذا البحث تحليل رأس تمثال رخامي يُصوّر صبيًا من العصر الأنطوني، تم اكتشافه في مدينة كيريني، وتركزت الدراسة على وصف وتحليل ملامح الوجه وتفاصيله، إلى جانب استعراض الأسلوب النحتي المستخدم، كما تناولت الدراسة تفسير التعبيرات والمشاعر التي يعكسها التمثال، مع مقارنته بمنحوتات مشابهة، وتهدف المقارنة لتحديد السمات الفنية المميزة، وتأثير المدرسة النحتية المحلية في إقليم كيرينايكي، بالإضافة إلى ذلك، تسلط الدراسة الضوء على الدور الثقافي البارز الذي لعبته كيريني في تعزيز الروابط الفنية مع روما، والذي انعكس في تحقيقها لمستوى متقدم في فن النحت، خاصة خلال العصر الأنطوني.

الكلمات المفتاحية: تماثيل الأطفال، الروماني، الأنطوني، كيريني، النحت

***Corresponding author:**
Jamila S. Abdullah,
Jamela.Salem@omu.edu.ly
Department of Archaeology, Omar Al-Mukhtar University, Libya.

Received:
15-02-2026

Accepted:
30-02-2026

Publish online:
30-04-2026

Study of a small Roman head of a young boy from the Shahat Museum

Abstract: This research deals with the analysis of the head of a marble statue depicting a boy from the Antonine era, which was discovered in the city of Cyrene. The study focused on describing and analyzing the facial features and details, along with reviewing the sculptural style used. The study also dealt with interpreting the expressions and feelings reflected by the statue, with a comparison to similar sculptures. The comparison aims to identify the distinctive artistic features and the influence of the local sculptural school in the Cyrenaica region. In addition, the study highlights the prominent cultural role that Cyrene played in strengthening artistic ties with Rome, which was reflected in its achievement of an advanced level in the art of sculpture, especially during the Antonine era.

Keywords: child statues, Roman-Antonine era, Cyrene, sculpture.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

تُعد المنحوتات الرومانية من أهم الشواهد الفنية، التي أسهمت في إعادة بناء الصفات السياسية والاجتماعية والثقافية لتاريخ الإمبراطورية الرومانية؛ حيث تُعد التماثيل الكاملة والنصفية، والرؤوس الرخامية والبرونزية، عامل مهم لتجسيد صور الأباطرة وأفراد العائلة الحاكمة، إضافة إلى إظهار المكانة السياسية والاجتماعية للنخب المحلية، في المدن الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية.

هذا التجسيد له أهمية كبيرة خاصة عندما يتعلق بصور وشخصيات الأطفال أبناء الأباطرة؛ وكان الغرض من نحت شخصيات هؤلاء الأطفال ليس فقط لأمر فني أو زخرفي؛ بل يحمل دلالات رمزية مهمة، مرتبطة بالوراثة والشرعية، والاستمرارية السياسية والدينية للدولة الرومانية. فكان لا بد أن يكون هذا التصوير لأمراء صغار تقليداً فنياً محددًا، يخضع لعديد المعايير التي تتعلق بالشكل والطريقة، وحتى المقاسات.

وفي كيريني التي كانت مركزاً ثقافياً مزدهراً اختلطت التأثيرات الإغريقية الأصلية وانصهرت مع تطور الفن الروماني. ونتج عن هذا الامتزاج بيئة خصبة لإنتاج فن ومنحوتات تحمل صفات محلية ورمانية في ذات الوقت.

هذه الدراسة تطمح إلى تسليط الضوء على رأس تمثال لصبي؛ كأحد الأمثلة الفنية المهمة، وهو موجود في أحد غرف المخازن لمتحف شحات، وقد عُثر عليه في أحد الأماكن الأثرية لكيريني، حيث نحاول من خلال دراسة هذه الرأس أن نكشف أو نحدد ماهية أو هوية صاحب الرأس، وما إذا كان يعود إلى صبيّ لإحدى العائلات المرموقة في كيريني, وأنه تجسيد للأمراء الصغار من الأسرة الامبراطورية ولا عجب في ذلك، فقد درجت العادة بانتشار النسخ والنماذج الرسمية لصور الأبناء الأباطرة في أغلب المستعمرات الرومانية، وستدعم هذه الدراسة بالوصف والتحليل والمقارنات؛ من أجل الوقوف على ماهية صاحب هذه الرأس.

أسباب وأهمية الدراسة:

أول الأسباب المحفزة لإقامة الدراسة حول مثل هذا النوع من المنحوتات: هو عدم وجود دراسة سابقة أقيمت حول الرأس، إضافة إلى إن الرأس بهذا الشكل وبهذه الطريقة في نحته يؤكد على الاهتمام المضاعف في نحت الشخصية؛ مما يدل على أهمية صاحب الرأس ومكانته، ولا يمكن تحديد وإثبات الشخصية مَن تكون؛ ولو حتى بشكل تقريبي إلا مِن خلال دراسة علمية متفحصة ومتعمقة لهذه الرأس، ولأن الرأس وجدت في كيريني فلا بد أن ثمة نوع نحتي متقدم ومتقن أتّبع في كيريني؛ بدليل وجود هذا النوع المهم من النحت والذي حظيت به هذه الرأس.

أهداف الدراسة:

هذه الرأس قد استخدم في نحتها الرخام، الذي يُجلب من خارج كيريني؛ الأمر الذي يؤكد على الوضع الاقتصادي الجيد في تلك الفترة؛ والذي يستطيع من خلاله سكان كيريني تحمل نفقات استيراد الرخام مِن خارج الإقليم.

توفر مثل هذا النوع من النحت بهذه الطريقة المتقنة، والتي لا تتوفر إلَّا لأصحاب المكانات الرفيعة؛ اجتماعياً أو سياساً أو ربما اقتصادياً، أو ربما كلها مجتمعة؛ مما يؤكد على وجود عائلات مرموقة في كيريني تأمل من هذه الدعاية عن طريق نشر نسخ لأبنائها الترويج السياسي لاحقًا لهم.

المبحث الأول: دراسة رأس تمثال روماني لصبي صغير:

يعد فن النحت الروماني أحد الشواهد الفنية التي حفظت صفات المجتمع الروماني؛ إذ اهتم النحت الروماني بتصوير كافة فئات المجتمع؛ بما فيهم الأطفال الذين احتلوا مكانة مهمة في الدعاية البصرية الرومانية، خاصة إذا كان هؤلاء الأطفال ينسلون من العائلات الامبراطورية، أو أحد الطبقات الغنية آنذاك، وأن تماثيل الأطفال استعملت كأداة سياسية واجتماعية، تهدف إلى تثبيت واستمرارية السلطة، وربط الأجيال الجديدة بالحكم الإمبراطوري (Zanker, P.1988, pp.90, 92).

تُعد هذه الرأس نموذجاً دقيقاً للأسلوب الفني السائد في القرنيين الأول والثاني الميلاديين، حيث اختلطت الواقعية الرومانية مع التأثيرات المثالية الإغريقية، فيلاحظ الملامح البريئة والدقة التشريحية (Kleiner, D. 1992, pp.145,150).

1- عنوان القطعة: رأس تمثال روماني لصبي (الصورة رقم 1).

2- مكان العثور عليه: في المعبد الصغير جنوب فورم كيريني خلف المسرح الصغير (الفورم هو الساحة الرئيسة في المدينة الرومانية) (Ray, L. 1996, p.20) عن طريق البعثة الايطالية برئاسة ماريو لوني.

3- موضع الحفظ: يوجد في أحد المخازن التابعة لمتحف شحات للمنحوتات والمسجل تحت رقم (23-5644).

4- المادة: الرخام الأبيض.

5- الأبعاد: الارتفاع 24 سم والعرض 20 سم أما السمك 19.20 سم والوزن هو 11.815.

6- الحالة: من الواضح عند النظر إلى هذه الرأس يتضح بأنها كانت مثبتة على جسد، ثم انفصلت عنه في فترة من الفترات تحت ظرفاً ما، إلا أنه بشكل عام بحالة جيدة، فلا كسور على ملامح الوجه، ولا خدوش عميقة؛ وإنما يُلاحظ فقط وجود ترسبات سطحية على أغلب الرأس والشعر التي كانت باللون الأحمر الباهت.

7- الوصف: رأس من الرخام لصبي صغير لا يتجاوز عمره 11 عام, ذو ملامح طفولية ناعمة، يتميز وجهه بالهدوء والتوازن. العيون كبيرة منحوتة بعمق، مع الاهتمام بنحت بؤبؤ العين، وتحديد واضح لإنسان العين "القزحية", الشعر كثيف يتكون من خُصل مجعدة، تتوزع بتناسق حول الجبهة والأذنين، الأنف مستقيم، والفم صغير بشفتين مغلقتين بتعبير الوقار والاحترام، والذقن صغير وبارز، أما الجبهة فهي عريضة.

8- التاريخ: ربما ترجع هذه الرأس في تاريخ نحتها إلى الفترة الأنطونية الممتدة من 138-180م.

9- النشر: أُكتشف حديثاً ولم تتم دراستها بعد.

الصورة رقم (1) تصوير الباحثة

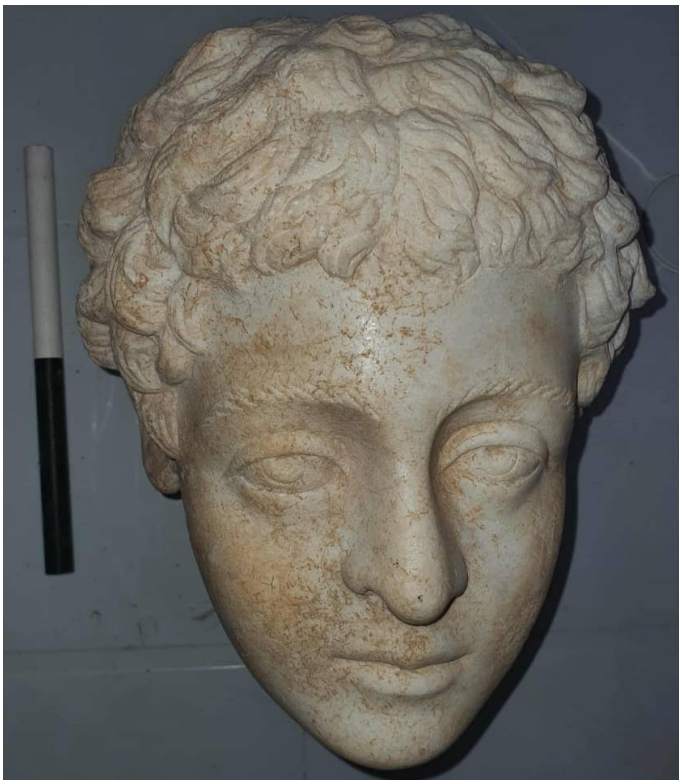

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية

بالنظر إلى الرأس يمكن معرفة أن صاحبها صبيّ صغير لم يتجاوز الأحد عشر عاماً، يحمل ملامح ناعمة وهادئة، فالعيون كبيرة محددة بعمق وشعر كثيف ومجعد يتناسب مع أسلوب نحت تماثيل الأطفال من العائلة الامبراطورية، و قد يذكرنا بنحت تمثال نصفي لكومودوس، Commodus ابن الإمبراطور ماركوس أوريليوس Marcus Aureliusوأمه فاوستينا الصغرى Faustina the younger وهو في عمر الحادية عشر (الصورة رقم 2)، (ماركوس أوريليوس: هو امبراطور روماني 161-180م, حيث كان يُعرف بالإمبراطور الفيلسوف, وقد تزوج من فاوستينا الكبرى ابنة أنطونيوس بيوس وأنجبت منه كومودوس) الذي أصبح إمبراطوراً بعد والده (Birley, A. 2000, p.22.). وقد اعتلى كومودوس العرش بعد موت أبيه 180-192م, وقد بدأ كومودوس

حكمة بشكل فعلي بعد وفاة والده ماركوس أوريليوس عام 180م (Anthony, R. 2000, p.246) وقد عرف كومودوس بالحكم المستبد, وهو لا يحب مشاركة رأيه مع أحد, وقد عرف باهتمامه وشغفه بالألعاب والقتال في السيرك, وقد شارك في عديد المعارك والمصارعة ضد الحيوانات والمجالدين، مما أكسبه كراهية ومقت النخبة الرومانية (Herodian, 31–36).

تمت الإطاحة به في عام 192م نتيجة مؤامرة انتهت بقتله، وبوفاته انتهى عهد الأسرة الأنطونية. عُرف كومودوس بشكل عام بانحداره الأخلاقي والسياسي الذي انعكس على الإمبراطورية الروماني (Cassius Dio, 315–319)، ووصفه المؤرخون بصورة سلبية، باعتباره طاغية مهووساً بالشهرة والبطولات الزائفة، وميالاً إلى سفك الدماء(Gibbon, E. 1994, pp. 108–112).

الصورة رقم (2) عن: Yale University Art, pl. 198

عند التمعن في أسلوب نحت خصلات الشعر في الرأسين – الصورة (1) والصورة (2) – يُلاحظ الشبه؛ بل هو التطابق في طريقة النحت؛ حيث الغزارة الأكثر في الشعر وكثرة تموجاته، فضلاً عن العيون الواسعة والملامح الهادئة، كما تميز تمثال كومودوس صغيراً الصورة (2) بالعيون ذات الجفون الناعسة أو المتعبة, والتي كانت تبدو علامة على ربط الابن بوالده الذي كان يحمل نفس الصفة، وهى أداة للدعاية الشائعة في الصور التي تثبت وتؤكد على خلافة الأسرة الحاكمة (Niederhuber, C. 2019, pp186–190), أما الوجه فيمنح تعبيرًا هادئًا, وهو ممتلئ ومستدير، والذقن صغير وبارز، وهو نمط يميز وجوه الأطفال وأبناء العائلات النبيلة في الامبراطورية الرومانية (Kleiner, D, 1994, p. 201)لم يكن هذا التمثال الذى ينسب إلى الإمبراطور

كومودوس فحسب, بل إن هناك تمثال آخر محفوظ في متحف الآثار الكلاسيكية في كامبريدج تحت رقم (535)، وقد ظهر فيها كومودوس صبياً. تجاوز عمره الخامسة عشر (الصورة رقم 3) بملامح أكثر نضجاً من المثال السابق، انظر الصورة رقم (2) ولكن بنفس خصائص الشعر المجعد والعيون ذات الجفون الثقيلة، والوجه ذو الملامح الهادئة؛ حيث أصبح هنا يميل أكثر فأكثر لملامح الإمبراطور الأب – ماركوس أوريليوس – فلا عجب أن نظن بأن النحات هو نفسه لكلا التمثالين.

وقد ظهرت صورة الإمبراطور كومودوس أيضاً على العملة المعدنية منذُ طفولته، وقد ظهر فيها بملامح بشعر قصير مجعد مع وجود لقب "Caesar" قبل أن يعلن امبراطوراً (Carson, G. 1990, p.150)، حتى ظهر له ما يعرف بتمثال كومودوس كهرقل والذي يعد أول تمثال ينحت للإمبراطور كومودوس شاباً بالغاً، وهو تمثال ضخم من رخام البورفيري الجميل، حيث يعرض حالياً في متحف الكابيتوليني في روما، وقد صور كومودوس بملامح رجولية مثالية مستوحاة من هرقل (Kleiner, E.1992, p.298).

الصورة رقم (3) عن: museum of Classical Archaeology Databases, N535

بالنظر إلى الرأس الرخامية للتمثال الذي يجسد ماركوس أوريليوس في فترة المراهقة، والمحفوظ في متحف المتروبوليتان للفنون والمسجل تحت رقم (L. 2022.1) (الصورة رقم4).

الصورة رقم (4) عن: Kleiner, D. 1992, p.122, fig. 36

يلاحظ على هذه الرأس أنها مِن الرخام الأبيض، وبحجم قريب من الحجم الطبيعي، ذو ملامح هادئة, تدل على المرحلة المبكرة من حياته قبل أن يصبح إمبراطوراً، والشعر هو الجزء المميز في الرأس؛ حيث الخصلات الكثيفة المتشابكة، فقد كان هذا الأسلوب في إخراج الشعر شائعاً في بورتريهات الأسرة الأنطونية (Birley, A. 2000, p.150) وقد حرص المثّال هنا على إظهار الوجه بطريقة النحت الرسمي, بمعنى الالتزام بإظهار ملامح مثالية وقورة، للوريث الشرعي لحكم الإمبراطورية الرومانية، فضلاً على إنَّ الورشة التي أنجزت فيها هذه الرأس تنتمي إلى ورش البلاط الإمبراطوري (Nancy, H, 2014, p.100) بالمقارنة بين الرأس الموضحة في الصورة (4) ورأس الدراسة في الصورة (1)، يتضح وجود تشابه كبير في أسلوب النحت المستخدم في كليهما. ويتجلى ذلك من خلال نوعية وجودة الرخام المستعمل، بالإضافة إلى الإتقان في استخدام المثاقب، مما أبرز تباينات الضوء والظل في نحت تفاصيل الشعر. كما يمكن ملاحظة اللمسات النهائية التي أضفت لمعاناً ونعومة نتيجة الاستخدام الماهر للمبرد. وتظهر هذه الخصائص المشتركة بوضوح على كلتا الرأسين، مما يبرز نقاط التوافق بينهما.

أما فيما يتعلق بالاختلاف في نحت الرأسين، فإنه يظهر في طريقة تشكيل العيون. فقد اكتفى النحات الروماني بنحت العين بتفاصيل عامة ودون تحديد دقيق، مع غياب البؤبؤ (وهو الجزء الأسود الصغير في منتصف القزحية الذي يسمح بدخول الضوء إلى العين لتحقيق الرؤية). ويعد هذا النهج مؤشراً على مرحلة مبكرة في فن النحت (Marina, P. 2016, p.99). فهذا الأسلوب يمكن ملاحظته في الرأس المرقم (4)، بينما يختلف عنه

الرأس المرقم (1) قيد الدراسة، حيث يتميز بنحت دقيق للبؤبؤ وتركيز على إبراز القزحية، مما يجعل العين تبدو أكثر واقعية وطبيعية.

هذا العرض الذي يتناول بعض الرؤوس الرخامية المرتبطة بالرأس رقم (1) يتيح استخلاص عدد من الاستنتاجات التي قد تسهم في تحديد تاريخ نحت الرأس المذكور، وتتمثل النقاط الجوهرية فيما يلي:

1. الكثافة والتجعيد في الشعر تذكر بأسلوب نحت تماثيل الأطفال، خاصة أبناء الأباطرة أو النبلاء خلال فترة حكم الأباطرة الأنطونيين، لا سيما في حقبة الإمبراطور ماركوس أوريليوس.
2. خلو الوجه من التشوهات مع إبراز النعومة واللمعان على البشرة يتماشى مع خصائص نحت تماثيل الأطفال المنتمين إلى العائلة الإمبراطورية، بناءً على توصيف (Smith, R. 1997, p.75).
3. العيون الكبيرة ذات النحت العميق مع إظهار بؤبؤ العين بشكل دقيق والعناية بتفاصيل الحواجب المحفورة بطريقة دقيقة توحي بالطبيعة البشرية، تمثل أسلوباً شائعاً خلال النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي (Kleiner, D. 1992, P.970).
4. من المحتمل أن الرأس كان جزءاً من تمثال نصفي أو تمثال كامل لصبي يرتدي التوغا، وهي قطعة قماش نصف دائرية تلف من الخلف إلى الأمام حول الكتف الأيسر مع ترك اليد اليمنى حرة، على الرغم من أنها لم تكن مريحة للأطفال وكانت مقتصرة على المناسبات الرسمية والسياسية والدينية (Rothe, U. 2019, P. 93.)، كما يُرجح أن يكون التمثال قد عُرض في قاعة عامة أو غرفة في معبد مخصص لعبادة عائلة نبيلة، وهو أمر كان مألوفاً في المدن الرومانية الكبرى وانتقل إلى مدينة كيريني.
5. جميع هذه العناصر تشير إلى أن الرأس يعود لتمثال يصور صبياً من عائلة رومانية من كيريني.و العمل، بصفته نتاج ورشة نحت محلية، يبدو متأثراً بالنماذج الرسمية القادمة من روما، مع الحفاظ على السمة الإمبراطورية في تصوير الأطفال. وتعبر جودة النحت وهدوء الملامح وقربها إلى الطبيعة عن قيم الفضيلة والشرف العائلي المرتبطة غالباً بأبناء الأباطرة الرومان (Niederhuber, C. 2022, p. 221).
6. يمثل هذا الرأس مثالاً مميزاً للنحت الروماني في إقليم كيرينايكي، حيث امتزج التأثير الإمبراطوري بالهوية الثقافية المحلية لمدينة كيريني، التي كانت آنذاك مركزاً حضارياً بارزاً في شمال أفريقيا الرومانية.

الخاتمة

استناداً إلى ما سبق، يمكن القول إن هذه الدراسة حول رأس التمثال الروماني لصبي، الذي عُثر عليه في كيريني، فتحت أفقاً هاماً لفهم الفن الروماني بخصائصه ومميزاته خلال العصر الأنطوني. يبرز ذلك بشكل خاص في مجال نحت تماثيل الأطفال وتجسيد البراءة والنبل في الأعمال النحتية. من خلال التحليل الوصفي لطريقة النحت ودراسة الخصائص التشريحية للوجه، اتضح أن النحات يمتلك خبرة استثنائية؛ حيث لم يكتفِ بمجرد تقليد الواقع، بل أبدع في تحقيق توازن بين الطبيعة والرمزية الاجتماعية مع التركيز على القيم الأسرية.

ومن خلال المقارنات مع رؤوس تماثيل أخرى من الفترة ذاتها، تبين وجود استمرارية وتطور في أساليب النحت، خاصة في تفاصيل مثل نحت العيون والشعر، مع ملاحظة اختلافات تعكس تميز المدارس النحتية المختلفة. كما أن اختيار الرخام كمادة للنحت يعكس الميل إلى إضفاء صفة الفخامة والاستدامة على هذه الأعمال.

إضافة إلى ذلك، أظهرت الدراسة الدور الثقافي البارز الذي لعبته كيريني كمركز حضاري للفن الروماني في شمال أفريقيا. وتكتسب دراسة هذا النوع من الفنون أهمية كبيرة في فهم تطور فن النحت الروماني داخل منطقة كيرينايكي.

ختاماً، تسهم هذه الدراسة في تعزيز المعرفة الأكاديمية المتعلقة بفن النحت الروماني، مع تسليط الضوء بصورة خاصة على تصوير وجوه الأطفال وتجسيد إنسانيتهم في الأعمال الفنية الرومانية.

قائمة المصادر المراجع:

1. Birley, A., (2000), Marcus Aurelius: A Biograph Routledge
2. Birley. A., (2000), Marcus Aurelius, the philosopher emperor who ruled the Roman Empire between AD 161 and 180, London.
3. Gibbon, E., (1994), The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, penguin Classics.
4. Herodian, History of the Roman Empire since Marcus Aurelius, Book 1, 14-15, C.R Wittaker, Loeb Classical Library.
5. kleiner, D., (1992). Roman sculpture, yale university Press.
6. Marina, P., (2016), From Face to Face: Recarving of Roman Portraits and the Late-Antique Portrait Arts. Second, revised edition, Leiden land Boston: Brill.
7. Nancy, H., (2014), Roman Art. 6th edition, Pearson.
8. Niederhuber, C., (2019), Imperial portrait practice in the second century AD: Marcus Aurelius and Faustina the younger, university of Oxford.
9. Ray, L., (1996), Roman Pompeii: space and society, Routledge, London. New york.
10. Rothe, U., (2019), The Toga and Roman Identity, Bloomsbury publishing, London.
11. Smith, R., (1997), Roman Portrait sculpture: The late Republic to the late Empire, Thames and Hudson.
12. The Metropolitan Museum of Art Bulleutin, (1992). "Roman Portraits of youths". Vol. 50.
13. Zanker, P., (1988), The Power of images in the Age of Augustus. university of Michigan press.

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44(1): 333-347, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/cfxtx678

Research Article

Open Access

الآخرون بوصفهم جحيما، إشكالية العزلة والتصوف في فلسفة سيوران

عبد الله علي عمران

الباحث الأول:
قسم الفلسفة، جامعة عمر المختار، ليبيا

المستخلص: يتناول البحث إشكالية العزلة عند الفيلسوف إميل سيوران، منطلقًا من التصور الوجودي القريب من مقولة جان بول سارتر "الآخرون هم الجحيم". يرى سيوران أن العزلة تنبع من صراع مع "الآخر" الذي يسعى للهيمنة على الأنا، وأن المجتمع يمثل أبرز تجليات هذا الآخر، حيث يقيد حرية الفرد ويجرده من إنسانيته، محولًا إياه إلى كائن متكيف عبر النفاق. وبدل أن يحرر الفرد من العزلة، يفرض عليه عزلة قسرية وسط الجموع. لذا يدعو إلى استبدالها بعزلة اختيارية تحقق للإنسان ماهيته ورضاه الذاتي، حتى لو واجه رفض المجتمع. كما يؤكد أهمية الانسحاب إلى الداخل لاكتشاف الذات والتصالح مع الحزن واليأس، وصولًا إلى حالة من اللامبالاة. ويعدّ التصوف التعبير الديني عن العزلة عبر الانقطاع إلى الله وحده.

كلمات دالة: سيوران، الآخر، العزلة، التصوف

***Corresponding author:**
Abdullah A. Omran
abdullah.ali@omu.edu.ly
Department of Philosophy,
Omar Al-Mukhtar University
Elbieda, Libya

Received:
01-10-2025

Accepted:
15-10-2025

Publish online:
30-04-2026

Others as a Hell, the Problem of Isolation and Mysticism in Cioran's Philosophy

Abstract: The study examines the problem of isolation in the thought of Emil Cioran, drawing on an existential perspective close to Jean-Paul Sartre's idea that "hell is other people." Cioran argues that isolation arises from the conflict with the "other," who seeks to dominate the self. Society, as the clearest manifestation of this "other," restricts individual freedom, strips away humanity, and turns the person into a conformist driven by hypocrisy. Rather than liberating the individual, it imposes a harsher, forced isolation within the crowd. Cioran therefore advocates replacing it with voluntary isolation, through which one can realize one's essence and achieve inner satisfaction, even at the cost of social rejection. He also emphasizes withdrawal into the inner self to confront sorrow and despair, leading to indifference. Mysticism, for him, represents the religious form of isolation through exclusive devotion to God.

Keywords: Cioran, Other, Isolation, Mysticism

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

1-مقدمة

لم تحتلّ إشكاليَّةُ الآخرِ مكانًا بارزًا في تاريخ الفكر الإنسانيِّ إلَّا في المراحلِ المتقدِّمة من الحضارة الإنسانيَّة، فعلى الرغم من التركيز على الذات، إلَّا أنَّه لم يكن تركيزًا يضعها في مواجهة الآخر، بل في مواجهة الوجود أو الطبيعة أو المتعالي. ولو كان هناك آخرٌ، فهو يكون بصيغةٍ فرديَّة، لا الآخرَ بوصفه منتميًا إلى فئةٍ أخرى مختلفة، مثلَ الاختلاف الجغرافيِّ أو العِرقيِّ أو الدينيِّ، فضلًا عن الاختلاف الطبقيِّ الذي تميَّزت به بعضُ الحضارات.

ولقد أصبحت الإشكاليَّةُ أكثرَ وضوحًا مع الفلسفاتِ اللاحقة، وخاصَّةً مع صعودِ الدعواتِ الفردانيَّة، حيث تحوَّلت الذاتُ إلى مفهومٍ مركزيٍّ، سواءٌ في العلم أو الفكر أو حتَّى الدِّين، إضافةً إلى التطوُّر المعرفيِّ والعلميِّ والتقنيِّ الذي أتاح الثَّورةَ المعلوماتيَّةَ وتطوُّر وسائل الاتِّصال، واكتظاظَ المدنِ بالسكان، حيث أصبح التواصل أسرعَ وأسهل، وأصبحت فُرَصُ التداخلِ أكبر، إضافةً إلى قدرة الإنسان على تقنينِ التعامل مع الآخرين، لكونِ التعاملِ معهم ليس جوهريًّا.

ومن هنا تحوَّلت إشكاليَّةُ الأنا والآخر إلى إشكاليَّةٍ ذاتِ طابعٍ فرديٍّ، ولم تَعُد مرتبطةً بالانتماء، فالجميع «آخرون»، فلم يَعُد الإنسانُ منطويًا في عِرقٍ أو جماعةٍ، وأصبح الآخرُ يُشكِّل خطرًا يُهدِّد الذاتَ، لكونِه يُمثِّل قيدًا بالنسبةِ لها، كما يتجلَّى ذلك في العقل الجمعيِّ أو العاداتِ والتقاليدِ التي يفرضها المجتمعُ أو الدَّولة، وكلُّ هذه العوامل دفعت الإنسانَ إلى البحث عن العزلةِ التي تضمن له الحريَّةَ، أو على الأقلِّ الطمأنينةَ، والتأكيدَ على الفرديَّة.

وتُعَدُّ الفلسفةُ الوجوديَّةُ من أكثرِ الفلسفاتِ التي تناولت إشكاليَّةَ الآخر، وذلك في إطارِ تأكيدها على الذاتيَّةِ والفرديَّةِ وقيمةِ الحريَّةِ التي يجب الحفاظُ عليها ورفضُ كلِّ ما يُعيقُها، بما في ذلك الآخر، فالوجودُ في نظرِ الوجوديَّةِ فرديٌّ بشكلٍ مطلق، بل إنَّه يبدأ بشكلٍ فرديٍّ وينتهي بشكلٍ فرديٍّ، سواءٌ من وجهةِ نظرٍ عدميَّةٍ أو حتَّى من وجهةِ نظرٍ دينيَّةٍ، ينتهي بها الإنسانُ بالوقوفِ فردًا أمام الله.

ولم يخرج الفيلسوفُ الفرنسيُّ إميل سيوران (**Cioran**) (1911–1995) عن الطرحِ الوجوديِّ، وإن كان قد توسَّع في عرضِ إشكاليَّةِ الآخر، وكان أكثرَ تركيزًا على الآخر بوصفه مجتمعًا أو حضارةً، مؤكِّدًا في السياقِ ذاته على أهميَّةِ العزلةِ عن الآخرِ وعن العالمِ بل وعن الذاتِ أيضًا، حتَّى يتمكَّن الفردُ من رؤيةِ كلِّ شيءٍ على حقيقتِه، ويعيشَ عزلتَه المطلقة.

ويعتمدُ البحثُ على المنهجيَّةِ التاريخيَّةِ في عرضِ الأفكارِ الخاصَّةِ بسيوران والفلاسفةِ الآخرين، من خلالِ تتبُّعِ تسلسُلِها التاريخيِّ، كما يعتمدُ المنهجَ المقارنَ في سياقِ مقارنةِ أفكارِ الفلاسفةِ بعضِهم ببعضٍ، أو

حتَّى أفكارِ الفيلسوفِ نفسِه بتغيُّرِ مراحلِه الفكريَّة، كما يستخدمُ البحثُ المنهجيَّةَ التحليليَّةَ النقديَّةَ عند تحليلِ الأفكارِ والخروجِ باستنتاجاتٍ منها.

وتُعَدُّ إشكاليَّةُ الآخر من الإشكاليَّاتِ الجوهريَّةِ في الحقبةِ المعاصرة، ليس فقط على مستوى الدائرةِ الضيِّقةِ المحيطةِ بالفرد، أو على مستوى المجتمع، بل على مستوى العالمِ أجمع، الذي تحوَّل بفعلِ ثورةِ المعلوماتِ والتقنيةِ إلى قريةٍ صغيرة، ممَّا جعل الآخرَ يتداخلُ بشكلٍ غير مسبوقٍ في حياةِ الفرد، وأصبح الفردُ في مقارنةٍ دائمةٍ مع فئةٍ واسعةٍ جدًّا تمثِّل الجزءَ الأكبرَ من سكَّانِ العالم، وبسببِ هذا التقاطعِ المفرطِ بين الفردِ والآخرين، نالت إشكاليَّةُ العزلةِ قَدْرًا واسعًا من الدراسات، لكونِها أصبحت ملاذًا آمنًا وحلًّا ناجعًا لإشكاليَّةِ الآخر، بل ولكلِّ ما جاءت به ثورةُ المعلوماتِ من تواصُلٍ مفرطٍ بين البشر.

2-العزلة والآخر

إنَّ اعتبارَ الآخرِ تهديدًا للذاتِ ومنغِّصًا لوجودِها، وهو ما يترتَّبُ عليه طلبُ العزلة، إشكاليَّةٌ قديمةٌ تناولها كثيرٌ من الفلاسفة، باختلافِ تياراتِهم وتوجُّهاتِهم. فلقد أفردَ لها الغزاليُّ فصلًا بعنوان (كتاب آداب العزلة) في كتابِه ذائعِ الصِّيت (إحياء علوم الدِّين)، وكانت الفكرةُ الأساسيَّةُ هي تأكيدُه على ميلِ أكثرِ العُبَّادِ والزُّهَّادِ لاختيارِ العزلة، بل منهم من ارتقى بها إلى مستوى العبادة.[1]

ويُعَدُّ شوبنهاور أبرزَ الفلاسفةِ الذين اهتمُّوا بالعزلةِ في الحقبةِ المعاصرة، حيث اعتبرَها السبيلَ الأمثلَ لتجنُّبِ الألمِ والإزعاجِ، والحصولِ على الهدوءِ والرَّاحة، وذلك حين يكتفي الإنسانُ بالأشياءِ التي بداخله عن الناسِ والعالَمِ الخارجيِّ.[2] ولذلك تُعَدُّ العُزلةُ يَنبوعًا للسَّعادةِ، ومعيارًا لجودةِ الأشخاصِ، فكلَّما زاد حبُّهُ لها كان جديرًا بمكانةٍ عُليا بين الصَّفوة.[3]

وَيرى أيضا أن راحة البالِ هيَ أوّلُ ثِمارِ العُزلةِ اليانِعةِ، حيْثُ تحرِّرُنا مِن مُخالطةِ الآخريْنِ والِانشِغالُ بِآرائِهِم عنّا، فالجماعةُ قد تُعطيك شُعورًا مُزيَفًا بِالأهمّيّةِ واكتِسابِ الشّرفِ والمكانةِ والمجدِ، مِن خِلالِ التّماهي مع مُكتسباتِها وَقد يَدفعُك أيْضًا لِلتّعصُّبِ خاصّةً التّعصُّبُ القوْميُّ المقيتُ.[4]

ويُؤكِّد بُرديائِفُ على الفكرةِ ذاتِها في كونِ العُزلةِ هي التي تُحدِّدُ مراتبَ الناس، ولذلك يكونُ الفيلسوفُ – شأنُه شأنُ الأنبياءِ – أكثرَ ميلًا إلى العُزلة، لأنَّه لا يحتاجُ إلى الجماعة، فهو يتغلَّبُ على عزلتِه من خلالِ طلبِ المعرفةِ.[5] حيث تُساعِدُه في التغلُّبِ على العُزلة، وتُتيحُ للإنسانِ أن يتنقَّلَ بين الأزمنةِ والأمكنةِ، ويُصاحِبَ ذواتٍ أُخرى، وبذلك تُعَدُّ فِرارًا من العُزلة.[6]

ولقد استخدم وِلسون فكرةَ العُزلةِ كوسيلةٍ دفاعيَّةٍ يَلجأُ إليها اللاّ مُنتمي، لأنَّه لا يستطيعُ أن يتأقلمَ مع مجتمعِه، كما أنَّه عاجزٌ عن تغييرِه، فيُفضِّلُ الهروبَ والعُزلةَ.[7] تَّى يُنقِذَ نفسَه من مجتمعِه وممَّا يُحيطُ به، ويستخرجَ طاقتَه الكامنةَ، ثمَّ يعودَ مرَّةً أُخرى ليُنقِذَ المجتمعَ برُمَّتِه.[8] ولكنَّه لا يعودُ لكي يندمجَ مع المجتمع، بل لكي يثورَ عليه، عندما يُصبِحُ اللاّ مُنتمي ثوريًّا.[9]

وعلى الرغم من تأكيد سيفيندسون على الأفكار ذاتها الذي قال بها من امتدحوا العزلة، حين اعتبر أنها هي التي تكشف للإنسان أشياء مهمة ليس عن نفسه فحسب بل عن العالم أيضا.[10] ولكن إسهامه الأبرز هو تمييزه بين الوحدة والعزلة على الرغم من أن المصطلحين كانا يستخدمان بالمعنى ذاته، ولكن مع تطورهما أصبحت الوحدة تحمل معنى سلبيا، بينما العزلة تحمل معنى إيجابيا.[11] يمكن القول بكلمات أخرى، أن الوحدة تفرض على الإنسان لعدم وجود شركاء له، بينما العزلة هي من اختيار الفرد، حيث يبتعد عن الشركاء أو يأبى البحث عنهم.

وكل ما قيل عن مناقب العزلة لا يعني أنها خالية من المثالب، إذ هناك من يرى أن السعادة والشقاء مرتبطان بالأشياء التي تربط الإنسان بواقعه، ولهذا تشكل العزلة خطرا على البشر وتسبب لهم ضررا، وقد تشعرهم أنهم في أدنى سلم البشر، وأن كل ما عداهم يكون حسنا.[12] كما لا يمكن للمرء أن يحقق إنسانيته وهو في حالة عزلة، لأن الإنسان يتشكل من خلال تفاعله مع الآخرين.[13]

ثانيا–العزلة عند سيوران

1–الإنسان مفطور على العزلة

ينطلق سيوران في طرح إشكالية الآخر من خلال رفضه بشكل مطلق وصريح، إذ يرى أن الإنسان لا يستطع احتواء نفسه ولا توفير مساحة لها، فكيف يمكنه احتواء الآخرين وتوفير مساحة لهم؟[14] وبذلك لم يعد من الممكن إطلاقا مد جسر بين الإنسان المطارد بالموت وأشباهه، ومهما فعل فمحاولات الاقتراب تزيد من تعميق الهوة وتأكيد كارثة.[15]

إن طبيعة الإنسان تحول بينه وبين العيش في مجموعة، إنه مفطور على كراهية أقرانه لشعوره بأنه في صراع دائم معهم وبأنه مطالب بالتفوق عليهم خاصة أولئك الذين يعاصرونه ولأن فكرة وجود من يتفوق عليه تعد بدهية فإن الإنسان يحاول مراوغتها بإدعاء أنه فريد ومميز.[16] كما أن الأسباب التي تدفع الفرد للتنافس مع أِشباهه قوية جدا رغم عدم بوحه بها، بل إن رغبته في التواضع وعدم الظهور هي التي تفتقر إلى الحيوية وسرعان ما يتخلى عنها.[17]

ويعتب سيوران على اَلْفَلسفة اَلْحدِيثَة لأنها ساهمت في تضخيم اَلْأَنَا (الذات)، وجَعَلَتْهَا مَصْدَرًا رَئِيسِيًّا لمآسي الحياة وَمِحْوَرُ لمَخَاوِفِ الإنسان، وهي بذلك تعمل ضد مصالحه، لأنها تحاول التخفيف من عزلته، بينما تقاس قيمة الفرد الحقيقية، من خلال خِلَافَاتِهِ مَعَ اَلْأَشْيَاءِ، وَعَجْزُهُ عَنْ اَللَّامُبَالَاةِ.[18]

ومن جهة أخرى يتوافق سيوران مع الطرح الوجودي في أن الآخرين مجرد قيد، لذلك يدعو إلى تدمير كل الروابط التي تربط الفرد بالآخرين، لكي يشعر المرء بالحرية.[19] إضافة إلى ربطه بين الآخرين وبين الألم، فهم السبب وراء شعور الفرد بالألم، والتفرد هو من ينقذ توازن الطبيعة.[20]

2-المجتمع جحيم من المخلصين

ويعد المجتمع هو الممثل الأكثر حضورا لإشكالية الآخر، لأنه ليس مجرد مجمُوعَة أَفْكَارٍ وَنظرِيَّاتٍ بِقدر مَا هو مجمُوعة من الهواجِس المُتَسَلِّطة.[21] وذلك لأن المجتمع جحيم من المخلصين، فالآخرين يحاولون التحكم في حياة الفرد من خلال التذرع بمحاولة إسعاده و"توزع وصفات السعادة".[22] ووفقا لهذه الرؤية ليس الإنسان سوى هرطقة وطيف شاذ وحيوان ضال، يطمح المجتمع بوصفه مجموعة من الوحوش النائمة، إلى إعادته إلى الطريق المستقيم.[23]

فمنذ تأسيس المجتمع والراغبون في الانسحاب منه يتعرضون للاضطهاد والسخرية، لأن المجتمع بمقدوره التسامح مع قاتل، ولكن لا يمكن أن يتسامح مع عقلٍ متحررٍ.[24] ولذلك فإن أي محاولةٍ للتحرر تؤدي بالضرورة إلى الموت جوعا، لأن المجتمع لا يحتمل إلا صنفين من البشر إما طغاة أو خانعين، إنه يشبه سجنا بلا حرّاس، لا مهرب منه إلا بالهلاك.[25] ويركز سيوران هنا على حرية العقل والفكر، فالمجتمع قيد على التفكير بشكل أساسي، وليس على السلوكيات كافة.

والمجتمع كما تعرضه الأيديولوجيات واليوتيوبيات لا يطاق، فهو يقوم بتنميط أفراده، إنه مجتمع يسلب الفرد كينونته، لأنه لا يميز بين وجوده وبين قدرته على الإنتاج، مع أن كينونة الفرد تتحدد بعيدا عن ما يقدمه لذلك يربط المجتمع بين الفرد وبين قدرته على العمل والإنتاج، وهو ما يعني غياب أشياء أساسية مثل الحدس والغريزة حيث يتحول الأفراد إلى كائنات آلية خيالية رمزية ليس من بينها شخصية حقيقية تتجاوز شروط الدمية.[26]

وتعد المدن أهم مظاهر المجتمعات، والتجمعات البشرية إحدى وسائل العبودية، لأن المدينة تعلم الفرد كيف يتعلق بالأشياء مع أن واجبها أن تلقنه فن التخلي عن الأشياء، حيث لا توجد حرية ولا حياة حقيقية دون تعلم التخلي وعدم الامتلاك، فحين يمتلك الإنسان الأشياء يحسب نفسه سيدا لها ولكن في الواقع هو من أصبح عبد له.[27]

وبناء عليه فالمجتمع أبشع من أن يوصف بالشر، إنه نكبة حقيقية، فأي معجزة تجعل الإنسان يعيش فيه دون أن يفكر في تدميره ومحو أثره.[28] لأن التجمع في المدن الكبرى وتكوين المجتمعات هي الطريقة التي ابتكرها البشر لكي يعذبوا بعضهم البعض.[29]

إضافة إلى أن اندماج الفرد مع مجموعة من أشباهه والشعور بالمساواة معهم هو أحد أسباب شيوع المشاعر الدنيئة وهو ما يمنحها الحياة.[30] وذلك لأن الطريقة الوحيدة للتعامل مع الآخرين لا تتحقق إلا باستخدام الكذب والشعوذة.[31] إذ يولد الإنسان مزودا بالطهارة والتي تفسد بالتعامل مع البشر مما يجعله يعد خطيئة ضد العزلة.[32]

والتفسير الوحيد لعدم حدوث المجازر والثورات في المدن الكبرى، وقدرة البشر على التعايش فيها، وعدم تدمير بعضهم البعض، ليس هو عدم وجود الكراهية والبغض بينهم، بل بسبب عجزهم، وهو الذي يضمن استمرار المجتمعات الكبرى.[33]

3-العزلة بين الجموع

يرى سيوران أن المجتمعات والمدن أصبحت أمرا واقعا، رغم أنها تتنافى مع طبيعة الفرد، وهو ما يدفعه للعيش بين الجموع رغم أنه لا يملك الغرائز اللازمة لذلك، ولذلك سيعيش بينهم مدعيا الانهماك في شؤونه الخاصة، وبدلا من أن يعتني كل واحدٍ بعزلته، تجد أن كل واحد يراقب عزلة الآخرين.[34] وفي المحصلة سيعيش كل فرد مع خوفه معتزلا في برجه العاجي.[35]

إن العزلة في نظر سيوران حتمية رغم وجود الفرد داخل المجتمع، بل هي عزلة أكثر قسوة، فالعزلة الحقيقية هي تلك التي يعيشها الإنسان وهو محاط بالآخرين، ولكنهم لا يملكون أي مشاعر بل شأنهم شأن الأشياء الجامدة من حوله، حيث لا يمكنه أن يوجه إليهم أي كلمة، وهذا ما يبرر خروج ديوجين خلال النهار حاملا مصباحه، بحثا عن شخص ما رغم وجوده وسط الجموع.[36] إن الكائن الوحيد حقا، ليس ذلك الذي تخلى عنه البشر، بل هو ذلك الذي يتألم بينهم.[37]

والعزلة بين الجموع هي أخطر أنواع العزلة، حيث يتحول الإنسان إلى وحش عندما يداهمه القرف حتى ولو كان بين الجموع. [38] ولعله أحد دوافع الانتحار حين يقف الفرد مع شراييه المحتقنة ليلا وهو لا يقل غربة بين البشر عن شاهد قبرٍ وسط سيرك.[39] لأن الأفكار السيئة التي يكتسبها الفرد من الجموع تستمر معه حتى عندما يعتزلهم.[40] فالتواصل مع الآخرين يسمح للعالم باجتياح العزلة، ويسمح للآخرين بترك علامة لا يمكن محوها.[41]

وكل ذلك يدفع الفرد إلى أن يسأل نفسه عن الأسباب التي تدفعه إلى فعل أي شيءٍ على هذه الأرض، لماذا يجب أن يكون لديه أصدقاء وأمنيات وآمال وأحلام، أليس من الأفضل الانسحاب بعيدا عن العالم بمنأى عن كل ما يصنع صخبه وتعقيداته؟[42] إذ كان يعلم مسبقا أن البحث عن أقران مجرد عبث. [43] وحتى إن وجدهم فليس بمقدورهم أن يمنحونه شيئا.[44]

ومن هذا المنطلق، الذي يجعل الإنسان في عزلة حتى بين الجموع (العزلة الإجبارية)، يرى سيوران أن العزلة الاختيارية أفضل حالا، فأن يجد الإنسان نفسه لا شيء في عزلته أفضل من أن يصبح لا شيء بنسيان الآخرين له، أو أن يأتي أحدهم ليتدخل في ما هو مهم بالنسبة له.[45]

ثالثا–العزلة هي ماهية الإنسان

إن الحياة مع الذات (حياة العزلة) رغم عيوبها، أفضل من الحياة المشتركة (حياة الجموع) التي لا تطاق.[46] فالوحدة حتى في سوء سمعتها لا تخلو من بعض الحسنات، إنها تشبه انتخابا طبيعيا.[47] بل أنها تمثل ماهية الإنسان الحقيقية.[48] فحين يكون البشر نكرات، يتحقق رضاهم عن العالم وعن أنفسهم.[49] وفي الحقيقة إن كمال الفرد يزداد من خلال ابتعاده عن الآخرين، وهم ينقذونه عندما يهجرونه.[50]

إن العزلة تعلم الإنسان كيف يكون منفردا لا كيف يكون وحيدا. [51] إذ لا تتحقق الحياة إلا بالتفرد، هذا هو الأساس الأخير للعزلة، وكل كائن وحيد بالضرورة لكونه فردا، ولكن البشر ليسوا وحيدين بنفس الدرجة فلكل موقعه في سلم العزلة.[52]

والعزلة بوصفها رفضا لحياة الجموع تمثل بالنسبة لسيوران شكلا من أشكال التمرد، وذلك حين يقرر الإنسان بأن يصبح (مارقا) ويتمرد على نسبه وكل الصفات الموروثة التي تمثل قيدا يحول بينه وبين أن يؤيد الحق، فعليه أن يلجأ إلى العزلة ولو تطلب الأمر أن يغير حتى اسمه.[53] فلكي يتذوق طعم العزلة يجب أن يكون مجهولا وغامضا.[54] وأن ترتقي العزلة بالنسبة له إلى مرتبة الإيمان ولا تكون مجرد مسلمة فقط.[55]

ولأن العزلة تمردا فلابد له ثمن، فإن على الفرد أن يدفع الثمن لكي يحصل على مزايا العزلة، فالفرد المنعزل الذي ينظر إليه المجتمع بوصفه وحشا وخارجا عن النظام الكوني، هو في الحقيقة يستمتع بفرديته الاستثنائية ويستمتع بمزايا عزلته على الرغم من الثمن الباهظ الذي يدفعه من عمره مقابل ذلك.[56]

وتتطلب العزلة أن لا يقدم الإنسان على الزواج أو حتى على الحب، إنها تمرد على الشهوات وعودة إلى الحالة البدائية التي لا تختلف عن حياة الكلب.[57] وفي سياق ذلك يزدري سيوران الزواج ويعتبره شكلا من

أشكال ازدراء لذة الموت الشخصية، ومشاركة الآخرين عبء الكائن والبحث عن شريك للخيبات، فشهوة العزلة تتجاوز العناقات، كما أنه يهاجم والمرأة لكون حضورها يزعج كمال العزلة.[58]

ويرى سيوران إن أفضل طريقة للابتعاد عن الآخرين هي أن يفعل الفرد كل شيء يجعله يكرههم ويكرهونه، سواء بجعلهم جزء من فشله وخيباته حتى يكرههم طوال حياته.[59] أو بأن يكون بغيضا وكروها ليتمكن من حراسة عزلته.[60] وأن يتجنب اِستشارة اَلآخرينَ في أموره الخاصة لِأَنَّ قِلَّة همْ من يُرِيدُون له اَلخير.[61] وينبغي أن لا يزعج أصدقائه إلا بمناسبة دفنه.[62] بكلمات أخرى مختصرة عليه أن يجرح الجميع وخاصة الذين يحبهم.[63]

ومع مرور السنوات يتناقص عدد الذين يمكن للإنسان أن يتفاهم معهم حتى لن يجد من يتفاهم معه كما كان قبل ولادته.[64] والعزلة ليست حالة مؤقتة كما استخدمها ولسون، بل هي حالة مستمرة ومتراكمة في نظر سيوران، حيث تقود كل عزلة إلى عزلة أكبر.[65] من واجب كل إنسان منعزل أن يكون أكثر عزلة.[66]

رابعا–العزلة بين الذات والعالم

يعد سِيُورَانْ هُوَ اَلْأَكْثَرُ قَلَقًا بَيْنَ كُلِّ اَلْعَدَمِيَّيْنِ وَالْمُتَشَائِمِينَ، ولكنه لَا يَسْعَى إِلَى اَلْقَضَاءِ عَلَى اَلرُّوحِ مِثْلِ شُوبِنْهَاوَرْ، بل يَقْتَرِحُ اَلِانْفِصَالُ عَنْ اَلْحَيَاةِ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِهَا بِاسْتِثْنَاءِ اَلْحَدِّ اَلْأَدْنَى.[67]

فليست العزلة فقط هي أن يكون الفرد منعزلا وسط الجموع أو أن ينعزل عنهم، فتلك عزلة فردية، يشعر فيها الفرد بأنه وحده حيث يلقى به في العالم ويكون عاجزا عن التأقلم معه، بل هناك نوع آخر من العزلة يتمثل في عزلة الفرد عن العالم (العزلة الكونية)، وهي تعني ضياع العالم، والإحساس بالعدم، وكأن العالم فقد كل بريق وتحول إلى مقبرة، وفي الحالتين يشعر المرء بأنه وحيد.[68]

إن العزلة في نظر سيوران هي الانفصال بأناقة عن العالم، أن تبقى مع النفس في هوامش الأشياء المرتعشة، هي انفصال عن العالم كما لو أنه ارتباط بالأنا، لكي تكون بعيدا عن العالم وبعيدا عن نفسك.[69] حيث يصبح الفراغ كافيا في العزلة حين تحطم كل الروابط التي تربط الفرد بالعالم.[70] فلإنسان أكثر مما يجب، والعالم أقل.[71] بكلمات أخرى تعد رغبات الإنسان في الحياة والعالم أكثر مما ينبغي بينما يبدو العالم أقل من ذلك حيث لا يلبي تلك الرغبات.

وتبدأ العزلة الكونية عندما يشعر الإنسان أنه صنع من مادة مختلفة عن المادة التي صنع منها الكون.[72] وأن كل شيء يعتقد أنه يقربه من العالم هو في الحقيقة يباعده عنه ويجعله أكثر غربة، بل العالم

يبدو غريبا دون الحاجة إلى أي شيء يجعله كذلك.[73] وعلى الإنسان أن يبقى منغلقا على نفسه، وعدم التمظهر بأي شكلٍ، في محاولة لإصلاح مسارٍ فوضويٍّ مستعصٍ.[74]

ولا يعتبر سيوران العزلة الكونية قطيعة كلية مع العالم الخارجي بل وسيلة يمكن استخدامها للإنصات للعالم المحيط بنا، فالصمت يساعدنا على فك رموز لغة الصخور والنباتات، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال العزلة.[75] فهي التي تمنح الإنسان فرصة التحليق فوق العالم، أو بمعنى أدق تجعله مجنونا.[76] فالعزلة هي الميدان المناسب للجنون.[77]

إضافة إلى أن العزلة وسيلة لاستبطان العالم الداخلي، لأن الحقل البصري للعين محدود جدا فالعين تنظر دائما من الخارج؛ غير أن العالم موجود بالداخل والاستبطان هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ المعرفة الحقيقية، والتي تقع في الحقل البصري للقلب.[78] بل سيشعر الإنسان بالضجر حين يبحث خارجه عما لا وجود له إلا في داخله.[79]

فالعزلة شرط ضروري للنفاد إلى الذهن الذي لا يتألق إلا من خلال النزاع الداخلي.[80] كما تجعل من الإنسان يبحر وحيدا في بحار قلبه.[81] لأنها تصنع قطيعة مع الوعي ومع الصيرورة.[82] وتدفع الإنسان إلى مواجهة الخوف من نفسه الذي هو مصدر كل المخاوف.[83] وتتيح له إنتاج أفكاره فتاريخ الأفكار هو تاريخ ضغينة اللائذين بالعزلة.[84]

وتأسيسا على ذلك فإن العزلة تساعد على تحول الذات، حيث تجعل الإنسان يستقل عن هويته العادية، ويصبح كل شيء حوله مستقل عنه، لدرجة أنه عندما يتحدث مع نفسه، يكون وكأنه يتحدث مع شخص آخر، بل يشعر وكأنه ليس وحيدا وهو في أشد مراتب العزلة.[85]

وتعتبر العزلة نتيجة طبيعية لسيطرة اليأس، الذي يمثل قمة العزلة وهو الذي يدفعها إلى ذروة الفردانية.[86] فالمعنى العميق للعزلة يفترض إيقاف وجود الإنسان في الحياة، والعيش وحيدا يعني أنه لم يعد ثمة ما يغري ولم يعد هناك أي أملٍ في الحياة.[87]

وترتبط العزلة بالحزن والألم والموت.[88] فلا يوجد رابط مع الآخرين أو الأشياء لا ينحل بفعل الألم، فالألم يحرر الإنسان من كل شيءٍ ويجعل منعزلا دون رجعةٍ.[89] كما أنها تجعل الألم أبكما مغلقا، إذ تعد ميزة عظيمة أن يتألم الإنسان وحيدا، وليس بمقدور شيء خارجه أن يقلل من ألمه.[90]

كما تعد العزلة شكلا من أشكال اللامبالاة، فالفرق بين من يعيش حياته هو أنه لا يعي الحتمية، بينما المنعزل يدرك أنه لا جدوى من ذلك، لأنه يدرك الحتمية مسبقا، ويدرك الحركية العمياء للحياة.[91]

إضافة إلى أن الهدف النهائي من العزلة هو الانسحاب من الحياة وانتظار الموت.[92] بل لا تكتمل العزلة إلا بالرغبة في الموت تلك التي تتشكل خلف مقاومتنا له.[93] إن أكثر لحظات الإنسان ضعفا هي لحظة الموت، وهي أكثر لحظاته عزلة، فلا أحد يستطيع أن يقدم له شيئا.[94] والموت يعني من جهة أخرى أنك ستفقد كل من تلاقيهم، فكل ابتسامة وداع قد تكون الابتسامة الأخيرة، وتكون هي الفيصل بينك وبين العزلة.[95]

ورغم مديحه للعزلة إلا أنه لا يصادر رأي الآخرين، الذين يرغبون في العيش وسط الجموع، فهم أيضا لديهم مبرراتهم، ولا يحق للمنعزل أن إدعاء صحة افتراضه وخطأ الآخرين، فرغم كل مميزات العزلة إلا أنه عاجزة عن منح الإنسان أشياء مهمة مثل الأبدية، فالنتيجة النهاية واحدة وهي الموت سواء عاش الإنسان وسط الجموع أو عاش منعزلا عنهم. [96]

خامسا–العزلة والتصوف

لقد عرفت العزلة تحولا كبيرا على يد سيوران عندما استخدم المصطلح الديني حيث أصبحت تعني التصوف عندما يقرنها باللغة الدينية، ومن هذا المنطلق يعتبر سيوران أن التصوف والرهبنة هما الشكل الديني للعزلة فكلاهما يمثل يأسا وهروبا من العالم الخارجي نظرا لفقره، ولكن ما يميز التصوف هو أنه يلغي المسافة بين السماء والأرض.[97]

ويربط سيوران العدمية بالتصوف فليس من عدمي ألا وهو متصوف مكبل اليدين بسبب وحيد يتمثل في كونه يبغض أن يمنح وعيه مضمونا وأن يجنح به ناحية الخلاص عن طريق ربطه بمشروع يتجاوزه.[98] ولذلك يعد التصوف هو السبيل الوحيد لنجاة الفيلسوف من اَلرَّدَاءَةِ لكونه محاولة للهروب وشكل من أشكال اليأس في مواجهة وطريقة لِلْقَوْلِ بأَنَّ اَلْعَالَمَ لَيْسَ حَلًّا.[99]

وكل شيء هو لا شيء، ومن هنا يبدأ التصوف.[100] حيث يمثل التصوف رغبة في اللجوء إلى الفراغ بعد أن تنضج الروح وترتقي إلى الفناء الكلي حيث يتساوى الشيء مع اللا شيء.[101] والتصوف تجربة ربانية ذاتية تعرف بالمعايشة، فهي غير قابلة للوصف أو الشرح لأن المتصوف نفسه لا يستطيع التعبير عنها.[102]

يعتبر الزهد موهبة ربانية يفتقر إليها من تجعلهم المصائب يشعرون بالانهيار بدلا من الشعور بالارتقاء.[103] الزهد لا يُتعلم إنه محفور في الحضارة، ونحن لا نلجأ إليه، بل نكتشفه في أعماقنا.[104] كل رغبةٍ مهزومةٍ تجعلك قويا، نحن نؤثر في العالم بقدر ابتعادنا عنه وإنكارنا له، إن الزهد في الدنيا يمنحنا سلطانا لا حدود له.[105]

ويرى سيوران أن التصوف هو الذي بث الروح مجددا في فكرة الله، وأن آخر خربشة صوفية هي أقرب لله من مجموع نظريات علم اللاهوت، كل ما هو مؤسساتي ونظري كَفَّ عن كونه حي، لقد أمَّن علم اللاهوت احتضارا مستمرا لله، وحده التصوف ينعشه من حين لآخر.[106]

ونظرا لأن العزلة هي ذاتها التصوف، فيربط سيوران بين العزلة والله حيث يتحدث عن الحياة في الله، والعزلة مع الله والعزلة فيه، حين تتحول العزلة البشرية وصحراء الله اللا متناهية، مما يحقق لذة مبهمة، ويمكن تجاوز العزلة في الله إلى التوحد مع الله، والتي هي شكل أعلى من العزلة.[107] كما يعد الله رمزا للعزلة، وهو ذلك هو السبب الأهم لكي ينال الاهتمام.[108] بل إن شرط الإله الصالح هو أن لا يحرم الإنسان من العزلة حتى في الأبدية.[109]

وعلاقة الإنسان بأقرانه بالبشر والتعرف عليهم، هي وسيلة للتقرب إلى الله وذلك حين يكتشف الإنسان أنه عاجز عن التفاهم مع الآخرين نتيجة لاختلاف آلام البشر، إذ لا يمكن لشخصين آلامهما ليست على نفس المسافة من الله أن يتجادلا معا، مما يعني أن معرفة الآخرين تهدف إلى الاعتزال أكثر مع الله.[110]

فالعزلة هي العيش في عالم لم يعد فيه أحد ولم يبقَ فيه إلا الله.[111] إن العزلة والله والإيمان تتحكم في الإنسان وتخلصه أيضا، فهل يستطيع الإنسان النوم لو لم يكن مؤمنا.[112] فالإنسان يؤمن بالله تجنبا للعزلة والحوار الداخلي.[113] وحتى الكتاب المقدس (إصحاح لوقا) يؤكد الصلة بين الله والعزلة، فالإنسان لا يملك وكرا مثل الثعالب ولا يملك عشا أو سماء مثل الطيور، ولذلك عليه أن لا يكون شبيها لأحد من البشر مما يعني أنه منفصل عن العالم، ولا شيء يقطع حبل عزلته سوى صلته مع الإله.[114]

وليس بالضرورة أن يكون الإيمان بالله حقيقيا، لكي يلجأ إليه الإنسان في عزلته، إذ لا يدوم إلا ما يتم تصوره في العزلة أمام الله سواء كنت مؤمنا أو لا.[115] فحتى لو أخذ الإنسان بالافتراض النيتشوي، بأن الله اختراع بشري، حيث اخترع الإنسان الإله لكي يتخلص من العزلة ويجد مخاطبا آخر في عزلته.[116]

والعزلة هي الشيء المشترك الذي يجمعنا بالله–بل ومع الشيطان أيضا، فمنذ البدء وهما يتنافسان في فن العزلة– أما البشر فلقد وصلوا متأخرين جدا لهذا التنافس الحتمي، وسيشعرون بالوحدة في عزلتهم حين ينسحبان من الحلبة.[117] كما يعتبر الشيطان مثالا حقيقيا للعزلة، لدرجة أن الإنسان يغار منه، ولو مخافة أن تفقد عزلته شموليتها لمنح الشيطان مزيدا من الإعجاب.[118]

7-خاتمة

قد تفوَّق سيوران، بشكلٍ عامٍّ، في طرحِ إشكاليَّةِ الآخر، مستفيدًا من عدَّةِ مدارسَ فلسفيَّة، حيث تمكَّن من توظيفِ مجموعةِ أفكارٍ حول الأنا والآخرِ بشكلٍ غيرِ مسبوقٍ. فهو من جهةٍ اتَّخذ موقفًا حازمًا من أفكارِ أصحابِ مذهبِ العقدِ الاجتماعيِّ، وخاصَّةً فيما يتعلَّقُ بمفهومِ الحالةِ الطبيعيَّةِ الأولى، بوصفِها السَّببَ الأساسيَّ لتكوُّنِ المجتمعِ والدَّولة، معتبرًا أنَّ ذلك مجرَّدُ خُدعةٍ للتحكُّمِ في الفرد.

كما أنَّه كان من ضمنِ الذين انتقدوا الرأسماليَّةَ التي حوَّلت الفردَ إلى مجرَّدِ مُنتِجٍ تُقاسُ قيمتُه بمقدارِ ما يُقدِّمُه من إنتاجٍ، وبمقدارِ ما يُحقِّقُه من عائدٍ بسببِ الاستهلاك، وهو ما أدَّى في المُحصِّلة إلى سَلْبِ هُويَّةِ الفردِ وكينونتِه، بل إنَّه تحوَّل إلى مجرَّدِ دُميةٍ تُحرِّكُه الجموعُ وتَغرسُ فيه صِفاتِها السَّيِّئة.

وعليه، يرى سيوران أنَّه لا مَناصَ من النَّجاةِ الفرديَّةِ التي لا تتحقَّقُ إلَّا من خلالِ العُزلة، التي لا تُعَدُّ خيارًا، بل هي أمرٌ واقعٌ، فالفردُ يعيشُ عُزلةً حتَّى بين الجموع، بل تلك هي أشدُّ أنواعِ العُزلةِ قَسوةً، حيث لا يُبالي الأفرادُ الذين يُحيطون به بالفردِ، ويعتبرونه أداةً تُحقِّقُ مصالحَهم، وهي العُزلةُ التي يُطلِقُ عليها اسمَ العُزلةِ الإجباريَّة.

والبديلُ عن تلك العُزلةِ هو العُزلةُ الاختياريَّة، التي يَلجأُ إليها الفردُ ليُحقِّقَ ذاتَه وكمالَه، حتَّى ولو دفَعَ ثمنَ عُزلتِه ازدراءَ المجتمع. والأفضلُ للفردِ أن يتخلَّى عن كلِّ مَن يُحبُّهم، فلا يكونُ له أصدقاءُ، ولا أقاربُ، ولا حتَّى زوجةٌ وأبناءٌ، ولا يكتفي باعتزالِ الآخرين، بل يعتزلُ العالمَ وملذَّاتِه، ويعيشُ على الهامش.

ولعلَّ الجديرَ بالذِّكرِ هو الإضافةُ الكبيرةُ التي قدَّمَها سيوران لمفهومِ العُزلةِ في الحقبةِ المعاصرة، حين ربطَها بالتصوُّرِ الدِّينيِّ وجعلَ منها مُرادفًا للتصوُّف، حين يفقدُ الإنسانُ الأملَ في كلِّ شيءٍ فيَلجَأُ إلى الله، وإن كان سيوران قد حافظَ على تصوُّرِه العدميِّ باعتبارِ أنَّ اللهَ هو نتاجُ رغبةِ الإنسانِ في العُزلة.

الهوامش

(1) الغزالي، أبو حامد(2011) إحياء علوم الدين ج 4، دار المنهاج، جدة، ص 246
(2) شوبنهاور، آرثر(2018) فن العيش الحكيم، (ت) عبدالله زارو، دار الأمان، الرباط، ص 39
(3) السابق، ص 182
(4) السابق، ص ص 84- 87
(5) برديائف، نيقولاي،(1960) العزلة والمجتمع، (ت) فؤاد كامل، النهضة المصرية، القاهرة، ص ص 110، **111**
(6) السابق، ص 145
(7) ويلسون، كولن(2004) اللامنتمي، (ت) أنيس زكي، دار الآداب، بيروت، ص: 182
(8) Wilson, Colin, The mammoth book of the history of murder, Carroll & Graf , New York 2000, p 20
(9) ويلسون، كولن(1971) سقوط الحضارة، (ت) أنيس زكي، دار الآداب، بيروت، ص: 299
(10) سيفيندسون، لارس(2019) فلسفة الوحدة، (ت) ناصر عبدالحميد، دار منطاد، الكويت، ص 8
(11) السابق، ص 16

(12) جيته،(1920) آلام فارتر، (ت) أحمد الزيات، دار القلم، بيروت، ص 102
(13) سيفيندسون، لارس(2019) فلسفة الوحدة، مرجع سابق، ص 10
(14) Cioran, Emil,(2010) The Book of Delusions, Hyperion, London, **p 64**
(15) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل، ص 210
(16) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، تاريخ ويوتيوبيا، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت ، ص **104**
(17) سيوران، إميل،(2021) تمارين في الإعجاب، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت، ص 221
(18) Cioran, Emil,(2011) The temptation to exist, Trans by Richard Howard, Arcade Publishing, New York, **p 31**
(19) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت، ص 226
(20) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 58
(21) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص 53
(22) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت، ص ص 11- 13
(23) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص 127
(24) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 262
(25) السابق، ص 182
(26) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص ص 125،126
(27) بدوي، عبدالرحمن،(1980) دراسات في الفلسفية الوجودية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ص 255
(28) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 278
(29) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص **134**
(30) سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت، ص 28
(31) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 74
(32) السابق، ص 33
(33) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص **119**
(34) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 182
(35) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت، ص 173
(36) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 28
(37) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 74
(38) السابق، ص 101
(39) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، مصدر سابق، ص 69
(40) السابق، ص 183
(41) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 33
(42) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل، ص 13
(43) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 227
(44) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 32
(45) سيوران، إميل،(2014) لو كان آدم سعيدا، (ت) محمد علي البوسيفي، منشورات أزمنة، الدوحة، ص 40
(46) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 13
(47) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 95
(48) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 74
(49) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 38
(50) سيوران، إميل،(2014) لو كان آدم سعيدا، مصدر سابق، ص 40
(51) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 5
(52) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 97
(53) السابق، ص 106
(54) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 94
(55) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 62
(56) سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، مصدر سابق، ص **127**
(57) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 213
(58) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 73
(59) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، مصدر سابق، ص 106
(60) السابق، ص 99
(61) سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، مصدر سابق، ص 13

(62) سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، مصدر سابق، ص 24
(63) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 123
(64) السابق، ص 18
(65) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل، ص 36
(66) السابق، ص 56
(67) Dienstag, Joshua Foa,(2006) Pessimism : philosophy, ethic, spirit, **Princeton University Press, Princeton ,p 122**
(68) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 74
(69) Cioran, Emil,(2010) The Book of Delusions, **p 77**
(70) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، مصدر سابق، ص 134
(71) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 83
(72) السابق، ص 126
(73) السابق، ص 62
(74) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 9
(75) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 30
(76) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 56
(77) السابق، ص 56
(78) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 5
(79) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 118
(80) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 23
(81) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 167
(82) السابق، ص 160
(83) Cioran, Emil,(2010) The Book of Delusions, **p 77**
(84) سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، مصدر سابق، ص 26
(85) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 57
(86) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 87
(87) السابق، ص 48
(88) السابق، ص 64
(89) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 74
(90) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص ص 20، 21
(91) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 33
(92) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 48
(93) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 75
(94) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص 13
(95) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 32
(96) سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، مصدر سابق، ص ص 116، 117
(97) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 35
(98) سيوران، إميل،(2021) تمارين في الإعجاب، مصدر سابق، ص 83
(99) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 12
(100) السابق، ص 15
(101) السابق، ص 37
(102) السابق، ص 17
(103) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 127
(104) السابق، ص 63
(105) السابق، ص 43
(106) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 19
(107) السابق، ص ص 40، 41
(108) سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، مصدر سابق، ص 146
(109) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 295
(110) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 176
(111) السابق، ص 211

(112) سيوران، إميل،(2021) تمارين في الإعجاب، مصدر سابق، ص 192
(113) سيوران، إميل،(2020) دموع وقديسون، مصدر سابق، ص 20
(114) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 78
(115) سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، مصدر سابق، ص 70
(116) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 149
(117) سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، مصدر سابق، ص 72
(118) سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، مصدر سابق، ص 294

المصادر والمراجع

- بدوي، عبدالرحمن،(1980) دراسات في الفلسفية الوجودية، المؤسسة العربية للنشر، بيروت
- بردیائف، نیقولاي،(1960) العزلة والمجتمع، (ت) فؤاد كامل، النهضة المصرية، القاهرة
- جيته،(1920) آلام فارتر، (ت) أحمد الزيات، دار القلم، بيروت
- سيفيندسون، لارس(2019) فلسفة الوحدة، (ت) ناصر عبدالحميد، دار منطاد، الكويت
- سيوران، إميل،(2003) المياه كلها بلون الغرق، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- سيوران، إميل،(2010) تاريخ ويوتيوبيا، تاريخ ويوتيوبيا، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- سيوران، إميل،(2014) لو كان آدم سعيدا، (ت) محمد علي البوسيفي، منشورات أزمنة، الدوحة
- سيوران، إميل،(2015) مثالب الولادة، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- سيوران، إميل،(2018) اعترافات ولعنات، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- سيوران، إميل،(2020) على مرتفعات اليأس، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل
- سيوران، إميل،(2020) غسق الأفكار، (ت) عبدالوهاب الملوح، منشورات الصفحة سبعة، الجبيل
- سيوران، إميل،(2021) تمارين في الإعجاب، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- سيوران، إميل،(2021) رسالة في التحلل، (ت) آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت
- شوبنهاور، آرثر(2018) فن العيش الحكيم، (ت) عبدالله زارو، دار الآمان، الرباط
- الغزالي، أبو حامد(2011) إحياء علوم الدين ج 4، دار المنهاج، جدة
- ويلسون، كولن(1971) سقوط الحضارة، (ت) أنيس زكي، دار الآداب، بيروت
- ويلسون، كولن(2004) اللامنتمي، (ت) أنيس زكي، دار الآداب، بيروت

المصادر و المراجع الأجنبية

- Cioran, Emil,(2010) The Book of Delusions, Hyperion, London
- Cioran, Emil,(2011) The temptation to exist, Trans by Richard Howard, Arcade Publishing, New York
- Dienstag, Joshua Foa,(2006) Pessimism : philosophy, ethic, spirit, Princeton University Press, Princeton
- Wilson, Colin, The mammoth book of the history of murder, Carroll & Graf , New York 2000

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44(1): 348-366, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/gwdxn177

Research Article

Open Access

همزيَّة مصطفى بن زكري الطرابلسيِّ، في أوصاف الإمام المهديِّ السنوسيِّ: تحقيق ودراسة

عبد الغني عبد الله محمود[1]*، أحمد محمَّد جاد الله[2]*

الباحث الاول[1]*:
قسم اللغة العربيَّة وآدابها، جامعة عُمر المختار، البيضاء، ليبيا.

الباحث الثاني[2]*:
قسم اللغة العربيَّة وآدابها، جامعة عُمر المختار، البيضاء، ليبيا.

المستخلص: تناول هذا البحث بالتحقيق والدراسة نصًّا شعريًّا لم يُنشر من قبل، وهو همزيَّة الشاعر مصطفى بن زكري الطرابلسيِّ (1853–1934م) في أوصاف الإمام محمَّد المهديِّ السنوسيِّ. وتتجلَّى أهمِّيَّة الدراسة في كونها تكشف عن حلْقة مفقودة في ديوان الشاعر، عُثر عليها ضمن مخطوط (الشموس النورانيَّة) للسيِّد أحمد الشريف، ما يمنح النصَّ قيمة توثيقيَّة وتاريخيَّة. اتَّبعت الدراسة منهجيَّة التحقيق العلميِّ لضبط النصِّ وتصحيح ما اعتراه من تصحيف وسقط نتيجة تفرُّد المخطوطة، والمنهج الوصفيَّ التحليليَّ لاستنطاق مضامين القصيدة واستجلاء أبعادها اللغويَّة والأدبيَّة. وتوصَّل البحث إلى أنَّ الشاعر برع في توظيف المشاكلة بين أوصاف الممدوح والشمائل النبويَّة المأثورة، ليرسِّخ صورة الوارث المحمَّديِّ والوليِّ المرشد. كما أبرزت القصيدة الأبعاد الاستراتيجيَّة والروحيَّة لانتقال المركز السنوسيِّ من الجغبوب إلى الكُفرة، مجسِّدة عمق الروابط الروحيَّة والثقافيَّة بين حاضرة طرابلس ومركز السنوسيَّة في الصحراء، ومنخرطة في سياق المعارضة الشعريَّة للنماذج الكبرى كهمزيَّة البوصِيريِّ، وصولًا إلى تأثُّر أمير البيان شكيب أرسلان بها ومعارضتها.

الكلمـــات المفتاحيَّـــة: مصطفى بن زكري، المهديّ السنوسيّ، الطريقة السنوسيّة، الأدب الليبيّ، تحقيق المخطوطات.

The Hamziyya of Mustafa bin Zikri al-Trabulsi, on the Attributes of Imam al-Mahdi al-Senussi: A Critical Edition and Study

Abstract : This research provides a critical edition and analytical study of a rare, previously unpublished poetic text: the "Hamziyya" by the prominent Libyan poet and scholar Mustafa bin Zikri al-Trabulsi (1853-1934 AD), composed in praise of Imam Muhammad al-Mahdi al-Senussi. The significance of this study lies in its discovery of a "missing link" in the poet's printed *Diwan*, found within the manuscript *Al-Shumus al-Nuraniyya* by Sayyid Ahmad al-Sharif, granting the text dual documentary and historical value. The study employs a rigorous philological methodology to edit and verify the text, correcting scribal errors and omissions caused by the uniqueness of the manuscript, alongside a descriptive-analytical approach to interpret the poem's thematic and aesthetic dimensions. The findings indicate that the poet skillfully utilized "Prophetic Traits" (*Shama'il*) to depict the subject, establishing the Imam as a "Muhammadan Heir" and a spiritual guide. Furthermore, the poem highlights the strategic and mystical dimensions of the Senussi center's relocation from Jaghbub to Kufra, embodying the deep spiritual and cultural ties between the city of Tripoli and the Senussi headquarters in the desert. Finally, the study situates the poem within the tradition of poetic emulation (*Mu'arada*), tracing its stylistic lineage from Al-Busiri's classical model to its later influence on the renowned writer Shakib Arslan, who emulated its meter and rhyme.

Keywords : Mustafa bin Zikri, Al-Mahdi al-Senussi, Senussi Order, Libyan Literature, Manuscript Editing.

***Corresponding author:**
Abdulghani A. Mahmoud,
abdulghani.abdullah@omu.edu.ly
Department of Arabic Language and Literature, Omar Al-Mukhtar University, Al-Bayda, Libya.

Second Author:
Ahmad M. Jadallah,
ahmad.jadallah@omu.edu.ly
Department of Arabic Language and Literature, Omar Al-Mukhtar University, Al-Bayda, Libya.

Received:
01-04-2026

Accepted:
15-04-2026

Publish online:
30-04-2026

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدِّمة:

كان الشعر العربيُّ، على مرِّ العصور، سجلًّا أمينًا يوثِّق سير الأعلام وحركات الإصلاح التي تصنع التاريخ. وفي هذا السياق، تكتسب دراسة المدائح الصوفيَّة والتاريخيَّة أهميَّة قصوى، لا سيَّما تلك النصوص التي لم تجد طريقها إلى النشر بعد. وهذا البحث يقدِّم تحقيقًا ودراسة لهمزيَّة الشاعر الأديب مصطفى بن زكري الطرابلسيِّ، في أوصاف السيِّد محمَّدٍ المهديِّ السنوسيِّ، الخليفة الأوَّل للطريقة السنوسيَّة.

تنبُع أهمِّيَّة هذه الدراسة من كونها تخدم جانبين معرفيَّين رئيسين؛ حيث تُمثِّل القصيدة نصًّا أدبيًّا مخطوطًا غير منشور في ديوان الشاعر، ما يجعل الكشف عنها وتحقيقها إضافة حقيقيَّة للمكتبة الأدبيَّة الليبيَّة والعربيَّة؛ فهي وثيقة شعريَّة نادرة توثِّق لمرحلة مهمَّة من تاريخ الطريقة السنوسيَّة بشكل خاصٍّ والقطر الليبيِّ بشكل عامٍّ. ثمَّ تكشف الهمزيَّة عن مدى عمق تأثير الإمام المهديِّ الذي تجاوز حدود برقة ليصل إلى حاضرة طرابلس وأدبائها، ما يؤكِّد الدور المحوريَّ للشعر في توثيق سيرة شخصيَّة بهذه المكانة الروحيَّة.

وتنطلق مشكلة البحث من التفرُّد بنسخة مخطوطة غير محقَّقة، ما يضع تحدِّيات أمام التحقيق والتحليل، وتتركَّز مشكلة البحث في التعامل مع المشكلات اللفظيَّة والعروضيَّة الناتجة عن أخطاء الناسخ وتفرُّد المخطوطة، وضبط النصِّ لغويًّا وعروضيًّا بصورة تضمن سلامته ودقَّته. ثمَّ مدى مطابقة الأوصاف الشعريَّة التي أوردها ابن زكري مع الأوصاف التاريخيَّة الموثَّقة للإمام المهديِّ، وكيفيَّة تعبير الشاعر عن الرابطة الروحيَّة بين طرابلس والمركز السنوسيِّ.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفيِّ التحليليِّ لدراسة المضامين الفكريَّة والجماليَّة للنصِّ، واستنطاق الأبعاد التاريخيَّة والتربويَّة الكامنة في القصيدة.

ولتحقيق الأهداف المرجوَّة، جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث؛ خُصِّص المبحث الأوَّل منها للممدوح والشاعر والسياق، وتضمَّن المبحث الثاني: تحقيق النصِّ، بينما قدَّم المبحث الثالث قراءة تحليليَّة وجماليَّة للنصِّ، وتضمَّنت الخاتمة أهمَّ نتائج الدراسة.

المبحث الأوَّل: الممدوح والشاعر والسياق

يتناول هذا المبحث تأصيل النصِّ من خلال التعريف بالشخصيَّة المحوريَّة الممدوحة (المهديُّ السنوسيُّ)، والشاعر (مصطفى بن زكري الطرابلسيُّ)، وتحديد علاقتهما، وسياق نشأة القصيدة.

المطلب الأوَّل: الممدوح (المهديُّ السنوسيُّ)[1]

هو السيِّد: محمَّدٌ المهديُّ بن السيِّد محمَّد بن عليٍّ السنوسيِّ الخطَّابيِّ الحسنيِّ الإدريسيِّ (1260 – 1320هـ / 1844 – 1902م)، يتَّصل نسبه بسيِّدنا الحسن السبط.

وُلد المهديُّ في الجبل الأخضر بليبيا، بكهف قرب الزاوية البيضاء، يوم الاثنين، الأوَّل من ذي القَعدة 1260هـ/11 نوفمبر 1844م.

حظي بتربية علميَّة مكثَّفة في البيضاء ثمَّ الحجاز، ثمَّ في الجغبوب، حيث أتمَّ حفظ القرآن الكريم، وتلقَّى مبادئ العلوم، على كبار علماء الإخوان السنوسيِّين. ثمَّ خلف والده بعد وفاته في 9 صفر 1276هـ/8 أغسطس 1859م، حيث اضطلع بعبء استكمال مسيرته الدعويَّة والإصلاحيَّة.

وفي مدَّة خلافته (1859 – 1902م) بلغت الطريقة السنوسيَّة ذروتها، واتَّسعت شبكة زواياها في مناطق شاسعة شملت برقة وطرابلس وفزَّان، وكذلك مصر والحجاز والسودان وتشاد والنيجر ونيجيريا. ما أدَّى إلى قلق القوى الأوربِّيَّة؛ إذ كان الإمام المهدي –كما يقول شكيب أرسلان– هو «المزاحم الأكبر لجمعيَّات المبشِّرين الأوروبِّيَّة المنبثقة في قارَّة أفريقيا»[2].

بقي المهديُّ في الجغبوب يدير شؤون الطريقة لمدة (36) عامًا، ثمَّ اتَّخذ قراره المفاجئ في شوَّال 1312هـ/إبريل 1895م بنقل المركز إلى الكُفْرة، متَّخذًا من زاوية التاج مقرًّا له، ليسبق بذلك وصول غزاة أوربَّا ومبشِّريها إلى تلك المناطق.

تمتَّع المهديُّ بصفات خَلقيَّة تحمل دلالات الأوصاف النبويَّة، ومن أبرز ما جاء في وصفه:

- **وصف السيِّد أحمد الشريف:** «مُدوَّر الوجه، واسع الجبين، أزهر اللون إلى البياض أقرب، كثُّ اللحية، على خدِّه الأيمن خالٌ، رَبْعة إلى الطول أقرب، عريض الكتفين والمَنكِبين، واسع الثغر، مُفلَّج الثنايا، أقنى الأنف، أقرن الحاجبين، أدعج العينين... خُلُقه نبويٌّ، يملأ عين من رآه هيبة»[3].
- **وصف الرحَّالة التونسيِّ الحشائشيِّ:** «محمَّد المهديُّ المشهور بالبدر؛ لجماله... يغلب عليه السكوت والمودَّة والوقار، رخيم الصوت، دمث الأخلاق، تميل النفوس لرؤيته»[4].
- **وصف صادق مؤيِّد العظم:** «جميل الصورة لدرجة عظيمة جدًّا... ويلقي وجهه المنير الممزوج بالحلاوة والهيبة، الحبَّ في قلوب من أمامه، وهو متواضع فوق الحدِّ، ورقيق الجانب»[5].

إنَّ هذه الأوصاف الموثَّقة تؤكِّد مكانته، وتبرِّر طبيعة المدح في القصيدة.

المطلب الثاني: الشاعر (مصطفى بن زكري الطرابلسيُّ)[6]

هو الشيخ الأديب الشاعر مصطفى بن محمَّد بن إبراهيم بن زكري الطرابلسيُّ (1270 – 1353هـ / 1853 – 1934م)، إحدى الشخصيَّات الأدبيَّة البارزة في مدينة طرابلس أواخر العهد العثمانيِّ الثاني وبدايات الاحتلال الإيطاليِّ.

وُلد ونشأ في طرابلس، وتلقَّى تعليمه الأوَّليَّ في كتاتيبها ومساجدها، ثمَّ انتسب إلى الحِلق العلميَّة في جوامعها الكبرى. تثقَّف ثقافة دينيَّة ولغويَّة عربيَّة رصينة، وأتقن التركيَّة، وتلمذ لمفتي طرابلس في زمانه، الشيخ محمَّد كامل بن مصطفى. يتميَّز برقَّة الأسلوب وصفاء الديباجة، ويُعدُّ من الأدباء الحضريِّين.

كان مدح ابن زكري للمهديِّ السنوسيِّ تعبيرًا عن انتماء فكريٍّ وروحيٍّ؛ فقد أخذ ابن زكري عن شيخه الشيخ محمَّد كامل بن مصطفى، الذي تلقَّى الورد وأجيز بما تضمَّنه كتاب (المنهل الرويُّ الرائق، في أسانيد العلوم

وأصول الطرائق) عن تلاميذ الإمام المؤسِّس المباشرين (أبي القاسم العيساويِّ، وعبد الله السنِّيِّ، ومحمَّد طاهر الغدامسيِّ)، وتتجلَّى هذه النسبة والولاء بوضوح في ختام الهمزيَّة:

خَطَّهُ نَسِيمُ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْ بَى، وَلِلْمُحِبِّ نِسْبَةٌ وَوَلَاءُ
هَذِهِ نِسْبَتِي، وَغَايَةُ مَا أَرْ جُوهُ مِنْكُمْ تَوَجُّهٌ وَدُعَاءُ

ومصطلح «النسبة» يحمل دلالة صوفية؛ فهي تعني الارتباط بالشيخ لغرض التزكية، وهي غاية قصوى يرجو من ورائها «التوجه والدعاء»، ويؤكِّد الشاعر هذه النسبة والولاء في قصيدة أخرى، حيث يعلن أنَّ نسبته إلى الإمام هي غايته وملاذه:

مَا لِي –وَقَدْ فَرَّطْتُ– إِلَّا نِسْبَتِي لَكُمُ، وَأَرْجُو أَنْ أَفُوزَ بِهَا غَدَا

المبحث الثاني: تحقيق النصِّ الشعريِّ

إنَّ أُولى خطوات التعامل العلميِّ مع أيِّ نصٍّ تراثيٍّ هي إثباته على الوجه الأقرب لما أراده صاحبه، وتقديمه للقارئ في صورة واضحة وموثَّقة. وفيما يأتي بيان المنهجيَّة المتَّبعة في التحقيق، ثمَّ عرض النصِّ المحقَّق.

المطلب الأوَّل: وصف النسخة المعتمدة ومنهجيَّة التحقيق

1- وصف النسخة (المخطوطة):

اعتمد التحقيق على نسخة خطِّيَّة وحيدة، أوردها السيِّد أحمد الشريف في المرصد المخصَّص لبيان أحوال ومناقب الأستاذ الأعظم السيِّد محمَّد المهديِّ السنوسيِّ من كتابه الكبير المخطوط (الشموس النورانيَّة العرفانيَّة الإشراقيَّة في بيان أعلام الطريقة السنوسيَّة الإدريسيَّة المحمَّديَّة)، نسخة منه محفوظة بمكتبة الباحث: أحمد محمَّد جاد الله، بمدينة البيضاء. وتتَّصف القصيدة بالآتي:

شغلت القصيدة (3) صفحات من المخطوط (324، 325، 326). في آخر كلِّ صفحة تعقيبة. كُتبت بخط مشرقيٍّ دقيق من نوع الرقعة. غير مضبوطة بالشكل. لم تخلُ من الطمس والسقط والتحريف والتصحيف. عليها تصويبات وتصحيحات من الناسخ أو من مالك المخطوط[7].

2- منهجيَّة التحقيق:

لإخراج هذا النصِّ الشعريِّ في صورة تليق به وتيسِّر قراءته وتحليله، اتَّبعنا المنهجيَّة العلميَّة المتعارف عليها في تحقيق النصوص، والتي تلخَّصت في الخطوات الآتية:

- نسخ النصِّ من نسخته الخطِّيَّة الفريدة، وكتابته وَفق قواعد الإملاء الحديثة، وضبطه ضبطًا إعرابيًّا كاملًا، وتقويم الأخطاء اللغويَّة والعروضيَّة الواضحة والإشارة إليها في الحواشي.
- إضافة بعض المفردات التي يلتئم بها المعنى أو يستقيم بها الوزن بين معكوفين [ ].

- شرح المفردات اللغويَّة الغريبة في حواشٍ سفليَّة، مع الاقتصار على إيراد المعنى السياقيِّ الأدقِّ دون الإحالة التفصيليَّة إلى المعجم في كلِّ مرَّة.
- التعريف بالأعلام والأماكن الواردة في النصِّ تعريفًا موجزًا في الحواشي.

المطلب الثاني: النصُّ المحقَّق

«وقد أنشد الفاضل، الأديب الشاعر، الحاجُّ: مصطفى بن زكري الطرابلسيُّ، قصيدة في أوصافه الكريمة، فقال [من الخفيف]:

1. **آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ حُبُّكُمُو لِلـ رُوحِ قُوتٌ، وَلِلْقُلُوبِ شِفَاءُ**
2. **لَمْ تَزَلْ فِيكُمُ السِّيَادَةُ وَالحُكْـ ـمُ وَالْحِلْمُ وَالتُّقَى وَالْوَفَاءُ[8]**
3. **كُلَّمَا زُفَّ لِلْجِنَانِ إِمَامٌ وَرِثَتْ نُورَ هَدْيِهِ الْأَبْنَاءُ**
4. **كَيْفَ يَخْشَى مُحِبُّكُمْ وَلَهُ بِابْـ ـنِ السَّنُوسِيِّ فِي الْمَعَادِ رَجَاءُ**
5. **الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ أَفْضَلُ مَنْ جَا دَتْ وَسَارَتْ بِسِيرِهِ الْأَنْبِيَاءُ**
6. **بَشَّرَتْنَا [بِهِ] الْأَحَادِيثُ، وَاشْتَا قَتْ إِلَيْهِ الْعُصُورُ وَالْأَنْحَاءُ**
7. **وَأَشَارَتْ إِلَى شَمَائِلِهِ غُرْ رُ الْمَعَالِي، وَقَرَّتِ الْعَلْيَاءُ[9]**
8. **نَسَبٌ يَنْتَهِي إِلَى الْحَسَنِ السِّبْـ ـطِ، وَهَدْيٌ نُوَّارُهُ الْقُدَمَاءُ[10]**
9. **رَبْعَةٌ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، عَلَى أَيْـ ـمَنِ خَدِّهِ شَامَةٌ شَمَّاءُ[11]**
10. **أَزْهَرُ اللَّوْنِ، مُسْتَدِيرٌ مُحَيَّا هُ؛ فَلِلْبَدْرِ مِنْ سَنَاهُ حَيَاءُ[12]**
11. **أَفْلَجُ الثَّغْرِ، وَاسِعُ الْفَمِ، شَثْنُ الْـ ـكَفِّ، مَا بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ جِفَاءُ[13]**

12. أَشْـــعَرُ الْحَـــاجِبَيْنِ، أَهْـــدَبُ، ذُو طَـــرْ ... فٍ كَحِيـــلٍ لَـــمْ تُمْلِـــهِ النَّجْلَـــاءُ[14]

13. يُوسُـــفِيُّ الْجَمَـــالِ، أَجْلَـــى أَشَـــمُّ ... أَخْمَـــصٌ؛ فِيـــهِ لِلْخَلَـــاءِ اجْتِلَـــاءُ[15]

14. حَسَـــنُ الْهَـــدْيِ فِـــي تَوَاضُـــعِهِ لِلْـــ ... ـلَـــهِ، سَـــيِّدٌ تَهَابُـــهُ الْعُظَمَـــاءُ

15. لَـــا يَهَـــابُ الْمُلُـــوكَ فِـــي جَانِـــبِ اللَّـــ ... ـــهِ، وَتَحْظَـــى بِقُرْبِـــهِ الضُّـــعَفَاءُ

16. عَابِـــدٌ زَاهِـــدٌ، تَقِـــيٌّ وَفِـــيٌّ ... حَيْـــثُ قَـــلَّ التُّقَـــى وَعَـــزَّ الْوَفَـــاءُ

17. خَاشِـــعٌ خَاضِـــعٌ، رَؤُوفٌ رَحِـــيمٌ ... مِـــنْ سَـــجَايَاهُ الْحِلْـــمُ وَالْإِغْضَـــاءُ[16]

18. حَـــافِظٌ وَاعِـــظٌ، حَـــرِيصٌ عَلَـــى الْأُمْـــ ... ـــمَـــةِ لَمَّـــا دَهَـــتْهُمُ الْـــأَهْوَاءُ

19. حَسَـــنُ السَّـــمْتِ وَالسَّـــكِينَةِ، يَعْلُـــو ... هُ وَقَـــارٌ وَهَيْبَـــةٌ وَحَيَـــاءُ

20. كَفُّـــهُ كَـــوْثَرٌ وَوَابِـــلُ إِحْسَـــا ... نٍ، وَوَيْـــلٌ عَلَـــى الْعِـــدَا وَوَبَـــاءُ[17]

21. سَلْسَـــبِيلٌ يَنْهَـــلُّ غَيْـــثُ غَوَادِيـــ ... ـــهِ، وَتَخْشَـــى أَكُفَّـــهُ الْهَيْجَـــاءُ[18]

22. وَهْـــوَ كَـــالْبَحْرِ؛ مِنْـــهُ يُسْـــتَخْرَجُ الـــدُّرْ ... رُ، وَلِلظَّـــالِمِينَ فِيـــهِ فَنَـــاءُ

23. جَـــاءَ فِـــي آخِـــرِ الزَّمَـــانِ وَلِلْكُفْـــ ... ـــرِ ظُهُـــورٌ، وَلِلْغَبَـــاءِ اعْتِـــدَاءُ

24. وَدَعَـــا بَعْـــدَ جَـــدِّهِ الْخَلْـــقَ لِلَّـــ ... ـــهِ؛ وَفِـــي الْخَلْـــقِ غَفْلَـــةٌ وَجَفَـــاءُ

25. فَمَحَـــا ظُلْمَـــةَ الضَّـــلَالِ، وَلِلْأَعْـــ ... ـــدَاءِ يَـــوْمٌ تَنْهَـــلُّ فِيـــهِ الـــدِّمَاءُ

26. وَإِذَا كَانَـــــتِ الْهِدَايَـــــةُ وَالْعَـــــوْ ـــــنُ مِـــــنَ اللهِ فَالْعِنَـــــادُ عَنَـــــاءُ

27. لِيُضِـــلَّ الْإِلَـــهُ قَوْمًـــا عَلَـــى عِلْـــ ـــــمٍ، وَيَهْـــدِي لِفَضْـــلِهِ مَـــنْ يَشَـــاءُ

28. يَـــا لَبَـــدْرٍ بِـــأَرْضِ (بَرْقَـــةَ) مَغْنَـــا هُ، وَقَـــدْ عَـــمَّ سِـــرُّهُ وَالسَّـــنَاءُ[19]

29. فَهْـــوَ كَالشَّـــمْسِ؛ لَـــيْسَ يَحْجُبُـــهُ الْبُعْـــ ـــــدُ، وَكَالصُّـــبْحِ؛ لَـــيْسَ فِيـــهِ مِـــرَاءُ

30. مَلَـــأَ الْـــأَرْضَ ذِكْـــرُهُ، فَلَـــهُ فِـــي كُـــلِّ قَلْـــبٍ جَلَالَـــةٌ وَاجْتِلَـــاءُ[20]

31. رَحْمَـــةٌ عَمَّـــتِ الْوُجُـــودَ؛ فَلِلَّـــ ـــــهِ عَلَـــى النَّـــاسِ شُـــكْرُهَا وَالثَّنَـــاءُ

32. قَـــامَ بِالْـــأَمْرِ؛ فَالْإِقَامَـــةُ وَالظَّعْـــ ـــــنُ وَطَـــيُّ الْفَلَـــا لَدَيْـــهِ سَـــوَاءُ[21]

33. وَدَعَـــاهُ إِلَـــى مُفَارَقَـــةِ (الْجَغْـــ ـــبُـــوبِ) أَمْـــرٌ لَـــمْ تَـــدْرِهِ الْأَغْبِيَـــاءُ[22]

34. إِنَّ لِلَّـــهِ فِيـــهِ سِـــرًّا، وَقَـــدْ حَنْـــ ـــنَـــتْ لِمَكْنُـــونِ سِـــرِّهِ الْأَرْجَـــاءُ

35. أَشْـــرَقَ الْغَـــرْبُ عَنْـــهُ، وَاشْـــتَاقَهُ الشَّـــرْ قُ، وَحَـــنَّ (الْحَطِـــيمُ) وَ(الْبَطْحَـــاءُ)[23]

36. فَاسْـــتَهَلَّتْ يَـــوْمَ الْقُـــدُومِ بِـــهِ (الْكُفْـــ ـــــرَةُ)، وَاسْتَبْشَـــرَتْ بِـــهِ الصَّـــحْرَاءُ[24]

37. وَكَـــأَيِّنْ مِـــنْ قَرْيَـــةٍ وَبِلَـــادٍ قَـــدْ طَـــوَى الْجَهْـــلُ ذِكْرَهَـــا وَالْجَلَـــاءُ

38. غَبَطَتْهَـــا مَشَـــارِقُ الْـــأَرْضِ مُـــذْ شَـــرْ رَفَهَـــا مِـــنْ سِـــرِّ اللِّقَـــاءِ سَـــنَاءُ

39. وَبَـــدَتْ فِيـــهِ لِلنَّبِـــيِّ إِشَـــارَا تٌ، فَمَـــا ذَا تَقُولُـــهُ الشُّـــعَرَاءُ[25]

40. غَيْـــرَ أَنِّـــي صَـــرِيعُ شَـــوْقٍ إِذَا مَـــا هَـــزَّهُ الْوَجْـــدُ شَـــاقَهُ الْإِنْشَـــاءُ

41. خَطَّـــهُ نَسِـــيمُ الْمَـــوَدَّةِ فِـــي الْقُـــرْ بَـــى، وَلِلْمُحِـــبِّ نِسْـــبَةٌ وَوَلَـــاءُ[26]

42. هَـــذِهِ نِسْـــبَتِي، وَغَايَـــةُ مَـــا أَرْ جُـــوهُ مُـــنْكُمْ تَوَجُّـــهٌ وَدُعَـــاءُ

المبحث الثالث: القراءة التحليليَّة والجماليَّة للنصِّ

المطلب الأوَّل: تجلِّيات الأوصاف النبويَّة في صورة الممدوح

إنَّ المتأمل في همزيَّة ابن زكري يدرك منذ الوهلة الأولى أنَّ الشاعر لم يكن يرسم صورة ظاهريَّة عابرة للممدوح، بل كان ينزع نحو استحضار الأنموذج الأسمى في الوجدان الإسلاميِّ، وهو صورة النبيِّ ﷺ بصفته الأصل الذي تتفرَّع عنه كمالات السلالة الطاهرة. وقد اتَّكأ الشاعر في ذلك على المشاكلة بين الأوصاف الخَلْقيَّة للسيِّد المهديِّ، وما روي في كتب الشمائل والسير من الأوصاف النبويَّة.

استهلَّ الشاعر وصفه ببيان القَدِّ والسيماء العامَّة، فقال:

رَبْعَةٌ، وَاسِعُ الْجَبِينِ، عَلَى أَيْـ ـمَنِ خَدِّهِ شَامَةٌ شَمَّاءُ

فوصف الممدوح بأنَّه (رَبْعة) –وهي صفة تدل على الاعتدال في القامة– استدعاء مباشر لما ورد في وصف النبيِّ ﷺ بأنَّه: «لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ»[27]. وسَعة الجبين –التي تعني وضوح الجبهة وانبساطها وإشراقها– هي أيضًا من أوصافه ﷺ قال الإمام عليٌّ: «كان أجلى الجبين»[28]. ثم ينتقل الشاعر لوصف اللون والإشراق:

أَزْهَرُ اللَّوْنِ، مُسْتَدِيرٌ مُحَيَّا هُ؛ فَلِلْبَدْرِ مِنْ سَنَاهُ حَيَاءُ

وهنا يوظِّف الشاعر لفظة (أزهر) – وهو الأبيض المستنير– وهي اللفظة ذاتها التي وصف بها أنس بن مالك النبيَّ ﷺ بقوله: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ»[29]. ويتعمق الشاعر في تفاصيل الثغر واليدين، فيقول:

أَفْلَجُ الثَّغْرِ، وَاسِعُ الْفَمِ، شَثْنُ الْـ ـكَفِّ، مَا بَـيْنَ مَنْكِبَيْـهِ جَفَـاءُ

في هذا البيت، يجمع الشاعر بين أربع صفات نبويَّة شهيرة: **(الفَلَج)** –وهو انفراج ما بين الثنايا بجمال لا نُكر فيه– وقد وُصف النبيُّ ﷺ بأنه «أفلج الثنايا»[30]. و**(سَعة الفـم)**؛ وهي صفة من ممدوحات الرجال الدالَّة على فصاحة النطق وقوَّة الخطابة والبيان، وهي استلهام مباشر لما ورد في صفته ﷺ بأنه كان «**ضَـلِيعَ الْفَمِ**»[31]. و**(شَثَنُ الكفِّ)** وهي صفة تدلُّ على البأس والقوَّة، وقد ورد في الشمائل: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ»[32]. و**(الجفاء بين المنكبين)** –ويريد به التباعد والاتِّساع، وهو تعبير عن عِظَم المُشاش

وضخامة الهيكل- هو استحضار مباشر لما ورد في الصحيحين من وصفه ﷺ بأنَّه كان «بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ»[33].

ويستمرُّ الشاعر في استقصاء ملامح الوجه، مركِّزًا على جمال العينين والحاجبين، فيقول:

أَشْعَرُ الْحَاجِبَيْنِ، أَهْدَبُ، ذُو طَرْ ف كَحِيلٍ لَمْ تُمْلِهِ النَّجْلَاءُ

في هذا البيت، يورد الشاعر ثلاث صفات نبويَّة ثابتة في كتب الشمائل: (الزَّجَج) التي أشار إليها بقوله: **(أَشْعَرُ الْحَاجِبَيْنِ)** بمعنى طول الحاجبين ووفور شعرهما، وقد وُصف ﷺ بأنَّه كان «أَزَجَّ الْحَاجِبَيْنِ»[34]. وأشار إلى صفة طول أشفار العينين بقوله: **(أَهْدَب)**؛ فعن الإمام عليٍّ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْدَبَ الأَشْفَارِ»[35]. وصفة **(الطَّرْف الكحيل)**؛ وهو الأكحل خلقة دون تكلُّف، فعن جابر بن سمرة قال: «كُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ»[36]. وختم الشاعر البيت ببراعة حين قال: **(لَمْ تُمْلِهِ النَّجْلَاءُ)**؛ وهي مشاكلة لطيفة بين خطِّ الكحل والإملاء، ليؤكِّد أنَّ هذا الجمال موروث قدسيٌّ لا يُنال بالصنعة.

ويرتقي ابن زكري بالوصف ليصل به إلى ذروة التشبيه الجماليِّ:

يُوسُفِيُّ الْجَمَالِ، أَجْلَى أَشَمٌّ أَخْمَصٌ؛ فِيهِ لِلْخَلَاءِ اجْتِلَاءُ

إنَّ وصف الجمال بـ (اليوسفيِّ) هو إشارة إلى الكمال البشريِّ في الصورة، لكنَّه يربط هذا الجمال بصفة (الخمص) ويوجِّهها وجهة روحيَّة بقوله «فيه للخلاء اجتلاء»؛ إشارة إلى خمص البطن من الجوع، فكأنَّ جمال المهديِّ الظاهر ما هو إلَّا انعكاس لصفاء باطنه وخلوِّه من حظوظ النفس.

ويمكننا القول إنَّ ابن زكري -من خلال هذا الحشد من الأوصاف (أفلج، أزهر، ربعة، شثن، أخمص) - نجح في تقديم صورة الوليِّ المرشد الذي تجتمع فيه طهارة النسب مع قداسة الوصف، محقِّقًا بذلك غرضين هما المدح الخالص، وتسويغ انتسابه إلى هذا السيِّد الشريف.

وبذلك، لا يقف ابن زكري عند حدود المحاكاة الوصفيَّة، بل يصهر هذه الأوصاف في بوتقة واحدة ليقدِّم صورة الوراث المحمَّديِّ؛ والجمع بين صفات الجلال والجمال؛ مثل (شثن الكف) الدالَّة على القوَّة والمهابة، و(أزهر اللون) الدالَّة على الرقَّة والضياء، يعكس طبيعة المنهج السنوسيِّ الذي يجمع بين (الجهاد) و(الإصلاح الروحيِّ).

المطلب الثاني: الفضاء المكانيُّ ودلالات الهجرة السنوسيَّة

واكب الشاعر التحوُّل التاريخيَّ الكبير في مسيرة المهديِّ السنوسيِّ، المتمثِّل في الهجرة من الجغبوب إلى الكُفرة، مصوِّرًا إيَّاها حدثًا عميقًا يتجاوز التفسيرات المادِّيَّة السطحيَّة. فقد كانت الجغبوب تمثِّل العاصمة العلميَّة

والروحيَّة للطريقة السنوسيَّة، بيد أنَّ الشاعر يلمِّح إلى أنَّ انتقال الإمام عنها لم يكن تخلِّيًا ولا فرارًا، بل كان استجابة لتقدير ربَّانيٍّ وإلهام لا يدركه إلَّا أولو البصيرة، وفي ذلك يقول:

وَدَعَاهُ إِلَى مُفَارَقَةِ (الْجَغْـ ـبُوبِ) أَمْرٌ لَمْ تَدْرِهِ الْأَغْبِيَاءُ
إِنَّ لِلَّهِ فِيهِ سِرًّا، وَقَدْ حَنْـ ـنَـتْ لِمَكْنُونِ سِرِّهِ الْأَرْجَاءُ

يشير الشاعر هنا بلفظة «الأغبياء» إلى أولئك الذين قصرت مداركهم عن فقه مآلات الأمور، فاستنكروا ترك المركز المستقِرِّ في الجغبوب والتوغُّل في قفار الكُفرة. والتحليل التاريخيُّ يثبت بُعد نظر الإمام؛ فقد كان يهدف إلى تأمين عمق استراتيجيٍّ للدعوة بعيدًا عن ضغوط القوى الاستعماريَّة[37]. وابن زكري بصياغته هذه يمنح هذا الانتقال صبغة الهجرة الفاتحة، مستلهمًا الأنموذج النبويَّ في الانتقال من ضيق المحاصرة إلى سَعة الفتح.

ثم ينتقل الشاعر لوصف واحة الكُفرة لحظة قدوم الممدوح، في صورة بيانية تمنح الجماد روحًا وشعورًا:

فَاسْتَهَلَّتْ يَوْمَ الْقُدُومِ بِـهِ (الْكُفْـ ـرَةُ)، وَاسْتَبْشَرَتْ بِهِ الصَّـحْرَاءُ

وهنا يجعل الشاعر من المكان كائنًا مبتهجًا بحلول المهديِّ فيه؛ فاستهلال الكفرة واستبشار الصحراء صور تعكس بركة الممدوح التي حوَّلت الأرض الموات إلى مزار تهفو إليه النفوس. ويربط الشاعر بين هذا القدوم والفتح العلميِّ؛ فكم من بلاد طوى الجهل ذكرها، فأضحت بفضل المركز السنوسيِّ الجديد محطَّ غبطة المشارق والمغارب:

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ وَبِلَادٍ قَدْ طَوَى الْجَهْلُ ذِكْرَهَا وَالْجَلَاءُ
غَبَطَتْهَا مَشَارِقُ الْأَرْضِ مُذْ شَرْ رَفَهَا مِنْ سِرِّ اللِّقَاءِ سَنَاءُ

ولم يحصر الشاعر بركة الممدوح في بقعة جغرافيَّة واحدة، بل جعلها قطبًا تنجذب إليه المراكز الروحيَّة الكبرى في العالم الإسلاميِّ، فربط بين (الكُفرة) وبين (الحطيم والبطحاء) في مكَّة المكرَّمة برابطة الشوق والوحدة الروحيَّة:

أَشْرَقَ الْغَرْبُ عَنْهُ، وَاشْتَاقَهُ الشَّرْ قُ، وَحَنَّ (الْحَطِيمُ) وَ(الْبَطْحَاءُ)

ويختم الشاعر ببيان تمكُّن الإمام من تطويع المكان وتذليل مشاقِّه، وهي صفة موروثة عن جدِّه ﷺ في قطع الفيافي لنشر الدين:

قَامَ بِالْأَمْرِ؛ فَالْإِقَامَةُ وَالظَّعْـ ـنُ وَطَيُّ الْفَلَا لَدَيْهِ سَوَاءُ

فالمهديُّ الذي قضى حياته مرتحلًا بين الزوايا (من البيضاء إلى أبي قُبيس إلى الجغبوب ثمَّ الكفرة فقرو) لم يكن المكان لديه عائقًا، بل صار طي الفلا ديدنه، فاستوت عنده الإقامة والظعن في سبيل إعلاء كلمة الله وتحصين حدود بلاد المسلمين[38].

المطلب الثالث: الخصائص الفنِّيَّة واللغويَّة في الهمزيَّة

تتجلَّى براعة ابن زكري في هذا النصِّ من خلال قدرته على المزج بين فخامة القصيدة التقليديَّة، وعمق التجربة الروحيَّة السنوسيَّة، محقِّقًا توازنًا دقيقًا بين جزالة اللفظ وعمق المعنى. ويمكن رصد أهمِّ ملامح هذه الخصائص في النقاط الآتية:

أوَّلًا: وحدة البناء وتدرُّج المقاصد

نختتم التحليل الجماليَّ بالوقوف على بناء القصيدة؛ حيث اعتمد ابن زكري تدرُّجًا ينتقل منالعامِّ إلى الخاصِّ؛ فقد استهلَّ نصَّه بالأصل الكلِّيِّ وهم آل البيت ومكانتهم في الوجدان، ثمَّ ضيَّق الدائرة لتستقرَّ عند الفرع الوارث والمقصود بالمدح وهو الإمام المهديُّ السنوسيُّ، لينتهي في الختام بالثمرة المرجوَّة وهي الذات الشاعرة وعلاقتها بالممدوح. ويعكس هذا التدرُّج المنهجيُّ –الذي يربط بين الأصل والفرع والثمرة– بناءً محكمًا يهدف إلى إثبات الولاء والنسب الروحيِّ، بحيث يغدو الشاعر في نهاية القصيدة جزءًا من المنظومة النورانيَّة التي بدأ بذكرها في المطلع، محقِّقًا بذلك وحدة موضوعيَّة تربط أوَّل النصِّ بآخره.

ثانيًا: البناء الموسيقيُّ والتركيب الوصفيُّ

اختار الشاعر لقصيدته بحر الخفيف وقاعدته العروضيَّة: (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن)، وهو بحر يجمع بين الرشاقة والوقار، ما يجعله وعاءً مناسبًا لغرضي المدح والوصف. أمَّا رويُّ القصيدة فهو الهمزة المضمومة المشبعة بالمدِّ، وهو خيار فنِّيٌّ ذو جلال صوتيٍّ؛ فصوت الهمزة المضمومة بعد الألف يوحي بالانتهاء والامتلاء، وكأنَّ الشاعر يغلق كلَّ بيت بصيحة إعجاب أو إقرار بعظمة الممدوح (وفاءُ، علياءُ، حياءُ). وهذا النوع من القوافي يتطلَّب نَفَسًا طويلًا وقدرة على تطويع اللغة، وهو ما برع فيه الشاعر[39].

ويُلحظ في بنية النصِّ الاعتماد المكثَّف على أسلوب التَّعداد بالصفات المشتقَّة؛ حيث حشد الشاعر سلسلة من أسماء الفاعلين وصيغ المبالغة في تتابع وصفيٍّ محكم (عابد، زاهد، تقيٌّ، وفيٌّ، خاشع، خاضع، رؤوف، رحيم، حافظ، واعظ، حريص)، وهذا الأسلوب ليس رصًّا للمترادفات أو حشوًا لغويًّا، بل هو بناء تراكميٌّ مقصود؛ يهدف من خلاله الشاعر إلى تقديم صورة الإمام الجامع الذي استوفى شروط الهداية والكمال الإنسانيِّ بصفات ثابتة ومستقرَّة (دلَّ عليها اسم الفاعل) ومبالغ في تحقُّقها (دلَّت عليها صيغ المبالغة)[40]، وبذلك تتحوَّل القصيدة من مديح عاطفيٍّ إلى تقرير وصفيٍّ لولاية الممدوح واستحقاقه لوراثة المقام المحمَّديِّ.

ثالثًا: المعجم الشعريُّ والتناصُّ

يتوزَّع معجم القصيدة بين حقلين دلاليَّين متكاملين: حقل الروحانيَّة واللطف، ويظهر في كلمات مثل: (قوت، شفاء، نسيم المودَّة، سليل، سلسبيل، أريج)، وهذا المعجم يصوِّر الجانب الإحسانيَّ في شخصيَّة الممدوح. وحقل القوَّة والسيادة، ويظهر في كلمات مثل: (شثن الكفِّ، الهيجاء، فناء، تنهلُّ الدماء، طيُّ الفلا). إنَّ براعة ابن زكري تكمن في الجمع بين الأضداد؛ حيث يصوِّر الممدوح غيثًا للمحبِّين ووباء على الأعداء، وهو توظيف لأسلوب المقابلة الذي يرسِّخ صورة الوليِّ الكامل القادر على الجمع بين صفتي الجمال والجلال.

ولا يقف معجم ابن زكري عند حدود اللغة الشعريَّة المجرَّدة، بل يتجاوزها إلى ظاهرة التناصِّ مع القاموس القرآنيِّ؛ فقد استعار الشاعر الألفاظ القرآنيَّة ليصبغها على ممدوحه تأكيدًا لمقام الوراثة المحمَّديَّة؛ فاستخدم مفردات مثل: (قوت، وشفاء، وهدى) ليجعل من مودَّة الممدوح علاجًا للقلوب، مقتفيًا أثر الوصف القرآنيِّ للوحي في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: 44]، كما ارتقى بالوصف حين استعار أسماء من النعيم الأخرويِّ كـ(الكوثر، والسلسبيل) ليصوِّر فيض كرم الممدوح وعذوبة أخلاقه. وتظهر براعة ابن زكري جليَّة في قوله: «رَحْمَةٌ عَمَّتِ الْوُجُودَ» حيث استلهم ظلال الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] ليؤكِّد أنَّ المهديَّ –باعتباره وارثًا نبويًّا– قد حاز نصيبًا من تلك الرحمة العامة نفعًا وإرشادًا.

رابعًا: الصورة البيانيَّة

يهيمن التشبيه على القصيدة لغرض التوضيح والتقرير؛ مثل قوله: «**فَهْوَ كَالشَّمْسِ**» و«**وَهْوَ كَالْبَحْرِ**». لكنَّ الشاعر يرتقي إلى الاستعارة المكنيَّة حين يقول: «**خَطَّهُ نَسِيمُ الْمَـوَدَّة**»، حيث جعل المودَّة نسيمًا يكتب، وفي ذلك تشخيص للعواطف الوجدانيَّة. كما أنَّ قوله «**لَمْ تُمْلِهِ النَّجْلَاءُ**» يعدُّ من باب المشاكلة البديعة التي تربط بين الكحل والكتابة، وهي التفاتة فنِّيَّة تدلُّ على تمكُّن ابن زكري من فنون البلاغة.

خامسًا: المعارضة الشعريَّة والتأثير

إذا كان ابن زكري قد أفرغ همزيَّته في قالب سنِّيٍّ صوفيٍّ يَمْتَحُ من معين الشمائل والآثار، فإنَّ بناءها الإيقاعيَّ والمعجميَّ يكشف في الوقت نفسه عن صلة بيِّنة بالتراث الهمزيِّ في المديح النبويِّ، وعلى رأسه همزيَّة البوصِيريِّ التي مطلعها:

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ(41)

فاختيار بحر الخفيف، والالتزام بقافية الهمزة المضمومة، واستدعاء الشمائل الخَلقيَّة والخُلقيَّة، كلُّها عناصر تضع نصَّ ابن زكري في سياق المعارضة الإحيائيَّة للقصيدة البوصِيريَّة؛ غير أنَّه حوَّل مركز الثناء من الذات النبويَّة إلى الامتداد السنوسيِّ الذي يراه وارثًا للنور المحمَّديِّ، فصار الممدوح مشبَّهًا به من حيث الشبه الشمائليُّ والروحيُّ.

ثمَّ ما لبثت هذه الهمزيَّة أن تحوَّلت بدورها إلى نصٍّ مُؤثِّرٍ استدعى المعارضة الصريحة من قِبَل أمير البيان شكيب أرسلان، الذي صرَّح بأنَّه عارضها من البحر والقافية، مستهلًّا قصيدته بقوله:

هَلْ تُرَى يَنْتَهِي عَلَيْهِ الثَّنَاءُ سَيِّدٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ السَّنَاءُ(42)

فجاءت معارضته محافِظة على بحر الخفيف وقافية الهمزة، ومكثِّفة البناء الإيقاعيَّ ذاته، مع توسيع الدائرة الدلاليَّة لتشمل البعد النهضويَّ والجهاديَّ للطريقة السنوسيَّة. وعلى هذا، يمكن النظر إلى همزيَّة ابن زكري بوصفها حلْقة وُسطى في سلسلة تناصِّيَّة ممتدَّة، تبدأ بالأنموذج الأعلى عند البوصِيريِّ، ثمَّ تُعاد صياغته في السياق السنوسيِّ الليبيِّ، قبل أن تتجدَّد في خطاب إصلاحيٍّ عربيٍّ عند أرسلان؛ وهو ما يمنح القصيدة قيمة أدبيَّة تتجاوز ظرفها التاريخيَّ إلى فضاء التأثير والتداول في أدب النهضة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول بالتحقيق والدراسة (همزيَّة مصطفى بن زكري في أوصاف الإمام المهديِّ السنوسيِّ)، خلُصت الدراسة إلى جملة من النتائج العلميَّة والموضوعيَّة، أبرزها:

- أنَّ هذه الهمزيَّة تمثِّل حلْقة مفقودة في ديوان الشاعر المطبوع، وتفرُّد المخطوط بحفظها يجعل منها وثيقة أدبيَّة وتاريخيَّة نادرة، تؤكِّد صلة أدباء الحواضر بمركز السنوسيَّة في أعماق الصحراء.
- كشف التحليل الجماليُّ أنَّ الشاعر اعتمد المشاكلة بين أوصاف الممدوح والشمائل النبويَّة المأثورة؛ ما نقل النصَّ من إطار المديح الفرديِّ العابر إلى إطار المديح المقاميِّ الذي يرسخ الشرعيَّة الروحيَّة والوراثة المحمَّدية للممدوح.
- أظهرت الدراسة أن المكان في القصيدة (الجغبوب، الكُفرة، برقة) كان فضاءً رمزيًّا يعكس حركة الإصلاح والتحصُّن الاستراتيجيِّ ضدَّ التغلغل الاستعماريِّ، حيث صوَّر الشاعر ارتحال الإمام بوصفه سرًّا إلهيًّا وضرورة شرعيَّة.
- أثبتت الدراسة براعة الشاعر في تطويع لغة جزلة للتعبير عن تجرِبة وجدانيَّة صوفيَّة، مع قدرة جليَّة على توظيف الصفات المشتقَّة والمحسنات البديعية دون تكلُّف، ما جعل النصَّ أنموذجًا رفيعًا لمدائح الأعلام في الأدب الليبيِّ الحديث.
- كشفت القصيدة عن عمق الولاء الروحيِّ الذي كانت تكنُّه النخبة المثقَّفة في طرابلس للمرجعيَّة السنوسيَّة، ما يعزِّز فكرة وحدة النسيج الاجتماعيِّ والفكريِّ للقطر الليبيِّ في تلك الحقبة التاريخية الحرجة.
- بيَّنت الدراسة أنَّ الهمزية لم تتشكَّل في فراغ فنِّيٍّ، بل انتظمت ضمن تقليد الهمزيَّة (سلسلة التناصِّ الهمزيِّ) في المديح الروحيِّ؛ إذ أفادت من أنموذج البوصِيريِّ في بنائها الموسيقيِّ واستدعاء الشمائل، وفي الوقت نفسه، دلّت معارضة شكيب أرسلان لها، على ما بلغته من ذيوع وتأثير تجاوز البيئة المحلِّيَّة إلى الفضاء العربيِّ.

الملاحق

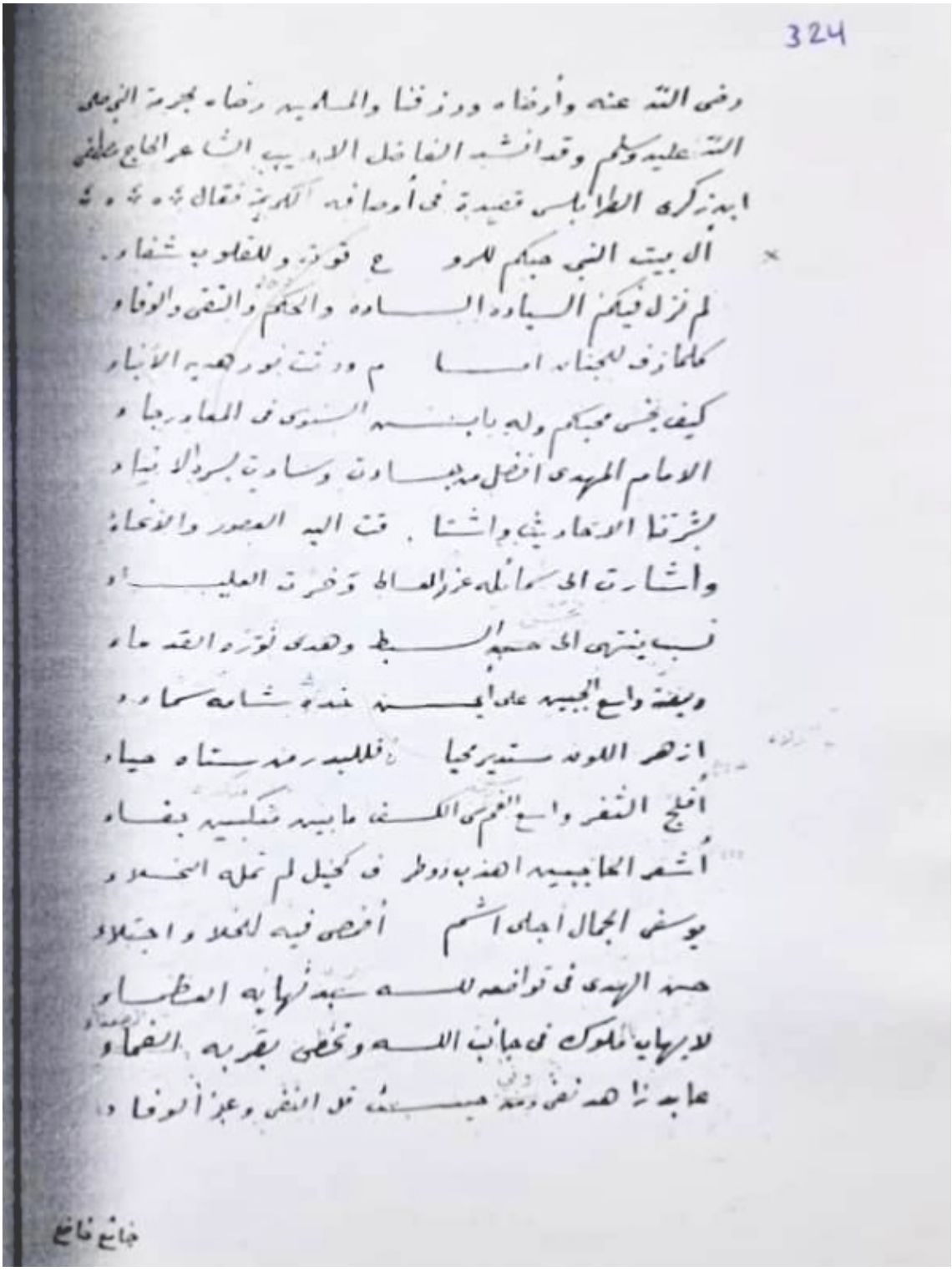

324

رضي الله عنه وأرضاه ورزقنا والمسلمين رضاه بحرمة النبي صلى
الله عليه وسلم وقد أنشد الفاضل الأديب الشاعر الحاج مصطفى
ابن زكري الطرابلسي قصيدة في أوصافه الكريمة فقال

آل بيت النبي حبكم للروح قوة وللقلوب شفاء
لم تزل فيكم السيادة السادة والحكم والتقى والوفاء
كلما زف للجنان إمام ورثت نور هديه الأنباء
كيف يخشى محبكم وله بابن السنوسي في المعاد رجاء
الإمام المهدي أفضل من جادت وسادت بسره الأنباء
بشرتنا الأحاديث واشتاقت إليه العصور والأنحاء
وأشارت إلى سمائله عز المعالي وفخرت العلياء
نسب ينتهي إلى حسن السبط وهدى نوره القدماء
وبيضة واسع الجبين على أيمن خده شامة سماء
أزهر اللون مستدير محيا فللبدر من سناه حياء
أفلج الثغر واسع الفم سي الكسف ما بين منكبين جفاء
أشعر الحاجبين أهدب ذو طرف كحيل لم تمله النجلاء
يوسفي الجمال أجلى أشم أقمص فيه للخلاء اجتلاء
حسن الهدى في تواضعه لله سيد نهايه العظماء
لا يهاب ملوك في جانب الله وتحظى بقربه الفقراء
عابد زاهد نقي ومن حيث قل النقي وعز الوفاء

جامع خاضع

صورة الصفحة الأولى من القصيدة المخطوطة

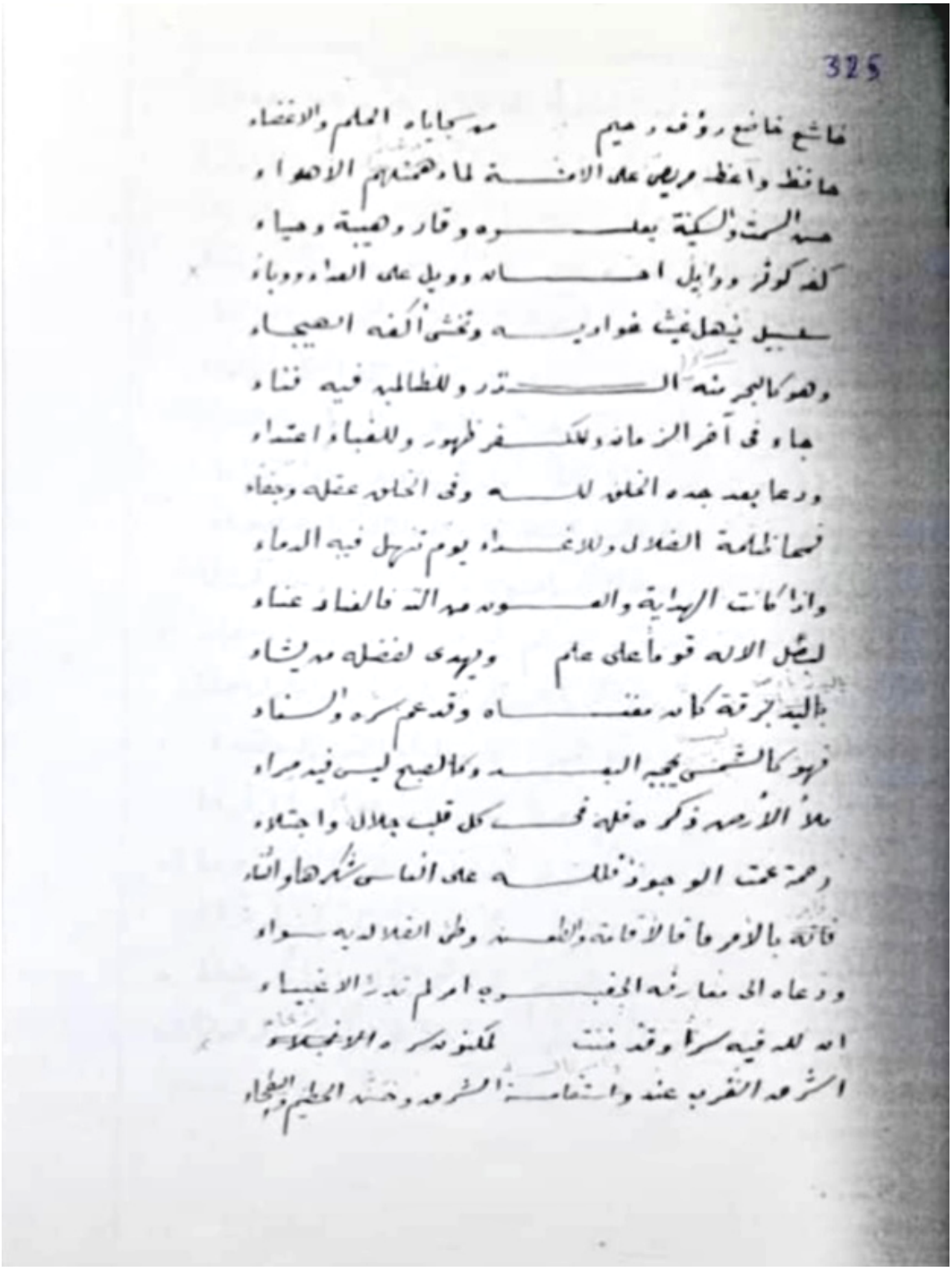

325

خاشع خاضع رؤف رحيم من سجاياه الحلم والاغضاء
حافظ واعظ مريض على الامة لما دهمتهم الاهواء
حسن السمت والسكينة يعلوه وقار وهيبة وحياء
كفه كوثر ووابل احسان وويل على العداء ووباء
سلسبيل ينهل غيث غواديه وتخشى اكفه الهيجاء
وهو كالبحر منه الدر وللظالمين فيه فناء
جاء في آخر الزمان وللكفر ظهور وللغباء اعتداء
ودعا بعد جده الخلق لله وفي الخلق عقله وجفاء
فمحا ظلمة الضلال وللاعداء يوم تنهل فيه الدماء
واذا كانت الهداية والعون من الله فالعناد عناء
لبطل الاله قوما على علم ويهدي لفضله من يشاء
باليد برقة كان مغناه وقد عم سره والسناء
فهو كالشمس يحجبه البعد وكالصبح ليس فيه مراء
ملأ الارض ذكره فله في كل قلب جلال واجتلاء
رحمة عمت الوجود فلله على الناس شكرها والثناء
فاته بالامر ما فالاقامة والطعن وطن الضلال به سواء
ودعاه الى معارفه الجغبوب امر لم تدر الاغبياء
ان لله فيه سرا وقد خنت لمكنون سره الانجلاء
اشرق الغرب عنده واستقامت الشرق وخشن الحطيم والبطحاء

صورة الصفحة الثانية من القصيدة المخطوطة

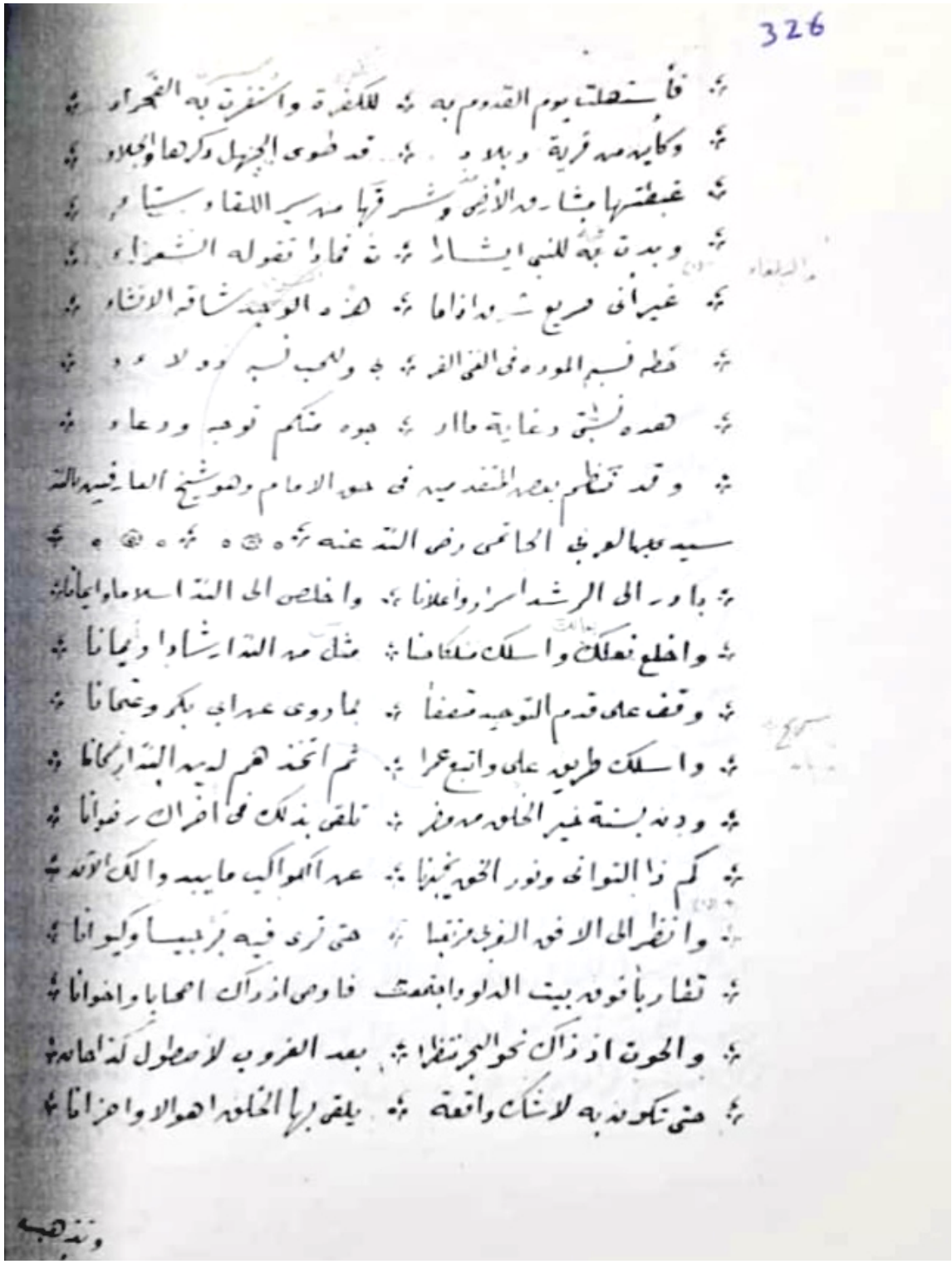

صورة الصفحة الثالثة من القصيدة المخطوطة

الحواشي:

[1] يُنظر: السنوسيُّ، محمَّد المهديُّ. المولد الشريف النبويُّ: 23–31.

[2] أرسلان، شكيب. حاضر العالم الإسلامي: 162/1، ويُنظر: الحبوش، يوسف عبد الهادي: عُمر المختار الحقيقة المغيَّبة: 41.

[3] السنوسيُّ، أحمد الشريف. الشموس النورانيَّة العرفانيَّة الإشراقيَّة في بيان أعلام الطريقة السنوسيَّة الإدريسيَّة المحمَّديَّة (مخطوط).

[4] الرحلة الصحراويَّة، نقلًا عن: الحبوش، عُمر المختار الحثيثة المغيَّبة: 47.

[5] العظم، صادق مؤيَّد. رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا: 112 – 114.

[6] يُنظر: جبران، محمَّد مسعود. مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه وتحقيق ديوانه: 27 وما بعدها؛ وابن مصطفى، محمَّد كامل. الكنَّاشة (مخطوط): 57، 62؛ وابن زكري، مصطفى، ديوانه: 135– 137.

[7] يُنظر: صور المخطوط في الملاحق.

[8] في المخطوط: «السيادة السادة»، بزيادة «السادة».

[9] «الغُرُّ»: جمع أغرّ، وهو الأبيض، ويُطلق على صفوة الأشياء أو خيارها وأفضلها؛ أي: أشارت أفضل وأشرف المكارم والفضائل إلى شمائله. «قَرَّت»: بمعنى أقرَّت: وافقت؛ أي أنَّ المعالي أشارت والعلياء أقرَّت.

[10] في المخطوط: «حسن». وفيه: «وهدى نوره». «وَهَدْيٌ»؛ أي: طريقة ومسلك. «نُوَّارُهُ» أي: مناره المضيء ومصدر استمداده هم «الْقُدَمَاءُ» من السلف الصالح، حيث عادت السنوسيَّة بالتصوُّف إلى منابعه الصافية وأصوله النقيَّة.

[11] «رَبْعَةٌ» صفة للشخص، تدلُّ على أنَّه متوسِّط القامة، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المفرط. «شَامَةٌ»: علامة أو نقطة سوداء. «شَمَّاء»: مرتفعة أو ذات شرف.

[12] «أَزْهَرُ اللَّوْنِ»: لونه أبيض مشرب بحمرة، أو مُضيء ومشرق. «سَنَاهُ»: ضوؤه ولمعانه.

[13] «أَفْلَجُ الثَّغْرِ»: الثغر: الأسنان؛ أي: أنَّ بين ثناياه فُرَج. «شَثْنُ الْكَفِّ»: غليظه، إشارة إلى القوَّة والشدَّة. «جَفَاءُ»: بُعد وسَعة.

[14] في المخطوط: «أهذب»، تصحيف. والأهدب: طويل أهداب العينين. «النَّجْلاء»: الحسناء واسعة العينين. والمعنى: أنَّ طرف الممدوح أكحل، لا تملك مثله النجلاء، ولأنَّ الاكتحال خطٌّ بالأساس جاء بلفظة الإملاء للمشاكلة.

[15] «أَجْلَى»: واسع الجبين. «أَشَمٌّ»: مرتفع الأنف أو مستويه (صفة الأنف الأقنى). «أَخْمَصٌ فِيهِ لِلْخَلَاءِاجْتِلَاءُ»: الخَمَص: خلاء البطن وضموره؛ يريد: فيه لخلاء البطن وضموره وضوح.

[16] في المخطوط: «رؤف»، وهي لغة في «رؤوف» قرئ بها في السبع، ولكن ينكسر بها الوزن. «سَجَايَاهُ»: جمع سجيَّة؛ أي: طبائعه وصفاته الفطريَّة.

[17] في المخطوط: «العداء»، ولا يستقيم به الوزن. «وَابِلُ»: مطر غزير.

[18] «سَلْسَبِيلٌ»: الشراب السهل المرور في الحلق؛ لعذوبته. «غَوَادِيهِ»: جمع غادية، وهي السحابة التي تمطر في الصباح. «الْهَيْجَاءُ»: الحرب والقتال.

[19] في المخطوط: «برقة كان»، بزيادة «كان» ولا يستقيم به الوزن. «مَغْنَاهُ»: موضع إقامته ومنزله. وبرقة: إقليم عريق شمل قديمًا المنطقة بين الإسكندريَّة وإفريقيَّة، وعُرف بمدنه الخمس (بنتابلس). وفي العصر الحديث يمتدُّ من السلُّوم شرقًا إلى الوادي الأحمر غربًا. نال استقلاله عام 1949م (الدولة العربية الثامنة)، ثمَّ توحَّد مع طرابلس وفزَّان عام 1951م في المملكة الليبيَّة المتَّحدة بقيادة الملك إدريس السنوسيِّ. يُنظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: 388/1؛ والأشهب، محمَّد الطيِّب، برقة العربية أمس واليوم: 21 وما بعدها.

[20] «اجْتِلَاءُ»: الكشف والظهور.

[21] «طَيُّ الْفَلَا»: قطع المسافات الطويلة في الصحراء (في إشارة إلى أسفاره الطويلة بين برقة والحجاز والجغبوب والكُفرة وتشاد).

[22] «الجغبوب»: واحة تقع جنوب شرق طبرق (285 كم). كشفت نقوشها القديمة عن استيطان قبائل (التحنو، والتمحو، والليبو، والمشوش) لها، وكانت محطَّة دينيَّة وتجاريَّة هامَّة في العصور الإغريقيَّة والرومانيَّة. أصابها الخراب وهجرها سكَّانها بعد تغيُّر مسارات القوافل، حتَّى اختارها الإمام محمَّد بن عليٍّ السنوسيُّ مقرًّا له عام 1856م؛ فحوَّلها بزاويته الكبرى إلى منارة علم وهداية، ومعهد لتخريج كبار الدعاة والعلماء، وأحيا مواتها باستنباط العيون وغرس الجنان، وظلَّت تؤدِّي رسالتها الحضاريَّة حتَّى طالتها يدُ العبث عام 1984م. يُنظر: شلُّوف، عبد السلام، معجم المواقع والوقائع الليبيَّة: 246–250، وشكري، محمَّد فؤاد، السنوسيَّة دين ودولة: 36، 37.

[23] «الْحَطِيمُ»: بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة. «وَالْبَطْحَاءُ»: مكَّة المكرَّمة.

[24] «الكُفرة»: واحة كبرى جنوب شرق ليبيا، تُعدُّ من أمنع المعاقل الصحراويَّة. استوطنتها قديمًا قبائل (التَّبُو)، ثمَّ دخلت طورًا حضاريًّا حين اتَّخذها الإمام محمَّد المهديُّ السنوسيّ مقرًّا له عام 1895م، فأنشأ فيها (زاوية التاج) لتكون عاصمة روحيَّة وعمقًا استراتيجيًّا. ظلَّت الكُفرة قلعة للمقاومة وعصب إمداد للمجاهدين حتَّى سقوطها بيد الطليان عام 1931م بعد قصف جويٍّ عنيف، وتلتها المأساة المعروفة بـ (هجرة الكُفرة) التي نزح فيها السكَّان عبر الصحراء نحو دول الجوار. يُنظر: الدجاني، أحمد صدقي، الحركة السنوسيَّة نشأتها ونموُّها في القرن التاسع عشر: 145؛ وبعيُّو، مصطفى، المختار في تاريخ ليبيا: 156؛ والتلِّيسي، خليفة، معجم معارك الجهاد: 412.

[25] في المخطوط: «إيشارات»، والصواب ما أثبتناه.

[26] في المخطوط: «في القي القربي»، بزيادة «القي»، ولا يستقيم بها الوزن.

[27] ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير (السفر الثاني): 2/ 142. ويُنظر: الترمذيُّ، محمَّد بن عيسى، الشمائل المحمَّديَّة: 38.

[28] الترمذيُّ، الشمائل المحمَّديَّة: 41.

[29] البخاريُّ، محمَّد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيَّامه، رقم (3547). ومسلم، أبو الحسين ابن الحجَّاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، رقم (2330).

[30] الترمذيُّ، الشمائل المحمَّديَّة: 42.

[31] مسلم، المسند الصحيح المختصر، رقم (2339).

[32] الترمذيُّ، الجامع الكبير، رقم (3635). ويُنظر: الترمذيُّ، الشمائل المحمَّديَّة: 38.

[33] البخاريُّ، الجامع المسند الصحيح المختصر، رقم (3551). ومسلم، المسند الصحيح المختصر، (2337).

[34] الترمذيُّ، الشمائل المحمَّديَّة: 41.

[35] الترمذيُّ، الجامع الكبير، رقم (3637). ويُنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: 1/ 212.

[36] الترمذيُّ، الجامع الكبير، رقم (3645).

[37] أرسلان، شكيب، حاضر العالم الإسلاميِّ: 1/ 163.

[38] الدجاني، أحمد صدقي، الحركة السنوسيَّة: 112. (ويُنظر تفصيل رحلات الإمام ومراكز دعوته: الكتاب نفسه).

[39] يُنظر: المجذوب، عبد الله الطيب، المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها: 1/ 342.

[40] حول الفرق الدلاليِّ بين الثبوت والحدوث في المشتقَّات، يُنظر: السامرَّائيّ، فاضل، معاني النحو: 3/ 120 وما بعدها.

[41] البوصيري، شرف الدين، ديوان البوصيري: 45.

[42] أرسلان، شكيب، ديوان الأمير شكيب أرسلان: 184.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: المصادر المخطوطة

1. السنوسيُّ، أحمد الشريف. الشموس النورانيَّة العرفانيَّة الإشراقيَّة في بيان أعلام الطريقة السنوسيَّة الإدريسيَّة المحمَّديَّة. مصوَّرة بمكتبة أحمد محمَّد جاد الله، البيضاء، ليبيا.
2. ابن مصطفى، محمَّد كامل. الكنَّاشة. مخطوط، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، رقم الحفظ: 2175.

ثالثًا: المصادر والمراجع المطبوعة

3. أرسلان، شكيب. حاضر العالم الإسلاميِّ. ط2، القاهرة: مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ، 1352هـ/1933م.
4. أرسلان، شكيب. ديوان الأمير شكيب أرسلان. بيروت: دار الكتب العلميَّة، د. ت.
5. الأشهب، محمَّد الطيب. برقة العربية أمس واليوم. القاهرة: مطبعة الهوَّاري، 1936م.

6. البخاري، محمَّد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيَّامه. ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.

7. بعيُّو، مصطفى عبد الله. المختار في تاريخ ليبيا. ط1، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1971م.

8. البوصيري، شرف الدين. ديوان البوصيريِّ. تحقيق: محمَّد سيِّد كيلاني، ط1، القاهرة: مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، 1955م.

9. البيهقيُّ، أحمد بن الحسين. دلائل النبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ط1، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1988م.

10. الترمذيُّ، محمَّد بن عيسى. الجامع الكبير. ط1، بيروت: دار الغرب الإسلاميِّ، 1996م.

11. الترمذيُّ، محمَّد بن عيسى. الشمائل المحمَّديَّة. تحقيق: محمَّد عفيف الزعبيِّ، ط1، بيروت: مؤسَّسة الرسالة، 1420هـ/1999م.

12. التلِّيسيُّ، خليفة محمَّد. معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911–1931. ط1، طرابلس: الدار العربيَّة للكتاب، 1972م.

13. جبران، محمَّد مسعود. مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه وتحقيق ديوانه. ط2، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيِّين، 2007م.

14. الحبوش، يوسف عبد الهادي. عُمر المختار الحقيقة المغيَّبة. ط1، القاهرة: مكتبة وهبة، 2017م.

15. الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، (د.ت).

16. ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير. التاريخ الكبير (السفر الثاني). تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، ط1، القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة، 1424هـ.

17. الدجاني، أحمد صدقي. الحركة السنوسيَّة: نشأتها ونموُّها في القرن التاسع عشر. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1967م.

18. ابن زكري، مصطفى. ديوان ابن زكري. تحقيق: علي مصطفى المصراتي، ط1، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1966م.

19. السامرَّائي، فاضل صالح. معاني النحو. ط2، عمان: دار الفكر، 2000م.

20. السنوسيُّ، محمَّد المهديّ. المولد الشريف النبوي. تحقيق: أحمد محمَّد جاد الله، ط1، الجغبوب: جمعيَّة الإمام محمَّد بن عليّ السنوسيّ للثقافة والتراث، 2022م.

21. السنوسيُّ، محمَّد بن عليٍّ. المنهل الرويُّ الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق. ط1، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1424هـ.

22. شكري، محمَّد فؤاد. السنوسية دين ودولة. القاهرة: دار الفكر العربي، 1948م.

23. شلُّوف، عبد السلام محمَّد. معجم المواقع والوقائع الليبيَّة. بنغازي: دار ومكتبة الفضيل للنشر، 2007م.

24. العظم، صادق مؤيَّد. رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا. القاهرة: مطبعة هنديَّة، 1900م.

25. المجذوب، عبد الله الطيِّب. المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها. ط2، الكويت: دار الآثار الإسلاميَّة، 1989م.

26. مسلم، أبو الحسين ابن الحجَّاج. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربيِّ، 1955م.

27. ابن منظور، محمَّد بن مكرم. لسان العرب. ط1، بيروت: دار صادر، 1997م

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 367-384, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/ndvkan63

Research Article

Open Access

مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة القانون

محبوبة خليفة صالح[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم علم النفس، كلّيّة الآداب والعلوم المرج، جامعة بنغازي، ليبيا.

المستخلص: تهدف الدراسة الى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون جامعة بنغازي فرع المرج، وكذلك التعرف عن كل بعد من ابعاد العوامل الخمسة لليقظة العقلية (الوصف، الملاحظة، التصرف في اللحظة الراهنة، عدم الحكم على الخبرات الداخلية، عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية)، واستخدم مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية (FFMQ) من اعداد (baer,et al,2006)، وطبقت الأداة على عينة قوامها (100) من طلاب السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون، واظهرت نتائج الدراسة، أن مستوى اليقظة العقلية جاء في الحدود المتوسطة، وتميّز الطلبة بارتفاع واضح في بعد الملاحظة، مقابل انخفاض في البعدين الانفعاليين المتعلقين بعدم الحكم على الخبرات الداخلية وعدم التفاعل معها، بينما جاءت أبعاد الوصف والتصرف بوعي في مستوى متوسط .

الكلمات المفتاحية: مستوى اليقظة العقلية، طلبة القانون، بعد الملاحظة، بعد الوصف، بعد التصرف بوعي.

[1]***Corresponding author:**
Mahboba K. Saleh
drmkot@yahoo.com
Department of psychology,
Faculty of Arts and sciences
Almarj, University of Benghazi,
Libya.

Received:
30-01-2026

Accepted:
15-03-2026

Publish online:
30-04-2026

Level of mental alertness among law students

Abstract: This study aims to identify the level of mindfulness among third and fourth-year law students at the University of Benghazi, Al-Marj branch, and to identify each of the five dimensions of mindfulness (description, observation, acting in the moment, not judging internal experiences, and not reacting to internal experiences). The Five Factors Mindfulness Scale (FFMQ) developed by (baer, et al, 2006) was used, and the instrument was applied to a sample of (100) third and fourth-year law students. The results of the study showed that the level of mindfulness was within the average range, and the students were distinguished by a clear high level in the observation dimension, compared to a low level in the two affective dimensions related to not judging internal experiences and not reacting to them, while the dimensions of description and acting consciously were at an average level.

Keywords: Level of mental alertness, law students, dimension of observation, dimension of description, dimension of conscious action.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium , provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة:

تشهد التخصصات المهنية ذات الطابع الإنساني، والمسؤولية المجتمعية، اهتماماً متزايداً، فقد تحول دور الجامعات، من جوانب تقليدية للتعلم والتعليم، إلى بناء كفاءات مهنية، وتنظيمية، من خلال تقديم انشطة تؤثر بشكل مباشر، على اداء الخريجين في بيئة العمل، بتقديم مهارات وكفاءات مهنية قابلة للتطبيق العملي، وتنمية مهارات معرفية وانفعالية، فهم سيتعرضون الى ضغوطات وظيفية، تتطلب تأديتها جهداً كبيراً ومستمراً، مما يؤدي الى اعباء معرفية (الانتباه، واتخاذ القرار)، واعباء انفعالية (اداره المشاعر)، وهذه المتطلبات اساسية في هذه المهن، واذا كانت هذه التخصصات تتطلب تنظيماً معرفياً، وانفعالياً مستمراً؛ فإن ذلك ينعكس على الإعداد الجامعي(Shaukat,2021; Saberviola,2025; Bakker,Demerouti,2007)

حيثُ يبرز التنظيم المعرفي كعملية تنموية حاسمة، يتوقع قدرة الطلبة على مراقبة سلوكهم، وعواطفهم، وافكارهم والتحكم بها اثناء عمليه التعلم، وهو العامل الهام، والحاسم في نجاحهم الاكاديمي، واستعدادهم لمواجهة التحديات المستقبلية، ومع ذلك لا تظهر مهارات التنظيم المعرفي بمعزل عن التنظيم الانفعالي، فالطالب يتأثر بالعوامل الداخلية، والخارجية، مثل نضج الطالب والبيئة التعليمية، والتفاعل الاجتماعي، وقدرته على ادارة مشاعره تؤثر بشكل مباشر، على فعالية التنظيم المعرفي، ويعتبر التفاعل بين التنظيم المعرفي، والتنظيم الانفعالي جانبا مهما في النجاح الاكاديمي، والمهني (Atanasova, et al,2025 ;Fayda& Kinik,2024)

تشير دراسة(Zimmerman&Schunk,2008) ان إدارة الانفعالات، تسهل التنظيم المعرفي؛ اذ يميل الطلاب القادرون على التحكم في انفعالاتهم، وتنظيمها، الى اظهار مثابرة اكبر، في انجاز المهام، ويظهر تأثير ادارة الانفعالات على القدرة على التركيز، والانتباه وعلى الفهم والحفاظ على ضبط النفس ، وتمكن الطلبة من التعامل مع الاحباطات والتحديات بطريقه اكثر تكيفاً، كما بينت دراسة (Shareefa,et al,2025) ان الكفاءة الذاتية للطلاب تتأثر ايجابياً بكل من التنظيم الذاتي واليقظة الذهنية.

وتبرز أهمية إدارة التنظيم الانفعالي، في العمل القانوني، لاسيما في التعامل مع العملاء الانفعاليين، والزملاء الاندفاعيين، أو النكسات في بعض القضايا، وأهمية ضبط النفس كعنصر أساسي في عملية اتخاذ القرار، في ظل ظروف مرهقة أو عدائية، والقدرة على التفاعل بإيجابية عالية، مع الضغط النفسي، والاجتماعي، والمهني، التي تتطلب وعي معرفي، وتنظيم انفعالي عالي؛ حيثُ يتطلب منه ان يكون دائماً واعياً ومنتبهاً، ولا يصدر احكام ذاتية، والتصرف بوعي في اللحظة الراهنة، ولديه القدرة على اتخاذ القرارات، وهذه المتطلبات هي في سياق مفهوم اليقظة العقلية(Austin& Durr,2016).

اليقظة العقلية Mindfulness تشمل عنصرين: التنظيم الذاتي للانتباه، وتبني توجه معين تجاه تجارب الفرد، يشير التنظيم الذاتي للانتباه الى الملاحظة غير المفصلة، والوعي بالأحاسيس، والأفكار، والمشاعر لحظة بلحظة، ويتطلب ذلك القدرة على تثبيت الانتباه، على ما يحدث، والقدرة على تحويل الانتباه عمداً، من تجربة الى أخرى، اما التوجه نحو التجربة، فيتعلق بنوع الموقف الذي يتخذه الفرد، تجاه تجربتهً، وتحديدا تجربة الفضول والانفتاح والقبول، ويقصد بالقبول هنا (القدرة على عيش الاحداث دون الانشغال المفرط بها او كبتها)(Bishop,et al,2004)

كما عرف براون وريان(Brown& Ryan, 2003) اليقظة العقلية، باعتبارها الميل العام الى الانتباه، والوعي بالتجارب اليومية، التي تحدث في اللحظة الراهنة، وتقبلها ، وعدم اصدار احكام بحقها.

يعد نموذج العوامل الخمسة لليقظة العقلية الذي قدمه باير واخرون(Baer, et al,2006)من اكثر النماذج التي تم اعتمادها في الدراسات النفسية، والتربوية، والأكثر استخداماً، وتفسيراً لليقظة العقلية، وهي تضم خمسة ابعاد هي: الملاحظة، الوصف، التصرف بوعي في اللحظة الراهنة، عدم الحكم على الخبرات الداخلية، وعدم التفاعل معها.

اليقظة العقلية اصبحت عاملاً هاماً، في مؤسسات التعليم العالي، اذ يمكن ان يوفر دمجها في البيئة التعليمية فوائد عديدة منها: تعزيز تنظيم المشاعر، والحد من التوتر والقلق، وتنمية ضبط النفس، والمرونة لدى الطلبة واعضاءهيئة التدريس، حيثُ بينت دراسة فايض وكينيك(Fayda&Kinik, 2024) ان اليقظة العقلية، تخفف بشكل غير مباشر، من الارهاق الدراسي، من خلال الكفاءة الذاتية، والتنظيم العاطفي، مما يوفر رؤى قائمه على الأدلة لتدخلات اليقظة العقلية الموجهة في التعليم العالي.

حيثُ بينت الدراسات التجريبية ان تقنيات اليقظة العقلية، ساهمت في الحد من التوتر، والمساعدة في تنظيم المشاعر، وتخفيف القلق، وتحسين الوظائف الإدراكية، كما اثبتت برامج اليقظة العقلية نجاحها، في مساعدة الطلاب على التعامل مع التعلم الذاتي، وبناء المرونة من خلال الوعي الذاتي، وزيادة تفاعلهم مع محتوى المقرر الدراسي، كمابينت أن اليقظة العقلية، خفضت من التوتر، وارتفاع مستوى الوعي الذاتي، وتحسن الادراك المعرفي(Brown& Ryan, 2003; Amishi, et al,2007; Zenner,et al,2014).

يعتمد الممارسون القانونيون عملهم على انجاز المهام المتسلسلة، والتركيز حاضراً في اللحظة الآنية، ويحافظ على تدفق العمل، فاليقظة العقلية تجعل الممارس القانوني ينشط الوعي الذاتي، الذي يتطلب الانتباه للحظة الراهنة، مع القبول دون اصدار الاحكام، كما تسمح له اليقظة العقلية، بالتحكم في انتباهه وتوجيهه، فاليقظة

العقلية بها أربع فوائد متميزة، تحسن من ممارسة القانون بشكل كبير: تنظيم الانتباه، الوعي الجسدي، تنظيم العواطف، وكلها كفاءات حيوية، لممارسة قانونية مستدامة، ومتوازنة، ويكونون اكثر وعياً بتحيزاتهم، وقوالبهم النمطية، ويحسنوا من طريقة تفكيرهم، ويقدرون التحديات في بيئة العمل(Austin& Durr,2016; Salmons,2025).

اشارت العديد من الدراسات الى الاثار الإيجابية لليقظة العقلية لدى المهنيين، وكان تركيزها منصباً على الفئات الصحية كدراسة (Moreno, et al,2025)، أو المتخصصين في الصحة النفسية والمرشدين النفسيين(Su&Luo,2024)، أو الممرضين (Yapeng, et al,2024)، أو موظفين (عبدالرحمن، 2020)، وبالنظر للدراسات السابقة، لايزال هناك نقص في الدراسات التي تبحث عن مستوى اليقظة العقلية لدى فئة مهمة مثل طلبة القانون، الذين يعتمد أدائهم المهني، على عوامل مهمة كالتنظيم المعرفي، والانفعالي ،المتمثل في : توجيه الانتباه، والتعامل مع الخبرات الذهنية ، والانفعالية، واتخاذ قرارات صائبة بوعي دون اندفاع، وتمثل هذه العوامل جوهر الابعاد الخمسة لليقظة العقلية، ومن هنا تبرز الحاجة إلى دراسة مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة كلية القانون، في ظل محدودية الدراسات، لهذه الفئة تحديداً، لما لها من أهمية بالغة، فهم عنصر مهم ومؤثر بشكل كبير على استقرار المجتمع وتكوينه، وامتلاكهم لآليات اليقظة العقلية، تساعدهم على العمل بكفاءة، وبالتالي النجاح في العمل .

تتمثل مشكلة الدراسة في تسليط الضوء على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون، وتم اختيار هاتين المرحلتين الدراسيتين ، لان الطلبة في هذه المرحلة اكثر نضجاً اكاديمياً، ممايجعلهم اكثر وعياً بذواتهم، واستعدادهم للتفاعل مع المقياس، كما أنهم في مرحلة الاستعداد للتخرج والانخراط في سوق العمل، وبناء على ماسبق ، تتحدد مشكلة الدراسة، في التساؤل التالي:

- ما مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون جامعة بنغازي فرع المرج ؟ وماهو مستوى كل بعد من ابعاد العوامل الخمسة لليقظة العقلية (الوصف، الملاحظة، التصرف في اللحظة الراهنة، عدم الحكم على الخبرات الداخلية،عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية)؟

أهمية الدراسة

يمثل هذا البحث بما يحتويه من أدبيات ودراسات اسهاماً نظرياً يمكن أن يستفيد منه الباحثين، كما تبرز اهمية اليقظة العقلية في التعلم ورفع مستويات التحصيل حيث أشارت العديد من الدراسات إلى اليقظة العقلية باعتبارها أحدى المكونات الرئيسية للعديد من العمليات العقلية كالتذكر والإدراك والتفكير والتعلم وبدون هذه العملية يجد الفرد صعوبة في التذكر.

وتوفير معلومات وإطار نظري يستفاد منه في إقامة برامج إرشادية لتنمية اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة .

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على:

– التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون جامعة بنغازي فرع المرج.

– التعرف على مستوى كل بعد من ابعاد العوامل الخمسة لليقظة العقلية (الوصف، الملاحظة، التصرف في اللحظة الراهنة، عدم الحكم على الخبرات الداخلية،عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية).

مصطلحات الدراسة:

اليقظة العقلية Mindfulness: يعرفها بيير واخرون (Bear,et al,2006) بأنها الحالة التي يكون الفرد فيها قادرا على التركيز في الحاضر والبيئة المحيطة به والنشاطات التي يقوم بها في اللحظة الحالية.

حدود الدراسة:

1. الحدود الموضوعية: تتناول هذه الدراسة متغير اليقظة العقلية.
2. الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة على عينة من طلبة كلية القانون.
3. الحدود المكانية: كلية القانون جامعة بنغازي/ المرج.
4. الحدود الزمانية: العام الجامعي 2025/2026.

التصور النظري لليقظة العقلية وفق النموذج البنائي متعدد الابعاد العوامل الخمسة

قدم باير وزملائه (Baer, et al,2006) نموذجاً بنائياً متعدد، وعرض تعريف اليقظة العقلية كتركيب نفسي، يتضمن خمسة ابعاد يمكن قياسها، وهذا التصور البنائي لليقظة العقلية مستند الى التصور المعرفي الانتباهي لليقظة العقلية كما طُرح عند (Bishop,we al,2004).

وصف بيشوب وزملائه(Bishop,we al,2004) اليقظة العقلية، بأنها نوع من عدم الخوض في التفاصيل، وعدم اصدار الاحكام، والوعي المتمركز حول الحاضر، حيث يتم الاعتراف بكل فكرة، أو شعور، أو احساس ينشأ في مجال الانتباه، وقبوله كما هو، في حالة اليقظة العقلية نلاحظ الأفكار، والمشاعر كأحداث في العقل دون التماهي المفرد معها، ودون التفاعل معها بنمط تلقائي، او اعتيادي من ردود الفعل، ويعتقد أن هذه الحالة غير العاطفية من المراقبة الذاتية تدخل بين ادراك الفرد، واستجابته، وبالتالي يعتقد أن اليقظة العقلية تمكن الفرد من الاستجابة للإشارات، بشكل اكثر تأملاً بدلاً من الاستجابة الانعكاسية، وقدم بيشوب وزملائه نموذجاً ثنائي المكونات لليقظة العقلية، يتضمن المكون الأول: التنظيم الذاتي للانتباه، يتم الحفاظ على التجربة المباشرة مما يسمح بزياده ادراك الاحداث الفعلية في اللحظة الراهنة، المكون الثاني: يتضمن تبني

توجه معين نحو تجارب الفرد في اللحظة الحالية، وهو توجه يتميز بالفضول، والانفتاح، والقبول، توفر ممارسات اليقظة العقلية، فرصاً لاكتساب نظرة ثاقبة، حول طبيعة الأفكار، والمشاعر؛ باعتبارها احداثاً عابرة في العقل، بدلاً من كونها جوانب متأصلة في الذات، او انعكاسات صحيحة على الواقع، واليقظة العقلية تشبه مهارة يمكن تطويرها بالممارسة، نراها اقرب الى الحالة منها الى السمة لأننا نعتقد ان استثارتها واستمرارها، يعتمدان على تنظيم الانتباه، مع تنمية توجه منفتح نحو التجربة طالما يوجه الانتباه عمداً نحو التجربة بالطريقة الموصوفة ستستمر اليقظة العقلية، وعندما يتوقف تنظيم الانتباه بهذه الطريقة ستتوقف اليقظة العقلية، يمكن تنظيم الانتباه لاستحضار اليقظة العقلية في العديد من المواقف، مما يسمح للطالب بالاستجابة بمهارة للمواقف، التي تثير ردود فعل عاطفية علاوةً على ذلك، اشارت الدراسات ان العلاج النفسي الفعال قد يعزز ايضا القدرة على استحضار اليقظة العقلية، واستخدامها مثل تقنيات الموجات الثالثة في العلاج المعرفي السلوكي، والعلاج الجدلي السلوكي(Bishop,we al,2004) .

وللحاجة إلى نموذج اكثر تفصيلاً، وقابل للقياس الكمي، قدم باير واخرون (2006) نموذجاً بنائياً متعدد الابعاد لليقظة العقلية، بعد التحليل العاملي لعدة مقاييس لليقظة العقلية، للوصول الى بنية متكاملة لهذا المفهوم، وقد اسفر التحليل العامل الى خمسة ابعاد لليقظة العقلية، مما اتاح استخدامه في دراسات نفسية معاصرة، واعتبر اكثر نماذج تفسيراً، ووصفاً لليقظة العقلية(Baer, et al,2006).

وتستند الدراسة الحالية، الى هذه العوامل الخمسة بوصفها الاطار البنائي للدراسة،وهذه العوامل هي:

1 .**الملاحظة:** القدرة على ملاحظة الأفكار، والمشاعر، والأحاسيس الجسدية، والبيئة المحيطة دون محاولة تغييرها أو تقييمها.

2. **الوصف:**القدرة على وضع الكلمات والعبارات المناسبة لوصف هذه التجارب الداخلية والخارجية.

3. **التصرف بوعي:**القدرة على الانخراط في اللحظة الحالية بوعي كامل، مع التركيز على ما يحدث في الحاضر.

4. **عدم الحكم على التجربة الداخلية:**القدرة على ملاحظة الأفكار والمشاعر دون إصدار أحكام عليها، سواء كانت إيجابية أو سلبية.

5. **عدم التفاعل مع التجربة الداخلية:**القدرة على ملاحظة الأفكار والمشاعر دون أن يتم استهلاك الشخص بها أو الانجرار وراءها، والسماح لها بالمرور دون مقاومة .

عرض الدراسات السابقة:

اختارت الباحثة عرض دراسات عربية تناولت اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعات، لتقارب هذه العينات مع عينة الدراسة الحالية، من حيثُ الخصائص الثقافية والأكاديمية، في ظل التشابه الثقافي، والاجتماعي، ممايعد اختياراً منهجياً مقصوداً، ينسجم مع طبيعة عينة الدراسة وسياقها المحلي.

هدفت دراسة (**عبد الله، 2013**) التعرف على مستوى اليقظة الذهنية لدى طلبة الجامعة. و التعرف على الفروق في مستوى اليقظة الذهنية لدى طلبة الجامعة على وفق متغيري (الجنس و التخصص). و تحقيقا لأهداف البحث قامت الباحثة بإعداد مقياس اليقظة الذهنية، اعتمادا على نظرية (ألين لانجر) في اليقظة الذهنية و الأبعاد التي حددها هي : (التمييز اليقظ، الانفتاح على الجديد، التوجه نحو الحاضر، الوعي بوجهات النظر المتعددة)، و تكون المقياس بصورته النهائية من (36) فقرة صالحة لقياس اليقظة الذهنية، و طبق المقياس على عينة البحث البالغ عددها (500) طالب و طالبة، توصلت الباحثة إلى النتائج التالية : إن مستوى اليقظة الذهنية كان مرتفعا لدى طلبة الجامعة، توجد فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لمتغير الجنس (إناث، ذكور) و لصالح الذكور، و لا توجد فروق دالة إحصائيا تبعا لمتغير التخصص (علمي، إنساني)، و يوجد فروق دالة إحصائيا تبعا لتفاعل الجنس و التخصص.

هدفت دراسة (**الحربي،2021**) إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى في ظل جائحة كوفيد-19، والتعرف على الفروق ذات الدلالة الإحصائية في مستوى اليقظة العقلية حسب متغير المرحلة الدراسية، والتخصص، والتحصيل الدراسي. ولتحقيق أهداف البحث تم بناء مقياس لليقظة العقلية مكونًا من (38) عبارة موزعة على خمسة أبعاد، واعتمدت البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وطبقت على عينة عشوائية طبقية بلغ عددهن (217) طالبة. أشارت نتائج البحث إلى أن مستوى اليقظة العقلية كان متوسطًا لدى الطالبات، وكما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المرحلة الدراسية ولصالح طالبات الدبلوم العالي وكما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لتخصص الدراسي ولصالح تخصص الإدارة التربوية والتخطيط، وكذلك وجدت فروق دالة إحصائيا تعزى لمتغير التحصيل الدراسي لصالح طالبات ذوات التحصيل الدراسي المرتفع .

هدفت دراسة (**ابراهيم،2022**) إلى الكشف عن مستوى اليقظة الذهنية لدى عينة مكونة من 84 طالب وطالبة ممن يدرسون في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة؛ حيث تم الاستعانة بمقياس الوعي بالانتباه اليقظ (MAAS)لبراون وريان Brownn & Ryan (2003) ؛ وقد أظهرت النتائج وجود مستوى متوسط من

اليقظة الذهنية لدى طلبة جامعة المسيلة ،وعدم وجود فروق بين الإناث والذكور في مستوى اليقظة الذهنية؛ وقد أظهر أيضا عدم وجود فروق في اليقظة الذهنية تعزى لمتغير المستوى الأكاديمي.

هدفت دراسه **(باهي، 2023)** إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبه جامعه الوادي وتحديد الفروق في ضوء بعض المتغيرات وهي : الجنس ، التخصص الدراسي، المستوى الدراسي، واستخدم المنهج الوصفي الاستكشافي فضلا عن المقارن كمرحله لاحقه مكمله للاستكشافي لملائمته لطبيعة الموضوع ،واستخدم مقياس اليقظة العقلية (Bear et.al ,2006)ترجمه (عبد الرحمن 2016) وقد طبق على عينه قوامها 120 طالب وطالبه بجامعه الشهيد حمه الاخضر بالوادي، وقد اظهرت النتائج على ان مستوى اليقظة العقلية لدى عينة الدراسة مرتفع ولا توجد فروق داله احصائيا في مستوى اليقظة العقلية باختلاف الجنس والتخصص الدراسي والمستوى الدراسي.

كما أجرى **(العمري، 2024)** دراسة هدفت إلى تحقيق مستويات التقدير من اليقظة العقلية لدى طلبة الكليات الإنسانية ووعيها بمستوى الأداء الأكاديمي. تم استخدام مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية (FFMQ)والمكون من (39) فقرة توزعت على خمسة مجالات هي الملاحظة، والوصف والتصرف بوعي، وعدم إصدار الأحكام، وعدم التفاعل مع الخبرات الداخلية ، وذلك لدى عينة مكونة من (469) طالبًا وطالبة من الكليات الإنسانية في الجامعة الأردنية . أوضحت نتائج الدراسة أن مستوى اليقظة العقلية كان متوسطًا على نحو عام وعلى جميع المجالات مع عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تبعا لتغير الجنس، ووجود فروق تعزى لتغير مستوى التحصيل ولصالح ذوي التحصيل المرتفع، كما كشف النتائج أن العلاقة بين اليقظة والتحصيل الأكاديمي كانت متدنية ولم تفسر اليقظة سوى ما مقداره 2% من التحصيل الأكاديمي.

وهدفت دراسة **(Aloman 2025)** إلى تقييم درجة اليقظة العقلية لدى طلاب الجامعات بناءً على جنسهم ومستوى تحصيلهم الأكاديمي. ولتحقيق ذلك، تم استخدام استبيان اليقظة الذهنية ذي الجوانب الخمسة (FFMQ)، والذي يتكون من 39 بندًا مصنفًا إلى خمسة عوامل: الملاحظة، والوصف، والتصرف بوعي، وعدم إصدار الأحكام، وعدم التفاعل ، تم تطبيقه على عينة عنقودية من 489 طالبًا وطالبة من الجامعات الحكومية. وأشارت النتائج إلى مستوى متوسط من اليقظة الذهنية في جميع المجالات الخمسة، مع عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين. وعلاوة على ذلك، كشفت الدراسة أن الطلاب ذوي التحصيل الأكاديمي العالي أظهروا يقظة ذهنية أكبر. ومع ذلك، كانت العلاقة بين اليقظة الذهنية والتحصيل الأكاديمي ضعيفة، حيث تفسر أقل من 1٪ من التباين في الأداء الأكاديمي

مناقشة الدراسات السابقة

من حيث الهدف: يتّضح من خلال استعراض الدراسات السابقة أنّ أغلبها قد اتجه إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة، وهو الهدف الرئيسي الذي سعت إليه العديد من الدراسات، مثل دراسات (عبدالله، 2013)، و(الحربي،2021)، و(ابراهيم، 2022)، و(باهي،2023)، وقد ركزت هذه الدراسات على تحديد درجة امتلاك الأفراد لمستوى اليقظة العقلية، والكشف عن طبيعتها ومظاهرها في البيئة الجامعية.

كما تبيّن أن هذه الدراسات تناولت أهدافاً فرعية أخرى، تمثلت في معرفة الفروق في مستوى اليقظة العقلية وفق متغيري الجنس والتخصص كدراستي (عبدالله،2013)، (باهي،2023)،ودراسة (الحربي،2021) في التعرف على مستوى اليقظة العقلية حسب متغيرات: المرحلة الدراسية ، التخصص، التحصيل الدراسي، بينما دراستي (ابراهيم،2022)، (Aloman,2025)، (العمري، 2024) فكان هدفه إيجاد الفروق في اليقظة العقلية وفق متغيري الجنس والمستوى الاكاديمي ، وبذلك يمكن القول إنّ أهداف الدراسات السابقة تتقاطع مع الهدف الرئيس للدراسة الحالية في سعيها إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة، مع الاختلاف في الأهداف الفرعية وفق طبيعة كل دراسة وعينتها ومتغيراتها.

من حيث المنهج: اظهرت مراجعة الدراسات السابقة أن جميع الباحثين الذين تناولوا موضوع اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة قد استخدموا المنهج الوصفي بوصفه الأنسب لطبيعة هذا المتغير، حيث سعت معظم الدراسات إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى الطلبة، مع التعمق في أهداف فرعية تمثلت في دراسة الفروق بين الأفراد تبعاً لبعض المتغيرات الديموغرافية مثل الجنس، أو التخصص، أو المستوى الدراسي، مستوى الاكاديمي ، كما اتجهت بعض الدراسات الأخرى إلى دراسة العلاقة بين اليقظة العقلية ومتغير الاداء الاكاديمي كما في دراسة (العمري، 2024).

أما في الدراسة الحالية، فقد تم اعتماد المنهج الوصفي المسحي بوصفه الأنسب لطبيعة أهداف البحث، نظرًا لأنه يهدف إلى التعرف على مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون من خلال المسح الشامل لاستجاباتهم، وهو منهج يتيح جمع بيانات دقيقة وواسعة عن الظاهرة المدروسة بما يسهم في تحقيق أهداف الدراسة الحالية

من حيث العينة:يتّضح من خلال مراجعة الدراسات السابقة أنّ عينات الدراسات التي تناولت موضوع اليقظة العقلية قد تنوّعت من حيث الخصائص والحجم وطبيعة المشاركين، إلا أنّ أغلبها اعتمد على عينات من طلبة الجامعة، باعتبارهم الفئة الأكثر ارتباطًا بموضوع البحث، نظرًا لما تمرّ به هذه المرحلة من تحديات معرفية وانفعالية وسلوكية تتطلب درجة عالية من الوعي والانتباه واليقظة العقلية ، وقد تراوحت أحجام

العينات في تلك الدراسات بين عينات صغيرة محدودة العدد كدراسة (ابرهيم، 2022)، وبين عينات كبيرة هدفت إلى تعميم النتائج على شرائح أوسع، كما في دراسة (عبدالله2013)، (العمري،2024)، (Aloman,2025)، كما اختلفت الدراسات في خصائص العينات من حيث الجنس، والتخصص الأكاديمي، والمستوى الدراسي، إذ ركزت بعض الدراسات على الإناث فقط كدراسة (الحربي،2021)، في حين تناولت باقي الدراسات العينات المختلطة.

وبذلك يمكن القول إنّ الدراسات السابقة اتفقت عمومًا في توجهها نحو طلبة الجامعة بوصفهم الفئة الأنسب لدراسة اليقظة العقلية، مع اختلافات جزئية تتعلق بحجم العينة وخصائصها الديموغرافية وطبيعة التخصصات الممثلة فيها .

أما في الدراسة الحالية، فقد اختيرت العينة بطريقة مقصودة لتشمل جميع طلبة السنتين الثالثة والرابعة بكلية القانون، نظرًا لارتباط هذه الفئة بموضوع البحث وملاءمتها لأهدافه، حيث تمثل بيئة دراسية ناضجة يمكن من خلالها التعرف على مستوى اليقظة العقلية في مرحلة متقدمة من التعليم الجامعي.

من حيث الأداة: تنوعت الدراسات السابقة في أدوات الدراسة المستخدمة وذلك لتنوع أهدافها، وباختلاف النظرية التي انطلقت منها كل دراسة ، فقد اعتمدت بعض الدراسات على مقاييس جاهزة ومترجمة كدراسة (ابراهيم،2022)،(باهي،2023)،(العمري،2024) و(Aloman,2025)،الاتي اعتمدت على مقياسي)مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية (FFMQ)لبيير وروث ، ومقياس الوعي بالانتباه اليقظ (MAAS) لبراون وريان (وهما من اكثر الادوات شيوعا في هذا المجال، نظرا لما يتمتعان به من صدق وثبات مرتفعين وتطبيقات متعددة في البيئة الجامعية ، بينما قامت دراسات اخرى ببناء مقاييس خاصة بها تتلاءم مع البيئة الثقافية لعينة البحث كما في دراسة (عبدالله،2013)و (الحربي،2021) اللتان طورتا اداة محلية لقياس مستوى اليقظة العقلية بما يتناسب مع الخصوصية الثقافية والاجتماعية.

ويلاحظ أن معظم الدراسات السابقة اتجهت الى استخدام مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية ، نظراً لشيوعه وسهولة تطبيقه وتفسير نتائجه، وهو مايجعل اداة القياس المستخدمة في تلك الدراسات تتقاطع مع الاداة المعتمدة في الدراسة الحالية ، من حيثُ الهدف والمضمون وطريقة التطبيق .

إجراءات البحث ومنهجيته

أولًا: منهجية البحث: اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي المسحي، وذلك لملاءمته لطبيعة الدراسة التي تهدف إلى الكشف عن مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والسنة الرابعة بكلية القانون بجامعة بنغازي – فرع المرج.

ثانيًا: مجتمع الدراسة: يتكوّن مجتمع الدراسة من طلبة كلية القانون – جامعة بنغازي (فرع المرج) خلال العام الجامعي (2025–2026)، والمنتظمين في الدراسة بنظام الدوام الكامل، والذين وافقوا على المشاركة في الدراسة وبلغ حجم المجتمع (346) كما موضح في الجدول (1)

الجدول (1) طلبة كلية القانون جامعة بنغازي –فرع المرج

السنة الدراسية	العدد
السنة الأول	154
السنة الثانية	86
السنة الثالثة	72
السنة الرابعة	34
المجموع الكلي	346

ثالثًا: عينة الدراسة: تم اختيار جميع طلبة السنة الثالثة والرابعة من مجتمع الدراسة، نظراً لطبيعة الدراسة وتحديدها في فئة محددة (طلبة السنة الثالثة والرابعة) وقد بلغ عدد أفراد العينة (106)[1].

رابعاً: أداة الدراسة: اعتمدت الدراسة على مقياس اليقظة العقلية، الذي يقيس درجة الوعي والانتباه الذهني في اللحظة الراهنة. وقد تم اختيار أداة تتكون من (39 فقرة) موزعة على خمسة أبعاد رئيسية تمثل البناء النظري لليقظة العقلية، وهي:

1. الوصف (Description)
2. الملاحظة (Observing)
3. العمل بوعي (Acting with awareness)
4. عدم الحكم على الخبرات الداخلية (Non–judging)
5. عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية (Non–reactivity)

ويعتمد المقياس على مقياس ليكرت الخماسي، حيث يُطلب من المشاركين تحديد مدى انطباق كل عبارة عليهم من (1 = لا تنطبق إطلاقًا) إلى (5 = تنطبق تمامًا).

[1] -اكتفت الباحثة ب 100 طالب ، بسبب غياب 3 طلاب وامتناع الباقي عن الإجابة على المقياس.

اذا كانت العبارة موجبة الاتجاه والعكس صحيح في حاله العبارات سالبة الاتجاه (5 = لا تنطبق إطلاقًا) إلى (1 = تنطبق تمامًا)، و تشير الدرجة المرتفعة الى ارتفاع درجه اليقظة العقلية او درجة الصفة التي يقيسها البعد الفرعي، ويوضح الجدول (2) ارقام عبارات ابعاد مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية.

الجدول (2) ارقام عبارات ابعاد مقياس العوامل الخمسة لليقظة العقلية

البعد	ارقام العبارات
الملاحظة	36،31،26،20،15،11،6،1
الوصف	37،32،27،22،16،12،7،2
التصرف بوعي	38،34،28،23،18،13،8،5
عدم الحكم على الخبرات الداخلية	39،35،30،25،17،14،10،3
عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية	23،29،24،21،19،9،4

خامساً: الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة

طبق المقياس على عينة استطلاعية قوامها(40) طالباً من كلية الآداب والعلوم المرج، بغرض التحقق من صدق وثبات المقياس قبل تطبيقه على العينة الاساسية.

1. الصدق (Validity):

صدق المحكمين (الصدق الظاهري والمحتوى):

تم عرض المقياس على تسع محكمين من أعضاء هيئة التدريس في تخصصات علم النفس والإرشاد النفسي، وأجمع أغلبهم على مناسبة الفقرات لأبعاد المقياس. وقد أبدى محكمان فقط اعتراضًا على ثلاث فقرات من أصل 39، مما يجعل نسبة اتفاق المحكمين 91% وهي نسبة صدق عالية.

الصدق البنائي (Construct Validity):

سيتم التحقق من الصدق البنائي من خلال تحليل الارتباط بين كل بُعد من أبعاد المقياس والدرجة الكلية باستخدام معامل ارتباط بيرسون، كما موضح في الجدول (3)

الجدول (3) ارتباط كل بعد من ابعاد المقياس بالدرجة الكلية للمقياس

البعد	معامل الارتباط بين البعد والدرجة الكلية للمقياس	الدلالة الاحصائية	التفسير
الوصف	0.363	.011	ارتباط موجب دال احصائياً
الملاحظة	0.512	.000	ارتباط قوي موجب ودال احصائياً
العمل بوعي	0.622	.000	ارتباط قوي موجب ودال احصائياً
عدم التفاعل مع الخبرات السابقة	0.508	.000	ارتباط قوي موجب ودال احصائياً
عدم اصدار الاحكام على الخبرات السابقة	0.422	.003	ارتباط موجب دال احصائياً

يتضح من الجدول (3) أن معاملات الارتباط بين أبعاد المقياس والدرجة الكلية تراوحت بين (0.363) و(0.622)، وجميعها دالة إحصائياً، مما يشير إلى أن الأبعاد الخمسة تسهم بدرجات متفاوتة في البناء الكلي للمقياس. فقد تبين أن أعلى ارتباط كان لبعد الوعي بالخبرات ($r = 0.622, p < 0.01$)، وهو ما يدل على أنه يمثل البعد الأكثر تأثيراً في الدرجة الكلية للمقياس. كما أظهرت الأبعاد الملاحظة ($r = 0.512, p < 0.01$) وعدم التفاعل مع الخبرات السلبية ($r = 0.508, p < 0.01$) ارتباطات قوية موجبة ودالة، مما يعكس أهميتها في تكوين البناء العام للمقياس بينما بعدا عدم إصدار الأحكام ($r = 0.422, p < 0.01$) والمرونة ($r = 0.363, p < 0.05$)، فقد أظهرا ارتباطات موجبة متوسطة ودالة، مما يشير إلى أنهما يسهمان بدرجة معتدلة في تفسير الدرجة الكلية. وتدل هذه النتائج إجمالاً على أن جميع الأبعاد تتجه في علاقة طردية مع الدرجة الكلية، مما يؤكد صدق البنية الداخلية للمقياس واتساق مكوناته.

وتتفق هذه النتائج مع ما أشار إليه Field (2013) وDeVellis (2017) وNunnally & Bernstein (1994) من أن دلالة معاملات الارتباط بين الأبعاد والدرجة الكلية تُعد مؤشراً على الاتساق الداخلي للمقياس وصدق تمثيله للبناء النظري الذي يقيسه. (Field, 2013; DeVellis, 2017; Nunnally & Bernstein, 1994).

2. الثبات (Reliability):

للتحقق من الثبات الداخلي لفقرات المقياس، تم حساب معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha)، حيث بلغت قيمته (0.708)، مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة جيدة من الاتساق الداخلي بين فقراته.

عرض النتائج

ترتكز عرض النتائج على الاجابة عن سؤال الدراسة وهو: ما مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة والرابعة بكلية القانون جامعة بنغازي فرع المرج ؟ وماهو مستوى كل بعد من ابعاد العوامل الخمسة لليقظة العقلية (الوصف، الملاحظة، التصرف في اللحظة الراهنة، عدم الحكم على الخبرات الداخلية،عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية)؟

وللاجابة عن هذا السؤال ، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات افراد العينة على المقياس ككل وابعاده الفرعية، كما هو موضح في الجدول(4)

الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى اليقظة العقلية لدى طلبة كلية القانون وفقاً لكل بعد وللمقياس ككل

الابعاد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	عدد الفقرات	المتوسط المعياري	مستوى اليقظة
الوصف	**27.09**	**5.354**	**8**	**3.61**	**متوسط**
الملاحظة	**28.89**	**5.623**	**8**	**3.39**	**متوسط/مرتفع**
التصرف في اللحظة الراهنة	**26.09**	**6.871**	**8**	**3.26**	**متوسط**
عدم الحكم على الخبرات الداخلية	**22.33**	**4.217**	**8**	**2.79**	**متوسط/منخفض**
عدم التفاعل مع الخبرات الداخلية	**21.70**	**4.984**	**7**	**3.10**	**منخفض**
المقياس ككل	**126.10**	**12.697**	**39**	**3.23**	**متوسط**

لتحديد مستويات اليقظة العقلية (منخفض – متوسط – مرتفع) تم حساب طول الفئة على النحو الآتي:

طول الفئة = (الدرجة العليا – الدرجة الدنيا)÷ عدد الفئات

وبما أن مقياس ليكرت المستخدم يتراوح بين (1 – 5)، فإن:

طول الفئة = (5–1) ÷ 3= 1.33

وبناءً عليه، تم تحديد مستويات اليقظة العقلية كما يلي:

1.00 – 2.33 منخفض

2.34 – 3.67 متوسط

3.68 – 5.00 مرتفع

نظرًا لأن المتوسط الكلي للمقياس (126.10) يمثل مجموع الدرجات الكلي لجميع الفقرات (39 فقرة)، فلا يمكن مقارنته مباشرة بمدى (1–5)، لأن وحدة القياس مختلفة، ولذلك تم تحويله إلى متوسط معياري باستخدام المعادلة التالية:

المتوسط المعياري = المتوسط الكلي ÷ عدد الفقرات

المتوسط المعياري = 126.10÷ 39= 3.23

ويقع هذا المتوسط ضمن الفئة (2.34 – 3.67) مما يشير إلى أن مستوى اليقظة العقلية الكلي متوسط لدى الطلبة[2] (محمد،2017؛ الرزيقات،2019).

من خلال الجدول (4) يتضح ما يلي:

[2]- وتم استخدام المعادلة السابقة مع باقي الابعاد

بلغ المتوسط الحسابي العام لليقظة العقلية (126.10)، أي بمتوسط معياري (3.23)، وهو ما يشير إلى مستوى متوسط من اليقظة العقلية لدى طلبة السنة الثالثة و الرابعة بكلية القانون – جامعة بنغازي (فرع المرج).

وتراوحت المتوسطات الحسابية لابعاد المقياس مابين (21.70 – 28.89) وجاءت الملاحظة في المرتبة الأولى بمتوسط (28.89)، مما يدل على تمتع الطلبة بقدرة ممتازة على الانتباه لمجريات المواقف والمحفزات المختلفة ، تلاه بعد الوصف ، والتصرف بوعي في اللحظة الراهنة، بمستويين متوسطين، مما يشير إلى قدرة متوسطة على التعبير عن الخبرات والتصرف بوعي في المواقف اليومية ، في حين كان بعدا عدم الحكم على الخبرات الداخلية، وعدم التفاعل مع الخبرات الداخلية الأقل، ما يعكس ميلاً نسبيًا للحكم على الذات أو الآخرين، وصعوبة في ضبط الاستجابات الانفعالية.

وبصورة عامة، تشير النتائج إلى أن طلبة كلية القانون يتمتعون بقدر متوسط من اليقظة العقلية، مع قوة نسبية في الملاحظة، وضعف نسبي في الجوانب الانفعالية المرتبطة بتقبل الخبرة دون حكم أو تفاعل مفرط. يمكن تفسير هذه النتائج في ضوء نظرية العوامل الخمسة لليقظة العقلية (Baer et al., 2006)، التي تفترض أن ارتفاع أحد الأبعاد، أو انخفاضه يرتبط بطبيعة السياق الأكاديمي، والاجتماعي للفرد، فارتفاع بعد الملاحظة لدى الطلبة، يمكن أن يُعزى إلى طبيعة الدراسة القانونية، التي تتطلب قدرًا عاليًا من التركيز، والانتباه للتفاصيل، وتحليل المواقف والقضايا بدقة، مما يعزز القدرة على الملاحظة، والانتباه الواعي للمثيرات.

أما المستوى المتوسط في بعدي الوصف، والتصرف بوعي، فيُشير إلى أن الطلبة قادرون بدرجة مقبولة، على التعبير عن خبراتهم الداخلية والتصرف بوعي في المواقف المختلفة، إلا أن ضغط المتطلبات الأكاديمية، قد يحدّ من اتساق هذا الوعي في جميع المواقف.

بينما يمكن تفسير انخفاض بعدي عدم الحكم وعدم التفاعل بأنه انعكاس لطبيعة التخصص الأكاديمي نفسه، إذ يعتمد التفكير القانوني على التحليل والنقد والمقارنة وإصدار الأحكام المنطقية، مما يجعل الأفراد أكثر ميلاً للتقييم والحكم على الذات والآخرين، وأقل قدرة على تقبّل الخبرات الانفعالية دون تفاعل مفرط، ويتفق هذا التفسير مع ما أشارت إليه Baer et al. (2008) من أن بعدي عدم الحكم وعدم التفاعل يتأثران بعوامل الشخصية ونمط التفكير السائد، وأن الأفراد ذوي التوجه التحليلي أو النقدي يميلون إلى انخفاض درجاتهم في هذين البعدين.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع ماتوصلت إليه دراسة (الحربي، 2021) و(ابراهيم، 2022) (العمري، 2024) (aloman,2025) التي اشارت إلى أن مستوى اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة كان متوسط. في المقابل اختلفت الدراسة الحالية عن نتائج دراستي (عبدالله،2013)(باهي،2023) التي وجدت أن مستوى اليقظة العقلية مرتفعا بجميع ابعاده ، بينما الدراسة الحالية فمستوى الملاحظة كان مرتفعا، بينما كان مستويي الوصف ، والتصرف في اللحظة الراهنة متوسطاً مثلما جاء في نتائج دراستي (العمري، 2024) (aloman,2025).

عليه، يمكن القول إن النتائج الحالية تؤكد ما ذهبت إليه نظرية (Bishop,et al,2004) لليقظة العقلية، ونموذج (Baer,et al,2006) العوامل الخمسة لليقظة العقلية، بأن أبعاد اليقظة لا تتحرك في مستوى واحد دائمًا، بل تتباين تبعًا لطبيعة المجال الأكاديمي والسمات المعرفية والانفعالية للفئة المدروسة.

التوصيات والمقترحات

أولاً: التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة التي أظهرت مستوى متوسطًا لليقظة العقلية لدى الطلبة، مع ارتفاع بعد الملاحظة وانخفاض الأبعاد الانفعالية، تُوصي الباحثتان بما يأتي:

1. تنفيذ برامج تدريبية قصيرة في اليقظة العقلية داخل الكلية تُركّز على تعزيز الأبعاد المنخفضة، خصوصًا عدم الحكم على الخبرات الداخلية وعدم التفاعل معها، بما يساعد الطلبة على إدارة انفعالاتهم وتقبّل خبراتهم دون مبالغة.
2. دمج ممارسات اليقظة العقلية في الأنشطة الإرشادية والصفية عبر استخدام تمارين التركيز، التأمل الواعي، وتنمية مهارات الوصف والتصرف بوعي في اللحظة الراهنة، لدعم الطلبة في مواجهة الضغوط الأكاديمية وتحسين قدرتهم على إدارة الانتباه.
3. الاستفادة من قوة بعد الملاحظة لدى الطلبة من خلال تصميم مواقف تعليمية تعتمد على التحليل والملاحظة الدقيقة، بما يعزز رفع مستويات الأبعاد الأخرى المرتبطة بالتنظيم الانفعالي والتصرف الواعي.

ثانياً: المقترحات

استنادًا إلى النتائج، تُقترح الدراسات التالية:

1. تنفيذ دراسات مقارنة لمستوى اليقظة العقلية بين طلبة القانون وطلبة كليات أخرى؛ لتحديد أثر طبيعة التخصص على مستويات الأبعاد المختلفة.

2. دراسة العلاقة بين اليقظة العقلية والضغوط الأكاديمية لمعرفة العوامل المؤثرة في انخفاض الأبعاد الانفعالية، وربطها بخصائص الطلبة أو البيئة التعليمية.

3. إجراء دراسة تجريبية لبرنامج قائم على اليقظة العقلية لقياس أثره في رفع مستوى الأبعاد الضعيفة وتحسين المرونة والانضباط الانفعالي لدى الطلبة.

4. إجراء دراسات نوعية (Qualitative) لاستكشاف التجارب الذاتية للطلبة وفهم كيفية إدراكهم للضغوط والأفكار الداخلية وتأثير ذلك على مستوى اليقظة العقلية لديهم.

المراجع:

1- إبراهيم، سعد. (2022). مستوى اليقظة الذهنية لدى طلبة جامعة المسيلة (رسالة ماجستير منشورة). جامعة المسيلة.

2- باهي، أسماء (2023). اليقظة العقلية لدى طلبة الجامعة (رسالة ماجستير منشورة). جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي.

3- الحربي، نوار محمد. (2021). مستوى اليقظة العقلية لدى طالبات كلية التربية بجامعة أم القرى في ظل جائحة كوفيد-19. مجلة البحوث التربوية والنفسية، (68)، 1-31.

4- الزريقات، ناصر محمد. (2019). الإحصاء الوصفي في العلوم النفسية والتربوية. عمّان: دار المسيرة.

5- عبدالرحمن، حنان (2020) اليقظة العقلية وعلاقتها بالمرونة النفسية والرضا الوظيفي لدى عينة من موظفي بعض مؤسسات الدولة، مجلة كلية التربية عين شمس،4(44)،115-192.

6- عبد الله، أحلام مهدي. (2013). اليقظة الذهنية لدى طلبة الجامعة. مجلة الأستاذ، 2(205).

7- العمري، حسان (2024). مستويات اليقظة العقلية لدى طلبة الكليات الإنسانية وعلاقتها بمستوى أدائهم الأكاديمي. مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 51(5)، 75-85.

8- محمد، عادل عبد الرحمن. (2017). الأساليب الإحصائية في البحث التربوي والنفسي باستخدام SPSS. القاهرة: دار الفكر العربي

9- Aloman, H., Bariata, Z., Lau, N.-S., & Akour, M. (2025). Mindfulness and its relation to academic achievement among university students. Frontiers in Education, 11, Article 1179564.

10- Austin,D,Durr,A. (2016) Emotion Regulation for Lawyers: A Mind Is a Challenging Thing to Tame,Psychology of persuasion symposium,16(2).387-411.

11- Amishi,P,Krompinger,j,Baime,M.(2007). Mindfulness training modifies subsystems of attention,Cognitive, Affectived&Behavioral Neuroscience7,109-119.

12- Atanasova,A,Kalaydzhieva,Z,Chuchulayna,R,Angelova,k.(2025).The Role of Higher Education for the Professional Realisation of Students – Problems and Prospects, Strategies for Policy in Science and Education,23(6),758-784.

13- Baer RA, Smith GT, Hopkins J, Krietemeyer J, Toney L.(2006). Using self-report assessment methods to explore facets of mindfulness. Assessment.13(1) 27-45.

14- Bakker,A,Demerouti,E.(2007).The Job Demands-Resources model: state of the art, Journal of Managerial Psychology,22(3),309-328.

15-Bishop, S. R., Lau, M., Shapiro, S., Carlson, L., Anderson, N. D., Carmody, J., et al. (2004). Mindfulness: A proposed operational definition. Clinical Psychology: Science & Practice, 11, 230–241.
16- Brown, K. W., & Ryan, R. M. (2003). The benefits of being present: Mindfulness and its role in psychological well-being. Journal of Personality and Social Psychology, 84(4), 822–848.
17- DeVellis, R. F. (2017). Scale development: Theory and applications (4th ed.). SAGE Publications.
18- Field, A. (2013). Discovering statistics using IBM SPSS statistics (4th ed.). SAGE Publications.
19- Fayda,S, Kinik,F.(2024). Mindfulness in Higher Education: Conceptual Perspectives for Self-Leadership and Optimism,International Academic Conference on Education,Oxford.U K.
20- MacDonald H.(2021). Associations of Five Facets of Mindfulness With Self-Regulation in College Students. Psychol Rep.124(3) 1202-1219.
21-Moreno,S,Diez,D,Mendez,A,Gonzalez,M,Alia,R,Bdia,C.(2025). Mindfulness and self-care in healthcare professionals: A qualitative metasynthesis, Archives of Psychiatric Nursing,60.
22- Nunnally, J. C., & Bernstein, I. H. (1994). Psychometric theory (3rd ed.). McGraw-Hill.
23- Salmons,I.(2025).Mental Health and Burnout in the Legal Profession,[Coference Publication].Association of Corporate Counsel
24- Shaukat,I.(2021) Role Of Accountancy in the Country Economy,
25- Shareefa,M, Moosa,V, Saeed,K, Hassan,V, KashifImpact,M.(2025). Impact of of students' self-regulation and mindfulness on academic self-efficacy; the mediation effect of mental well-being, Cogent Education,12(1),
26-Suberviola, I.(2025).An emotional competences in higher education: an multidimensional study on gender, academic discipline and educational stage, European Journal of Psychology of Education,21(9).
27-Su, Y. W., & Luo, Y. (2024). Mindfulness in Helping Professions: A Systematic Review of Interventions and Research Gaps. Journal of Creativity in Mental Health, 1–16.
28-Yapeng,L,Jiang,C,Pan,Y,Xu,Z.(2024).The impact of mindfulness on nurses' perceived professional benefits: the mediating roles of workplace spirituality and work-life balance,Frontiers in psychology,15.
29- Zimmerman, B. J., & Schunk, D. H. (2008). Motivation: An essential dimension of self-regulated learning. In D. H. Schunk & B. J. Zimmerman (Eds.), Motivation and self-regulated learning: Theory, research, and applications (pp. 1–30). Lawrence Erlbaum Associates Publishers
30-Zenner,C,Kurz,S,Walach,H.(2014).Mindfulness-based interventions in schools—a systematic review and meta-analysis,Frontiers in psychology,5(603)

Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 385-397, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/ndvkan63

Research Article Open Access

ليبيا في المدونات الرحلية الكلاسيكية وصناعة المعرفة الجغرافية والتاريخية والتفاعل الحضاري في الفكر المتوسطي

خالد آدم أحميدة جاب الله[1]*

الباحث الأول[1]*:
قسم التاريخ ، جامعة طبرق، طبرق، ليبيا

المستخلص: تهدف الدراسة إلى تحليل المدونات الرحلية والجغرافية الكلاسيكية بوصفها مصدرًا مركزيًا لإعادة بناء صورة ليبيا في العهدين الروماني والبيزنطي، وتجاوز القراءات الوصفية التي تتعامل معها كمجرد تجميع معلومات. وتنطلق من إشكالية تتعلق بمدى تعبير هذه النصوص عن الواقع المادي والاجتماعي، أو إعادة إنتاجها لتمثلات إمبراطورية ورمزية تخدم السلطة والتنظيم السياسي، مع اختبار حدود التفاعل المتبادل بين الرحالة والسكان المحليين. تعتمد الدراسة منهجًا تاريخيًا نقديًا مقارنًا يجمع بين التحليل النصي لأعمال جغرافيين ومؤرخين قدماء وأدوات تحليل الخطاب، مع الاستئناس بالمعطيات الأثرية والطبوغرافية عند توفرها. وتخلص إلى أن ليبيا ظهرت في الفكر المتوسطي فضاءً ديناميكيًا لإنتاج المعرفة والتبادل الثقافي عبر الموانئ والطرق الصحراوية، وأن إعادة قراءة هذه المدونات بمنظور متعدد الزوايا تعيد الاعتبار لدور الإقليم في تشكيل الجغرافيا الذهنية المتوسطية وتفتح أفقًا لدراسة علاقة السفر بالمعرفة والسلطة في العصور الكلاسيكية.

الكلمات المفتاحية: ليبيا القديمة، المدونات الرحلية الكلاسيكية، المعرفة الجغرافية التاريخية، الفكر المتوسطي، التفاعل الثقافي.

***[1]Corresponding author:**
Khalid A. Jaballah
khalid.adam@tu.edu.ly
Department of History,
University of Tobruk,
Tobruk, Libya

Received:
01-04-2026

Accepted:
15-04-2026

Publish online:
30-04-2026

Libya in Classical Travel Accounts and the Construction of Geographical and Historical Knowledge and Cultural Interaction in Mediterranean Thought

This study examines classical travel and geographical writings as a key source for reconstructing Libya's image in the Roman and Byzantine periods, moving beyond purely descriptive readings. It addresses whether these accounts reflect empirical realities or instead reproduce imperial and symbolic frameworks that served Roman and Byzantine power, while also considering the limits of reciprocal interaction between travelers and local communities. Methodologically, the article adopts a critical, comparative historical approach that combines close textual analysis of major classical authors with discourse analysis, and it draws on archaeological and topographical evidence where available. The study argues that Libya occupied a dynamic position in Mediterranean intellectual geography as a space of knowledge production and cultural exchange shaped by ports, inland routes, and desert networks. It concludes that rereading these narratives through multiple perspectives challenges inherited clichés and helps restore Libya's active role in the formation of Mediterranean geographical and historical imagination, contributing to broader debates on travel, knowledge, and authority in antiquity.

Keywords: Ancient Libya, Classical Travel Accounts, Mediterranea Thought, Historical and Geographical Knowledge, Cultural Interaction

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

تحتلّ المدونات الرحلية الكلاسيكية مكانة محورية في دراسة تاريخ ليبيا القديم، إذ شكّلت أحد أهم مصادر المعرفة الجغرافية والاجتماعية والسياسية عن الإقليم في العهدين الروماني والبيزنطي. فقد أسهم الموقع الجغرافي لليبيا على تخوم الصحراء الكبرى وسواحل البحر المتوسط في جعلها مجالًا دائمًا للحركة والتنقّل والتواصل، الأمر الذي جذب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين سعوا إلى وصف فضائها الطبيعي وسكانه ومدنه وموارده. ولم تكن هذه الكتابات مجرّد تسجيل للمشاهدات، بل جاءت محمّلة برؤى فكرية وسياسية وثقافية أسهمت في تشكيل الصورة المتوسّطية عن ليبيا بوصفها فضاءً للتفاعل الحضاري وحدًّا جغرافيًا في آنٍ واحد.

ينطلق هذا البحث من تحليل نصوص الرحالة الإغريق والرومان والبيزنطيين للكشف عن الكيفية التي صُنعت بها المعرفة حول ليبيا، وعن الدور الذي لعبته الرحلة في بلورة الوعي الجغرافي والتاريخي، وفي بناء صورة ثقافية مركّبة للإقليم داخل الفكر المتوسطي الكلاسيكي.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية البحث من كونه يعيد قراءة النصوص الرحلية بوصفها أدوات لإنتاج المعرفة لا مجرّد أوصاف محايدة، ويبرز موقع ليبيا في قلب شبكات التفاعل المتوسطي، بعيدًا عن التصورات التي تختزلها في هامش جغرافي. كما يقدّم إسهامًا في فهم العلاقة بين المعرفة والسلطة في العالم القديم، ويكشف عن أثر التبادل الحضاري في صياغة التصورات الثقافية المتبادلة.

هدف الدراسة: يهدف البحث إلى تحليل دور الرحالة في تشكيل الصورة الجغرافية والتاريخية لليبيا، وتتبع آليات إنتاج المعرفة في نصوصهم، وبيان كيفية انعكاس التفاعل الحضاري بين ليبيا والعالم المتوسطي في هذه المدونات، مع إبراز التحولات في النظرة إلى الإقليم بين العهدين الروماني والبيزنطي.

إشكالية البحث: تتمحور إشكالية الدراسة حول السؤال المركزي الآتي:

كيف أسهمت المدونات الرحلية الكلاسيكية في صناعة المعرفة عن ليبيا، وفي تشكيل صورتها الجغرافية والثقافية داخل الفكر المتوسطي، وما حدود التداخل بين الوصف العلمي والخيال والوظيفة الإمبراطورية في هذه النصوص؟

تساؤلات الدراسة: ينبثق عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية:

- ما السياقات السياسية والدينية والاقتصادية التي أحاطت بالرحلات إلى ليبيا في العصرين الروماني والبيزنطي؟
- كيف صوّر الرحالة الفضاء الليبي وسكانه ومدنه؟
- ما دور النصوص الرحلية في نقل المعارف وفي بناء شبكات التفاعل المتوسطي؟

- إلى أي حد ارتبط إنتاج المعرفة بالمشاريع الإمبراطورية؟
- كيف انعكست الهويات المحلية الليبية داخل هذه الكتابات رغم صدورها من خارج الإقليم؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها أنّ المدونات الرحلية لم تكن مجرد انعكاس مباشر للواقع، بل كانت نتاج تفاعل معقّد بين الملاحظة الميدانية والتصورات الثقافية المسبقة والوظائف السياسية للإمبراطورية، وأن ليبيا ظهرت في هذه النصوص بوصفها فضاءً فاعلًا في إنتاج المعرفة المتوسطية لا مجرد موضوع للدرس والوصف.

المنهج المتبع: يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي المقارن، من خلال قراءة نقدية للنصوص الكلاسيكية ومقارنتها بالسياقات السياسية والثقافية التي أُنتجت فيها، مع الإفادة من المناهج الجغرافية والثقافية الحديثة في دراسة تمثّلات المكان وصناعة الصورة الحضارية، وذلك للكشف عن آليات بناء المعرفة والهوية في الخطاب الرحلي.

المبحث الأول: الرحلة إلى ليبيا في العهدين الروماني والبيزنطي ودورها في إنتاج المعرفة والتفاعل الحضاري في العالم المتوسطي

المحور الأول: السياقات التاريخية والمعرفية للرحلات في ليبيا خلال العهدين الروماني والبيزنطي

تُعد الرحلات إلى ليبيا في العهدين الروماني والبيزنطي ظاهرة فكرية وحضارية بارزة، ساهمت بشكل كبير في تطوير المعرفة الجغرافية والتاريخية للعالم المتوسطي. فقد شكّل الموقع الاستراتيجي لليبيا، الممتد من شواطئ كيرينايكا شرقًا وصولًا إلى حدود تريبوليتانيا، (خريطة 1) نقطة التقاء بين شعوب العالم القديم، مما جعلها ساحة خصبة لنشاط الرحالة والعلماء والجغرافيين الراغبين في دراسة طبيعتها وثقافتها وسكانها .(Mattingly, 1995, p. 42).

نشأت الرحلات إلى ليبيا في ظل تداخل السياقات الدينية والاقتصادية والسياسية. فمن الجانب الديني، تمثّل ذلك في زيارة المعابد والمراكز المقدسة، مثل معبد آمون في واحة سيوة*، الذي جذبت شهرته شخصيات بارزة مثل الإسكندر الأكبر، بينما كان الدافع الاقتصادي محفزًا للرحالة والتجار والمغامرين للبحث عن الثروات الزراعية والمعدنية .(Goodchild, 1971, p. 88) أما السياق السياسي فكان مرتبطًا بتوسع النفوذ الروماني وبالسياسات الإدارية التي استهدفت ضبط الإقليم وإنتاج معرفة دقيقة عن مناطقه وسكانه لأغراض الضرائب والرقابة.(Bowman, 2012, p. 133)

* معبد آمون في واحة سيوة هو معبد مصري قديم مكرّس للإله آمون، يرجع تأسيسه إلى العصر الصاوي في الأسرة السادسة والعشرين (القرن السادس قبل الميلاد)، وقد اكتسب شهرة واسعة في العصرين الفارسي واليوناني، خاصة بعد زيارة الإسكندر الأكبر له سنة 331 ق.م حيث أُعلن ابناً للإله آمون، مما عزز شرعيته السياسية في مصر (Wilkinson, 2000, pp. 158–160).

كما تميزت الجغرافيا الليبية بتنوّع بيئيّ واسع مكّن الرحالة من دراسة الظواهر الطبيعية والمناخية والبشرية. فالمناطق الساحلية شكّلت مجالًا للتبادل التجاري والثقافي، بينما كانت الواحات والحدود الصحراوية ميادين استكشاف عسكري وعلمي معًا .(Mattingly & Hitchner, 1993, p. 121) وقد أدّت هذه الرحلات إلى تراكم معلومات من المعرفة الجغرافية في العالم القديم.

من الناحية المعرفية، أسهمت هذه الرحلات في صياغة رؤية مزدوجة لليبيا: فهي من جهة تُقدَّم كأرض خصبة ومزدهرة، ومن جهة أخرى كمجال غامض يكتنفه الطابع الأسطوري والحدودي بالنسبة للعالم المتوسطي .(Desanges, 1981, p. 57)وقد ساهمت نصوص الجغرافيين مثل سترابو وبطلميوس في تثبيت هذه الصورة المزدوجة، إذ قدّم الأول وصفًا إثنوغرافيًا* لسكّانها وعلاقاتهم بمصر وكيرينايكا، بينما اهتم الثاني بتحديد مواقعها الطبوغرافية** وطرقها التجارية بدقة رياضية. (بطلميوس، 2004، ص58)

إنّ دراسة الرحلات في ليبيا خلال هذين العهدين لا تُظهر فقط التداخل بين الجغرافيا والسياسة، بل تكشف أيضًا عن تطوّر الوعي التاريخي الأوروبي تجاه شمال إفريقيا، حيث مثّلت ليبيا "الحدّ الجنوبي المأهول" في خريطة العالم القديم.(Bowman & Rogan, 2012, p. 201)

المحور الثاني: الرحالة ودورهم في الوساطة الثقافية ونقل المعارف بين ليبيا والعالم المتوسطي

أسهم الرحالة بشكل محوري في إنشاء جسور ثقافية بين ليبيا وبقية مناطق البحر المتوسط، إذ حولتهم تقاريرهم ونصوصهم الجغرافية والإثنوغرافية إلى وسطاء للمعرفة ومترجمين للتجارب الثقافية. وكانت رحلاتهم ثمرة تفاعل بين ثقافات متعددة، تجمع بين النظرة الإغريقية للعالم والعقلية الإدارية الرومانية التي سعت إلى التنظيم والسيطرة.(Whittaker, 1994, p. 78)

لقد أسهم هؤلاء الرحالة في نقل المعارف المتبادلة حول السكان المحليين، والعادات الاجتماعية، والموارد الطبيعية، والنظام الإداري. فمثلاً، قدّم بلينيوس الأكبر (Pliny the Elder) في مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (Naturalis Historia) بيانات دقيقة عن مدن كيرينايكا، ومصادر مياهها، ونباتاتها الطبية المشهورة مثل السلفيوم الذي أصبح رمزًا تجاريًا وثقافيًا للمنطقة (بليني، 2019، ف 31–35)، ومن خلال هذا الوصف، ساهم الرحالة في تشكيل وعي عالمي بخصوصية ليبيا الطبيعية والاقتصادية.

كما مثّل هؤلاء الرحالة وسطاء لتداول المعارف العلمية بين الشرق والغرب. فقد نقلوا خبرات الهندسة والزراعة والري، كما وثّقوا الممارسات الدينية المحلية والتبادلات التجارية مع وادي النيل وصقلية وقرطاج

* **الإثنوغرافيا (Ethnography):** هي منهج بحثي في العلوم الاجتماعية يهتم بدراسة الثقافات والمجتمعات البشرية من خلال الملاحظة المباشرة والمشاركة في حياة المجموعة المدروسة. تعتمد على الوصف التفصيلي للتقاليد والعادات والأنماط الاجتماعية والسلالات والخصائص الثقافية للسكان (Bernard, 2011).

** **الطوبوغرافيا (Topography):** هي العلم الذي يهتم بدراسة ووصف المعالم الطبيعية والصناعية للسطح وتضاريس المنطقة، بما في ذلك الجبال والوديان

.(Desanges, 1981, p. 112)ومن هنا، أصبحت ليبيا مجالًا حيويًا للتفاعل الثقافي عبر البحر المتوسط، حيث امتزجت فيها العناصر الإغريقية والرومانية بالأمازيغية والمصرية في إطار من الانفتاح الحضاري.

لم يقتصر دور الرحالة على مجرد نقل المعلومات، بل شكّل عملية معرفية نقدية أعادت من خلالها النصوص الجغرافية صياغة هوية المكان وتشكيل صورته في الوعي الكلاسيكي. فجميع النصوص التي كتبها سترابو، وسبقَه هيرودوت، ولاحقًا ديودور الصقلي، لم تكن مجرد أوصاف سطحية للأرض، بل كانت تأملات معمقة في الاختلافات الثقافية ومحاولات لفهم "الآخر الإفريقي" من منظور المتوسطي (Herodotus, *Histories*, IV, p. 198).

المحور الثالث: نصوص الرحلة وبناء المعرفة الجغرافية وتشكّل الوعي الحضاري عن ليبيا

تشكل نصوص الرحالة والمؤرخين المصدر الرئيس لإعادة تكوين صورة ليبيا في العصور القديمة، إذ مثّلت هذه النصوص أداة لإنتاج المعرفة الجغرافية والأنثروبولوجيا. وساهمت في بناء وعي حضاري متبادل بين سكان ليبيا وبقية العالم، حيث ظهرت ليبيا فيها كفضاء للتفاعل الثقافي والتثاقف بدلًا من أن تقتصر على كونها مجرد حدود جغرافية.(Mattingly, 1995, p. 217) .

من خلال النصوص الكلاسيكية، تبلورت تصورات متباينة عن ليبيا، جمعت بين الإعجاب بخصب أراضيها والغموض تجاه سكانها. وقد سمحت هذه التصورات بإعادة إنتاج المعرفة عبر العصور، إذ أصبحت مرجعًا للجغرافيين واللاهوتيين* والرحالة في القرون اللاحقة .(Desanges, 1981, p. 130) كما أن التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة، من السيطرة الرومانية إلى البيزنطية، لم توقف تدفق المعرفة، بل أعادت تنظيمها ضمن رؤية مسيحية جديدة للعالم، تركز على مركزية البحر المتوسط كفضاء روحي وجغرافي معًا.(Bowman, 2012, p. 198)

لقد بيّنت دراسات حديثة أن نصوص الرحالة لم تكن مجرد انعكاس للواقع، بل كانت أيضًا أدوات في بناء "الوعي الإمبراطوري" الذي أعاد تشكيل إدراك أوروبا للعالم الإفريقي .(Whittaker, 1994, p. 119) ومع ذلك، فإنّ هذه النصوص تكشف أيضًا عن وجود مقاومة ثقافية ضمنية، إذ استطاع سكان ليبيا أن يفرضوا حضورهم في السرديات الكلاسيكية من خلال تقاليدهم الدينية وطرقهم التجارية وأساليب عيشهم، مما جعل التواصل الحضاري عملية متبادلة لا أحادية الاتجاه.

تكشف دراسة نصوص الرحلة في إطارها التاريخي والمعرفي عن الدور الفاعل لليبيا في إثراء الفكر الجغرافي الكلاسيكي، حيث لم تكن مجرد متلقٍ سلبي، بل كانت عنصرًا فاعلًا ساهم في إنتاج تصورات جديدة

* اللاهوتيون هم العلماء المتخصصون في دراسة العقائد الدينية وتفسير النصوص المقدسة وبناء النسق الفكري للإيمان من خلال التحليل الفلسفي والجدلي والتاريخي، ويهتمون بمباحث مثل طبيعة الإله، الوحي، الخلاص، والشرائع الدينية (McGrath, 2017, pp. 1–4.)

للعالم المتوسطي. ومن ثم، لم يقتصر دور الرحالة على كونه زائرًا، بل أصبحوا صُنّاع معرفة أعادوا تشكيل الخريطة الفكرية للعالم القديم.

المبحث الثاني: الرحالة وصياغة التصوّر الجغرافي والتاريخي لليبيا في الفكر المتوسطي

المحور الأول: صورة ليبيا المكانية في المدونات الجغرافية الكلاسيكية

تبلورت صورة ليبيا في الوعي الجغرافي الكلاسيكي عبر نصوص الرحالة الذين سعوا إلى تفسير الفضاء الإفريقي باعتباره امتدادًا للبحر المتوسط، وفي الوقت ذاته منطقة غامضة تحيط بها الأساطير. ويُعد هيرودوت من أوائل من رسم هذه الصورة في القرن الخامس قبل الميلاد، حين وصف ليبيا بأنها "أرض الأسرار والرياح والآلهة"، محددًا حدودها بين مصر غربًا وبلاد الغايتوليين جنوبًا .(Herodotus, *Histories*, IV, p. 200) . وقد كان وصفه مزيجًا بين الملاحظة الميدانية والروايات الشفوية التي تلقاها من السكان المحليين.

ومع العهد الروماني، تطورت هذه التمثلات من مرحلة الانطباع الأسطوري إلى مرحلة الوصف العلمي المنهجي. فبطلميوس في كتابه *الجغرافيا* (*Geographia*)قدّم أول محاولة لتموضع المدن الليبية ضمن نظام إحداثي، واضعًا كيرينايكا وتريبوليتانيا ضمن شبكة طرق مترابطة تمتد نحو الصحراء (بطلميوس، 2004، ص58) .هذا التحول يعكس نزعة الرومان إلى توظيف الجغرافيا كأداة للسيطرة والتنظيم الإداري (Mattingly, 1995, p. 92).

كما ساهمت كتابات سترابو في تأكيد هذا البعد العلمي، إذ نظر إلى ليبيا بوصفها منطقة تندمج فيها الخصائص المتوسطية مع السمة الإفريقية، مشيرًا إلى تداخل الأعراق والعادات، وإلى الطبيعة الخصبة لسواحلها الشرقية في كيرينايكا (سترابو، 2003، ف23) بذلك تحولت ليبيا في المخيال الجغرافي من "أرض غريبة" إلى "فضاء متوسطيّ متفاعل"، ما جعلها جزءًا من الجغرافيا الإمبراطورية للرومان.

الرحالة البيزنطيون بدورهم أضافوا بعدًا روحيًا للمعرفة الجغرافية. فمع انتشار المسيحية، أصبحت ليبيا مجالًا لرحلات رهبانية ومهجرًا لبعض الآباء اللاهوتيين، ما جعل نصوصهم تمزج بين الجغرافيا والخلاص الروحي .(Bowman, 2012, p. 156) ومن هنا نشأ تصور جديد للفضاء الليبي، بوصفه موطنًا للتأمل والزهد أكثر من كونه أرضًا اقتصادية أو عسكرية.

المحور الثاني: الكتابات الرحلية بوصفها مصدراً لإعادة بناء التاريخ الاجتماعي والسياسي

لا يمكن فهم تاريخ ليبيا القديم دون الرجوع إلى نصوص الرحالة التي وثّقت تفاصيل دقيقة عن المدن وسكانها والعلاقات الاجتماعية فيها. فقد ساهم هؤلاء الرحالة في تسجيل معلومات لم تحفظها النقوش أو البرديات، ويُعد بلينيوس الأكبر مثالًا بارزًا على ذلك من خلال موسوعته *التاريخ الطبيعي*، التي قدم فيها أوصافًا مفصلة للمراكز الحضرية في كيرينايكا وكذلك للموارد الزراعية والمعدنية (بليني الأكبر، 2019، ف31–35).

أما الرحالة البيزنطيون فقد أولوا اهتمامًا بالواقع الاجتماعي والإداري للمدن الليبية خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين. تشير نصوص بروكوبيوس القيصري*(*Procopius of Caesarea*) ، على سبيل المثال، إلى التغيرات العمرانية التي أحدثتها الإدارة البيزنطية في لبدة وسبراتة، وإلى تجدد النشاط التجاري رغم التراجع السكاني .(Procopius, *Buildings*, VI, p. 211) هذه الشهادات تمنحنا رؤية فريدة لتاريخ ليبيا في مرحلة ما بعد السيطرة الرومانية، حيث امتزجت البنية الرومانية القديمة بالموروث المحلي في إطار بيزنطي مسيحي.

ومن اللافت أنّ النصوص الرحلية كانت تُدوَّن غالبًا من منظور السلطة، إلا أنّها تحمل بين سطورها إشارات إلى أصوات محلية غير مباشرة، كذكر أسماء القبائل والمنتجات والعادات، مما يسمح بإعادة قراءة هذه النصوص بوصفها وثائق عن التفاعل الاجتماعي والثقافي بين المستعمر والسكان الأصليين (Whittaker, 1994, p. 117). وبذلك، يتحول النص الرحلي من مجرّد سجلّ جغرافي إلى مرآة تعكس علاقات القوة والمعرفة في العالم القديم.

المحور الثالث: ليبيا ضمن شبكات التفاعل الثقافي والمعرفي في حوض البحر المتوسط

تُبرز مقارنة نصوص الرحالة الإغريق والرومان والبيزنطيين أنّ ليبيا لم تكن مجرد منطقة هامشية، بل كانت محورًا أساسيًا في شبكة التفاعل الثقافي المتوسطي. فقد شكّلت نقطة التقاء بين الموروث الإغريقي القادم من الشرق والعالم اللاتيني الوافد من الغرب، وكانت موانئها مثل أبولونيا وتوخيرا ولبدة بمثابة بوابات لعبور الأفكار والسلع والرموز الدينية..(Goodchild, 1971, p. 102)

لعبت هذه الموانئ دورًا محوريًا في نقل المعارف العلمية والفلسفية، حيث عبرها وصل فكر أرسطو وأفلاطون إلى الإسكندرية ومن ثم إلى شمال إفريقيا، كما انتقلت منها مدارس الطب والفلسفة إلى روما. وبفضل ذلك، تحوّلت ليبيا إلى فضاء لإنتاج وتبادل المعرفة، وليس مجرد منطقة استقبال للمعلومات.
(Desanges, 1981, p. 118).

في العصر البيزنطي، استمر هذا الدور، لكنه اتخذ أبعادًا جديدة تقوم على التفاعل الديني والثقافي. فقد حمل الرهبان واللاهوتيون الذين زاروا ليبيا نصوصًا لاهوتية وترجمات باللغتين اليونانية واللاتينية، فتحولت الأديرة إلى مراكز علمية مصغّرة تساهم في نشر المعارف اللاهوتية والفلسفية في مختلف مناطق الريف الليبي (Bowman & Rogan, 2012, p. 208). بذلك تحوّل الرحالة من باحثين في الجغرافيا إلى وسطاء في المعرفة الدينية والثقافية.

* بروكوبيوس القيصري (نحو 500–565م) مؤرخ بيزنطي بارز من مدينة قيسارية في فلسطين، عاصر الإمبراطور جستنيان الأول، وعُرف بكتاباته التاريخية التي تُعد من أهم مصادر القرن السادس الميلادي، ولا سيما مؤلفه *الحروب* الذي تناول فيه الحروب الفارسية والوندالية والقوطية، إضافة إلى كتاب *المباني* وكتاب *التاريخ السري* الذي قدّم فيه نقدًا لاذعًا للبلاط الإمبراطوري (Procopius, 1914/1916, pp. ix–xv).

أسهم التثاقف الناشئ عن هذه الرحلات في تكوين "هوية متوسطية" لليبيا، قائمة على الانفتاح على الآخر وتقبل التعدد الثقافي. فقد قدمت النصوص الكلاسيكية ليبيا ليس كمجال هامشي، بل كنقطة التقاء، وبذلك لم يقتصر دور الرحالة على توثيق الجغرافيا فحسب، بل ساهموا في إعادة صياغة الوعي الحضاري للعالم المتوسطي، إذ رأت عيونهم ليبيا كجسر يربط بين الشرق والغرب.(Mattingly, 1995, p. 217) .

المبحث الثالث: التفاعل الثقافي وبناء الصورة الرمزية لليبيا في المدونات الرحلية

المحور الأول: تمثّل الفضاء الليبي في كتابات الرحالة بين المعاينة والخيال

ساهمت نصوص الرحالة في تكوين صورة متعددة الأبعاد لليبيا، تجمع بين الواقعية والخيال، وبين المشاهدة المباشرة والأسطورة. إذ يظهر في كتابات الرحالة الكلاسيكيين تكرار عناصر الغرابة والأسطورة في وصف المكان والسكان. فهيرودوت، على سبيل المثال، الذي كان من أوائل من زاروا أطراف ليبيا ووثق سكانها، قدّم تصويرًا مزدوجًا للمجتمع الليبي، يمزج بين الإعجاب بتنظيمهم القبلي والنظام الاجتماعي لديهم، وبين الدهشة من تقاليدهم الدينية وارتباطهم العميق بالطبيعة.(Herodotus, *Histories*, IV, p. 195)

لم يكن الجمع بين الوصف الواقعي والمبالغة الأسطورية اعتباطيًا، بل كان جزءًا من بنية الخطاب الكلاسيكي حول مفهوم "الآخر". فقد مثلت ليبيا للإغريق والرومان الحد الجنوبي لعالمهم المعروف، لتصبح بذلك أرضًا خصبة لإسقاط مخيلات استشراقية مبكرة تتراوح بين الفضول والرهبة .(Whittaker, 1994, p. 119).

في المقابل، قدّم الرحالة الرومان نظرة أكثر عملية وأقل خرافية، نتيجة ارتباطهم الإداري والسياسي بالإقليم. فبلينيوس الأكبر، في كتابه *التاريخ الطبيعي*، تجنّب المبالغة في الوصف، مركّزًا على الموارد والثروات الطبيعية، وعلى المدن ومؤسساتها (بليني الأكبر، 2019، ف31–35) ومع ذلك، ظلّ تأثير المخيال الإغريقي حاضرًا في أدبيات الرومان أنفسهم، إذ لم تُمحَ صورة "ليبيا الغامضة" من الوعي الجمعي المتوسطي حتى العصور البيزنطية.(Mattingly, 1995, p. 217)

الرحالة البيزنطيون بدورهم أضفوا بعدًا روحانيًا على صورة ليبيا، فجعلوا من فضائها الصحراوي رمزًا للتقشّف والنجاة الروحية. فالصحراء التي اعتبرها الإغريق مجالًا للغرابة، تحوّلت في العهد البيزنطي إلى موضع تطهير وتأمل، مما يعكس انتقال النظرة من البعد الإثنوغرافي إلى البعد اللاهوتي .(Bowman, 2012, p. 198).

المحور الثاني: الخطاب الرحلي ودوره في حفظ الهوية المحلية وإعادة تعريفها

تبيّن الدراسة النقدية للنصوص الرحلية أنّ هذه الكتابات، رغم إنتاجها من منظور خارجي، لعبت دورًا مهمًا في حفظ ملامح الهوية الليبية القديمة. فقد وثّقت أسماء القبائل والمدن والممارسات الزراعية والطقوس

الدينية التي اندثرت لاحقًا، مما منحها قيمة فريدة كمصادر لإعادة بناء الذاكرة التاريخية لليبيا (Desanges, 1981, p. 131).

تكشف دراسة نصوص الرحالة عن جدلية واضحة بين المركز والهامش في إنتاج المعرفة. فبينما كان الرحالة يسعون إلى تفسير ليبيا وفق رؤيتهم الخاصة، مارست المجتمعات المحلية نوعًا من إعادة التعريف الذاتي عبر تفاعلها مع هؤلاء الغرباء. وقد انعكست هذه الديناميكية في الكتابات الإغريقية والرومانية على حد سواء، مع الإشارة المتكررة إلى قدرة الليبيين على التكيف مع الأنظمة السياسية المتعاقبة، مع حفاظهم على تقاليدهم الأصيلة.(Goodchild, 1971, p. 90) .

من هذا المنطلق، يمكن التأكيد على أنّ النصوص الرحلية، رغم نشأتها خارج الإقليم، ساهمت بشكل غير مباشر في ترسيخ الهوية المحلية عبر توثيق تفاصيل الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية. وقد مكن هذا التوثيق الباحثين المعاصرين من إعادة قراءة التاريخ الليبي بمعزل عن الرؤية الإمبراطورية المهيمنة، مما أتاح فهمًا أعمق للخصوصية الثقافية والاجتماعية للإقليم.(Mattingly & Hitchner, 1993, p. 171)

كما أن التبادل المستمر بين الرحالة وسكان ليبيا خلق فضاءً معرفيًا متعدّد الأصوات، يعبّر فيه "الآخر" عن نفسه داخل خطاب الغريب. فحين يصف سترابو أو بلينيوس العادات المحلية أو الطقوس الدينية، فإنهم في الواقع يعكسون إدراكًا متبادلاً أكثر تعقيدًا مما قد يبدو، إذ يظهر تأثير السكان في تصحيح بعض الانطباعات المغلوطة لدى (سترابو،2003، ف 24).

المحور الثالث: الرحلة بين المعرفة الإمبراطورية والتأمل الإنساني في صورة ليبيا

كانت الرحلات إلى ليبيا جزءًا من مشروع أوسع يهدف إلى إنتاج معرفة تخدم الإمبراطورية الرومانية على المستويين السياسي والاقتصادي. فقد استُخدمت النصوص الجغرافية والإدارية كأدوات لرسم الحدود وضبط الفضاء عبر المعرفة، مما يبرز العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا والسلطة في تشكيل صورة ليبيا في الوعي الإمبراطوري .(Whittaker, 1994, p. 122) فالرحالة لم يكونوا مجرد مراقبين، بل كانوا فاعلين في مشروع السيطرة من خلال خرائطهم وتقاريرهم.

إلى جانب ذلك، شكّلت هذه الرحلات مجالًا لتشكّل وعي إنساني أوسع تجاه العالم، حيث مثّلت ليبيا نموذجًا للتنوّع البيئي والثقافي. وقد دفع هذا بعض الرحالة إلى تجاوز النظرة الاستعمارية التقليدية نحو فهم أعمق للطبيعة الإنسانية. فبلينيوس الأكبر، رغم كونه موظفًا إمبراطوريًا، عبّر عن إعجابه بقدرة الإنسان الليبي على التكيّف مع ظروف بيئية صعبة دون فقدان شعوره بالانتماء إلى أرضه. (بليني الأكبر، 2019، ف36).

خلال العصر البيزنطي، اكتسبت الرحلة بعدًا لاهوتيًا وأخلاقيًا، إذ لم تعد مجرد وسيلة للهيمنة، بل تحوّلت إلى فعل للتقوى واكتساب المعرفة الروحية. فالجغرافي أصبح بمثابة "حاجٍّ"، والمكان رمزيًا للخلاص، وهو ما

يبرز بوضوح في نصوص بروكوبيوس التي تصف الأديرة الليبية ومغارات النساك (Procopius, *Buildings*, VI, p. 214).

يعكس هذا التحوّل في معنى الرحلة انتقال ليبيا من كونها مجرد فضاء جغرافي إلى فضاء رمزي، موضحًا تطور الوعي المتوسطي من الاهتمام بالمعرفة العلمية إلى السعي وراء المعرفة الروحية. وبذلك، تُختتم صورة ليبيا في الفكر المتوسطي باعتبارها أرض تلاقي الحضارات ومصدرًا لإنتاج المعنى وتشكيل الهوية الثقافية معًا.

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى أن المدونات الرحلية الكلاسيكية كانت أكثر من مجرد سجلّات وصفية؛ فقد شكّلت أدوات معرفية نشطة أسهمت في إنتاج الصورة الجغرافية والتاريخية والثقافية لليبيا في العهدين الروماني والبيزنطي. ومن خلال تحليل نصوص الرحالة، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج التحليلية الأساسية التي توضح دور السفر في صناعة المعرفة والتفاعل الحضاري:

1. ليبيا كمركز معرفي وحضاري :أظهرت الدراسة أن ليبيا لم تكن هامشًا للبحر المتوسط، بل كانت عقدة تواصل بين الشرق والغرب. فالموانئ والمدن الساحلية مثل أبولونيا وتوخيرا ولبدة شكّلت بوابات لنقل المعارف العلمية والفلسفية والتجارية، ما عزز من الدور الوسيط لليبيا في شبكة التفاعل المتوسطي.
2. النصوص الرحلية كأدوات لإعادة إنتاج المعرفة :تبين أن نصوص الرحالة مثل سترابو وبطليموس وبلينيوس لم تكن مجرد ملاحظات جغرافية أو إثنوغرافية، بل أدوات لتحليل المكان والناس والموارد، وأصبحت مرجعية لإعادة بناء الفضاء الليبي في وعي المتوسطيين عبر العصور.
3. ازدواجية التصور: بين الواقع والأسطورة :أظهرت المقارنة بين الكتابات الإغريقية والرومانية والبيزنطية وجود صورة مزدوجة لليبيا تجمع بين الغموض الأسطوري والخصوبة المادية. هذه الازدواجية أكدت أن النصوص الرحلية دمجت بين المشاهدة المباشرة والانطباع الثقافي والسياسي للرحالة، ما ساهم في تشكيل وعي متوسطي مركب تجاه الإقليم.
4. دور الرحالة في الوساطة الثقافية :أظهرت الدراسة أن الرحالة كانوا وسطاء ثقافيين فعالين، نقلوا المعارف بين ليبيا وبقية مناطق البحر المتوسط، وساهموا في تداول الخبرات العلمية والزراعية واللاهوتية، مما جعل ليبيا فضاءً للتفاعل الحضاري وليس مجرد موضوع للدراسة.
5. تثبيت الهوية المحلية عبر النصوص الأجنبية :بالرغم من أن الرحلات كانت منظورة من الخارج، إلا أن النصوص الرحلية ساهمت في توثيق عناصر الهوية المحلية، بما في ذلك أسماء القبائل، العادات، والطقوس الدينية، ما مكّن الباحثين المعاصرين من إعادة بناء الذاكرة الاجتماعية والثقافية لليبيا القديمة.

6. العلاقة بين المعرفة والسلطة :أكدت النتائج أن إنتاج المعرفة لم يكن محايدًا، بل ارتبط بالسياسات الرومانية والبيزنطية، سواء في الإدارة، الضرائب، أو الرقابة، ما يعكس جدلية بين المعرفة والهيمنة، وبين الرحالة والسلطة.
7. الرحلة كأداة للتحول الإنساني والروحي :لم تقتصر الرحلات على المعرفة الجغرافية، بل امتدت إلى البعد الإنساني واللاهوتي، خاصة في العصر البيزنطي، حيث أصبح النص الرحلي وسيلة لفهم الطبيعة البشرية والتأمل الروحي، وتحول الفضاء الليبي إلى رمز للزهد والخلاص.

الخلاصة التحليلية: يمكن القول إن نصوص الرحلة في ليبيا لعبت دورًا مركزيًا في تشكيل وعي جغرافي وتاريخي وثقافي متوسطي، مع إبراز ليبيا كفضاء ديناميكي للتفاعل الحضاري، حيث امتزجت المعرفة بالممارسة، والغربة بالتواصل، والأسطورة بالواقع. إن تحليل هذه النصوص بمنهج نقدي يتيح فهم العلاقة المعقدة بين السفر والمعرفة والسلطة، ويعيد الاعتبار لدور ليبيا في التاريخ الفكري والثقافي للبحر المتوسط.

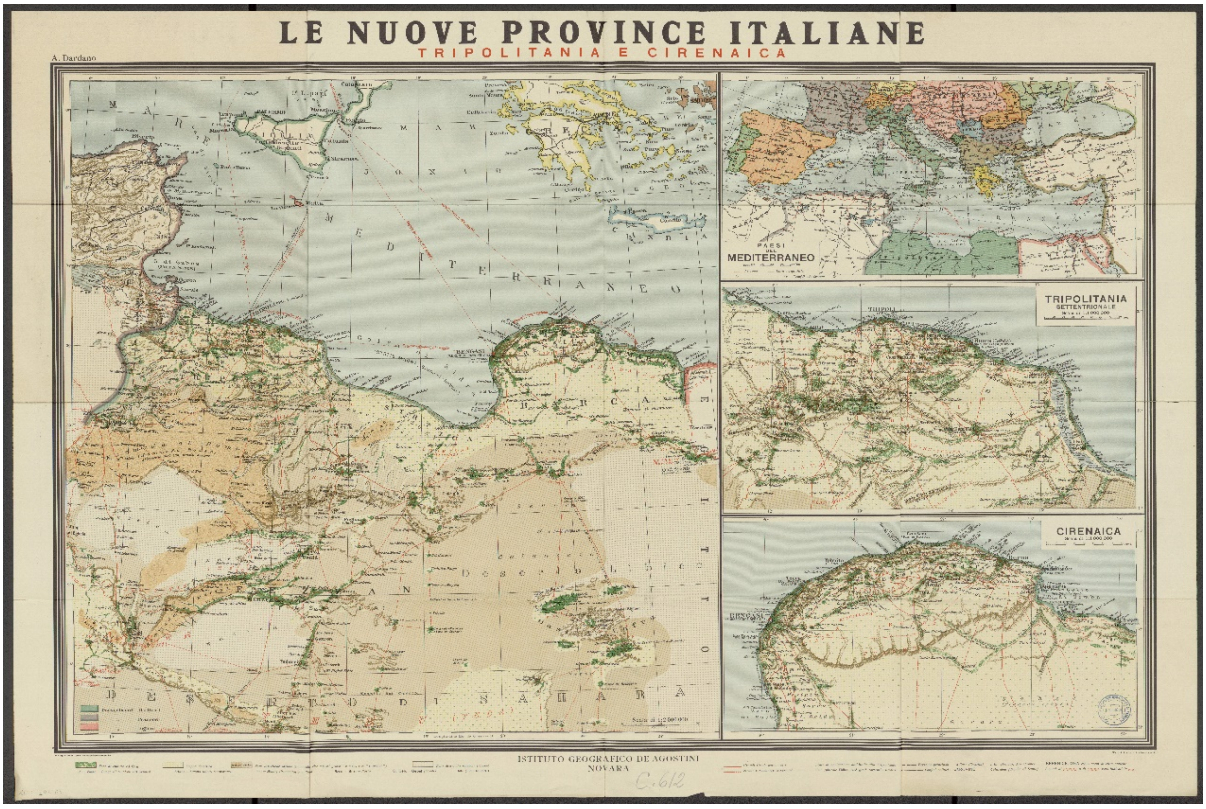

خريطة 1 ليبيا في العصر الروماني،
https://www.marefa.org/w/index.php?curid=1488762

المؤلف	العمل	القرن	الموضع المذكور	نوع الوصف	السياق السياسي/الديني	صورة السكان المحليين	الوظيفة المعرفية
هيرودوت	Histories، الكتاب الرابع	5ق.م	الصحراء الليبية، القبائل الجنوبية	إثنوغرافي/أسطوري	فضاء حدودي خارج السيطرة الإغريقية	شعوب بدوية ذات عادات مغايرة	إثارة الفضول وبناء تصور عن الأطراف
سترابو	Geographic a، XVII	1 ق.م–1 م	كيرينايكا، الساحل الشرقي	جغرافي/اقتصادي	توسع روماني إداري	مجتمعات مختلطة متوسطية/إفريقية	دمج ليبيا في الجغرافيا الإمبراطورية
بطلميوس	Geographia	2م	المدن والطرق الداخلية	رياضي/طبوغرافي	إدارة إقليمية رومانية	محايدة نسبيًا	التنظيم المكاني والضبط الإداري
بلينيوس الأكبر	Naturalis Historia، V	1م	مدن كيرينايكا، النباتات الطبية	اقتصادي/علمي	استغلال الموارد	سكان مرتبطون بالزراعة والتجارة	جرد الموارد الطبيعية
بروكوبيوس	Buildings، VI	6م	لبدة، صبراتة، الأديرة	عمراني/ديني	إدارة بيزنطية مسيحية	مدن ذات طابع روماني–محلي	توثيق التحول الديني والسياسي

جدول (1) تصنيف الإشارات إلى ليبيا في المدونات الرحلية الكلاسيكية، يعرض هذا الملحق عيّنة تحليلية من أبرز المواضع التي ورد فيها ذكر ليبيا في النصوص الإغريقية والرومانية والبيزنطية، مصنّفة وفق طبيعة الخطاب والسياق السياسي والوظيفة المعرفية، يُظهر الجدول تحوّل الخطاب من الإثنوغرافي الأسطوري عند هيرودوت إلى الخطاب الإداري والعلمي عند بطلميوس وبلينيوس، ثم إلى خطاب رمزي–لاهوتي في العصر البيزنطي، بما يعكس تغيّر وظيفة المعرفة الجغرافية عبر الزمن.

العنصر المقارن	العهد الروماني	العهد البيزنطي
دوافع الرحلة	إدارية، اقتصادية، عسكرية	دينية، رهبانية، تنظيم عمراني
طبيعة الخطاب	وصفي–تقني–إثنوغرافي	رمزي–لاهوتي–روحي
صورة الصحراء	مجال حدودي للاستكشاف والسيطرة	فضاء زهد وتطهّر
دور المدن الساحلية	مراكز تجارة ونقل معرفة	حواضر مسيحية وإدارية
موقع الدين	ثانوي مقارنة بالإدارة	مركزي في تفسير المكان

علاقة الرحالة بالسكان	مراقبة وتنظيم	تفاعل ديني واجتماعي
وظيفة المعرفة	ضبط الإقليم وموارده	ترسيخ الهوية المسيحية
تمثّل ليبيا	جزء من المجال الإمبراطوري	فضاء رمزي للتأمل

جدول (2) مقارنة صورة ليبيا بين العهدين الروماني والبيزنطي، يقارن هذا الملحق التمثلات المكانية والثقافية لليبيا في النصوص الرحلية بين الفترتين، تُبرز المقارنة انتقال ليبيا من كونها مجالًا للإدارة الاقتصادية والعسكرية إلى فضاء رمزي–ديني في الخطاب البيزنطي، وهو تحوّل يعكس إعادة تشكيل الجغرافيا وفق منظومات فكرية جديدة لا تقل تأثيرًا عن السلطة السياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً العربية والمترجمة:

- بطليموس، ك. (2004)، جغرافية كلاوديوس بطوليميوس: وصف ليبيا (قارة أفريقي) ومصر، ت. محمد المبروك الدويب، مشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
- بليني الأكبر. (2019)، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، وصف أفريقيا ومصر وغرب آسيا، ت. محمد المبروك الدويب، ط.2، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية، طرابلس.
- سترابو. (2003)، الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترافون(سترابون)، وصف ليبيا ومصر، ت. محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

ثانياً المراجع الأجنبية:

- Bowman, A. K. (2012). *Egypt after the Pharaohs: 332 BC–AD 642*. University of California Press.
- Desanges, J. (1981). *Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique*. Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique.
- Goodchild, R. G. (1971). *Cyrene and Apollonia: An Historical Guide*. British School at Rome.
- Herodotus. (1954). *Histories* (A. D. Godley, Trans.). Harvard University Press.Mattingly, D. J. (1995). *Tripolitania*. University of Michigan Press.
- Mattingly, D. J., & Hitchner, R. B. (1993). *Roman Africa: An Archaeological Review*. *Journal of Roman Studies*, 83, 165–213.
- Procopius of Caesarea. (1940). *Buildings* (H. B. Dewing, Trans.). Harvard University Press.
- Whittaker, C. R. (1994). *Frontiers of the Roman Empire: A Social and Economic Study*. Johns Hopkins University Press.

ثالثا: شبكة المعلومات الدولية

- https://www.marefa.org/w/index.php?curid=1488762